



للشّيخ العالِم المحقّق الرّبّانيّ، الفاضِل المدُقّق الصّمْدانِيّ

العارفِ باللهِ الحاج عُثْمان أفنْدِي الزّاخُوريّ

رحمه الله تعالى





الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤م



داغستان - مَحَاچ قَلعَة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي اختصّ من شاء بالعنايات والرّعايات، وصلّى الله وسلّم على سيّد المخصوصين بأرفع الكرامات، وأسنى تلك العطيّات، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم إلى يوم الميقات.

وبعد: فبين يديك أيها القارئ الكريم كتاب «**تحفة الأحباب الخالدية في بيان القصيدة المحمودية**» للشيخ العارف بالله عثمان الـزَّاَخُورِي حيث شرح فيه القصيدة في مدح القطب محمود أفندي للشيخ العارف عبد الله الـزَّاَخُورِي قدّس الله سرّهما.

ومحمود أفندي الحنفي الماتريدي النقشبندي قدّس الله سره شيخ جليل، وعارف شهير في بلاد روسيا كقوقاز وتتارستان وأستراخان وغيرها، وعلَمٌ من أعلام القوم الذين تربّى الناس - ولا يزالون - على علومه وآثاره السلوكية، وهذا الكتاب من أجمع الكتب لأوصافه الجميلة، وأخلاقه العلية، ومناقبه السنية، ومعارفه الجمّة.

ولا تنفكّ حاجة أهل التصوّف عن أن يرجعوا لهذا الكتاب؛ لأنّه تضمَّن معلومات قيمة عن الشيخ محمود أفندي وخلفائه الكرام قدّس الله أسرارهم

وغيرهم، واشتمل على كثير من التراجم النادرة التي لا يكاد الباحث يقف على مصدر آخر لها.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ الشارح رحمه الله تعالى قد قام باستدراك بعض ما فاته الشيخ العارف شعيب أفندي البَاكِنِي قدّس الله سرّه في كتابه «طبقات الخواجكان النقشبندية»، وهذا مما يزيد أهمية الكتاب.

وقد بيّن الشارح سبب إنشاء «القصيدة المحمودية» بقوله:

(ثم لما وَرد الناظم رحمه الله تعالى إلى زيارته من ديارٍ بعيدة ولم يَفز إلى مَطلوبه بِزَواله قدّس الله سرّه عن زَمان يَسيرٍ.. أَلْهَمَ الله تعالى إليه بنظم هذا المديح؛ لِيَكُون مُتبَرِّكاً ومنتفِعاً بذلك، وتسلّياً وتسْكيناً لِقَلْبِه وإن لم يمكن له الانتفاعُ مِن ذاته، ومن بركات أنفاسه العَلية فقال:

أُلْهِمَ الزَّاخُورِيُّ بِالكَتْبِ هَـذا * بَـدَلاً بَاعِثاً إِلَى الاِنْـشِـرَاحِ)

والكتاب طبع سنة (١٣٣٢هـ) في المطبعة الإسلامية في تميرخان شوره للعالم محمد مِيرْزَا مَاوْرَايُوفْ، ونفدت نسخ طبعاته منذ مدّة طويلة ولا يكاد المرء يعثر عليها إلا بصعوبة، ولذلك كان من الضروريّ إعادة إخراجه في حلّة جديدة وثوب قشيب إحياءً للتراثِ ونفعاً للناس.

اللَّهم اجمعنا مع أوليائك الأبرار وارحمنا بهم واحشرنا معهم وأدخلنا معهم في الجنان برحمتك يا أرحم الراحمين.

تَرْجَمَة
ناظِم «القَصِيدَة المَحْمُودِيَّة»

هو: العالم العارف الشهير، والكامل الفاضل المنير، الحاج عبد الله أفندي ابن الحاج عثمان الزَّآخُورِي الداغستانيّ، الشافعيّ الأشعريّ، النقشبنديّ الخالديّ، المحموديّ.

وزَآخُور: قرية كبيرة على نهر سَمْبُور في داغستان، وبنيت على ما في كتب التاريخ: منذ أَلْفَينِ وثمانمائة وسبع وسبعين سنة.

يقول في حقّها زكريا القَزْوِينيّ (ت ٦٨٢ هـ) في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد»: (ظَاخُر: مدينة كبيرة آهلة على ستّ مراحل من جَنْزَة [كَنْجِه]، وهي قصَبة بلاد لَكْزَان، البردُ بها شديد جدّاً... ولا رئيسَ، بل عندهم خطيب يصلّي بهم، وقاضٍ يفصل الخصومات بينهم على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وأهل المدينة كُلّهم شافعية، بها مدرسة بناها الوزير نظام المُلْك الحسن بن علي بن إسحاق قدس الله رُوحَه، وفيها مُدَرِّسٌ وفقهاء، وشرط لكل فقيه فيها كل شهر رأس غنم، وقدر من السُّلْت، وذكر: أنهم نقلوا «مختصر المُزَني» إلى اللغة اللَّكْزِيَّةِ، وكذلك كتاب الإمام الشافعي، ويَشْتَغِلون بهما).

وكان الناظم - رحمه الله تعالى - قد أخذ الإنابة أوّلاً حين كونه في حاج تَرْخَانْ من غوثِ الزمان محمود أفندي الداغستاني، ثم لما توفي ذلك الفرد الكامل.. أخذ من يد خليفته الحاج حمزة أفندي الـرَّاخُورِي، وكان قد أخذ منه في الطريق نسبة إلهيّة، ومحبّةً عامّة لجميع أهل الله.

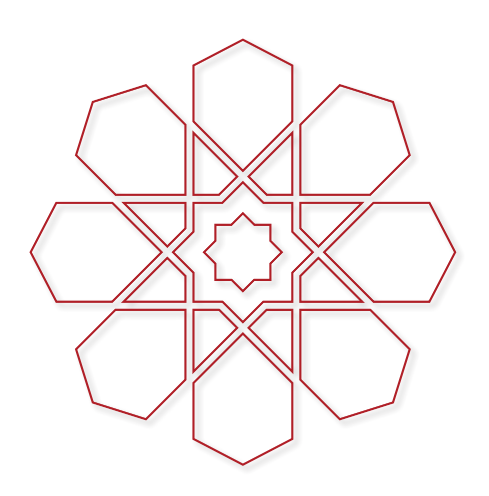
قال الشيخ العارف عثمان الـرَّاخُورِي قدس سره: (وكان الحاج حمزة أفندي - قدّس سره - يقول في حقّه: «إنه مَعْدود عند الله تعالى من رجال الغيب»، وكان والله كما قال، أفضل الناس خُلُقاً، وأورع علماء الوقت، وكان قد شاعَ صِيتُه بالأَوْرَعِيّة عند أهل زمانه، وكانوا قد رأوا منه ما لم يرَوْه إلى الآن مِن أحد من الآثار العجيبة، والأخبار الغريبة، وكان نحيفَ الجسم، وشريف الاسم).

وقال الشيخ شعيب أفندي الباكني قدس سره واصفاً له: (كتب الشيخ العالم الذي هو معدود من رجال الغيب الحاج عبد الله أفندي الـرَّاخوري مرثية كريمة، وكراسة عظيمة حين كان في حَاج تَرْخَان عند وفاة الشيخ، وسمّاها: «قصيدة الورود في مدح الشيخ محمود» من بحر الخفيف).

لما توفي هذا الشيخ حاج حمزة أفندي.. أراد الناظم أن يدخل تحت تربية غوث العصر، وعزيز الوجود حاج أحمد أفندي التَّلَالِي قدّس سرّه، وَيَقُول العارف عثمان الـرَّاخُورِي متحدِّثا عن ذلك: (إذ قد رأيت كتابَةُ المكتوبَ إليه في حقّ ذلك، غيرَ أنّ ذلك الأمرَ لم يَتَيَسَّر له لانتقاله - أي: الناظم - من الدنيا قبل إمكان الأخذ).

وكان الناظم - رحمه الله تعالى - نائباً من طرف المسلمين في وَقت قدوم[١] شَاهَوْ الأَنْصُخِي على قلعة أَخْتِي وعلى قلعة نُخُو (شِكِه)، ثم حُبس في قلعة نُخُو نحو سَنَةٍ.

توفي رحمه الله تعالى في قرية لَكِيتْ، ولم نقف على تاريخ وفاته إِلاَّ أَنه كان حيّاً في سنة: ١٣٣٠ هـ[٢].



[١] وذلك في سنة: (١٢٩٤هـ) الموافق لـ(١٨٧٧م).

[٢] مصادر الترجمة: «آثار البلاد وأخبار العباد» (١/ ٨٤٢)، و«تحفة الأحباب الخالدية»، «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٢٤٨).


بسم الله الرحمن الرحيم

تَرْجَمَة
شَارِح «القَصِيدَة المَحْمُودِيَّة»

هو: الحاج عثمان ابن الشيخ حضرة أفندي، النقشبنديّ الخالديّ، المحمودي الأحمديّ، الأشعريّ الشافعيّ، الـزَّاخُورِيّ أصلاً، الإيلِيسُووِيّ مَولداً، اللَّكِيتِيّ مدفناً.

ولد – رحمه الله تعالى – في قرية إِيلِيسُو سنة: (١٢٨٠هـ) لما أحرق الكفّار قرى وادي زَاخُور، وانتقل أهاليها إلى قرى مَحَال إيليسُو، لكن رجعوا عن قريب إلى أوطانهم؛ كما قالت له أمّه: «إنّك كنت في حِجري حين الإياب والرجوع عنها إلى أوطانِنا».

طلبه للعلم:

يقول المترجَم له: (لما انتقل أبي قدّس سرّه.. بقيتُ يتيماً، وابناً لأربع سنين تخميناً، تنظرني أُمّي القانتة، ثم قرأتُ القرآنَ عنها على سبع سنين، ثم سلّمَتْني على تعلّم العلم للناظم عمّي رحمه الله تعالى، فعلّمني وجَهّدَني في تعليمه غايةَ الجُهد، وخوّفَني لأجله نهايةَ تخويف؛ إذ كنت في صُبُوَّتي وشبابي يتيماً لا يعقل، وصبيّاً لا يقبَل قول الحقّ، ولا يعرف قدر العلم، فكنتُ أدور وأجول في القرية أُنشأ وأُنشد القصائد الجاهلية، والدّواوين المجازية، منهيّ عمري وأيامي هكذا زماناً فيه.

فالحمد لله العليّ الكبير المتعالي، تحصّلتُ من العلم ما يكفي لنا، واكتسبت منه ما يلزَم علينا، فلذلك ما صلَّيتُ صلاةَ فرضٍ أو نفل.. إلّا استغفرت للناظم – رحمه الله – في الدعاء خلفها مع والدي، ولكلّ من قرأت عليه).

وقرأ أيضاً على شعيب أفندي الباكني قدس سره حين كان على سجادة الإمامة في قرية ژَاخُور؛ كما في «طبقاته»: (كنتُ أقرأ له «شرح العقائد»، و«شرح جمع الجوامع» إلى الكتاب الأوّل، فلقد كان أسرع فهماً منّي، وأجود بصيرة عنّي، فلذلك أمضاه شيخه عن كلّ المنازل والعقبات سريعاً، بإراءته ما فيها من الأنوار والأسرار جميعاً، حتى أنّ شيخه أشار له بالإجازة في أوائله، فكيف في أواخره؟!)

دخوله تحت تربية الشيخ أحمد التلالي قدس سره:

ولمّا كمُل من الفنون العربية، والعلوم الرسمية.. اشتاق إلى الفنون الدقيقة، والعلوم الحقيقية، وأخذ ذيل الشيخ الحاج أحمد أفندي التَّلَالِي قدّس سرّه وذلك في سنة (١٣١٥ هـ).

وبعد ثلاث سنين من اشتغاله.. أجازه إجازة تامةً، وأقامه على بساط الإرشاد عامة كما قاله: (فلمّا أتممْتُ ثلاث سنين من الدخول تحت تربيته.. فقد أجازني إجازة تامّة...).

ويعدّ دخوله في تربية الشيخ من منن الله تعالى عليه ويقول: (ومما مَنَّ الله به عليّ: مسابقتي المعاصرين بنا على الدخول في تربية شيخي التَّلَالي، ودخول سائر العلماء مِن ديارنا بَعْدي تحت تربيته فوجاً فوجاً...).

يقول الشيخ شعيب الباكني قدس سره: (وأجاز الشيخ لي وله في أسبوع واحد، في شهر صفر سنة: (١٣١٨هـ)، فإنّه كان كامل الاستعداد، وطالب الاستمداد، فبه وصل إلى مقصوده سريعاً، وإلى مآربه جميعاً، فهو الآن على إرشاد المريدين، وتسليك السالكين، وفّقه الله تعالى للاستقامة، ولنا وله على ثبوت الهداية. وقد انتهت إليه رياسة المشيخة السَّمْبُورِية والشِّكوِيَّةِ، وديار الولاية الچَارِية، فوالله؛ إنّه على ذلك حقيق، وعلى كلّ الكمالات لائق).

صفته:

كان - رحمه الله تعالى - معتدل القامة، عظيم الهامة، كبير اللحية، نحيف الجسم، حديد الفهم.

أسرته:

كان والده حضرة أفندي من خلفاء محمود أفندي الأَلْمَالِي قدّس سرهما، ولم يعش بعد الإذن إلا يسيراً، ومات في اليوم الأوّل من ذي القعدة سنة (١٢٨٤هـ)[١]، ومَدفون في قريته ژَاخُور عند سلطان الأولياء الشيخ محمود قدّس سره، وعليه قبّةٌ محدوديّةٌ يُزار ويتبرّك، وهو أوّل مَن اختار الآخرةَ من خلفاء محمود أفندي الأَلْمَالِي الذين كانوا في ديارنا هذه.

أما والدته رحِمها الله تعالى.. كانت ذات بركةٍ، وكانت تُصلِّي في كلّ يوم على النبيِّ ألفاً من الصّلوات المَعْهُودةِ، وتَستغفر من الذنوب ألفاً، وكان لها إنابةٌ من زوجه حضرة أفندي، وبعده من الشيخ الحاج حمزة أفندي، ثم من الشيخ أحمد التَّلالِي قدّس الله أسرارَهم.

[١] وكانت ولادته في سنة: (١٢٢٥ هـ) تقريباً لا تحديداً.

وأما الشيخ المترجم له عثمان أفندي قدس سره.. كان كما يتحدّث عن نفسه: (رجلاً ما رأى وجه وَلَدٍ ذكرٍ إلى ذلك السِّنّ: ثمان وأربعين سنة، ومع كثرة الأولاد من البنات، ومع تعدُّدِ الزّوجاتِ، وقد وهَب الله لي في ذلك السنّ حين كنتُ في سفر الحج ثانياً[١] وَلَداً ذكراً مسمّى له باسم أبي المرحوم حضرة أفندي قدّس سرّه، ومات بعد وِلادتِه من نحو أربعة أشهرٍ، ثم وهَب لي أيضاً بعد ذلك ولدًا ثانياً في سنة: (١٣٣٠هـ) في شهر ربيع الأوّل، يوم الثاني عشر منه، وسمّيته باسم النبي محمد مَحبّة عليه وعشقاً له، وليكون تفاؤلاً).

مصنفاته:

- «تحفة الأحباب الخالدية في بيان القصيدة المحمودية».

كان جمعه بعد هجرته إلى لَكِيتْ سنة: (١٣٢٣ هـ)، وتحريره في رمضان سنة: (١٣٢٦ هـ)، ثم استكتب ثالثاً ليرسله إلى المطبعةِ.

وكان ناظم «القصيدة المحمودية» الحاج عبد الله أفندي عمًّا له؛ كما قاله في أوائل هذا الكتاب: (وأنا أفقر عبيد الله بين الأنام، ابن أخيه المرحوم...).

- «تحفة الإخوان في مسائل علم التصوّف لأهل القلوب والإيمان».

وكان أَيضاً بارعاً في نظم الشعر، أنشأ قصيدةً لامية، وقصيدة نونيةً في مقابَلةِ قصائد بعض الإخوان المعاصرين.

[١] أي: لأداء الحج عن فرضِ أبيه المرحوم سنة: (١٣٢٨هـ)؛ كما سيجيء عن قريب.

ثناء العلماء عليه:

كان شيخه أحمد التلالي قدس سره يقول في حقّه: (إن هذا ولدي عثمان أفندي كان لي في هذه الطريق كحضرة عُمر لِرَسُول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء الإسلام؛ إذ أكثِر به سَوادي؛ كما كثُر بِعُمَرَ سواد رسوله تعالى).

ورعه وفضله:

يقول - رحمه الله تعالى - في موضع آخر من ذلك الكتاب: (وفي قريب وقت الإجازة.. جاءني أمر من نَچَلْنِيك -أي: رئيس- الناحية بقبول قضاء الناحية الأَخْتِيَّة، فلم أَقْبَله، ولم ألتزِم بذلك، فالحمد لله على ذلك؛ إذ أكثرُ الأئمة مِن السلف كأبي حنيفة والشافعي وغيرهما - مع تورّعهم، وكثرة علمهم وقوّتهم فيه - قد هَرَبُوا عن قبوله لخطرِ أمره، فما كان لأمثالنا الضعفاء نَقْبلُه؟!)

ومن فضله: رؤيته الله تعالى ورسوله في المنام؛ كما يقصه في ذلك الكتاب: (رأيتُ ذاتَ ليلة في منامي من نورٍ عجيبٍ أعجبَني، وقد أحاطَني من الجهاتِ الستِّ، فسألتُ عنه وقلتُ: «ما هذا؟» فهَتَف هاتفٌ مجيباً: «هذا اللهُ جلّ جلالُه، وعَزّ شأنه ولا إله غيرُه، ونور ذاتِه المقدّسة الذي انطمس باقي الأنوار لديه»، فوقَع الرُّعب والهيبة عليّ حينئذ، فتحرّكتُ في فِراشي بلا اختيارٍ تحرّكاً شديداً، واستيقظتُ من نومي صارخاً قائلاً منادياً: «الله الله»، وهكذا رأيتُه جلّ سلطانه بعد ليلتيْنِ عنها أو ليالٍ).

ومنه: (رؤيتي أمامي حَلْقةً عظيمةً من أهل الله لما جلستُ ليلة قريبَ الصباح في الرابطةِ، ورؤيتي أيضاً يداً ممدودةً مباركةً من بين الحلقةِ

والقولُ لي من قائل: «يا هذا؛ هذه يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم»، فعند ذلك أخذتُها وقبّلتُها، فالحمد لله على ذلك، ولم أره صلّى الله عليه وسلّم من بين الحلقةِ، ولم أقدر أن أرفع رأسي حياءً منه صلّى الله عليه وسلّم ومن أهل المجلسِ، رزقنا الله تعالى رؤيته في الدارينِ بِمَنّه وكرمه، آمين).

هجرته مِن زَاخُور:

هاجر - رحمه الله تعالى - من قريته الأصلية إلى قرية لَكِيتْ سنة: (١٣٢٣ هـ)، وبنى بها بيتاً كبيراً في مدةٍ قليلةٍ مثلَ ثلاثة أشهر بعناية ربّ العالمين، وبنصرة إخوانه المسلمين كما قال المترجم له: (...فَلِلَّهِ دَرُّهم، وخاصّةً درُّ جماعة لَكِيتْ حيث لم يَبق منهم شريفٌ ولا وَضيعٌ.. إلا قد أقامني من يدي عند ذلك، وأعانني فيه هنالك، شكَر الله سعيَهم، وغفر [لأمواتهم]، وعمّر أحياءَهم، ورزَقهم من الطيّباتِ، وحفِظهم عن الآفاتِ، وما خلا الله بَلَدَهم قرناً بعد قرنٍ من عالمٍ عاملٍ يعظهم ويدعوهم إلى الخير).

وبعد أن أقام في لَكِيتْ.. قصد إلى بيت الله الحرام، وسار لأداء الحج سنة: (١٣٢٤ هـ)، ثم سافر مرةً ثانيةً سنة: (١٣٢٨ هـ) لأدائه عن فرضِ أبيه المرحوم[١].

وفاته:

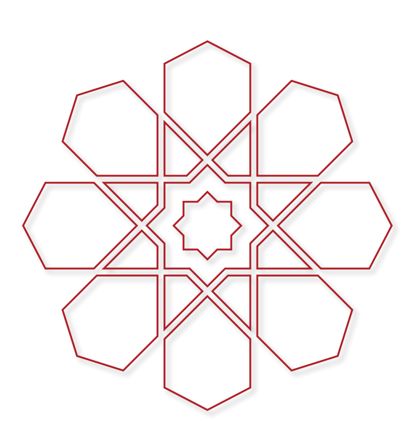
توفي - رحمه الله تعالى - في (١٩) من صفر سنة (١٣٣٧هـ) أو (١٣٣٨هـ)؛ كما هو مؤرّخ على بلاطة قبره، ومدفون في مقبرة لَكِيتْ التي بها قبور العلماء والصلحاء.

[١] مصادر الترجمة: «تحفة الأحباب الخالدية»، و«طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٤٩٠).

ومنقور على ضريحه:

المُلْك لله الواحد القهار

هذا مرقد الشيخ الشهير، ورَوْضة المرشد المهير، وتربة العالم الوفير، الحاج بالحرمين، والزائر تربة سيد الثّقلين، الحاج عثمان أفندي، الأحمدي المحمودي، الخالدي الخضري، ابن مولانا الشيخ النقشبندي، الحاج حضرة أفندي المحمودي، وقد ارتحل من دار الدنيا إلى غرف الجنان مع الغِلْمَان في شهر صفر المظفر ١٩، سنة: ١٣٣٧.



منهجنا في خدمة الكتاب

- نسخ نصّ الكتاب ومقابلته بالمطبوع.

- حصر الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين ﴿﴾ برسم المصحف الشريف من رواية حفص عن عاصم رحمهما الله تعالى مع تخريجها باسم السورة ورقم الآية.

- تخريج الأحاديث والأخبار والنقولات التي أشار لها المؤلِّف من مصادرها دون التوسع في التخريج.

- تصحيح بعض الأخطاء الطباعية بالمراجعة إلى المصادر والمراجع.

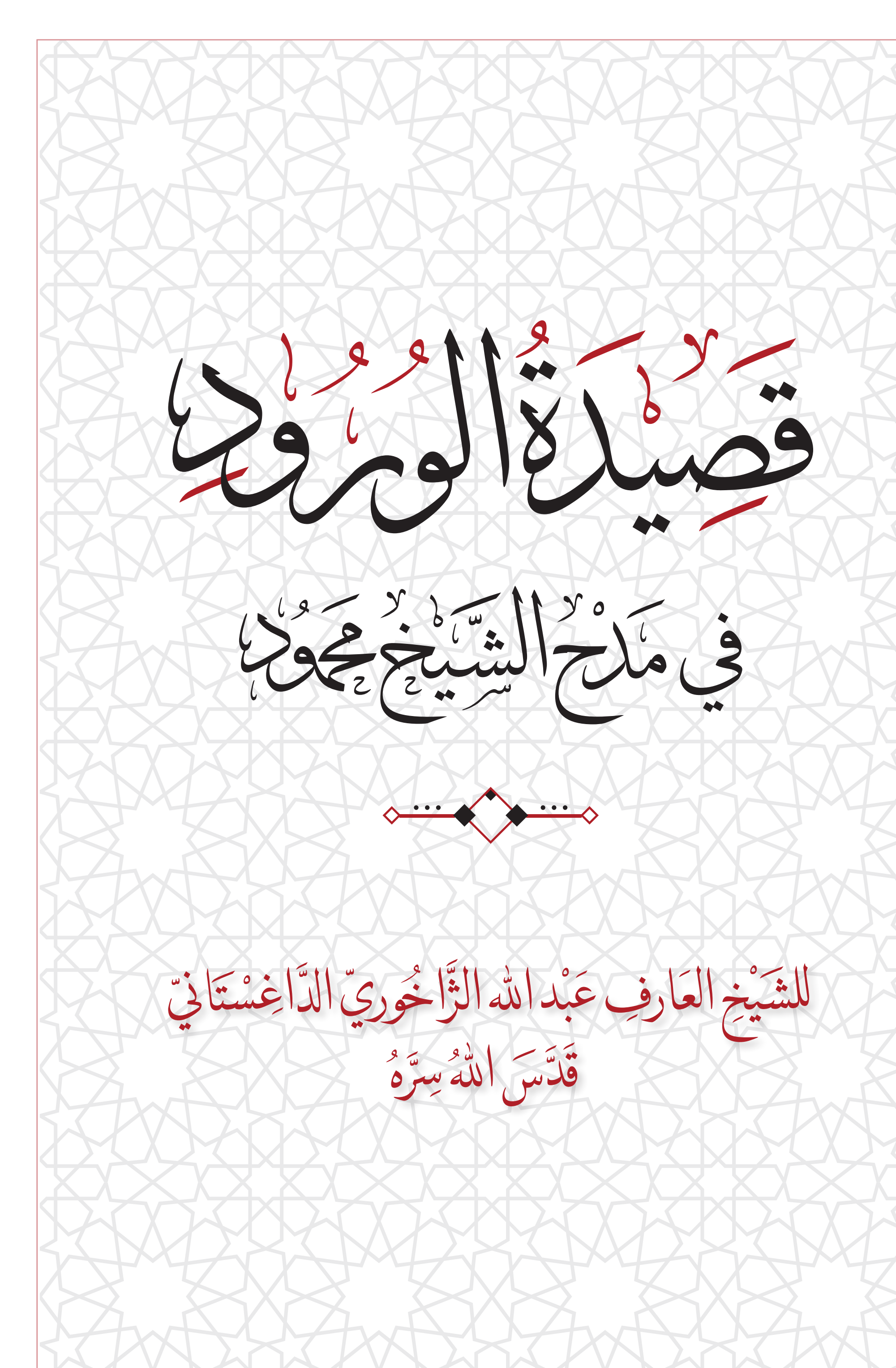
- ترصيع الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة.

- إثبات «القصيدة المحمودية» مضبوطاً ضبطاً كاملاً.

- إضافة العناوين التوضيحيّة.

- كتابة ترجمة الناظم والشارح حسب المعلومات التي تيسر لنا الوقوف عليها.

- وضع فهارس لموضوعات الكتاب.

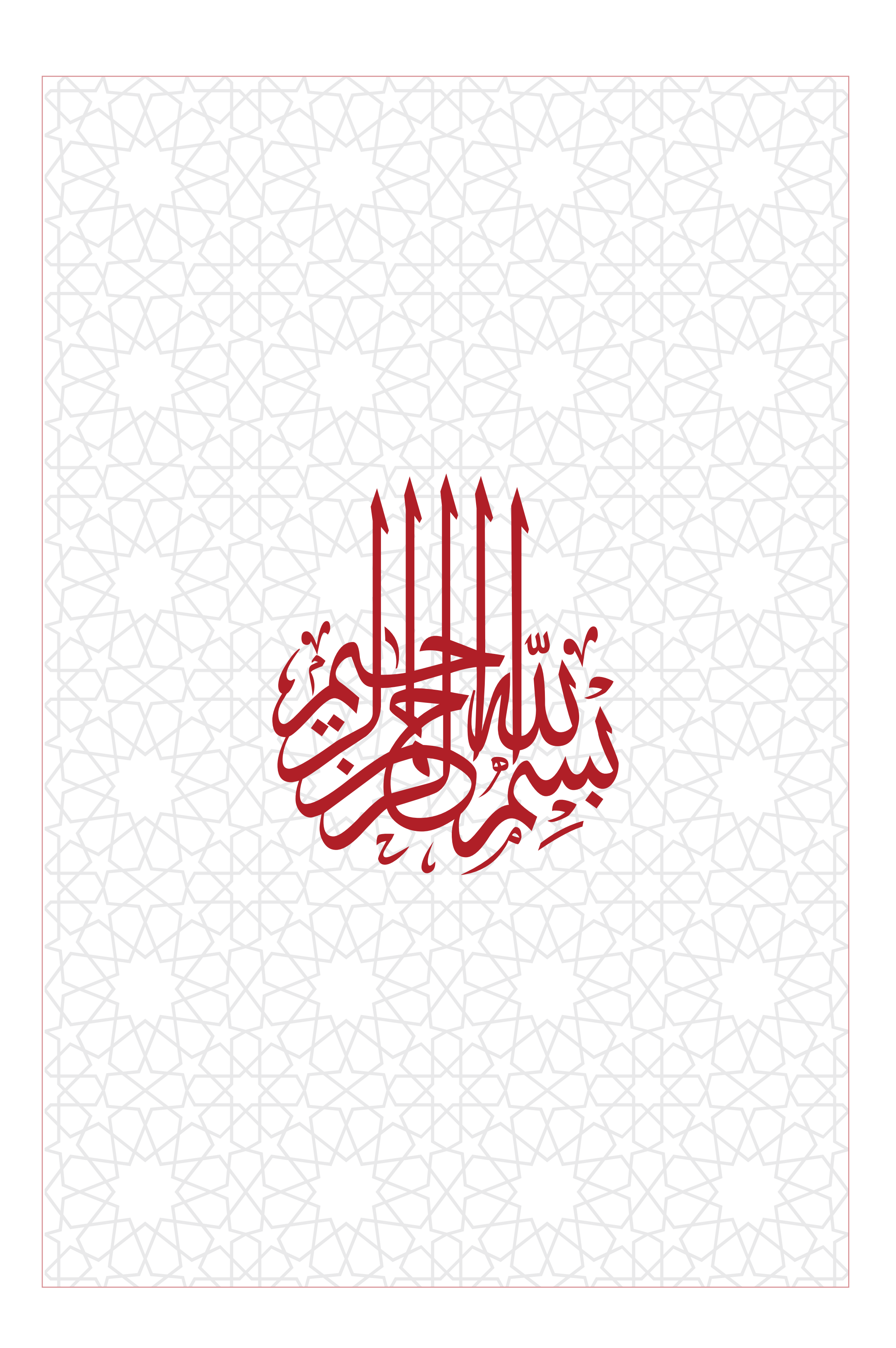


قَصِيدَةُ الوُرُودِ

فِي مَدْحِ الشَّيْخِ مُحَمُودٍ

للشَيْخِ العَارِفِ عَبْدِ اللهِ الثَّاخُورِيّ الدَّاغِسْتَانِيّ

قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ


بسم الله الرحمن الرحيم

١. صَاحِ دَعْنِي أَدْعُ امْـرَأً بِصُبَاحِ * لَاحَ بِـالأَرْضِ ضَـوْؤُهُ كَصَبَاحٍ
٢. أَصِفِ القُطْبَ بِالدَّوَاعِي رُوَيْدَا * أَيَّ وَصْفٍ بِهِ خَلَى عَنْ مُزَاحٍ
٣. ذَا بِأَرْضٍ دَلَّ الـوَرَى وَثِمَاراً * لَهُمُ مِنْهُ قَدْ جَنَوْا لِفَلَاحٍ
٤. اسْمُهُ مَحْمُودٌ يُؤَيِّدُ فَحْوَى * لِمَدِيحٍ أَتَيْتُهُ بِصُدَاحٍ
٥. فَأُمُورٌ قَدْ أُحْكِمَتْ بِشُهُودٍ * لأُولِي الرَّأْيِ لَمْ تُقَلْ بِمَرَاحٍ
٦. أَهْلُ عِلْمٍ وَرَبُّ لُبٍّ وَطِبٍّ * وَجْدُ حَقٍّ وَنَجْدُ سَعْدٍ صَلَاحٍ
٧.جَذْبُ ذِكْرٍ وَشُكْرُ بِرٍّ إِلَيْهِ * ذَاكَ فَضْلُ الإِلَهِ يُؤْتِيهِ دَاحٍ
٨. صُنْعُهُ الأَمْرُ النَّهْيُ طُولَ الدُّهُورِ * وَهِجَاناً حَامٍ هَجِيناً وَمَاحٍ
٩. كَمْ وَرَى مِنْ بَضَائِعِ العِلْمِ وَالرَّأْ * يِ أَطَالُوا أَكُفَّ سُؤْلِ النَّجَاحِ
١٠. وَتَجَلَّتْ آيَاتُهُ كَنُجُومٍ * أَوْمَضَتْ فِي السَّمَاءِ لَيْلاً صَاحٍ
١١. لَوْ رَمَى سَهْمَ الرَّمْقِ تِلْقَاءَ قَلْبٍ * حِينَ إِنْقَاذُ مُشْرِفٍ فِي جُنَاحٍ
١٢. لَيَعُودُ الأَحْشَاءُ مَوْقِدَ نَارٍ * وَيَرُوحُ الهَوَى مَرَاحَ انْشِرَاحٍ
١٣. وَبُدُورٌ بَدَوْا سَنًا نَائِبِيهِ * وَالَّذِينَ اقْتَفَوْا بِهِمْ فِي ارْتِيَاحٍ
١٤. هَؤُلَاءِ الأُولَى أَتَوْا بِطِبَاعٍ * فِيهِ بَاتَتْ هُدَى جَنَاحَ النَّجَاحِ
١٥. ذُو اتِّسَاعٍ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبْ رِزْ * قاً خَلاً مِنْ كَدٍّ وَتَعْبِ اجْتِرَاحٍ
١٦. تُحَفٌ قَدْ تَوَارَدَتْ نَجْدَ مَجْدٍ * وَأُحِيطَتْ بِهَا سِجَالُ السَّمَاحِ
١٧. وَكَفَاهُ اسْتِفَادَةُ الفَضْلِ سَبْياً * بِنَوَاحِي وَعَصْرِ كُفْرٍ سِفَاحٍ

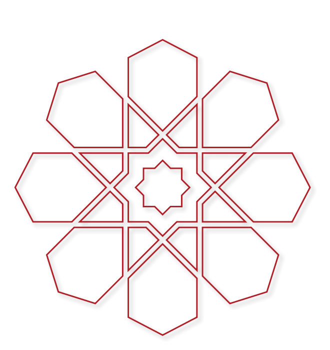
١٨. وَكَذَا رَمْيُهُ القَضَاءُ مِنَ المَوْ * طِنِ حَتَّى أَتَى المُنَى بِطِرَاحِ
١٩. وَتَمَنِّي إِيَابِهِ قَدْ أُجِيبَا * حِينَ حَانَ الوَفَاءُ مَرْأَى صَلَاحِ
٢٠. وَدعَاهُ هُدَى المَجُوسِيِّ طَوْعاً * قَائِلاً نَبَّأَ العَلِيمُ بِنَاحِ
٢١. رُبَّ سِرٍّ تُجَاهَهُ بَاتَ جَهْراً * وَفَتًى فِي بُرَيْهَةٍ ذَا جَنَاحِ
٢٢. رُبَّ عَاصٍ أَسَاءَهُ مُسَّ سُوأً * أَيْنَمَا حَلَّ ذَلَّ ذَا بِاطِّرَاحِ
٢٣. وَالَّذِي كَذَّبَ الهُدَى وَتَوَلَّى * ضَاقَ ذَرْعاً بِهِ بِكُلِّ مَرَاحِ
٢٤. فَبِ[١] عَنْ عَزْوِهِ الإِسَاءَةَ زُعْماً * بِأُمُورٍ لَاحَتْ بِهِ كَالقِبَاحِ
٢٥. وَهِيَ دَارٌ مُرَصَّعٌ فُرُشٌ مَرْ * فُوعَةٌ حُبُّهَا رُؤُوسُ طَلَاحِ
٢٦. وُدُّهُ مُوقِراً أُلُوفاً جُنُوفاً * كُلَّ بِرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ قُبَاحِ
٢٧. وَبِأَسْرٍ وَطَرْدِ عَصْرٍ وَعُسْرٍ * كَانَ كُلٌّ مُسَطَّراً بِالجَنَاحِ
٢٨. قَائِلاً لَوْ غَدَا وَلِيّاً مُجَاباً * لَيَنَالَ المَأْمُولَ أَهْلُ المَرَاحِ
٢٩. أَنَّهُ لَوْ أَقْبَلْتَ بِالسُّوءِ جَهْراً * لَنْ يُطَالَ الإِدْبَارُ بِالمِرْضَاحِ
٣٠. أَنَّهُ بَاتَ مُنْعَّماً مِنْ مَلِيكٍ * فَاسْتَحَقَّ الإِشَاعَ حَمْدَ امْتِدَاحِ
٣١. وَالتِفَاتُ الوَرَى إِلَى زِينَةِ الدُّنْـ * ـيا وَفَخْرٍ تَكَاثُرٍ وَانْفِسَاحِ
٣٢. فَلِحَثٍّ وَأُلْفَةٍ وَاتِّعَاظٍ * هَارِبٌ رَاهِبٌ بِجِدٍّ اجْتِنَاحِ
٣٣. جُعِلَتْ كُلُّهَا ذَرِيعَةَ فَوْزٍ * مُدْبِرٌ مُقْبِلٌ جَنَاحَ نَجَاحِ

[١] في «طبقات الخواجكان النقشبندية» للشيخ العارف شعيب أفندي الباكني قدّس سرّه: (ذَبَّ).

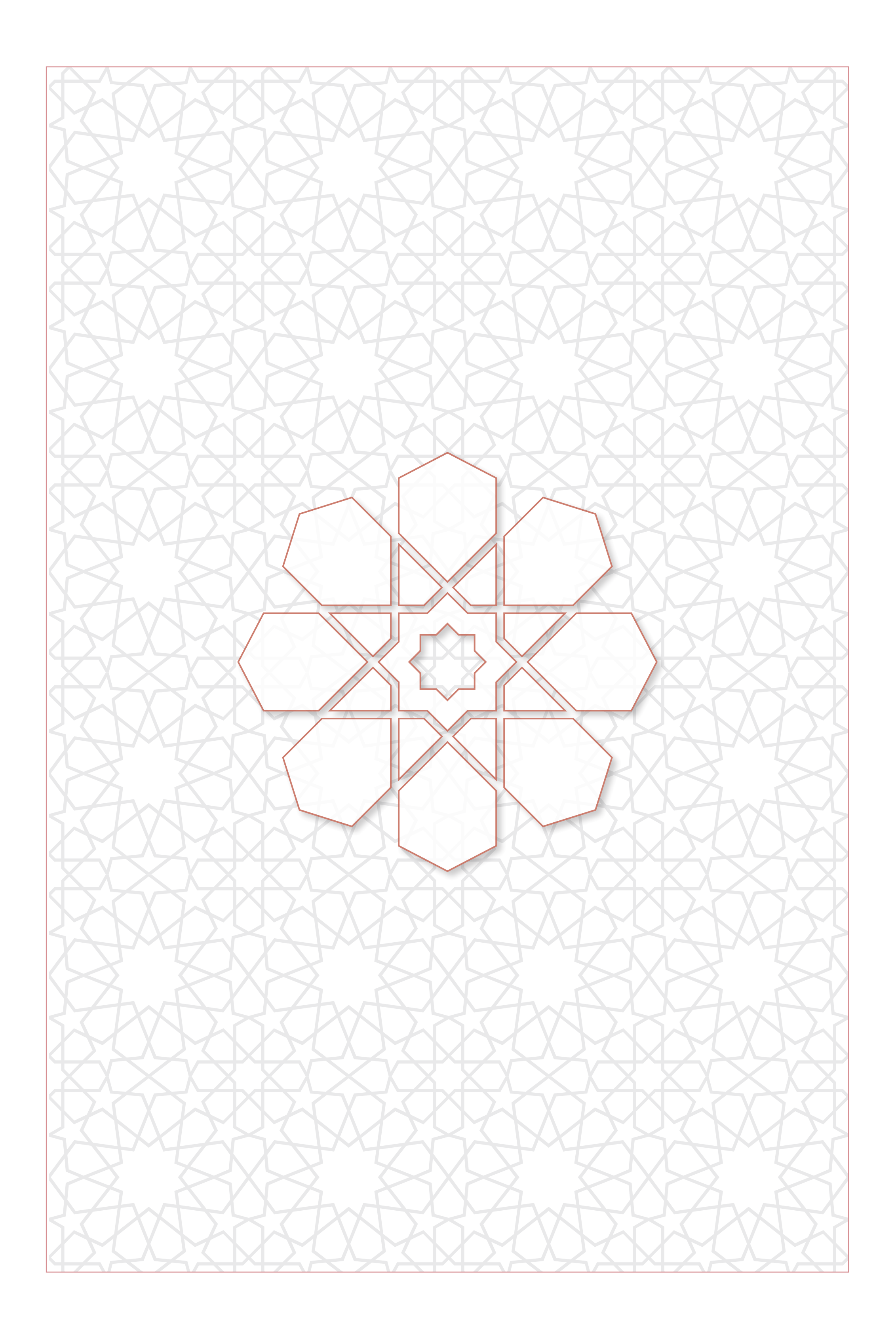
٣٤. وَكَـذَا عَدُّهَـا مَفَـاسِدَ شَرْعـاً * بِـالَّـذِي غَـرَّهَـا بِـزُعْـمِ صَــلَاحٍ
٣٥. وَغَــدَا مَشْـغُـولاً بِـهَا عَـنْ إِلَــهٍ * بِئْـسَ بَــأْساً مَـرْعَـاهُ بِــالإِضْـرَاحِ
٣٦. بَيْدَ ذَا مَحْمُودٌ كَفِيلٌ كَفَاكَ * مُـرْشِـداً مُـغْـنٍ مُبْتَغِي الإِيـضَاحِ
٣٧. كَيْفَ لَا تَفْوِيتُ التَّفَاوُتِ بَيْنَ * الـدرِّ وَالـدرِّ دَأْبُ أَهْلِ الصَّلَاحِ
٣٨. مَعَ مَا فِيهَا مَحْمِلاً يَذْكُرُ اللَّـ * ـهَ الـوَرَى فِي فَـرْشٍ عَلَى إِبْـرَاحٍ
٣٩. وَتَحَـايَـا الـعِـدَى لِـدَفْـعِ شَــرَارٍ * وَوَلِـــيٌّ أَمَـــالَـــهَـــا بِـــرُوَاحٍ
٤٠. نُـزُلٌ وَارِدٌ عَـلَى قَـيْـدِ مُـصْـطَـا * دٍ خَـلَى مُـوقِـرَ الـقَـبَاحِ الـقَـشَاحِ
٤١. لَـوْ أَتَـاهَـا قَـصْـداً وَبِـالـذَّاتِ حَـمْـداً * لَالْـتَـوَى آثَـارُ الـهُـدَى وَالـفَـلَاحِ
٤٢. وَمَـتَـى سُـلِّـمَـتْ مَـفَـاسِـدُ حَـقّـاً * جَـازَ جُـزْئِـيُّـهَـا هُـدًى لِـلـصِّـلَاحِ
٤٣. مَعَ مَا فِيهَا مُوجِباً نُـزُلَ الـيَـوْ * مِ وَذَا نَـاوِيـاً بِـهَـا لِـكِـفَـاحٍ
٤٤. أَصْبَحَ النَّافِي مُفْحَماً ذَا خَسَارٍ * حَـيْـثُ هَــاوَى جُبّاً أَتَـى لِـلإِكَـاحِ
٤٥. كُـلُّ ضُـرٍّ أَتَـى بِـهِ عَـادَ نَـفْـعـاً * إِذْ يُـقَـوِّي دَلِـيـلَ دَعْـوَى الـصُّـبَاحِ
٤٦. أَنَّ مِـنْ شَـأْنِـهِ إِضَـاءَ الـنَّـوَاحِـي * مَا خَـلَا الـجَوُّ عَـنْ عَـنَانِ الـصُّـرَاحِ
٤٧. فَمَتَى خُلِّيَ السَّبِيلُ إِلَـى مَـا * لَـمْ يَـرِدْ دَارَ فِـيـهِ فَـيْـضُ فَـلَاحٍ
٤٨. وَكَـذَا ذَا يَـدْعُـو ازْدِيَـادَ جَـلَالٍ * إِذْ أَذَى نَـابَ صَـالِحاً مِـنْ صِـلَاحٍ
٤٩. كَمْ سُلُوفٍ مَسَّتْهُمُ البَأْسُ وَالضَّرْ * رَاءُ مَا فِيهَا الذِّلُّ غَيْرَ ارْتِيَاحٍ
٥٠. وَالـهَـوَى رَاحَ كَـارِهـاً وَتَـوَلَّـى * فَعَسَى أَنْ يُحِبَّ مَاحِي الـصَّـلَاحِ

٥١. إِذْ غَوَى بِالغَنَاءِ يَصْلَى المَنَاهِي ❋ وَهِيَ سِجْنٌ لَهُمْ خَلَا عَنْ صُبَاحٍ
٥٢. وَكَذَا مَوْتُهُ غَرِيباً مُجَاباً ❋ رَحْمَةٌ عَنْ مَسَرَّةٍ فِي المَرَاحِ
٥٣. أَنَّ مَوْلَاهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُنِيبَا ❋ فَرْحَ وَصْلٍ مَنَابَ سَعْدِ طِرَاحٍ
٥٤. فَبِكُلٍّ يَزُولُ رَيْبُ مُرِيبٍ ❋ كَزَوَالِ الظُّلَامِ بِالإِصْبَاحِ
٥٥. مَنْ أَتَى بَعْدَ مَا تَلَا بِعِنَادٍ ❋ كَفَمٍ مَاحٍ طُعْمَ مَا بِالبُطَاحِ
٥٦. صَاحِ إِيَّاكَ وَالذُّهُولَ طَرُوباً ❋ يَا أَسَفَى عَلَى انْطِفَا المِصْبَاحِ
٥٧. جَزَعٌ بِانْكِسَافِ قُطْبٍ مُضِيءٍ ❋ حَلَّ يَا صَبْرُ جِئْ وَعِظْهُ بِمَاحٍ
٥٨. وَهَوَاهُ إِنْ لَمْ يُعَقْ مِنْ جِمَاحٍ ❋ كَادَ يَصْلَى مَنِ اصْطَفَى فِي جُنَاحٍ
٥٩. لَمْ يَقِفْ عَنْ إِضَاءَةٍ غَيْرَ أُسْبُو ❋ عِ سَرَى خَلْفَهُ وَرَاءَ الوَحَاحِ
٦٠. خَامِساً مِنْ مُحَرَّمٍ غَرْصَدِ الحَوْ ❋ لِ قُبَيْلَ الْغُرُوبِ وَقْتَ القِمَاحِ
٦١. مَوْرِدُ الحَمْدِ لَمْ يَزَلْ يَذْكُرُ اللهَ ❋ كَمَا اعْتِيدَ قَبْلَهُ بِانْشِرَاحِ
٦٢. فَإِذاً أَدْلَجَ النَّهَارُ كَلَيْلٍ ❋ وَعُيُونٌ سَالَتْ سُيُولَ البِطَاحِ
٦٣. فَانْتِقَالٌ لَهُ خَلَاصٌ مِنَ السِّجْ ❋ نِ وَجَوْرِ العِدَى رُؤُوسُ القِبَاحِ
٦٤. وَلَنَا كَآبَةٌ بِخَيْبَةِ رَجْوٍ ❋ بِاجْتِنَابِ الهَوَى غَوَى بِجِمَاحٍ
٦٥. فَلَهُ الحَمْدُ إِذْ أَرَانِيهِ بِالنُّصْ ❋ حِ وَسَمْعِ النَّدَى وَتَقْبِيلِ رَاحٍ
٦٦. قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ وَثَرَاهُ ❋ وَأَنَارَ الضَّرِيحَ بِالمِصْبَاحِ
٦٧. فَاقَهُ اللهُ فِي هُدَاةٍ مَعَادٍ ❋ وَحَوَاهُ شَفَاعَةُ الارْتِيَاحِ

٦٨. رَبِّ هَبْ لِي شَفَاعَةَ الشَّافِعِ الهَا * دِي وَهَـذا الـوَلِـيِّ دَاعِـي الصَّلَاحِ
٦٩. دُفِـنَ الشَّيْخُ عِنْدَ شَيْخٍ شَهِيرٍ * حَـاجِ تَـرْخَـانٌ اسْـمُ مَثْوَى السَّمَاحِ
٧٠. رَوْضَـةٌ ذَاتُ بَـهْـجَـةٍ وَرُوَاءٍ * صَـادِحَـاتِ الطَّيْرِ الْـتَـقَـتْ بِالصِّيَاحِ
٧١. جَنَّةٌ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهُـر الـلا * تِي تُغَنِّي الغُصُونُ حِينَ الـرِّيَـاحِ[١]
٧٢. وَرَدَ الـوَارِدُ الـمُـرَادَ فَـعَـادَا * لَـمْ يَـفُـزْ مِـنْ زَوَالِ ظِـلِّ الـجَـنَـاحِ
٧٣. أُلْـهِـمَ الـزَّاخُـورِيُّ بِالكَتْبِ هَـذَا * بَـدَلاً بَـاعِـثاً إِلَـى الانْـشِـرَاحِ
٧٤. سُؤْلُهُ أَنْ يَدْعُوهُمَا النَّاظِرُ النَّا * صِـرُ بِـالاِهْـتِـدَاءِ وَالإِسْـجَـاحِ
٧٥. وَبِـتَـوْبِـيـخٍ لَا يَـرُدْهُ حَـسُـوداً * حَـسَـنٌ عَـشْـرٌ وَالأَذَى بِـجُـنَـاحٍ



[١] هذا البيت والذي قبله ساقطان من «طبقات الخواجكان النقشبندية».



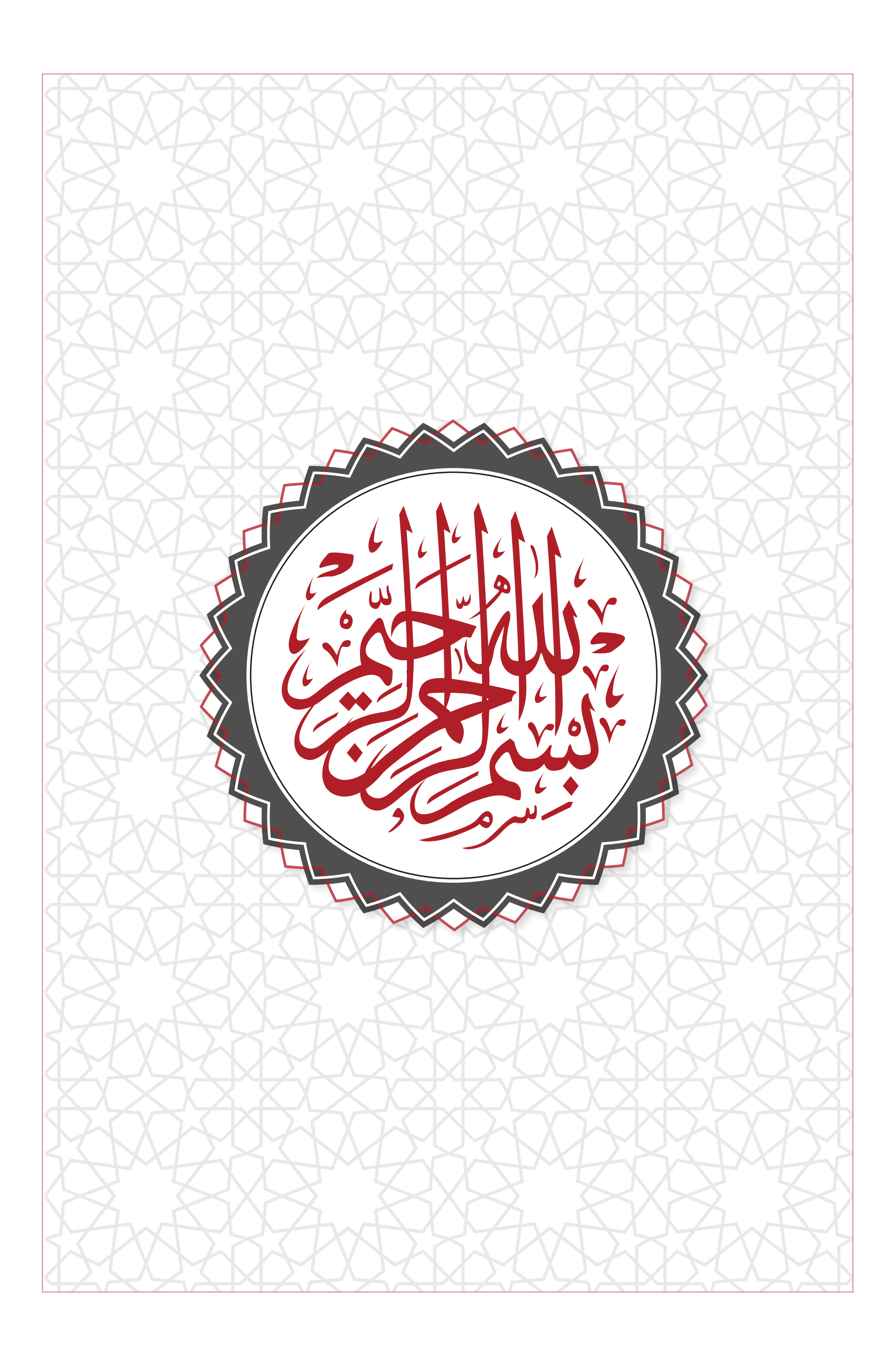




للشَّيْخ العالِم المحُقِّق الرَّبانِيّ، الفاضِل المدُقِّق الصَّمَدانِيّ

العارِفِ باللهِ الحاج عُثْمان أفنْدِي الزَّاخُوريّ

رحمه الله تعالى


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الحمد لله الذي فَتح قلوب المتوجّهين إليه بمكاشفة الأسرار، ونوَّر صدور الكاملين بمعاينة جماله من وراء الأستار، وصلواتُه تعالى وتسليماته على مَن ميَّزه بجلوسه على سرير فتولّى، وأراه ما لم يَره أحد من آياته الكبرى، وعلى أصحابه الذين هم شموس الهدى ونجوم الاهتداء.

أما بعد: فهذا جزء لطيف أثبتُّه على القصيدة الواردة من بحر الخفيف[١] في مدح قطب العصر وغوث الدهر مولانا ذي الشأن محمود أفندي المُحمَّديِّ، الخضري، النقشبندي، الخالدي، الماتريدي، الحنفيّ، الأَلْمَالِيّ[٢] مولداً، والحَاجِ تَرْخَانِيّ[٣] مدفنا قدّس الله سرّه العزيز، وأعاد علينا من بركات أنفاسه العليّة، للعالم العارف الشهير، والكامل الفاضل المنير، شيخنا وشيخ الأماثل الحاجّ عبد الله أفندي النقشبندي الخالدي المحمودي [الحمزي] الأشعري الشافعي الـثراخُورِيّ الدَّاغِسْتَانِيّ قدس الله سره العالي وتغمّده برحمته وأفاض علينا وعلى جميع المسلمين من بركاته، يوضِّح مجملها، ويفتح مُغلقها، ويُظهِر مكنونَ غريبها، ويحرّر مضمونَ تراكيبها، مع

[١] بحر الخفيف هو أحد بحور الشعر العربي التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو من أجمل بحور الشعر وأكثرها خفةً ورقّةً. سُمّي البحر الخفيف بهذا الاسم؛ لخفته فهو أخفّ السباعيات، وتأتي هذه الخفة من كثرة أسبابه الخفيفة، وهذه الخفة جعلته خفيفًا على الروح في جملته، طريًا عند سمعه، وسهلًا عند تقطيعه. «بحور الشعر العربي عروض الخليل» (ص ١٦١).

[٢] «أَلْمَالِي» (Almali): حالياً قرية في ناحية قَاخْ (Qax) في جمهورية أذربيجان.

[٣] «حَاجِ تَرْخَانْ» (Astrakhan): مدينة في روسيا، المركز الإداري لمنطقة حاج ترخان.

إعراب ما يشكل من إعرابها وجواب ما يخفى من خطابها، ولم تلمس إليها قبلي يدُ أحد من الإخوان، ولم يشرَح لها سوايَ من الخِلّان، وهو لازمٌ للشرح والبيان.

وأنا أفقرُ عبيد الله بين الأنام ابن أخيه المرحوم الحاج عُثمان النقشبندي، الخالدي، المحمودي، الأحمدي، الأشعري، الشافعي، الزاخوري ثم اللَّكِيتِيّ[١]، قدّس الله أسرارهم وأفاضَ علينا من نفائس أنفاسهم العليّة، وسمّيتُه بـ «**تحفة الأحباب الخالدية في بيان القصيدة المحمودية**».

ثم لمّا كان غرضُ النّاظم رحمه الله تعالى من جمعه ونظمه لهذه القصيدة مدحَه أعني به: ذا الشأن محمود أفندي قدّس سرّه بذكر أوصافه الجميلة، وأخلاقه العليّة، وكراماته السنيّة، وآياته الجليلة التي ارتقى بها غايةً لم يَبْلغها وليٌّ من الأولياء، وصفيٌّ من الأصفياء، وإلزامَ[٢] خصمه.. افتتح هذه القصيدة وألزم بها النافيَ[٣] وأقوالَه بقوله رضي الله تعالى عنه:

١. صَـاحِ دَعْـنِـي أَدْعُ امْـرَأً بِـصُـبَـاحٍ * لَاحَ بِـــالأَرْضِ ضَـــوْؤُهُ كَـصَـبَـاحٍ

قوله: **(صاح)** مُنادى مرخّمٌ، حُذف عنه حرف النداء، أصله: يا صاحب دعني، قوله: **(بصباح)** يقرأ بضمّ الصاد فيه وبفتحه فيما يليه[٤]، فالأوّل

---

[١] «لَكِيتْ» (Lekit): قرية في شمال أذربيجان في ناحية قاخْ (Qax).

[٢] معطوف على «مدحه».

[٣] وهو مَن ينكر ولايتَه حيث قال:

أصبح النافي مُفحمًا ذا خسارٍ - حيث هاوى جبًّا أتى للإكاح

كما يأتي بيانه في شرحه، فراجعه [في (ص ١٦٠)]. (منه).

[٤] أي: فيما يُوَفَّى المِصراعُ الثاني. (منه).

يقال: لكوكب عظيم نُوراني، والثاني يقال: للفجر الصّادق، وفيهما التجنيس المنحرف[١] من التامّ[٢]؛ كما لا يخفى للخواصّ والكرام.

فأصله[٣]: يا صاحب دَعْني أدْعُ وليّاً مُشابَهاً بكوكب مضيء. قوله: **(بالأرض)** الباء فيه بمعنى: في.

ومعنى البيت: يا صاحبُ دَعْنِي واتركني، أدْعُ امْرأً أي: إنسانا ووليّا كاملا مُشابَها بكوكب مضيء ظهَر وانتشر في الأرض ضوؤُه؛ كضوء الصَّباحِ الذي يَستغني الخلائقُ عنده عن ضوء المِصباح.

ثم اعلم: أنّ هذا النّاظم رحمه الله تعالى لم يَكتبْ في أوّل رسالته هذه البسملة والحمدلة والتّصلية التي لا بدّ مِن ذكر كلٍّ واحدةٍ منها في أوّل كلِّ أمر ذي بال، إمّا اكتفاءً عن قوله[٤] تلك الثلاثة باللّسان وإن لم يكتبها في الكتاب حين أراد إنشاء هذه القصيدة، أو قائلاً[٥] في ضميره هضماً لنفسه: «إنّ رسالته هذه ليست كرسائل المتقدّمين حتى يلزَم في أوّلها تلك الثلاثة».

---

[١] أي: لانحراف أحد الهيئتين من الأخرى. (منه).

[٢] التجنيس ويسمّى أيضا الجِناس، في اللغة: المشاكلة، والاتّحاد في الجنس، وفي الاصطلاح: أن يتشابه اللّفظان في النطق ويَختلفا في المعنى. قسّم علماء البديع الجناسَ إلى ستة أنواع ذوات فروع، ومن أنواع الجناس «الجناس المنحرف»: وهو ما اختلف فيه اللّفظان في هيئة الحروف، واتّفقا في نوعها وعددها وترتيبها. مثل: «الْبُرْد» بمعنى: الكِسَاء، وهو كِسَاءٌ مُخَطَّط يُلْتحف به، و«الْبَرْد» بمعنى: انخفاض درجة الحرارة، و «الْبَرَد» بمعنى: الماء الجامد الذي ينزل من السّماء، إنّ حروف هذه الكلمات متّفقة في نوعها وعددها وترتيبها، لكنّها مختلفة في هيئتها، فالباء مضمومة في الأولى ومفتوحة في الثانية مع سكون الراء، ومفتوحة في الثالثة مع فتح الراء. «البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها» (٢/ ١٩٤).

[٣] أي: أصل الكلام. (منه).

[٤] أي: من ذكره. (منه).

[٥] أي: وإن اعترض عليه الفاضل العصام. (منه).

ثم لمّا [دعاه] بالكوكب المضيء ..صار قطباً، فكأنّ القطبيّة ثبتتْ له بتلك الدعوة، فقال الناظم رحمه الله تعالى:

٢. أَصِـفِ القُطْبَ بِـالـدَّوَاعِـي رُوَيْـدَا * أَيَّ وَصْـفٍ بِـهِ خَلَى عَـنْ مُـزَاحِ

قوله: **(أصفْ)** مجزوم[١] إما جواباً لاسم فعل بمعنى الأمر، وهو: رُوَيْدَ، قُدّم للوزن، وإمّا عطفاً لـ**(أَدْعُ)** الواقع جواباً لأمرٍ في بيت سابق فـ «وَاوه» محذوفٌ للوزن، فلأجله ضبَط الناظم رحمه الله فاءَه[٢] بالكسر، وكلّ ذلك[٣] محتملٌ، لكنْ احتماله الأوّل ولو كان على مذهب أهل الكوفة في ظنّي أولى؛ لخلوّه عن الحذف.

قوله: **(القطبَ)** مفعولٌ به لـ«أصف»، يقال: قطب القوم لسيّدهم الذي يدور عليه أمرُهم، فهذا هو الذي يَرجِع إليه أمور العوالم فهو قطبٌ[٤].

قوله: **(بالدّواعي)** جمع «دَاعيَةٍ» كنَواحٍ جمع «ناحيَة»، وهي ما ذُكر في المديح من الدلائل الآتية.

قوله: **(رُويدا)** اسم فعلٍ بمعنى الأمر، وألفُه للإشباع، ومعناه: أمْهِلْنِي والباء في قوله: **(به)** بمعنى: فِي، أتى به للوزن متعلّق لـ«الكائن» المقدَّر.

---

[١] أي: على مذهب أهل الكوفة. (منه).

[٢] أي: فاء قوله: (أَصِفِ). (منه).

[٣] أي: كلّ واحد من ذلك أي: من محتملين محتمل... إلخ. (منه).

[٤] وسيأتي في (الخاتمة لذكر كرامات الممدوح) بيانُ قطب الغوث وما يليه من الأبدال والأوتاد... إلخ. فراجعها. (منه).

قوله: **(مزاح)** بضمّ الميم وكسره مصدرٌ بمعنى: اللَّغْوِ واللَّعِبِ مِن باب: «قطَع»، ولكنَّه في ضبْط الناظم رحمه الله تعالى وجدتُه مضموم الميم أي: يقال: هو في اللغة: لمطلق اللَّغو واللَّعب سواء كان مع الغير أو لا، أو كان فيه إِيذَاءٌ أو لا، وفي العرف: للانبساط مع الغيرِ من غير إيذاءٍ، وبه فارق الاسْتِهْزَاءَ والسُّخْرِيَّةَ.

والمراد منه هنا: معناه اللغويّ؛ كما يُفهَم ذلك من سياق كلام الناظم رحمه الله تعالى هذا.

فعلى هذا[١] فالمزاح على معناه العرفيّ جائزٌ، بل هو سنّة إن كان لتطييب نفس المخاطَب، ومن ثمّ كان صلّى الله تعالى عليه وسلّم يمزَح في حَقٍّ على ندور حيث قال حين سأل عنه الأصحاب: يا رسولَ اللهِ؛ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: «**نَعَمْ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**[٢]»[٣]، وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم أيضاً: «**إِنَّ اللهَ لَا يُؤَاخِذُ الْمَزَّاحَ الصَّادِقَ فِي مِزَاحِهِ**»[٤]، لكن لا تنبغي الـمُدَاومةُ عليه، فإنّه يُورث الضِّحْكَ، وقَسْوَةَ القلب، ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمّات الدين، ويؤولُ في كثير من الأوقات إلى الإيذاء؛ لأنّه يوجبُ الحِقْدَ، ويُسقطُ الـمَهابَةَ، فالإفراطُ فيه منهي عنه. **والمباح** ما سلِم من هذه الأمور، بل إن كان لتطييب نفس المخاطَب ومُؤانسته كما كان صلّى الله تعالى عليه وسلّم يفعَلهُ على ندور.. فهو سنةٌ، فمن حافَظَ على قول الحقّ مع

[١] أي: على ما سبق من تفصيل المزاح. (منه).
[٢] أي: مطابقاً للواقع. (منه).
[٣] رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية» (٢٣٧).
[٤] رواه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٨٣٦).

بقاء المَهَابَةِ والوَقارِ ..فله الـمُداعَبةُ، بل هي سنة كما مرّ، وقد تقدّم عنه صلّى الله عليه وسلّم من أنّه يَمزَح ويقول: «**إِنّ اللهَ لَا يُؤَاخِذُ الْـمَزَّاحَ الصَّادِقَ فِي مِزَاحِهِ**»، ومن لم يحافظ على ذلك.. فليس له المداعبة، وعلى ذلك يحمَل النهي الوارد عنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «**لا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَازِحْهُ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ**»[١].

وقيل لسفيان بن عيينة: المُزَاحُ مِحْنَةٌ؟ فقال: بل سنّة، لكن لمن يحسنُه، ويضعه مواضعه، وإنّما كان صلّى الله تعالى عليه وسلّم يَمْزَحُ؛ لأنّه كانت له المَهابةُ العظمى، فلو لم يمازحِ الناس.. لما أطاقوا الاجتماع به، والتلقّي عنه، ولذلك سُئِل بعض السّلف عن مِزاحه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فقال: كانت له مَهَابةٌ، فلذا كان ينبسط مع الناس بالمداعبة والطلاقة والبَشَاشَة.

وبالجملة: فكان صلّى الله تعالى عليه وسلّم يمزحُ على ندور ولا يقولُ إلّا حقّا لمصلحة مؤانسة أو تألّف، فإنّهم كانوا يهَابُونه فيما مزحَهم؛ ليخفّف عنهم ممّا ألقى عليهم من مَهَابَتهم منه، لا سيّما عقبَ التجليّات والواردات.

ومن هنا يُعلَم أنّه لا يجوز لمشايخ هذه الطريقة العليّة أن يمزَحوا فوق القدر المشروع في الكتاب مع الناس في مجالسهم، بل مع المريدين حتّى لا يُسقِطَ مَهَابَتهم عن عيونهم، بل ينبغي لهم أن يُعامِلوا معهم بالسكينة والوَقارِ، ولا يُفتَح معهم باب الاختلاط والانبساط كيلا يفضيَ ذلك إلى ذهاب مَهَابتِهم من قلوبهم، وفي ذلك هلاكهم وخَيْبَتهم، فليجمِّلُوا أنفسهم[٢]

[١] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٩٦).

[٢] وفي «مكتوبات» الممدوح محمود أفندي قدّس سرّه ما لا بدّ من المراجعة إليه من هنا، فراجعه. (منه).

في أعينهم حتّى يكون ذلك حَثّا لهم على التأدّب والتعظيم لهم، وفي ذلك فوزهم ونجاتهم.

فمعنى البيت: أمْهِلْنِي يا صاحبُ أو يَا مُدّعِي أي: إن تمهلني ..أصف هذا القطب وصفاً كاملاً كائنا فيه لم يكن فيه شائبة من [المطايبة] اللّسان بالتَّمْوِيهِ بالأقوال [المفرطة] التي أتى بها للمبالغة، وأُثبِتْ ولايته قدّس سرّه بالدّلائل النَّيِّرَةِ، والبراهين الواضحة.

ولمّا كان مدحُ الناظم رحمه الله تعالى له بالأوصاف المثبتة بالدلائل المذكورة في المديح؛ كالتحصيل للحاصل؛ لأنّ حقيّةَ اتّصافه بها ثابتٌ ومشهور، بل يشهدُ على اتّصافه بتلك الصفات ووجودها لديه الناسُ الذين بلغُوا الكمال منه، وما وصل إليهم منه من المنافع الكثيرة التي جمعوها عنه بالتّمسك عن يده المباركة والخدمة له مع الإخلاص والأدب والمحبة ..قال معترفاً ومُقرّاً على ذلك:

٣. ذَا بِأَرْضٍ دَلَّ الوَرَى وَثِمَاراً * لَهُمْ مِنْهُ قَدْ جَنَوْا لِفَلَاحٍ

قوله: **(ذَا)** اسم إشارة أشار به إلى وصفه لذلك الوليّ. قوله: **(الْوَرَى)** أي: الناس الذين يجعلون المحبّة إليه من قلوبهم، ويتخلّقون بأخلاقه.

قوله: **(وَثِمَاراً)** مَفعول معه؛ كما قال به الناظم رحمه الله تعالى، وهي المنافع الحاصلة لهم منه.

قوله: **(قَدْ جَنَوْا)** أي: جَذبُوا وجمعوا عنه، يقال: جَنَى منه أي:

جمع، فقوله: **(مِنْهُ)** في «منه قد جنوا» متعلق لـ«جنوا» قدّم عنه للوزن والتخصيص، وجملته إما صفة لـ«ثمارا» أو حال له.

قوله: **(لفلاح)** أي: لفلاح الدنيا وهو الوصول إلى الله تعالى، وفلاح الآخرة[١] وهو اللقاء إليه تعالى بجميع مراتبه من الجنّة[٢] والرؤية والرضوان كما قال الله تبارك وتعالى وتقدّس: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[٣]، وكما قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: «**سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»[٤].

فمعنى البيت أي: حاصله: وصفي إياه أي: لذلك الوليّ بمكانٍ يَدلّ الناس فيه، وانتفاعُهم عنه على كمال ولايته وقطبيّته، بحيث يكفي عليه[٥]، ويُعلَم منه وإن لم أصفْه، تلخيصه: وصفي إيّاه مع هذا فُضلة.

ثم لمّا اختلج حينئذ في صدر السامع سؤال اسمه المبارك وقال: ما اسم هذا الوليّ الذي مدَحْتَهُ في المديح؟ ..قال الناظم رحمه الله تعالى مجيبا لسؤاله:

---

[١] وهو ثلاث مراتب من الجنّة.. إلخ. (منه).

[٢] اعلم: أن الفلاح برؤية الله تعالى في الآخرة ليست مختصّة بالجنّة، بل في العرصات أيضا كما في «تذكرة» القرطبي. «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص ٥٧٠.)
وقيل: بل في القبر، وعند نزع الروح، ومنهم من لا يرى في الجنة أبداً، لا يخفى ما فيه من البعد، لكنّ في «التذكرة»: إنّ الكفّار يرونه في القيامة مرة؛ لزيادة العقوبة لفوت فرصة مثل هذه اللّذة انتهى. (منه).

[٣] سورة يونس، الآية: ٢٦.

[٤] رواه الترمذي في «سننه» (٢٧٣١) باللفظ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: قال رَسُولُ اللهِ صَلّى الله عَليه وسَلّم: «**تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟ وَتَضَامُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**».

[٥] راجع إلى «الكمال».

٤. اسْمُهُ مَحْمُودٌ يُؤَيِّدُ فَحْوَى * لِمَدِيحٍ أَتَيْتُهُ بِصُدَاحٍ

قوله: (اسْمُهُ مَحْمُودٌ) أي: اسمه محمود أفندي بن الحاج محمّد أفندي، مولده قرية أَلْمَالِي، وهي قرية كبيرة في ولاية چَار[١] على أسفل نهر كُورْمُوكْ الجاري من أَوْدية إِيلِيسُو[٢]، وسَرِي بَاشْ[٣]، وقريبة إلى قرية قَاخْ[٤]؛ بحيث يصل منه إليه الراكب على مَرْكَبٍ فَارِهٍ في ساعة.

كان من كبار أصحاب مولانا حاجِ يونس أفندي اللَّلَالِي[٥] قدّس سرّه، وكان عالما مدقّقا، وله يد طويلة في النظم، ولازم مولانا هاشم أفندي اليَمْشَانِي[٦] في سِبِرْ[٧] بعد إرساله حاكمُ الوقت إلى سِبِرْ ملازمةً تامّةً، وكان

[١] «چَارْ» (Dzhar) قرية كبيرة في منطقة زكَاتَلَه بأذربيجان حاليا.

[٢] «إِيلِيسُو» (Ilisu): قرية في ناحية قَاخْ (Qax) في جمهورية أذربيجان.

[٣] «سَرِي بَاشْ» (Saribash): قرية في ناحية قَاخْ في جمهورية أذربيجان.

[٤] «قَاخْ» (Qax): المدينة، المركز الإداري لناحية قَاخْ بأذربيجان.

[٥] الشيخ حاج يونس أفندي اللَّلَالِي الداغستاني قدّس سرّه ولد في سنة (١٢١٩هـ) في قريته اللَّلَالية من ناحية زَكَاتَلَهْ (حديثاً ناحية قَاخْ) في أذربيجان، ونشأ نشأة نظيفة وتربية لطيفة، ولازم العلوم الظاهرة وحاز المراتب الزاهرة، فقد أخذ الشيخ يونس أفندي اللَّلالي النسبة عن الشيخ عبد الله المكيّ الأَرْزِنْجَانِي، والشيخ يحي بيك القُدْقَاشِيني ومن ولده الشيخ الحاج إبراهيم قدّس الله أسراهم، فأجاز له الشيخ الحاج إبراهيم قدس سره بالإجازة التامة في الطريقة العليّة النقشبندية، وجلس في دياره على بساط الإرشاد بهداية أهل الضلالة بالإمداد مدة سنين، كان سلطان العارفين محمود أفندي الألماليّ تحت تربيته ومقام خدمته، ومات رحمه الله تعالى في سنة (١٢٧٧هـ)، ودفن في قريته اللالية في طرف النهر الكبير المذكور قبالة القرية. «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٢٤).

[٦] هاشم أفندي اليَمْشَانِي ومن المعلوم أنّه الشيخ إبراهيم إيشان من مدينة أَكْرِيزْ من جمهورية تاتارستان، تزوّج الشيخ محمود أفندي بابنته. قال العالم المشهور رضاء الدين بن فخر الدين في كتابه «آثار»: «إنّ محمود أفندي تزوّج على بنت إبراهيم إيشان من مدينة أَكْرِيزْ، وكان له ابن اسمه – عارف، وبنت اسمها – عارفة»، ومن المعلوم أيضاً أنّ الشيخ هاشم اليمشاني تربّى تحت يد الشيخ إسماعيل الشرواني (١٢٠١–١٢٧٠هـ) الذي كان قد أخذ الإجازة عن سيدنا خالد شاه البغداديّ.

[٧] «سِبِرْ» (Siberia): منطقة في الجزء الآسيوي من روسيا.

لمولانا هاشم أفندي اليَمْشَانِي التفاتات كثيرة في حقّه، وإخبارات عجيبة يَأتي بيانها في مناقبه إن شاء الله تعالى، فراجعه[١].

ولقد كتبتُ بعض قصائده التركيّة والفارسيّة في أثناء هذه الرسالة بحسب اقتضاء المقام تبركاً بكلماته القدسيّة، ولئلّا يخلوَ كتابي هذا عن لحظاته بالكليّة.

قوله: **(فحوىً لِمَدِيحٍ)** أي: معنًى له، يقال: فحوًى لكذا أي: معنًى له والمديح هو هذا النظم، قوله: **(بصُدَاحٍ)** بضمّ الصاد كما ضبَطَه الناظم رحمه الله تعالى يقال لرفع صوت في القراءة متعلّق لـ**(أَتَيْتُه)**.

فمعنى البيت: «اسمُه محمودٌ» وكونُ اسمه محموداً يُقوِّي معنى لهذا المديح، ويُثبته أي: يُقوِّي كلّ ما فيه من الأوصافِ، ويحفظُ الناظر عن وهم باطل؛ لما في المديح الذي قرأه الناظم رحمه الله تعالى بصوت حسن عِشْقاً لذلك الوليّ، ومحبّةً إليه.

ولما استحكم ولايتُه وقطبيّته قدّس الله سرّه بما وُجِدَ من يده من الآثار، والمنافع للأخيار، ودلّ عليه أرضُه مع الأثمار، وكان إنكار المنكرين والمعاندين به لو كانوا مع هذه في معرض الزّوال والاستبكار.. قال الناظم رحمه الله تعالى إسكاتاً لهم:

---

* إرسال إلى سِبِرْ: نوع من أنواع عقوبة جنائية في روسيا قديما، التي تتمثّل في النقل القسري لشخص للعيش إلى سِبِرْ.

[١] في (ص ٢٩٢).

٥. فَأُمُورٌ قَدْ أُحْكِمَتْ بِشُهُودٍ * لأُولِي الرَّأْيِ لَمْ تُقَلْ بِمَرَاحٍ

قوله: (لأُولِي الرَّأْيِ) متعلّق لـ(مراحٍ)، قُدِّم عليه؛ للوزن.

قوله: (لَمْ تُقَلْ) أي: لم تحكم لها حينئذ بأنّها في موضع ريب لأولي النُّهى أي: لا يكون[١] لتلك الأمور مأوى ريب لذوي العلم إذا أحكمتْ بشهود[٢].

فمعنى البيت: أي: حاصله، فلمّا أحكم واستحكم[٣] ولايته قدس سره بما[٤] ذكر.. ثبت ولايته وقطبيّته إذ أيُّ أمر من الأمور إذا استحكم وأحكم بالبيّنة والشهود من أولي العدالة.. لا يُنكِره أحدٌ[٥]، وإن أنكر.. يردّ، ولا يَحكُم له بأنّه غير مقبولٍ عند أولي الرأي؛ فأصبح المُنكِرُ مُلزماً ذا خسارٍ حيث سقط [في الجبّ] أتى به؛ لإهلاك الغير، فللّه الحمد والمنّة.

ثم لما وعد الناظم رحمه الله تعالى قبل هذا وصفَه قدّس سرّه العزيز في هذا المديح بالأوصاف الخالية عن المطايبة والمبالغة بالأقوال المُزخرفَة.. شرَع في بيانها وقال:

٦. أَهْلُ عِلْمٍ وَرَبُّ لُبٍّ وَطِبٍّ * وَجْدُ حَقٍّ وَنَجْدُ سَعْدٍ صَلَاحٍ

[١] أي: لا يوجد. (منه).

[٢] حاصله وتلخيصه: أي: لا يبقى معها شكٌّ لأولي الألباب في ولايته. (منه).

[٣] يقال: أحكمه واستحكَمه أي: صار مُحكما. (منه).

[٤] من كونه في أرض ومكان يدلّ الناسَ فيها، ومنافعهم عنه على ولايته، فالمفهوم من سياق الكلام أنّ هذا البيت في معنى العلّة لما سبقه، والفاء في قوله: (فأمور...) إلخ للتعليل؛ كما أفاده قولنا: (إذ أيّ...) إلخ، فتبصّر. (منه).

[٥] فكذلك ولاية هذا الممدوح لما أحكم بما ذكر في هذا المديح من الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة لا ينكر على ولايته أحد... إلخ. (منه).

قوله: **(أهل علم...)** إلخ خبر لمبتدأ محذوف تقديرُه: هو أهل علم، فمبتدؤه محذوف، وكذا المبتدأ محذوف ممّا بعده مع ما في بعضه[١] من حذف مضافات وعاطفات وتنوينات؛ للوزن، ولا يخفى لمن له يدٌ في أب العلوم وأمّها[٢].

قوله: **(صَلَاحٍ)** أي: ذو صلاح، وكذا المصادر في أواخر الضروب[٣] أي: يُقدَّر «ذو» فيها فيما لم يكن[٤]، ويمكن[٥] ويراد[٦].

فمعنى البيت مع ذكر ما فيه من الإشارات اللازمات: هو أهل علم يعلم علم الظاهر والباطن، وأهل صحبة به تعالى.

قال أبو عثمان[٧] رضي الله عنه: «الصحبة مع الله تعالى بدوام الهيبة

[١] أي: مع ما في بعض كلمات هذا البيت أو النظم من حذف مضافات... إلخ، هما احتمالات أرجحُهما الأوّل، فراجعه. (منه).

[٢] أي: النحو والصرف.

[٣] أي: أواخر ضروب هذه القصيدة. (منه).

[٤] أي: «ذو». (منه).

[٥] أي: تقدير: «ذو». (منه).

[٦] أي: «ذو». (منه).

[٧] أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الْحِيرِي النَّيْسَابُورِي، الإمام، المحدث، العارف، شيخ الإسلام، مولده: سنة ثلاثين ومائتين، وأصله من الرّيّ، فسمع من: محمد بن مقاتل الرازي، وحميد بن الربيع، حدث عنه: الرئيس أبو عمرو أحمد بن نصر، وابناه، وعدة، صحب قديما يحيى بن معَاذ الرَّازِيّ وشاه بن شجاع الْكِرْمَانِي ثمّ رحل إلى نيسابور إلى أبي حفص، فقبله أبو حفص وحبسه عنده وصار له سكنا وعلى ابنته ختنا، وأخذ أبو عثمان عنه طريقته، وهو في وقته من أوحد المشايخ في سيرته ومنه انْتَشَرت طريقة التصوف في نيسابور. قال أبو الحسين أحمد بن أبي عثمان: توفي أبي بنيسابور لعشر بقين من ربيع الآخر، سنة ثمان وتسعين ومائتين، ذكر أبو عمرو بن حمدان وأنه حضر الصلاة عليه وصلى عليه الأمير أبو صالح، ودفن بمقبرة الحيرة عند قبر أستاذه أبي حفص النيسابوري. «طبقات الصوفية» (ص ٣٥-٥٥)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠/ ١٤٤)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٦٢-٦٦).

والمراقبة، ومع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع سنّته، ولزوم ظاهر العلم، ومع أولياء الله تعالى بالالتزام والخدمة، ومع الأهل بحسن الخلق، ومع الإخوان بدوام البِشْرِ ما لم يكن آثماً، ومع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم» انتهى[١].

(وَرَبُّ لُبٍّ) أي: وهو ذو تربيةٍ وتزكيةٍ يعلَم لُبَّ العلوم ويُعمِّق ويغوص في طلبه، وهو علمُ حقّ اليقينِ أي: يعلم هو الربّ حقيقةً، ويراه في الأشياء، بل يرى الحقّ بلا أشياء، وهو[٢] أعلى المقامات؛ كما قال أكبرُ خلفائه عليه الصلاة والسلام إشارةً إلى أحد هذيْن المقاميْن حضرةُ أبي بكر الصديق ميزاب علم الطريقة النقشبندية وشيخُه: «مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إلَّا وَرَأَيْتُ اللهَ قَبْلَهُ».

(وَرَبُّ طِبٍّ) أي: وهو صاحب طبّ، وطبيب أعظم يعلم من الأشياء ما ينفع وما يضرّ لمرض المريض، بل يعلم مرضه إذ هو حاكم حاذق إلهيّ، علمُه وهبيّ لا كسبيّ، ومع ذلك في نفسه تأثيرٌ؛ لأنّه نفيس صادر من أهل نفيس يُعَالج بهذا العلم الأمراض الباطنية كما يُعَالج [الأمراض] الظاهرية.

و(وَجْدُ حَقٍّ) أي: وهو أهل غلبة محبّة وعشق واشتياق مع الله في كلّ وقت وزمان، فالوَجْدُ ما يصَادِف القلبَ، ويرِد عليه بلا تكلّف ولا تصنّع، وقيل: هو بروق تلمَعُ، ثم تخمد، ثم تَبدُو، ثم تخفى، فما أحلَاها لو بقيتْ على صاحبها طرفة عين، وواجد به أي: عالم به علمَ مشاهدةٍ وذوقٍ.

(وَنَجْدُ سَعْدٍ) أي: وهو صاحب عظمة وسعادة يسعد مَن قارنَه وصاحبَه

[١] «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠/ ٢٤٥).

[٢] أي: رؤية الحقّ بلا أشياءٍ. (منه).

في مدّة قليلة بقوّته الإلهيَّة الوهبية الكائنة فيه إذ هو تامّ التصرّف والتدبير على نفسه وعلى غيره، وذا لا يخفى على مَن بَلغ عليه آثاره، وتُلي لديه أخباره، فهذا وليٌّ بالفعل؛ لأنَّه بمنزلة البالغ الذي ثَبت له الولاية على نفسه ومن له الولاية على نفسه.. جاز له الولاية على غيره، وإذا جاز ذلك في عُرف الشرع.. جاز في عُرف الحقيقة، فإنّ الحقيقة على وزن الشريعة والتفرقة بينهما كفرٌ، فراجع وحرّر.

ولأجل هذا قال علماء الباطن: «إنّ الفرق بين الوليّ المتصرِّف وبين الوليّ الغير المتصرِّف؛ كالفرق بين الرسول والنبي».

وذو (صلاح)[١] إذ فيه الأخلاق الحميدة مجموعة بلا كسر، فكم من طالح جاء لديه مخلصاً آب صالحاً جامعاً للكمالات، وآخذاً زمامَ النفس الأمّارة بيده، ومالكاً للمطمئنّة والراضية والمرضيّة، فما فوقها بفضل الله الكريم أعظم الله درجته، وأعاد علينا من بركاته.

ثم قال:

٧.جَـــذْبُ ذِكْـــرٍ وَشُـكْـرُ بِـرٍّ إِلَـيْـهِ ❊ ذَاكَ فَـضْــلُ الإلَــهِ يُـؤْتِـيـــهِ دَاحٍ

قوله: (جَذْبُ ذِكْرٍ...) إلخ تذكَّرْ فيه ما سبق فيما قبلَه[٢]؛ من حذف مبتدآت ومضافات وتنوينات وعاطفات؛ للوزن.

---

[١] وذو... إلخ تقديره: وهو ذو صلاح، معطوف على أحد مما سبقه في البيت من «نجد سعد» أو «ربّ لبّ... إلخ»، بتقدير المبتدأ، أي: مع العاطف، وذو، فراجعه. (منه).

[٢] في (ص ٣٨).

قوله: (إِلَيْهِ) متعلّق لـ(فَضْل) المذكور في المصراع الثاني قُدِّم؛ للوزن أوّلاً ولإفادة التخصيص ثانياً، وضميرُه راجع إلى الوليّ الممدوح في المديح.

قوله: (ذَاكَ...) إلخ، أي: كلّها من الأوصاف المذكورة فضلُ الله إليه يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قوله: (دَاحٍ) خبر لمبتدأ محذوفٍ، فجملتها حال من فاعل (يؤتيه) أي: حالَ كونِه أي: الله باسط فضله لمن يَشاء، فهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[١]... إلخ.

فمعنى البيت مع بعض إشارات لازمة أي: هو أهل جذبة، أي: هذه حاله وصفته، أو هو أهل جاذب إليه غيرَه من أهل المحبّة، أو هو أهل جذب ومجذوب عنه إليه تعالى، احتمالاتٌ كلُّها موجودةٌ فيه قدّس سره ورُفِع درجتُه.

تتمة: الأولياء قسمان: سالك ومجذوب، فالأوّل: هو المريد، والثاني: هو المراد، والسالك قد يُجذَب فيكون سالكا مجذوباً، والمجذوب قد يَسلُك فيكون مجذوباً سالكاً وقد يبقى على حاله غير سالك، وفي أفضليّة أحدهما على الآخر خلافٌ يُطلَب من محلّه في المطوَّلات.

ولكن كَتَب في «البهجة السنية» مؤلّفُها الفاضل محمد بن عبد الله الخاني[٢]: أنَّ المجذوب السّالك أعلى من السالك المجذوب حيث قال

[١] سورة الجمعة، الآية: ٤.

[٢] محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني الشافعي النقشبندي الخالدي،فاضل متصوّف إمام العلماء العالمين، قدوة الأولياء الواصلين، ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف (١٢١٣هـ) في خان شيخون (بين حماة وحلب) ونشأ بحماة، واشتغل بقراءة القرآن وبتحصيل العلوم الشرعية، فتفقّه على مذهب الإمام

فيها نقلا من «الحديقة»: «إنّ الأول[١] يشهد الآثارَ أوّلًا ثم يستدلّ بها على الأسماء، ويستدلّ بالأسماء على ثبوت الأوصاف، وبثبوت الأوصاف على وجود الذات؛ لأنّه محالٌ أن يقومَ الوصفُ بنفسه، وهذا هو شأنُ العموم، وأكثر ما في الكتاب والسّنة يشير إلى ذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية[٢].

والثاني: يشهد الذاتَ أوّلاً، وينكشف له ما يليق باستعدادِه، ثم يُردّ إلى شهود الصفات، ثم يرجع إلى التعلّق بالأسماء، ثم إلى شهُود الآثار عكسَ ما كان السالك عليه، فنهايةُ السالك المجذوب بدايةُ المجذوب السالكِ لا بمعنى واحد، فإنّ مراد السالك المجذوب شهودُ الأشياء لله، ومرادُ المجذوب السالك شهودُ الأشياء بالله تعالى، فالأوّل: عامل بتحقيق الفناء والمحْوِ[٣]، والثاني: مسلوكٌ بطريق البقاء والصّحو[٤].

الشافعي رضي الله عنه على العالم خالد السيد، والعالم عبد الرحيم البستاني، ثم أخذ الطريقة العلية القادرية من الشيخ محمد الكيلاني الأزهري قدس سرّه، وصار يعبر عنه بمهدي الزمان، ثم تشرّف بأخذ الطريقة العلية النقشبندية عن حضرة الشيخ خالد قدس الله سره، ولما توفي خليفة جامع المرادية.. عيّنه لمكانته وخلفه خلافة مطلقة، وكتب له صكّ الخلافة وختمه بخاتمه الشريف، ولم يزل في ذلك المكان المذكور يرشد الناس إلى فضائل الأمور إلى أن توفي رحمه الله وذلك سحر يوم الإثنين تاسع عشر (١٩) صفر الخير سنة تسع وسبعين ومائتين وألف (١٢٧٩ هـ)، ودفن بتربة كعبة الإسعاد والشيخ خالد الحضرة في صالحية دمشق، ومن مؤلفاته: «البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية» و«السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية». انظر: «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» (ص ١٢١٠)، و«الأعلام» (٦/ ٢٤٢).

[١] أي: السالك المجذوب. (منه).

[٢] سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

[٣] المحو: رفع أوصافِ العادة، فمَنْ نفَى عن أحواله الخصالَ الذميمةَ، وأتى بدلَها بالأفعال والأحوال الحميدة.. فهو صاحب محوٍ وإثباتٍ. والإثبات: إقامة أحكام العادة. «الرسالة القشيرية» (ص ٢٦٥).

[٤] الصحو: رجوعُ العارفِ إلى الإحساس بعدَ الغيبةِ... والعبدُ في حال صحوه يُشاهدُ العلمَ، فالغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة، ومقتضيات الخوف والرجاء. «الرسالة القشيرية» (ص ٢٦٠).

ولما كان شأن الفريقَيْنِ النزولُ في تلك المنازل المذكورة.. لزم منه التقاؤُهما في السير، هذا في الترقّي وهذا في التّدلّي. ومن هنا تَعلم: أنّ المجذوب السالك أعلى من السالك المجذوب؛ لاشتراكِهما في العبور في المنازل، وزيادة المجذوب السالك بأنّه يشهد الأشياء بالله تعالى، وهذا أعلى ممّن يشهدها لله تعالى؛ كما لا يخفى.

وأيضا: أنّ السالك المجذوب ينتهي إلى الفناء، وهذا ينتهي إلى البقاء والصّحو بعد الفناءِ، وهذا أكملُ من الأوّل؛ لأنّه مقامُ الأنبياء، ووارثِيهم من المرشدين المكمّلين؛ إذ مقام الإرشاد لا يصحّ ولا يصلحُ إلا لمن تحقّق بالبقاء بعد الفناء، فلا بدّ للقسم الأوّل من الرّجوع إلى هذا المقام حتى يَصحّ منه الإرشادُ»[١].

وسيأتي ما فيه نصرَةٌ لهذا المقام على شرح بيت الناظم رحمه الله: «كَمْ وَرَى مِنْ بَضَائِع ... إلخ» نقلا عن شيخي التّلالي قدّس سرّه، وهو عن هذا الممدوحِ ذي الشأنِ محمود أفندي قدّس سره، فراجعه[٢].

وغالبُ طريقة السادة النقشبنديّة: الجَذبُ أوّلا، ثم السلوك وهذا يعرفه مَن ذاقَ طريقهم، فاجتهدْ أيّها الأخ في تحصيلها.. تكنْ من الملوك، وهو بحث نفيس.

قلت: ومنه يَظهَر للمتأمّل معنى قول بعض ساداتنا النقشبنديّة قدس الله أسرارهم السنية: «سلوكُنا مستديرٌ، وسلوكُ غيرنا مستطيلٌ».

[١] «البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية» (ص ١٢)

[٢] في (ص ٥٥).

وذكر العلامة المتبحر الشيخ ابن حجر الهيتميّ المكيّ[١] رحمه الله تعالى في خاتمة «الفتاوى» الطريقة العلية النقشبندية مُسْتطْرِداً من بحث آخر معبّرا عنها بقوله: (الطريقة العلية السالمة من كدورات جَهلةِ الصوفية ... وهي طريقة النقشبندية...) انتهى[٢]، وناهيك بمثل هذا التعبير من مثل هذا النحرير انتهى[٣].

وأهلُ ذكر أي: وهو أهلُ ذكر ذاكرٌ يذكر الله تعالى بجميع الجوارح والحواسّ حتى يجده لا يغفل عنه طرفة عين لا في الخلوة ولا في الجلوة، وذلك من ذكر خواصّ الخواصّ من أنواع الذكر، وثمرته: لا يمكنُ التعبيرُ عنها، ولا يعلم قدر ذلك الذكر إلّا الله تعالى.

وقيل: حقيقةُ الذكر أن تذكرَ الله وأنت ناسٍ لكلّ شيء سواه كما قال الله تبارك وتعالى وتقدّس: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[٤]، ولهذا قال ذو النون[٥]:

---

[١] الإمام العلامة المحقق أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الأزهري الأنصاري المكي الشافعي (٩٠٩-٩٧٤هـ)، فقيه مشارك في أنواع من العلوم، ولد في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر في رجب، أخذ عن الشيخ زكريا الأنصاري، والشيخ عبد الحق بن محمّد السنباطي وغيرهما، وأخذ عنه الشهاب بن قاسم العبادي، من مصنفاته الكثيرة: «تحفة المحتاج لشرح المنهاج»، «الإمداد» و«الإيعاب»، وغيرها. «معجم المؤلفين» (١/ ٢٩٣)، و«نفائس الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر».

[٢] «الفتاوى الحديثية» (ص ٦١٧).

[٣] «البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية» (ص ١٣).

[٤] سورة الكهف، الآية: ٢٤.

[٥] أبو الفيض ذو النون المصري، اسمه ثوبان بن إبراهيم ، وقيل: الفيض بن إبراهيم، ولد في أخميم في مصر سنة (١٧٩ هـ)، أوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا، سعوا به إلى المتوكّل فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه.. وعظَه فبكى المتوكِّل وردَّه إلى مصر مكرَّماً، وكان المتوكّل إذا ذُكر بين يديه أهل الورع يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيهلا (أي: فأسرعه بذكره؛ فإنه أفضلهم) بذي النون، وكان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة، ليس بأبيض اللحية. وكان من أورع الناس، وأزهد الناس في زمنه. توفي سنة (٢٤٥ هـ)، ودفن في مقابر أهل المعارف. «الرسالة القشيرية» (ص ١٠٤ -١٠٦)، و«الطبقات الوسطى» للشعراني (١/ ٢٦٤-٢٦٩).

«من ذكر الله تعالى على الحقيقة.. نسي في جَنب ذكره كلّ شيء، وحَفظ الله تعالى عليه كل شيء».[١]

لو كان قدّس سرّه بالقالب[٢] مع الخلق وبالقلب يكون مع الله تعالى يفتح الله تعالى له علوماً من عالم الغيب في نفَسٍ واحد من أنفاس الملاحظة، إذ جلّ نظره الملاحظة مع خفض الطرف؛ كما هو عادةُ كبار أهل الله تعالى.

[١] «الرسالة القشيرية» (ص ٤٠١).

[٢] قال مولانا أبو سعيد الخادِمي قدّس سرّه في شرحه على «الطريقة المحمّدية»: (قال علي القاري عن أكابر الصوفية: الخلوة في الجلوة، والعزلة في الخلطَة، والصوفي كائن بائن وغريب قريب، وعرشي فرشي، فإنّه عليه الصلاة والسلام عند اشتغاله بأشغال هذه الحسّيّات لا يغيب ولا يذهل عن مطالعة جلال الله وجماله، قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٧].

فإن قيل: الذهنُ بسيطٌ لا يتعلّق في زمان واحد بأكثر من شيء واحد؛ كما استدلّ عليه بقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٤].. قلنا: قالوا: يتيسّر التوجّهُ التامُ دفعة إلى شيئين للمجرّدين عن العوائق البشريّة، ولذوي النفوس القدسيّة القويّة، ولهذا كان صلّى الله تعالى عليه وسلّم يدبّر أمر الجيش وهو في الصلاة مع حضور الصلاة وخشوعها) انتهى.

أقول: قد يحمل عليه قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «**لِي مَعَ اللهِ تَعَالَى وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**».

وقد بلغ بعضُ المشايخ إلى حيث كان له حظٌّ من هذه الدرجة؛ كما حكى علي القاري عن الشبلي قال حين سُئل عنه بفتح بابِ الإفادة لنفع أصحاب الاستفادة: «والذي نفسي بيده لحضور قلبي في استغراق نورِ ربِّي خيرٌ من علوم الأوّلين والآخرين»، قال: وهذا المعنى هو زبدةُ كلامِ الأنبياء والمرسلين والسائر كالعارض، فاقصد المقصد الأقصى والمسند الأعلى والمقام الأسنى، والحالَةَ الحسنى الموجبة للزيادة في الدنيا والعقبى انتهى.

فصاحب هذا المقام يقصر العبادة الظاهرة على الواجبات والسنن المؤكّدات؛ لاشتغاله بما هو أقوى منه وهو الشهودُ والحضور بالله والفكر في المهمّات.

شعر:

اللهُ أَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَذْكُرُهُ   فَكَيْفَ أَذْكُرُهُ وَلَسْتُ أَنْسَاهُ

ولهذا قيل: لا يضرّ العارف قلّة العمل إذ يكون سيره قلبيًّا، ولا تظننّ هنا سقوطَ التكليف عنهم في هذا المقام، فإنّه إلحادٌ وكفرٌ بلا كلام، ومن هنا قيل: من رآني الآن.. صار زنديقاً، ومن رآني قبل.. صار صدّيقاً أي: قبل الوصول إلى هذا المقام، وهو زمانُ كثرة الاشتغال بالأعمال الظاهرة، لخلوّ الباطن من لمعات البوارق الإلهية، هذا، والله أعلم. (منه).

أطلق في حقّ أمثاله قولُ النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «**تفكّرُ**[١] **ساعةٍ خيرٌ من عبادة ألف سنة**»، وفي رواية: «**خيرٌ من عبادةِ سنة**»[٢].

وقول الصوفية: «جذبةٌ من جذبات الحقّ توازي عملَ الثقليْنِ»، وقولهم: «نفسٌ يجري مع الله تعالى خيرٌ من الدنيا وما فيها تبارك الله تعالى درجته، ورفع منزلته»، وقولهم: «لا لذّةَ ألّذُ من لذّة[٣] العارف[٤] في حال الفناء، إذ هو كائنٌ بائنٌ»؛ كما قال قدّس سرّه[٥] في قصيدته التركيَّة:

هَوَايِ عِشْقِلَه أَشْيَا أَزَلْدَه هَمْسَرْ أُولُورْ * مَحَيَّتِي أَزَلِي طِينَتْنْدَه مُضْمَرْ أُولُورْ

كُوكُلْ كِه طُورِ تَجَلَّا وَمَنْظَرِي حَقْدُرْ * يَمِ مَحَبَتِ عِشْقِ إِيچْرَه دُرُّوكَوْهَرْ أُولُورْ

كُوكُلْ لَطِيفَه سِي صَانْمَه بُوقَلِبْ قَالَبْ دُرْ * دِينِي تَصَوُّرْ إِيلَه ذَرَّه شَمْسَه مَظْهَرْ أُولُورْ

[١] أي: التفكّر في جلال الله خيرٌ من عبادة... إلخ إذ الفناء في الواحد الحقّ غايةُ المقاصد، وعمارة الباطن كما بيّن في محلّه، وبالجملة: تعمير الظاهر بالعبادات لا يثمر إلّا الجنة، وتعمير الباطن بالمنجيات يثمر الاستعداد للقاء إليه تعالى. (منه).

[٢] أورده الإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٥٥)، إذ روى أبو الشيخ في «العظمة» (٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «**فكرةُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ ستِّينَ سنةً**»، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٣٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه: «**تفكُّر ساعةٍ في اختلافِ الليلِ والنهارِ خيرٌ من عبادةِ ثمانينَ سنةً**».

[٣] أي: قال مولانا أبو سعيد الخادمي قدّس سرّه: واعلم: أن تلذّذه بشهود التجلّي في دوام الترقّي، وعليه قد يحملُ قولُه صلى الله تعالى عليه وسلم: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**» [رواه مسلم في «صحيح» (٦٨٥٨)]؛ لأنّه عند وصوله إلى المرتبة العليا يستقصر ما دونها، ويجده غينا أي: حجاباً انتهى. (منه).

[٤] أي: قال المناوي: والعارف قد يَأنَسُ بالعبَادة فيستلذّ فيكون المنع أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم: ما أخاف من الموت إلّا من حيلولته بَيني وبين قيام اللّيل.
وقال سليمان الداراني: أهل الليل في ليلهم أشدُّ لذّةً من أهل اللهو في لَهْوهم. (منه).

[٥] أي: صاحب هذا المديح.

آنِكْلَه عَـالَمِ أَكْبَرْ أُوقُـورْلَرْ إنْسَـانِي * مُقَابِلْ أُولْسَه أَنْكَا جُمْلَه عَالَمْ أَصْغَرْ أُولُورْ

نَه عَقْلُ وَنَفْسُ نَه رُوحُ وَنَه جِسْمِ دُرْنَه عَرَضْ * مَقُولَهِء عَشَرِينْكْ غَيْرِيلَه مُعَبَّرْ أُولُورْ

دِيدِلَر عَالَمِ أَمْرِ إِيچْرَه سِرِّ مَكْنُونْدُرْ * مِثَالِ رُوحِ تَعَلُّقْ لَه خَلْقَه زِيوَرْ أُولُورْ

صَفَايِ طِينَتِي بِرْ غَـايَتْلَه جَاذِبْ دُرْ * مُقَابِلْ أُولْدُوغِي أَشْيَآ إِيلَه مُصَوَّرْ أُولُورْ

نَه نَوْعُ فَضْلُ وشَرَفْ بُولْسَه أُولْ غَنِي أُولْمَزْ * جُونْ أَنْطَامَقْصَدِ أَصْلِي جَمَالُ دِلْبَرْ أُولُورْ

تَحَرُّكْ أَيْلَرْ أُولُورْ جُسْتُ وُجُودَه شَامُ سَحَرْ * حَدِيثِ نَفْسِلَه أَفْسُرْدَهِء مُكَدَّرْ أُولُورْ

طَـبِيـعَتِ بَـشَـرِيَّتْلَـه نَـفْسُ وأَمَـارَه * تَكَرُّرْ أَيْلَرْ أَنْطَاتَاكِه طَبْعُ دِيكَرْ أُولُورْ

عَمَـاءُ قَلْـبِ وَتَعْـمَى القُلُوبُ قُرْآنِي * بُوقَلْبَه صَادِقْ أُولُورْ كَرْعَمِي مُقَرَّرْ أُولُورْ

مَكَرْ طُلُوعْ إِيدَه خُورْشِيدِ عِشْقْ أُولُورْ مَمْلُو * خِيَالِ دُوسْتْ إِيلَه مَسْتُ وَجُنُونُ وِپَيْكَرْ أُولُورْ

يَقَـارْ چُـونَارُ مَحَبَّتْلَه قَلْـبْ قَـالْ أَيْلَرْ * صَفَايِي أَصْلِ بُلُورْ صَانْكِه تِبْرِ أَحْمَرْ أُولُورْ

مُصَيْقَلْ أَيْلَرْ أَفِي زَخْمَهء شِكَنْجَه عِشْقْ * نَظِيرِ جَامِ جَـمْ آيِينَه سِـكَنْدَرْ أُولُـورْ

هَوَايِ يَارْ إِيلَه دُولْدُقْدَه مَحْوْ أُولُورْ أَغْيَارْ * حَرِيمِ عَرْشِ كُمَانْ إِتْمَه شَرَّه مَعْبَرْ أُولُورْ

قَرَارِ سَلْبْ أُولُورْ أَيْخَقْ مَقَرْ إِدَارْ قُرْبِي * وَنَحْنُ أَقْرَبُ ذَوْقِيلَه قُرْبَه مَحْضَرْ أُولُورْ

رِضَايِ دُوسْتْ رِضَاسِينَه مُرْتَضَى تُوكَانُورْ * فِرَاقِ وُصْـلِ هَمَـه ذَوْقِدَه بَرَايَـرْ أُولُورْ

بَلِي نَه نَفْعُ ونَه ضُرٌ عَاشِقَه نَه خَوْفُ ورَجَآ * نَه زُهْدَه سُمْعَه نَه تَقْوَى نَه هَوْلُ مَحْشَرْ أُولُورْ

بُونَوْعِلَه إيدَه نَفْيِ وُجُودِ كَرْ طَالِبْ * جَلَالِ ذَاتِنَه مَحْرَمْ جَمَالَه مَظْهَرْ أُولُورْ

بُودُرْ حَقِيقَةِ تَقْوَى كِه وَصْفْ إيدَرْ مَوْلَى * قَتِنْدَه أَكْرَمُ وَأَتْقَى وَخَلْقَه رَهْبَرْ أُولُورْ

كِمْنِكْ طِينَتِي مَحْمُودِي عِشْقِلَه أُولْسَه * جِهَانِ جَانِي كَچَارْمِيرِ عِشْقَه چَاكَرْ أُولُورْ

انتهى كلامه ملخَّصاً على المرام.

ولا يخفى ما في هذه القصيدة التركيّة من اشتمالها على جميع مقامات أهل الله تعالى بطريق الإجمال، وأمّا تفصيلُها.. فمبسوطٌ في المطوّلات، فراجعها.

ثم اعلم: أنّي قد كنتُ كتبتُ فيما[١] مَضى في بعض مكاتيبي إلى بعض الأحباب ما يَلزم نقله إلى هذا المقام، فنقلتُه الآن إليه تذكرةً منّي لإخواني في هذا الطريق، والمكتوبُ هذا بعبارته:

باسم الله، وبحمده، والصلاتان على نبيّه، وعلى آله وصحبه إلى أعزّ أحبّتي، وأقرب إخوتي، عبد الله أفندي اللُّوچكِيّ[٢].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وغفرانه.

أما بعد: فلا يخفى عليكم أنَّ المقصودَ الأصليّ من خلق نوع الإنسان

---

[١] من الزمان. (منه).

[٢] «لُوچِكْ» (Luchek): مِن أَقْدَمِ قُرَى دَاغِسْتَان عَلَى بُعْدِ (١٣) كم شِمَال غَرْب قَرْيَةِ رُتُولْ فِي وَادِي سَامُور.

معرفةُ الله جلّ جلاله، وتلك المعرفة لا تحصُل إلاّ بعد معرفة النفس، ومعرفتُها لا تحصُل إلاّ برياضتها حقَّ الرياضة، وتكليفِها بأنواع التكاليف، فلا بدّ له من تكثير ذكر الله تعالى بعد التمسّك من يد شيخ كامل ليلاً ونهاراً حتى يَنهاه ذكرُ الله تعالى عن الفحشاء والمنكر، ويُورثَ له محبّة إلهية، ويَترك عنه الأفكارَ الرّديةَ والكلفةَ في العبادة، ويحصّلَ له مراقبة وخشوعا وخضوعا في القلب مع الذوق والوَجْد؛ كما قال الله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[١]، وكما قال الله تبارك وتعالى وتقدّس: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢].

وكما قال الشاعر رحمه الله تعالى:

كُـنْ مُقِيماً فِـي قُـلُـوبِ الأَوْلِـيَـا * وَاتْــرُكِ الأَفْـكَـارَ كُـلًّا وَالـعَـنَـا

وكما قال الشاعر رحمه الله تعالى:

تَرَقَّبْ لِبيضِ القَلْبِ كَالطَّيْرِ يَا فَتَى * فَمِنْ بِيضِ قَلْبٍ يَحْصُلُ الذَّوْقُ وَالوَجْدُ

فيا أيّها الأخ الأعزّ؛ دُمْ في الذكر الكثير واستغرِقِ الأوقاتَ به مع الوقوف القلبي، فإنّ الذكرَ بلا وقوفٍ؛ كصورة بلا روحٍ، ولا تغترَّ عندما ظهرتْ لك في اللطائف من الأحوال والأنوار، فإنّها حجبٌ نورانيةٌ غير مقصودة، بل مانعة العبد عن الله تعالى إنْ نَظر إليها واغترّ بها؛ إذ المقصود هو الله تعالى جلّ شأنُه لا هي.

[١] سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

[٢] سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

ومن ثمّ قالوا: «إنّ طالبَ الأحوال ليس بطالب الحقّ عزّ وجلّ»، وكذا قالوا: «إنّ هذه الأحوال بمثابَة السكرِ والزّبيبِ يُعْطَاها أطفالُ الطريقة، ليتسلّوا بها، وذلك الإعطاءُ لا مطلقاً، بل لضعاف القلوب منهم دون الأقوياء، فإنّ مطمَح نظرهم وراء الأحوال».

فقُلْ عند ظهورها لك: «إِلَهِي أَنْتَ مَقْصُودِي وَرِضَاكَ مَطْلُوبِي» باللسان أو بالجَنان، ثمّ اذكر الله تعالى بلا توقّف لحظة، ولا تقل: «أنا عَالم» لَاغْترّ بذلك[١]، فكم من عالم قد غرّه الغرورُ بذلك في هذا المقام، فإنّه من مزالق الأقدام غير أنّه إنْ ظهر منها شيء.. ينبغي أن يَغتنمها ويَشكر الله تعالى، فإنّه من علامة صحّة سيره وسلوكه، ثمّ ينبغي أنْ يَترقّى منه[٢] ولا ينظرَ إليه إذ في النظر إليه ضررٌ عظيم، وإن لم يَظهر منها شيء.. ينبغي أن لا يغتمَّ لذلك؛ لعدم كونها مقصودا، بل قال المشايخ: «إنّ عدمَ ظهورها أسْلمُ للسالك»؛ لما مرّ آنفاً.

فثِقْ، واذكرْ واعتمدْ وادْعُ عند ظهور تلك الأحوال إلى الله تعالى وإلى الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وإلى الأستاذ، فسرْ على هذا المنوال في كلّ مقامٍ من المقامات وامْضِ عنها إلى أن لا تضرَّك النفسُ الأمّارة والشيطان، وإلى أنْ تتبدّل أخلاقُك الذميمة بالحميدة فعند ذلك يُرْسَل نورٌ من طرف الله تعالى إليك، ويقذفُه فيك، وبه تصل إلى دولة معنوية غير متناهية يسير[٣]

[١] لعل الصواب: لا تغترّ.

[٢] أي: من ذلك المقام. (منه).

[٣] إذ يبقى أثره فيك؛ كما أفاده قولنا: (غير متناهية). (منه).

معك حيث سِرْتَ؛ كما قال وليّ الله الصَّفَدي الشّامي[١] قدّس سرّه في «سلك العين لإذهاب الغين»:

إذَا ارْتَـضَـاكَ فَـنُـورٌ مِـنْـهُ يُـرْسِـلُـهُ * إلَـيْـكَ يَـشْـهَـدُ مِـنْـهُ بِـالـبَـصِـيـرَاتِ[٢]

هذا، والسلام يقودكم دار السلام، الحقير الفقير الخالديّ، المحموديّ، الأحمديّ، الـزّاخُورِيّ، ثم اللَّكِيتِيّ، الحاجّ عثمان شيخ زاده انتهى.

ولا يخفى للمتأمِّل أنّ هذه رسالتي مشتملةٌ من أوّلها إلى آخرها على دقائق علم الطريقة وأصوله، فللّه الحمدُ أوّلا وآخرا.

فعلى السالك الصادق أن يجتهد في إزالة الغفلة عن المولى بالذكر الكثير؛ كما أزالها هذا الممدوحُ بذلك إلى أن يَصل إلى مقام يكون حالُه[٣] آمراً له في فعل الخيرات وناهياً به عن فعل المنهيّات، فحينئذ يتميّز الخير عن الشرّ بحاله أي: من غير تعلّم، ويسعى لما فيه مرضاة الرّبّ جلّ وعلا، ويفرّ عما فيه سخطُه؛ إذ دليلُ أهل الحقيقة على معرفته تعالى أعلى من دليل أهل الظاهر عليها، إذ يُقال: «المقصود من الطريقة ازديادُ علوم الشريعة حتى يتخلّص من البرهان إلى الكشف»، ويُقال أيضا: «علمُ اليقين شهودُ الدلائل، وعينُ اليقين

---

[١] عبد القادر بن محمّد بن عمر بن حبيب الصَّفَدِيّ الشّافعيّ، المتوفّى سنة (٩١٥ هـ)، لهُ قصيدة تائية في التصوف، و«سلك العين لإذهاب الغين». «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» (١/ ٨٩٥).

[٢] «سلك العين لإذهاب الغين» (ص ٤٥).

[٣] الحال يذكّر وَيؤنّث؛ فلا عيب في العبارة، فتبصّر. (منه).

عبارةٌ عن شهود الحقّ بعد كونه معلوما بالدليل وهو يَستلزمُ الفناء، وحقُّ اليقين عبارةٌ عن شهود الحقّ بعد ارتفاع اليقين واضمحلال المتيقّن، وهذا البقاءُ بالله في مقام «**بِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ**... إلخ»[١].

فالفرقُ بينهم وبين علماء الظاهر أي: على ما قالوا: (إنّ المعرفة بالنسبة إلى علماء الظاهر نظريّةٌ واستدلاليّةٌ، وبالنّسبة إليهم كشفيّةٌ وضروريّةٌ، فأقوى الإيمان بعد إيمان الأنبياء إيمانُ أهل الله تعالى[٢]، ومع هذا إنّهم ليسُوا بمعصومين عن الهوى والعصيان غير أنّهم كلّما غفلوا عن الله تعالى.. ذكروا الله واستغْفرُوه[٣] ورجعوا إلى مولاهم مع غاية النّدم على ما تقدّمت به أيديهم من الذنوب؛ إذ العصمةُ عن ذلك خُصَّتْ للأنبياء).

[١] رواه البخاري في «صحيحه» (٦٥٠٢) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «**إنّ اللهَ قال: مَن عَادَى لي وليّا.. فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليّ ممّا افْتَرضتُ عليه، وما يَزالُ عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببتُه.. كنتُ سمعَه الّذي يَسمعُ به، وبصرَه الّذي يُبصرُ به، ويدَه الّتي يَبطشُ بها، ورجلَه الّتي يَمشِي بها، وإنْ سألني.. لأعطيَنّه، ولئِنْ اسْتَعاذني.. لَأعيذنَّهُ، وما تردَّدْتُ عن شيء أنا فاعلُه تردّدي عن نفس المؤمنِ، يَكرَه الموتَ وأنا أكرَه مساءتَه**».

[٢] ولقد كتب في هذا الباب العالم العالي، حائز رُتبِ المجد والمعالي، الشيخ زين الدين أبو الشيخ عبد العزيز، وهو جدُّ مولانا الشيخ زين الدين الثاني مصنّف «قرة العين»:

وَالعَارِفُونَ بِرَبِّهِمْ هُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ فَرْعٍ وَالأُصُولِ تَكَمَّلَا

فَلَرَكْعَةٌ مِنْ عَارِفٍ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِهَا مِنْ عَالِمٍ فَتَقَبَّلَا

انتهى ملخّصاً على المرام. (منه).

[٣] فإن قلت: «هذا يستدعي وجودَ السيئات حتى تكفَّر، والَّذين آمنوا وعملوا الصالحات بأسْرها فمِن أين تكون لهم سيّئة؟» فالجواب: «أنّه ما من مكلّف إلّا وله سيّئةٌ، أمّا غير الأنبياء.. فظاهر، وأمّا الأنبياء.. فلأنّ تركَ الأفضل منهم؛ كالسيّئة من غيرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾». [سورة التوبة، الآية: ٤٣]. انتهى «كُرْخِي». (منه). «تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن» (٢١/ ٣٤٥).

قال الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني[١] في كتابه «فتوح الغيب»: (فذنوب هؤلاء السّادة: أن يشرّكوا إرادة الحقّ بإرادتهم على وجه السَّهو والنسيان، وغلبة الحال والدهشة، فيدركهم الله تعالى برحمته بالتذكرة واليقظة، فيرجعوا عن ذلك، ويستغفروا ربّهم؛ إذ لا معصوم عن الإرادة إلّا الملائكة، عصموا عن الإرادة والأنبياء عصموا عن الهوى، وبقيّة الخلق من الإنس والجنّ المكلّفين لم يعصموا منهما، غير أنّ الأولياء بعضهم يحفظون عن الهوى، والأبدال عن الإرادة، ولا يعصمون منهما على معنى يجوز في حقّهم الميل إليهما في الأحيان، ثمّ يتداركهم[٢] الله عزّ وجلّ باليقظة برحمته) انتهى[٣].

وأهل شكرٍ أي: وهو أهل شكرٍ شاكر على نعمه الظاهرة والباطنة التي لا تكاد تجمع وتحصى؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[٤]؛ إذ شكرُ المنعم على المنعم عليه واجبٌ شرعاً وعادةً، (وأهل

---

[١] أبو صالح عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني، الشيخ الكامل، القطب، الغوث، مؤسّس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوّفين، ولد في جيلان سنة سبعين وأربعمائة (٤٧٠ هـ)، كان عبد القادر الجيلاني قد نال قسطاً من علوم الشريعة في حداثة سنّه على أيدي أفراد من أسرته، ولمتابعة طلبه للعلم رحل إلى بغداد، فاتّصل بشيوخ العلم والتصوّف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقّه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد صنّف عبد القادر الجيلاني مصنّفات كثيرة في الأصول والفروع وفي أهل الأحوال والحقائق والتصوّف، ومنها «الغنية لطالب طريق الحق»، و«الفتح الرباني»، و«فتوح الغيب»، وغيرها، توفي الجيلاني ليلة السبت ١٠ ربيع الثاني سنة (٥٦١ هـ)، جهزه وصلّى عليه ولده عبد الوهّاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه، ثم دفن في رواق مدرسته. «الطبقات الوسطى» (١/ ٤٢٠)، و«الأعلام» (٤/ ٤٧).

[٢] أي: لا يَضرّهم ذنبٌ، معناه: أنّه كلّما صدَر عنهم ذنبٌ.. يوفّق الله تعالى لهم التوبة حالًا قبل كتابة كاتب الشمال فلا يضرّهم ذنب أصلاً. (منه).

[٣] «فتوح الغيب» (ص ٣١).

[٤] سورة النحل، الآية: ١٨.

برّ) أي: وهو أهل برٍّ[١] وإحسان أو هو بارّ ومحسنٌ بماله، بل بما توارد إليه من التحف إلى من جاء لديه من الزائرين والسائلين ولا يدّخر، بل يصرف إليهم صرفا كليّاً بلا تفاوت بين هذا وذاك؛ كما يأتي بيانُه في شرح بيت الناظم رحمه الله تعالى «تحف قد تواردت...» إلخ، فراجعه. وذلك فضل ربّه إليه والله ذو الفضل العظيم.

وكذا لما كان من أوصافه الحَسَنة وأكبر أخلاقه الجميلة كون صنعه الأمر والنهي في كلّ وقت وزمان.. قال الناظم رحمه الله تعالى:

٨. صُنْعُهُ الأَمْرُ النَّهْيُ طُولَ الدُّهُورِ * وَهِجَاناً حَامٍ هَجِيناً وَمَاحٍ

قوله: (صُنْعُهُ الأمْرُ النَّهْيُ) فيه تعريف الخبر؛ لإفادة التخصيص، فمعناه: صنعُه وعادته الأمر والنهي لا غير، فالعاطف فيه محذوفٌ؛ للوزن.

قوله: (طُولَ الدُّهُورِ) كقولهم: عدّةُ أيّامٍ في إضافة الصفة إلى موصوفها، فراجع وحرّر.

قوله: (وَهِجَاناً حَامٍ هَجِيناً وَمَاحٍ) جملتان حاليّتان بتقدير المبتدأ في كلتيْهما أي: وهو حامٍ للحسن وماحٍ للقبيح، لكن فيه[٢] تقديمٌ وتأخير؛ للوزن، وغير هذا فيه[٣] ما لا يخفى لأولي الأفهام، فتبصَّرْ.

---

[١] قوله: (وبرّ) معطوف على أحد أخواته المذكورة في البيت بتقدير المبتدأ أي: مع حرف العطف فيه والمُضاف، وهكذا في الجميع؛ كما يُفهم ذلك من بيان مواضع تراكيب كلّ واحدة منها، بل كما أفاده قولنا السابق في أوّل شرح هذا البيت: (تذكّر فيه ما سبق فيما قبله من حَذف مبتدآت ومضافات)... إلخ، فراجعه. (منه).

[٢] أي: في قوله: وهجاناً... إلخ.

[٣] أي: وفيه غيرُ هذا من وجوه تحسين الكلام المبحوث عنها في علم البَديع ما لا يخفى لأولي

فمعنى البيت: عادتُه الأمرُ والنهي لا غيرُ في جميع الأزمان والدهور حال كونه حامياً الحسن وماحياً القبيح من الأخلاق؛ لبراءة ذمّته عن تكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ قال الله تبارك وتعالى وتقدّس: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[١]، ولنيل الفضل والثواب بالعمل بهما على طريق الامتثال في الأول[٢] والاجتناب في الثاني[٣].

ولا يذهب عليكم أن الوليّ الكامل لا يرضى على فوت خيرٍ عنه حسبما أمكن، وكذا لما كان من أفضل صفاته السَّنيّة ميلُ قلوب العباد إليه من كلّ فجٍّ عَميقٍ، وفيهم أهلُ العلم أكثر من [أن] يحصى على معنى: «**إذا أحبّ الله بعبدٍ.. حبّب في قلوب عباده**»[٤].

فمن ثمّ قيل: إنّه لا يبقى مجالٌ لأحد منهم إلى عدم الميل إليه، بل لا يبقى اختيارُ أحدهم أيضاً إلى عدم الميل إليه[٥] وإلى مثله من الأولياء؛ لما فيهم من آلات تمييل القلوب، وتصريفِها إليهم، وعن قريب يأتي البيانُ ببيانها، فعليك بسماعها واستماعها، ثم الجهد والسعي على تملّكها.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

الأفهام، فراجعه. (منه).

[١] سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

[٢] أي: في الأمر بالمعروف. (منه).

[٣] أي: في النهي عن المنكر. (منه).

[٤] رواه البخاري في «صحيحه» (٣٢٠٩) عن أبي هريرة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ»، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**».

[٥] أي: إلى مثله من الأولياء. (منه).

٩. كَمْ وَرًى مِنْ بَضائَعِ العِلْمِ وَالرَّأْ * يِ أَطَالُوا أَكُفَّ سُؤْلِ النَّجَاحِ

قوله: (كَمْ) خبريّةٌ. وقوله: (وَرًى... إلخ)، أي: الناس، وهو مبتدأ على رواية رفعه خبرُه (أَطَالُوا)، (ومن بضائع...) إلخ صفتُه انظر إلى إتيان لفظ[١] الورى[٢] بسقوط الألف واللام[٣] هل يجُوز[٤] إلّا في ضرورة الشعر؛ كما هنا أم لا؟

قوله: (بَضَائِعِ) جمع بِضْعٍ بالكسر، والبِضْع يُقال: لعدد ما بين العشرة والعشرين.

فمعنى البيت: كم أي: كثير من الناس من أهالي العلم والفكر أطالوا ومدّوا أيديهم إلى كنف بابه لسؤالهم منه إيصالَهم إلى الكمال، وإبصارَهم دسائسَ أنفسهم وهمزاتها.

قال حضرة الشيخ محمد مراد بن عبد الله القَزَاني المَنْزَلَويّ[٥] في كتابه

---

[١] أي: على كونه مبتدأ. (منه).

[٢] أي: هنا. (منه).

[٣] أي: نكرةً. (منه).

[٤] أقول: إتيانُ مثله نكرةً يجوز عند النحاة ولو في سعة الكلام بوقوعِه مبتدأً بعد «كم» الخبريّة؛ لأن المبتدأ الواقع بعدها يجوز أن يكون نكرة كما هنا، كذا في كتب النحو، فراجعها. (منه).

[٥] محمد مراد بن عبد الله المَنْزَلَويّ القَزَاني ولد سنة (١٢٧٢ هـ) في منتصف ربيع الآخر يوم الثلاثاء، فلما بلغ ست سنين.. شرع في قراءة العلوم، ثم سافر إلى بلدة قزان واختار مدرسة العلامة شهاب الدين المرجاني، ولكن لم يوفق للإقامة هناك، بل سافر منها قاصدا بخارى وما وراء النهر، وبعد زمان سافر إلى الحجاز ووصل إلى جدة بعد ثمانية عشر يوماً، دخل مكة المكرمة في أواخر شوال وبعد أن حجّ توجّه إلى المدينة المنورة، وفي المدرسة المحمودية حضر دروس العلوم الدينية؛ كالفقه والحديث والتفسير، وأتمّ حفظ القرآن ونال الإجازة من كبار علماء المدينة، ودخل الطريقة النقشبندية المجددية عند قطب وقته مولانا الشيخ محمد مظهر قدّس سرّه، وفي مكّة حضر صحبة مولانا الشيخ عبد الحميد أفندي واستفاد منه الطريقة وحضر درس «سنن أبي داود» عنده، الشيخ محمد مراد المنزلوي هو الذي ترجم إلى اللغة العربية «الرشحات»، و«المكتوبات» للإمام الرباني، وسمّاه بـ«الدرر المكنونات». «المكتوبات» (٢/ ١٨٨-١٩٢).

المسمّى بـ«نفائس السائحات في تذييل الباقيات الصالحات»: «توفّي الخالد[١] قدس سره بالطاعون الذي بُشِّرَ بالشهادة لمن مات به.

قيل: لما حان حِمامُه، وقرب عمرُه ختامَه .. رأى العلّامة ابن عابدين[٢] في منامه؛ كأنه يُصَلّي على سيدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه في الجامع الأُموي، فلمّا أصبح وحضر صحبة مولانا قدس سره.. قَصّ عليه رؤياه، فتبسّم مولانا، وقال: إنَّ تعبيرَ رؤياك أنّي أموت قريباً، وأنت تصلّي عليّ في الجامع الأُموي؛ لأنّي من أولاد عثمان رضي الله عنه، فتوفّي مولانا بعد أيّام قلائل بالطاعون، وصلّى عليه العلّامة ابن عابدين في الجامع الأُموي كما ذكر، ودفن هناك في الصالحيّة رحمه الله تعالى رحمة واسعة، ونوّر ضريحه، وروّح روحه، وأفاض علينا من بركاته وبركات سائر الأكابر.

وهذا من بعض كراماته، وكراماتُه قدس سره كثيرةٌ، ومن أعظم كراماته:

[١] ضياء الدين النقشبندي المجدّدي، العالم المجدد، علاّمة عصره في علوم الشريعة، شيخ مشايخ الطريقة النقشبندية، أبو البهاء، خالد بن أحمد بن حسين (١١٩٠ -١٢٤٢هـ)، ولد في قصبة قره طاغ (من بلاد شهرزور) والمشهور أنّه من ذرية عثمان بن عفان، وهاجر إلى بغداد في صباه، وتوفي في دمشق بالطاعون، من كتبه «شرح مقامات الحريري» لم يتمه، و«شرح العقائد العضدية» ورسالة في «إثبات مسألة الإرادة الجزئية» واسمها «العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري». «الأعلام» (٢/ ٢٩٤).

[٢] محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم عابدين الدمشقي هو الشيخ العالم العلامة وإمام الحنفية في عصره، المفسر المحدث الفقيه النحوي اللغوي، ولد رحمه الله تعالى سنة (١١٩٨ هـ) بدمشق ونشأ بها وقرأ وحفظ القرآن العظيم، صاحب التآليف العديدة والتصانيف المفيدة، منها حاشيته الشهيرة «رد المحتار على الدر المختار»، التي اشتهرت في سائر الأقطار، ومنها ثبته المشهور الفائق، و«رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار» و «العقود الدرية في تنقيح الفتاوي الحامدية»، و «نسمات الأسحار على شرح المنار»، و«مجموعة رسائل»، وكتب في البلاغة، وفي الفرائض وغيرها، توفي رضي الله تعالى عنه سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف عن أربع وخمسين سنة، وأقيمت عليه صلاة الموت في جامع سنان باشا، ودفن بمقبرة باب الصغير، وقبره مشهور هناك. «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» (١٢٣٠)، و«الأعلام» (٤/ ٤٢).

اعتقادُ أكابر علماء عصره فيه، وانقيادُهم له، وكونُهم من جملة مريديه وخدّامه؛ كما قال بعض الأكابر: «إنّ انقياد علماء الظاهر لواحد من المشايخ .. من أعظم الكرامات»» انتهى مع زيادة قليلة[١].

كما قال الشاعر[٢] رحمه الله في مرثية شيخي التّلالي قدّس سرّه عند عدّه مناقبه:

فَـأَطَـاعَـهُ كُـلُّ الـــوَرَى مَـا شَـذَّ مِـنْـ * ـهُـمْ عَـالِـمٌ ذُو الـــرَّأيِ وَالإِبْـصَـارِ
أَشْـــرَافُ عَـصْـرٍ وَالأَكَـابِـرُ لِـلـزِّيَـا * رَةِ عَـاكِـفٌ بِـالـذُّلِّ وَالإِقْـــرَارِ

إن شئتَ نهاية البيان.. فراجِعْ إلى مناقب شيخي التَّلالي في آخر هذه الرسالة ترى بيانَه مبسوطاً إن شاء الله تعالى؛ أي: فلمّا كان هذا الممدوحُ قدّس سرّه صاحب هذه المَنْقَبَةِ العظيمة؛ كالشّيخ خالد قدّس سرّه لا شكَّ أنَّه من المشايخ العظام مثله.

تتمّة غريبة وقصة عجيبة: سمعتُها مِن فم مولانا سراج الأمّة وشمس الأئمّة، شيخ العصر وفريد الدهر، مجدّد المائة الرابعة شيخي وسندي الشيخ حاجّ أحمد أفندي الچاري التلالي قدس الله سره، ونوّر ضريحه آمين، اللهمّ آمين: أنّه كان يقول: «إنّ الله تعالى لما أراد أن يهب لعبد هبتَه الأزليّة .. يأمر الخضر عليه السلام بأن يذهب إلى نبيّنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم ويقول: يا الخضر؛ اذهبْ واقرأْ منّي إليه صلى الله تعالى عليه وسلّم سلاما،

[١] «نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات» (ص١٧٥ -١٧٦).

[٢] أي: حاج إسماعيل ابن حاج نوري المُخَاخِيّ. (منه).

وقلْ له: إنّ ربَّك يقول:إنّ عندي أمانةً لعبد من عبادي في قرية كذا، وهي سرُّ الخلافة بمدد وليّ كذا في بلد كذا، ثم قلْ له صلّى الله تعالى عليه وسلّم: ليسَلِّمْها إليه بدعاء على استقامته، وكذا يقول الله جلّ جلاله وعزّ شأنه: يا الخضر؛ لديّ له الآن ثلاثة، هي سوطٌ، وحبلٌ، ورمحٌ، كلّها من نور.

ثم إنّ ذلك الخليفة يتصَرّف بها في مريديه تصرّفاً باطنيّاً، ولا يذهب عليكم أنَّ تصرّفات تلك الآلات الثلاثة متغايرةٌ؛ إذ تصرّف السّوط سوقُ وطرد المريدين إليه وعنه، وتصرّفُ الحبل جذب المريدين إليه يجعله على العنق، وتصرّفُ الرمح غَرْزُه في قلب مريديه ومحبّيه؛ فلا يقدر أحدٌ وصل إليه تصرّفٌ من تصرّفات واحد منها أن يصبِر زمانا مّا حيث يجتهد ويرميه[١] ولو في الماء للوصول إلى المتصرّف من كلّ ديار.

ثم إنّ ذلك الخضر عليه السلام يأتي إلى محمد عليه الصّلاة والسّلام، ويقرأ السلام إليه منه تعالى، ويقول: يا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم إنّ ربّك يقول كذا وكذا في عبد كذا.

ثم يدعو صلّى الله تعالى عليه وسلّم ويجتمع لدعائه أرواحُ الأنبياء والأولياء من آدم إلى نبيّنا محمد عليه الصّلاة والسّلام وروحُ مرشد مَن له سرُّ الخلافة، وروحُ مَن له الخلافةُ والإجازة.

ثم يشير إلى مرشده بإجازته، والمرشدُ يعلَم ذلك، وكذا من له الإجازةُ بحال من الأحوال، إمّا بنوم أو كشف أو فناء إن كان من مفتوح البصيرة، وإلّا .. فلا» انتهى ما سمعتُه من فم مولاي.

[١] أي: يرمي نفسه. (منه).

كما علمتُه مراراً فللّه الحمدُ على ذلك، وذلك إنّي ذات يوم من الأيام رأيتُ في الخلوة أستاذي سراج الآفاقِ شيخ الزمان الشيخ حاج أحمد أفندي قدّس الله سرّه وأعاد علينا وعلى جميع المسلمين من بركاته قد أعطى إليّ كتاباً وقال: هذا كتابٌ؛ فخُذْ واقرأْ منه درسَك، فمتى أردتَ بعد ذلك قراءته وإعادته.. جِئْ لديّ واقرأْ درسَك واحداً بعد واحدٍ إلى أن أجِيئَ وأقدمَ إلى ضيافة نَوْرُوزَامِي اللَّكِيتِيّ، هكذا أشارني.

وكنتُ بعد ذلك أمتحِنُ ما قال في كلّ وقت أزورُ إليه وأجدُه؛ كما قال، ووعد حتّى ختم درسي حين قدِم إلى ذلك المنزل؛ كما أشارني بذلك، فالحمد لله على ذلك، وبشّرني بالإجازة والإذن هنالك.

ولا يذهَبُ عليكم إنّ هذا الفقير حين رأى هذه الواقعة قد كان في مراقبة الروح درساً، ثم أمضاه مرشدُه في بُريهةٍ عن باقي المنازل والمراقبات بغاية ربّه.

وقبلَه بيسيرٍ وقبل أن أعطى نسختَها إلى يَدِي.. رأيتُ مرشدي فريدَ الوقت قدّس سرّه في النوم يكتُب جميعَ أسماء الله عزّ وجلّ على طَسْتٍ وأزال نقوشها بالماء، ثم سقاني ذلك الماءَ وقال عقبه: نِلْتَ حقيقةَ الصلاة وحقيقةَ الكعبة وحقيقةَ القرآن، ولم يبقَ لك حاجةٌ مِن بعد إلى التعلّم والتدرّس، وقد بسطْتُ الكلام على هذه الحقائق الثلاث في رسالتي[١] المسمّاة بـ«تحفة الإخوان»، فإن شئتَ بيانَها.. فراجعها.

[١] من علم الباطن، فراجعها. (منه).

وبعده بيسير وقبل إعطاء كتابِها إلى يديّ رأيتُ[١] جارِي كُلْ محمّد أفندي اللَّكِيتِيّ يقول: أَجِيء الآن من زيارة شيخي حاج أحمد أفندي قدّس سرّه، وكان يقول: أريد أن أكتُبَ كتابَيْ إذن وإجازة، أحدُهما يقول: أكتبُ لأجل ولدنا عثمان أفندي الـزّاخوري والآخرُ لم أعلم لمن يكتب.

ثم بعد مضيّ أيام قلائلَ جاءت الواقعةُ أمامي كما رأيتُ وعرفتُ وقت ذهابي؛ لأجل كتابي بإشارة الشيخ أنّ كتاب الآخر كان لأخي الكبير شُعَيْب أفندي الأواري الباكني قدّس سرّه، وليس هذا من تعريف نفسي، بل تحديثُ ما مَنَّ الله تعالى به عليّ امتثالاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٢]، فإن الله يعلَم ما في الصدور.

فائدة عزيزة: ويؤيّده أي: ما ذكرناه[٣] أيَّ تأييدٍ مَا[٤] حرّره صاحب ترجمة «الرشحات» في مناقب مولانا محمد الرُّوجِي قدّس سرّه حيث قال: (مولانا[٥] شمس الدين محمد الرُّوجِي قدّس سرّه كان من أجلّة أصحابِ مولانا سعد الدين قدّس سرّه، وكان بعد وفاته مشغولاً بدعوة الطالبين في جامع هِرَاتْ سنين، مولده قرية رُوجْ، وهي قرية على تسعة فراسخ من هِراتْ على طرف القبلة منها.

ولادتُه في ليلة البراءة من شعبان سنة عشرين وثمانمائة، وكان قد توفّي

[١] أي: في النوم. (منه).

[٢] سورة الضحى، الآية: ١١.

[٣] أي: ما ذكرناه مُبتدِأً من أوّل التتمة السابقة إلى هنا. (منه).

[٤] أي: لفظ «ما» فاعل؛ ليؤيّده السابق. (منه).

[٥] مقول قال. (منه).

لوالدته ولد مقبول ابن خمس سنين، فصارت من تلك الحَيْثيّة مُتأثّرةَ ومجرُوحةَ القلب، فرأت النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم في تلك الليلة في المنام قائلا لها: لا تحزني وليطب قلبُك، فإنّ الله سبحانه يعطيكِ ولداً يكون صاحبَ دولة وعمر طويل، فولد مولانا محمد بعد زمان، وكانتْ والدته تقول له دائماً: أنت ذلك الوَلد الذي بَشّروني به.

وكان مائلاً إلى الانْزِوَاء والانقطاع عن الخلق دائماً من صغر سنّه، ومجتنباً ومتجنّباً عن أبناء جنسه، واتّخذ من بيت والده خلوةً لنفسه، وكان يخلو فيها في أكثر الأوقات، وكانت صنعةُ آبائه وأجداده التجارةَ، وكانوا أصحابَ إبل، فما كانت له رغبةٌ في طريق آبائه.

قال: كنتُ دائماً في تمنّي رؤية النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم في المنام، فدخلتُ يوماً البيت ورأيتُ والدتي قاعدة مع طائفة من نسوان الأقرباء، وفي يدها كتابٌ تقرأه عليهنّ، فدخلتُ فيما بينهنّ على خلاف العادة، فسمعتُ الوالدةَ تقرَأ منه دعاء وتقول: مَن قرأ هذا الدعاء في ليلة الجمعة مرّات.. يرى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم في المنام، فلمّا سمعتُ منها ذلك .. زاد تمنّي وكانت الليلةُ المستقبلة ليلة الجمعة اتّفاقا، فقلتُ للوالدة: أنا أقرأ هذا الدعاء في تلك الليلة، فعسى أن يَحْصل المقصود، فقالت: اذهَبْ واقرأ، وأنا أيضاً أقْرَأُه، فقمْتُ بعد ذلك، وجئتُ الخلوةَ واشتغلت بقراءة الدعاء برعاية شرائطه المذكورة، وقد كنت سمعتُ أيضا: أنّ من صلّى على النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم ثلاثة آلاف صلوات في كل ليلة جمعَة.. يرى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم في المنام، ففعَلتُ ذلك أيضاً حتى قرُب نصف الليل.

ثم وضعتُ رأسي ونِمتُ، فرأيتُ نفسي في المنام خارجاً من بيتي، ورأيتُ والدتي قائمةً على جنب الصفة الشّتوية، فلمّا رأتْني.. قالتْ: يا ولدي؛ لم أبطأتَ فإنّي أنتظرُك هنا، وهذا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قد نزل في قصرنا تقدّم أذهبُ بك عند رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فأخذتْ بيدي وذهبتْ بي إلى طرف الصفة الصيفيّة، فرأيتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قاعداً على جنب الصفّة جاعلاً ظهرَه إلى القبلة وحولَه جمعٌ كثيرٌ ما بين قاعدٍ وقائم متحلّقين وهو صلى الله تعالى عليه وسلّم يُرسِل الرسائلَ والمكاتيبَ إلى أطراف العالمِ، وبين يديه رجلٌ قاعدٌ يكتب ما يُملِيه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وأحسبه مولانا شرف الدين عثمان زيارتكاهي، وكان من العلماء الربّانيين، وكُمَّل المتّقين في زمانه.

ولمّا جاءت الوالدةُ بي.. لم تتوقّف مقدار ما يفرغ رسول الله مِن مهمّاته، بل تقدّمَتْ وقالتْ: يا رسول الله؛ إنّك قد وعدتَني بولد صاحبِ دولةٍ وعمر طويلٍ، هل هو هذا أم لا؟ فنظر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى جانبي وقال مُتبسّماً: نعم، هو هذا الولد.

ثم توجّه إلى مولانا شرف الدين عثمان وقال: اكتب له كتاباً؛ فكتبَ مولانا في ورقة ثلاثةَ أسطر، وأنا أنظرُ إليه، وكتبَ تحت السطور أسامي كثيرةً متفرقةً مثل شهادة جماعةٍ في الحجج، ثم طوى الورقةَ وأعطانيها.

فلما انصرفتُ.. قلتُ في نفسي: إنّي ما أعرف مضمونَ هذا الكتاب، فالأولى أن أرجع وأريه النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم فيُطلعني على مَضمُونه؛ فرجعتُ وجئتُ عنده صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وقلتُ: يا رسول

الله؛ إنّي ما أعرِف ما كتبوا في هذه الورقة، فأخذها النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم من يدي وقرأها فحفظتُها بقراءة واحدة، ثم طواها صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأعطانيها.

ثم أردتُ أن أسألَه صلّى الله تعالى عليه وسلّم عن شيء آخر، فسمعتُ صريرَ الباب واستيقظتُ فرأيتُ الوالدةَ قد دخلتْ من الباب وفي يدها سراج، فقمتُ من فراشي فقالتْ: يا محمد؛ هل رأيتَ شيئاً في المنام؟ قلتُ: نعم، فقالتْ: أنا أيضا رأيتُ؛ فشرعتْ في قصة رؤياها، وقصّتْ جميعَ ما رأيْتُه من أوّله إلى آخره بلا تفاوت بين الواقعتيْنِ» انتهى ملخّصا على المرام[١].

فعُلم مما حرّرناه آنفاً: أنّ هذا الأمرَ أي: أمرَ الخلافة أمرٌ عظيمٌ، يأتي من قبل الله تعالى إلى طرف مَن رزق الله تعالى إليه في علمه الأزَليّ بواسطة روحانيةِ حبيبه محمّد عليه أكمل الصلوات وأشرف التسليمات أوّلا وبالذات ثانياً وبالعَرْض بواسطة روحانيّة سائر مشايخ السلسلة العليّة، وبواسطة روحانيّة شيخه خاصة.

ومن أجل ذلك .. جُعِل الاحترامُ لأهله، وحُبِّب في قلوب عباده، وأُعْطِي له تلك الآلات لِيصلَ ويُوصِل بها إلى أعلى الدرجات.

تذنيب: وأيضا سمعْتُ مشافهةً من فم مولانا قطب العارفين، وكامل المكمّلين الشيخ حاج أحمد أفندي قدس الله سره وأنارَ ديارَنا بضيائه إلى يوم الدين حين ذهبْتُ لزيارته أولا بنيّة التّمسُّك من يده: أن ذا الشأن مولانا قطب الأقطاب محمود أفندي مرشدنا قد قال مشافهة إلينا أي: إليَّ ولسائر

[١] «رشحات عين الحياة» (ص ٢٤٧-٢٤٨).

إخوتي من خلفائه: الحمد لله أيّها الأولاد؛ كنتُم من المرشدين الكاملين، فعليكم بإرشاد الخلائق إلى مرضاته تعالى لما أنّ بصائرَكم قد انجلَت وفُتِحتْ، وكنتم صواحب المتصَرِّف، ودخلتم في سلسلة سادات النقشبندية غيرَ أنّ هذا ولدي الأعزّ الأكرم الحاج محمد الأرچِي عبدٌ مخلصٌ وعملُه خالصٌ، ووليٌّ من أوليائه إلا أنّ بصيرتَه لم تنفتح؛ فلا يقدر لإعطاء المنفعة على السالكين الصادقين، وإرشادِهم فهو وليّ في حقّ نفسه فقط، وأنتم أولياءٌ في حقّ أنفسكم وفي حقّ الأغيار، فسارعوا؛ لإعلاء كلمات الله تعالى طلباً لمرضاته.

وغير هذا في هذه الكرّة سمعتُ منه أقوالاً عجيبةً وكلماتٍ قدسيَّةً شرّف الله درجتَه، ورفع منزلتَه، آمين اللهم آمين، انتهى ما سمعتُه من فم مولانا قدّس سرّه.

ثم اعلم: أنّي وجدُت عند ذلك في منزله وبيته رائحةً عظيمةً مثل رائحة المسك والعَنْبَرِ، ولم تنقطع تلك الرائحةُ إلى خروجنا عن منزله ومعي وقتئذ أخونا الكبير عبد الوهّاب أفندي[١].

ومثل هذه الرائحة بل أَزْيَد منها وجدتُ ليلة في صلواته قدّس سرّه حين دعاه للضيافة أخونا مُصْطَفى أفندي الـزّاخُورِيّ اللَّكِيتِيّ، ولم تنقطع تلك

[١] عبد الوَهّاب أفندي بن ملاّ إسماعيل الـزّاخوريّ، العالم العامل، فإنّه كان أولًا في خدمة الشيخ الحاج حضرة أفندي الـزّاخوريّ قدس سره، ثمَّ لمَّا انتقل إلى المولى وأصاب له هدف المنية الأعلى.. تحوَّل إلى خدمة قريبه الشيخ الحاج حمزة أفندي الـزّاخوريّ قدس سره، ثم لمّا انتقل إلى رحمة الله.. تحوَّل إلى خدمة الشيخ أحمد التلالي قدّس سرّه، ورآه شيخه أهلاً للإرشاد ولائقاً للاستمداد وأجازه. «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٨١).

الرائحة عن أنفي مع احتراق أطراف الأنف وشفتي إلى ثلاثة أيام، وعرفها عنه[١] الخواص والعوام في تلك الليلة وقالوا عن لسان واحد: سبحان الله[٢]، ما هذه الرائحة... إلخ، إلخ.

وفي ذلك قال رفيقُه العارف الشيخ حاج شرين أفندي الكوليكيّ وشيخنا التَّلالي قاعد عن يمينه عند ذلك: أيّها الإخوان؛ إذا جالسْتُم مع أهل الصدق فجالِسُوهم بالصدق والمحبَّةِ، فإنَّهم جواسيسُ القلوب؛ إذ أنّ الشيخ الإمام الرباني المجدّد للألف الثاني أحمد الفاروقي السِّرْهِنْدِيّ[٣] قدّس سرّه قد أخرج واحداً منّا عن هذا المجلس، هذا.

فعُلم ممّا ذكر: أنّه لا بدَّ لإيصال المريد إلى الكمال من مرشد كامل مَفتوحِ البصيرةِ عالِمِ معالجةِ النفسِ الأمّارةِ وأدويتِها، مؤتمنٍ على دينه، خبيرٍ بالحال والمقالِ والمنازل والأهوال، مُترقّي مقامات الرجال الكُمّل الأخيار، مأذونٍ له من مرشد كامل واصل إلى تلك المقامات العليّةِ أَذِنَ له كذلك واصلٌ أيضا، مسلسلاً إلى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى الله عزّ وجلّ بالضبط

[١] أي: عرف كونها عن طرف شيخي التلالي الخواص والعوام. (منه).

[٢] قوله: سبحان الله هنا كلمَة تعجّب. (منه).

[٣] الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السِّرْهِنْدِيّ النقشبنديّ -المشهور بالإمام الرباني المعروف بمجدّد للألف الثاني، يتصل نسبه بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثمان وعشرين واسطة. ولد سنة (٩٧١ هـ)، وكان في صباه منظوراً بنظر عناية الشيخ شاه كمال القادري، حفظ القرآن المجيد في مدَّة يسيرة، ثم اشتغل بتحصيل العلوم، وبرع في العلوم كلِّها على أقرانه، وصنَّف بعض الرسائل كـ«الرسالة التهليلية»، و«ردّ الروافض»، من أشهر مؤلفاته «مكتوبات» ترجمه إلى العربية محمد مراد المنزلوي في مجلدين وسماه «الدرر المكنونات»، غمض عينيه عن الدنيا في يوم الثلاثاء السابع والعشرين (٢٧) من صفر سنة أربع وثلاثين وألف (١٠٣٤هـ)، ثم صلى عليه ولده الأكبر الشيخ محمد سعيد مع الخواص والعوام، ودفنوه في قرب المسجد مما يلي قبر ولده الأرشد الشيخ محمد صادق قدّس الله تعالى سرَّهما. «رسائل عن النورسية» (١٤/ ١٢١)، و«طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٣١٥-٣٢٦).

والحفظ، ومعرفةِ الكلِّ بالمقامات والترقّي والإذنِ بالسلوك لا عن حظّ نفس ولا شهرة أمرٍ، بل بموت النفوس دخلُوا حضرةَ القدوس ومشاهدتِهم للكثرة في الوحدة والوحدةِ في الكثرة، قال تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[١]، وقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

والعارفون بالله: هم الوسائلُ، فالشيخُ الواصل وسيلةُ مريده إلى الله وبابُه[٣] الذي يَدْخل منه على الله، فهم أبْوابُ الحقِّ.

وقال أبو علي الدقاق[٤] قدس سره: الشجرةُ التي تَنبِتُ بنفسها من غير صاحب.. لا تعيش ولا تُثمِر، وإن عاشتْ وأثمرتْ.. كان ثمرُها من غير لذّة.

وسنةُّ الله جاريةٌ على أنواع الأدب من النسب، كما أنّ الولدَ والتناسل الحقيقيّ لا يَحْصل إلّا بواسطة الوالد والوالدة كذا التولدُ والنسل المعنويّ

[١] سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

[٢] سورة المائدة، الآية: ٣٥.

[٣] معطوف على «وسيلة».

[٤] أبو علي الدقاق الحسن بن علي بن محمد النيسابوري، الزاهد، شيخ الصوفية، لسان وقته، وإمام عصره، تبحّر في النحو واللغة، وحصّل علم الأصول، وخرج إلى مرو، تفقّه بها على الخضريّ وبرع في الفقه، وأعاد على الشيخ أبي بكر القفال المروزي في درس الخضري ولما استمع ما يحتاج إليه من العلوم، ثم أخذ في العمل، وسلك طريق التصوّف، وصحب الأستاذ أبا القاسم النصراباذي وأخذ الطريقة عنه، وزاد عليه حالا ومقالا، واشتهر ذكره في الآفاق، وانتفع به الخلق، ومنهم: الإمام أبو القاسم القشيريّ صاحب «الرسالة»، زوّجه أبو عليّ الدقاق بابنته فاطمة، وسمع الحديث من أبي عمرو بن حمدان وأبي الهيثم محمد بن مكي الكشميهني وغيرهما، توفي في ذي الحجة من السنة الخامسة بعد الأربعمائة. «طبقات الشافعية الكبرى» (٤/ ٣٢٩)، و«مناقب الإمام الشافعي» (ص ٤٥٦)، و«طبقات الشافعية» للإسنوي (١/ ٥٢٣-٥٢٤).

حصولُه بغير مُرْشدٍ متعَذِّرٌ؛ لحكمة ما جرتْ عادةُ الله به، ومن ذلك أنّ أقطابَ الأرض لم يخرجُوا عن الوسائل، وقد قال عيسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام: «لن يَلج الملكوت مَن لم يُولد مرّتيْن»[١].

قالت الأشياخ: من لا شيخَ له مرشدٌ.. فمرشدُه الشيطانُ، وقال بعضهم: لولا المربّي ما عرفتُ ربّي، وروي: من لا شيخَ له.. فلا دينَ له، فمَن لم يتأدّب بآداب شيخه، ولم يتخلّق بأخلاقه.. لا يتأدّب بآداب الله ورسوله، فيكون عاصياً لله ورسوله، العياذ بالله.

ومَن ذهبُوا بلا دليل.. وقعوا في شُبهة وضَلّوا وأضلّوا كثيرا نعوذ بالله من شرور أنفسنا، ألا يكفي للعاقل دليلاً على عدم إمكان الوصول إلى الله بلا دليلٍ كونُ خاتمِ الأنبياء محمد المصطفى صلّى الله تعالى عليه وسلّم مع كونه محبوبَ ربّ العالمين، وإمامَ المرسلين لم يَذهب إلى الله تعالى بلا دليل، وكذا أن موسى على نبيّنا وعليه السلام كمْ سنةً رعى غنمَ شُعَيْبٍ على نبيّنا وعليه السلام حتّى أعطاه الله تعالى توراةً وجعلَه مُرسلاً، ثم طلب من الله العلمَ الباطن فأرسله إلى خضر مع كونه أعلى مرتبة من خضر فذهب موسى لديه وخدَمه مدّةً مديدة ولم يَعرِ؛ لأنّ العائرَ يكون محروماً عن الله تعالى.

فعُلم من هنا: أنّه لا يلزَم فضلُ المعلِّم على الإطلاق؛ إذ قد يكون المتعلّمُ أفضلَ؛ كما هنا، وكذا أنّ جميعَ الأنبياء والأولياء من آدم إلى هذا الزمان لم يذهبوا إلى الله بلا دليل ولا شيخٍ مُرشدٍ عالمِ أمراضِ القلوب القاسية.

[١] الولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت وهو التحلية بالصفات الروحانية. «روح البيان» (٢/ ١١٨).

فعُلم من هذا: أنّ العبدَ لا يَصِل إلى الله تعالى بلا واسطة، ولو كان عالما متبحّراً وعاقلاً متفطّناً.

فإذا ظفرْتَ أيّها الطالب الصادق بالشيخ المذكور العارف بدقائق الطريق.. فشُدّ عليه كلتا يدَيْك، فإنّ وجودَه كالكبريت الأحمر، لا يكاد يُوجَدُ لنُدرته، فسلِّمْ نفسَك لخدمته، واجتنبِ الفُحشَ لمخالفته، واجْعَل الصدقَ حالَك والعملَ مِنوالَك، والفناءَ في اختيار الشيخ فائدتَك ورسما لك، وتركَ الآثارِ والأغيارِ رأسَ مالِكَ، وكنْ بين يدَيْه كالميّت بَيْن يَدَي الغاسل يُقلِّبه كيْف يَشاء[١] ليُطهّرك بماء الغَيْضِ من جنابة الاختيار والاقتدار، فيا سعادة مَن أحْسَنَ أدبَه مع أستاذه؛ لأنّ المشايخَ العارفين الواصلين أبوابُ الحقِّ والواسطةُ بين المريد وبين الله تعالى، فخذْ أيّها السالك ما أَتيتُك من النصائح، وكنْ من الشاكرين ولا تَفتخِرْ بعملك وجاهِك، هذا.

ثم لما ذكر ما وعده بذكره، مِن ذكر بعض أوصافه؛ إذ جميعها لا يَسعها هذا المختصر.. اختلج ودَار في صدر السامع طلبُ دليلٍ عن الناظم رحمه الله على كونه وليّاً حقّاً موصوفاً بتلك الصفات، وقال إجابةً للمستمعين الطالبين الأدلةَ في حقّه:

١٠. وَتَـجَـلَّـتْ آيَـاتُـهُ كَـنُـجُـومٍ * أَوْمَـضَـتْ فِـي الـسَّـمَـاءِ لَـيْـلاً صَـاحِ

[١] وفي ترجمة رسالة «المبدأ والمعاد» للإمام الرباني قدّس سره ما لا بدّ له من المراجعة إليه من هنا، فراجعه. (منه). فالشرطُ الأعظمُ في المريد كونُه بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي الغاسل يقلّبه كيف يشاء. (منه).

قوله: (أَوْمَضَتْ) صفةٌ كاشفةٌ لـ«نُجُوم»، قوله: (صَاحٍ) اسم فاعل من الصّحْو، خبرٌ لمبتدأ محذوف فجملتهما حالٌ عن «لَيْلاً»[١].

فمعنى البيت: أي: كثُرت آياتُه ودلالتُه على كونه وليّاً حقًّا مجاباً، وأشرقتْ؛ كما كثرتْ وأشرقتِ النجومُ في السماء ليلا حالَ كونها خالية عن السّحاب.

ثم لمّا اختلجَ في صدر السامع أيضاً حين قرأ الناظمُ رحمه الله تعالى هذا البيتَ السؤالُ عن تلك الأوصاف والآيات بأنّها ما هي؟ وسأل عنه بلسان الحال بيانَه.. قال مجيباً له من بعض آياته وأوصافه: إنّه

١١. لَوْ رَمَى سَهْمَ الرَّمْقِ تِلْقَاءَ قَلْبٍ * حِينَ إنْقَاذُ مُشْرِفٍ فِي جُنَاحٍ

١٢. لَيَعُودُ الأحْشَاءُ مَوْقِدَ نَارٍ * وَيَرُوحُ الهَوَى مَرَاحَ انْشِرَاحٍ

قوله: (الرَّمْقِ) النظرُ والتوجّهُ للإخوان، قوله: (فِي جُنَاحٍ) أي: إثم من الآثام، قوله: (الأَحْشَاءُ) جمعُ حَشْوٍ، وهو: ما في البطن من الأَمْعَاء والأكْبَاد.

قوله: (وَيَرُوحُ الهَوَى) أي: ويَروح النفسُ الأمّارةُ عن الميل إلى ما حرّمه الله تعالى في أمّ الكتاب.

قوله: (مَرَاحَ انْشِرَاحٍ)، المراح اسمُ مكانٍ مِن رَاح أي: موضعُ راحة؛ لانبساطِ القلوب وانشراحِها عنده[٢].

[١] أو عن السماء كلٌّ محتملٌ، فراجعه. (منه).

[٢] أي: عند تبديلِ هوى نفسِه بهوى العشقِ بالله ببَركة توجّهِه يَروح السالكُ عن الميل إلى ما حرّمه تعالى في القرآن. (منه).

فالمعنى: اعلم: أنّ ذلك الوليَّ قدّس سرّه لو رمى رمياً سهمَ توجّهه، ونظرِه إلى طرف قلب المريد في مجلس التربية والتزكية.. لفي ساعتِه يتنبّه مريدٌ مشرفٌ وواقعٌ في هلاك على هلاكه، ويصير أمعاؤه وأكبادُه موقدَ نارٍ، أي: به يوقد النارُ في فؤاده وتَصَلَّى وتطّلع على الأفئدة تكاد تُذيبُ مُهَجَ الأكباد ويصادف معه[١] في أكثر الأوقات عند المُصافحة جموحُ النفوس مُذلّلةً ومطيعةً منقادةً للحقّ.

ثم يصير ويبدّل هوى نفس المريد بهوى العشق بالله ومحبّتِه ببركة نَفَسِه قدس سره فيكون عنده انبساطُ القلوب وانشراحُها؛ كما قال الناظم به؛ إذ لا انبساطَ للقلب فوق انبساطه[٢] على محبّته ومعرفته تعالى، وذلك بقيامه في أوامره تعالى على الدوام، وبُعدِه عن نواهيه كذلك، وفنائِه في الله وبقائِه بالله، وهؤلاء تظهر في مفاوز القلوب على قدْر استعداد ومشرب أهلها ذوقاً ومشاهدةً؛ إذ فيهما مراتبُ في القلوب على حسَب الأشخاص، كما في قوّة اليقين والإيمان وضُعفِهما[٣] مراتبُ فيها بحسَب الأشخاص أدناها: التقليدُ كما لعوام المؤمنين، وأوسطُها: الخروجُ عن التقليد بنوع من الاستدلال؛ كما للمتكلّمين، وأعلاها: المشاهدةُ والمكاشفةُ كما للعارفين؛ فأقوى الإيمانِ بعد إيمان الأنبياء[٤] والمرسلين وَصَحابتهم إيمانُ العارفين، فالحمد

[١] أي: يصادف معه جموحُ النفوسِ وقتَ المصافحةِ في أكثر الأوقاتِ مذلّلةً... إلخ، أي: فهذا أصلُ هذا الكلامِ؛ كما ترى. (منه).

[٢] كما يعرفه مَن ذاق من ذلك المشربِ. (منه).

[٣] كما يأتي تفصيله عن قريب إن شاء الله تعالى، فراجعه. (منه).

[٤] وفي «مكتوبات الإمام الرباني» بل في مكتوبها السابع والستين من جزئها الثاني ما لا بدّ له من المراجعة إليه من هنا. (منه).

لله على ذلك كما مرَّتِ الإشارة إليه في شرح بيت الناظم رحمه الله: «جَذْبُ ذِكْرٍ وَشُكْرُ بِرٍّ إِلَيْهِ... إلخ»، فراجعْه[١]، وقسْ عليه تفاوتَ[٢] درجاتِ المشاهدة في الأمور الإلهيّة السبحانية.

فَعَلى السالك أن يكون شغلُه بالله تعالى على الدوام، وأن يصرف جميعَ هممه إلى ذكر الله الملك العلّام، بلا غفلة لَمْحةً عنه سبحانه حتى يحصلَ الحضورُ التامُّ، ويزول التعلّقُ حبّاً وعلماً بما سواه من الأنام، ويتنعّم من مرتبة أعلى الإيمان وأقواه إلى يوم القيام.

ومن أجله قالوا: «دومُوا على ذكر الله تعالى حتى تكونوا غائبين عن أنفسكم، فإنّ الحقّ سبحانه ألطفُ من كلّ شيء، فكلّ من كانت لطافتُه أزْيدَ.. يكون شغلُه بالله أزْيدَ، فالنّساجُ والإسكافُ ألطفان من كَنَّاسِ الحمام وحَطَّابِه، فإنَّهما لا يقدران على شغلهما، والبَزّاز ألطفُ منهما فإنَّه لا يتحمّل صنعتهما، والعلماء ألطفُ من البَزّاز، فإنّهم لا يقدرُون على البزّازيّة، والجماعةُ الذين يشتغلونَ بالله لطافتُهم أشدُّ وأكثرُ من الكلّ فإنَّ سرَّهم وقلبَهم لا يتحمّلان الاشتغالَ لغير الله تعالى، فإذا ركعوا لا تريد نفوسُهم أن يرفعوا منه رؤوسَهم، وإذا سجدوا لا تطيب قلوبُهم أن يرفعوا منه قوالبَهم، فهذه الطائفة ألطفُ من الكلّ، فإنّهم لا يتحمّلون الاشتغالَ بغير الحقِّ لحظةً ويغبط الأنبياءُ أحوالَهم لا مِن جهة أنّ درجاتِهم وكمالاتِهم فوق درجات الأنبياء وكمالاتهم، بل مِن جهة شرف حالِهم، وهو كوْنُهم في قرب الحقِّ دائماً، وقد أخْفاهم الله سبحانه عن نظر الخلقِ وأشغلهم بنفسه على الدوام.

[١] في (ص٤٠).

[٢] ويأتي البيان ببيانه عن قريب إن شاء الله تعالى، فراجعه. (منه).

فمثالُ نبيٍّ مثل مقرَّبِ سلطانٍ فُوِّض إليه جميعُ ممالكِه، فهو يتصرّف فيه بأمر السلطان، ومثالُ وليٍّ كصاحب طهارة السلطانِ يُهيِّئ له الماءَ، وسائرَ أسباب وضوئه دائماً، ولا جرَمَ أنّ المتصرِّف في الممالك أقربُ إلى السلطان من صاحب الطهارة، وأفضل منه رُتبةً وأعلى درجةً، فلو لم تكنْ قابليّتُه أزْيدَ البَتّة.. لمّا يكُنْ متصَرِّفا في الممالك، ولكن إنَّ لصاحب الطهارةِ شرَفَ دوامِ قُربِ السلطانِ وحُضورِه، والالتذاذَ بخدمتِه الخاصّةِ والاختصاصَ بعدم كونه مشغولاً بغيره، وإلاّ فأين مرتبةُ المتصَرِّف في الممالك من مرتبة صاحب الطهارة، والمتصَرِّفُ إنّما يغبط ويحسده من جهة قُربه الصُوريّ للسلطان، ودوامِ حضوره عنده لا مِن جهة القُرب المعنوي ورفعةِ الدرجة» انتهى[١].

وقالوا أيضا: «إنَّ إدراكَ قرب الحقِّ سُبْحانه لا يُمكن، ولكن إذا سعى العبدُ واشتغل بالجدّ والجهْدِ.. يُكرِمه الله تعالى بإدراكٍ ويقين، فيُدرِك ذلك المعنى أنّ الحقَّ سبحانه لم يكن مُفارقه[٢]، ولكنّه كان غافلًا عن ذلك، ويحصل لأهل الله يقينٌ خالٍ عن جميع الظنون والتردّد في كون وجود الحقّ سبحانه وتعالى؛ كما أنّه لا شكّ لأحدٍ في كون وجود نفسه، فإنّه وإنْ لَبسَ ألبسته على بدنه، وغمض عينَيْه لا يفقدُ وجودَ نفسه ولا يذهَل عنه ولا يَشكّ فيه... إلخ.

وأمّا إدراكُ كُنهِه وغَورِه سبحانه وتعالى.. فلا يُمكِن من أحد حتى الأنبياء، لما قالوا: ودَرْكُ العجزِ عن الإدراك إدراكٌ، والبحثُ عن سرّ ذاتِه إشراكٌ، ولما قيل: تفكّرُوا في المخلوق ولا تتفكّرُوا في الخالق.

---

[١] أي: ما قاله العارفون. (منه).

[٢] أي: كما قال الله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد، الآية: ٤]. (منه).

فالمفهومُ والمعقولُ مما ذُكِر: عدمُ اطّلاع العبد إلى سرّ ذاته سبحانه وتعالى وإن حصل له عن الرياضة نوعُ تقرّبٍ إليه تعالى بكسبه حال المحويةِ التامّة فيه تعالى بسبب تلك الرياضة العامّة؛ كما قال الشاعر رحمه الله تعالى فجراً عن هذا المقام:

لَيْسَ قُرْبٌ بالـهُبُوطِ وَالـصُّعُودِ * إِنَّمَا القُرْبُ انْطِلَاقٌ عَنْ وُجُودِ

ومن أجله قالوا مخاطبين للأصحاب: أيّها الأحباب؛ اعْلمُوا أنّ الحقَّ سبحانه مع كونه في غاية العظمة والكبرياء في غاية القرب منكم، فكُونوا في هذا الاعتقاد وإن لم يكن هذا المعنى معلوماً لكم الآن، لكن ينبغي أن تكونُوا مع الأدب دائماً في الخلأ والملأ، فإذا كان أحدُكم في بيته وحدَه لا يمدنّ رجليْهِ، واقعدُوا في الخلوة مُصاحبين للحياء، ناكسين رؤوسَكم، وغامضين عيونكم، وكونوا مع الله بالصدق في السرّ والعلانيةِ، والظاهرِ والباطنِ، فإنْ قُمتم بحفظ هذه الآداب.. يكنْ لكم ذلك المعنى معلوماً بالتدريج.

فخلاصةُ الأمر: أن تكونوا مشتغلين بالله تعالى، فإنّه قريبٌ إلى عبده من كلّ شيء، بل هو أقرب من أن تقول أقربُ، فإنّ حالَ القرب لا تسعه العبارةُ، فمتى عبّرُوا عَن القرب بالعبارة.. ينقلب القربُ بُعْداً، أو القربُ ليس هو قولُك: قد تقرّبتُ إليه حتى تُعبِّر عنه بعبارة، بل القربُ كونُك ممحوّاً وفانياً فيه وذهُولُك عن نفسك وعن غيرك فيه، وأن لا يكون لك علمٌ بأنّك أين كنتَ، ومن أين جئتَ، وأن لا تَقدِر أن تُعبِّر عنه بعبارة مطلقاً، قال شخصٌ عند واحد من الأكابر: إنّ الشيخَ الفلان يتكلّم في القرب، فقال: إذا وصلتَ

إليه.. قلْ له: إنَّ قربَ القربِ في المحَلّ الذي نحنُ فيه بُعْدُ البُعْدِ، فإنّ القربَ عبارةٌ عن عدم كونك، فإذا كنتَ معدوماً فيه.. كيف تسَعه العبارةُ واقرأ عليه بعد ذلك هذا الشعر:

لَيْسَ قُـرْبٌ بِالـهُبُوطِ وَالـصُّـعُـودِ * إِنَّمَا الـقُـرْبُ انْـطِـلَاقٌ عَـنْ وُجُـودِ»

انتهى ما قالوا ملخَّصاً على المرام.

ثم اعلم: أنّ العلم علمانِ[١]: علم حضوري، وعلم حصولي، فالعلمُ الحضوريُّ: ما يُعلمُ به أصلُ الشيء وحقيقته، والعلمُ الحصوليُّ: ما يُعلمُ به ظلُّ الشيء وصورته، فلهذا قيل: لا سبيلَ للعلم الحصوليِّ إلى علم ذاته تعالى وصفاته، فإنّ المعلومَ منه علمٌ بصورة الشيء لا بنفس الشيء وعيْنِه.

وأما العلمُ الحضوريُّ.. فله سبيلٌ إلى علم ذاته تعالى مع صفاته، وعلمِ أقربيّته تعالى بل ذلك مربوطةٌ بهذا العلم الحضوريِّ الذي تعلَّق بأصل المعلوم لا بظلٍّ من ظلاله، وبصورة من صُوَرِه.

ومن ثم يقال لدرك هذا المعنى أي: معنى أقربيّتِه تعالى، وعلم العلم[٢] الحضوريِّ عند الصوفيةِ.

قال إمامُنا الإمامُ الرباني قدّس سرّه في المكتوب الثامن والأربعين، في الجزء الثالث من «مكتوباته»:

[١] أي: عند أهل هذا الفن. (منه).

[٢] أي: الذي هو أشرف العلوم. (منه).

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[١]

اعلم: أنَّ أقربيَّته تعالى مربوطةٌ بالعلم الحضوريِّ الذي تعلّق بأصل المعلوم، لا بظلٍّ من ظلاله وبصورةٍ من صوره، فإنَّ ذلك نصيبُ العلمِ الحصوليِّ، فالعلمُ الحصوليُّ لا يكون في الحقيقة علمَ نفس الشيء، بل علمَ صُورةٍ من صوره، ويكون الجهلُ متحقّقاً بالنِّسبة إلى نفس ذلك الشيء، سبحان الله[٢]، قد قالوا للجهل بالشيء: علماً بذلك الشيء، وكأنَّهم تصوَّروا صورة الشيء وظلَّه عينَ الشيء، وزعموا علمَ تلك الصورة علمَ ذلك الشيء، وذلك ممنوعٌ، ودعوى العَيْنيَّة غيرُ مسموعةٍ، فإنَّ بين الشيء وصورتِه نسبةُ الاثنينيّة، وكلَّما ثبتت نسبةُ الاثنينيّة.. فالتغايرُ لازمٌ، «الاثنان متغايران» قضيةٌ مقرَّرةٌ من قضايا أربابِ المعقولِ، وأيضاً: إنَّ العلمَ بصورة الشيء كيف يكون مستلزماً للعلم بذلك الشيء؛ كما هُوَ؟ فإنَّ صورةَ الشيء تمثالُ ظاهر الشيء ظهر متلبّساً بأحكام المرآة، وكم من دقائق شيءٍ وأسراره ليس منها في الصورة اسمٌ ولا رسمٌ.

لَوْ صَوَّرَ النَّقَّاشُ صُورَةَ ذَا الْمُنَى ❋ وَا حَيْرَتِي مَا حِيلَتِي فِي غُنْجِهِ

وليت ظاهرَ الشيء يَظهر بصرافته في صورة الشيء، ويكون الباطنُ موقوفاً ومسكوتاً عنه، فإنَّه إذا ثبت أنَّ ظاهرَ الشيء يظهر في صورة الشيء

[١] سورة النمل، الآية: ٥٩.

[٢] «سبحان الله» كلمة تعجّب هنا. (منه).

متلبِّساً بأحكام المحلِّ والمرآة على ما مرَّ لا يبقى الظَّاهرُ على صرافته يقيناً، بل تعرضُ له هيئةٌ أخرى، فالصورةُ؛ كما أنَّها محرومةٌ من باطن الشيء؛ محرومةٌ أيضاً من ظاهره، فلا يكون علمُ تلك الصورة مستلزِماً لعلم ذلك الشيء؛ كما هو بالضَّرورَة.

وبالجملة: أنَّ المعلومَ هو ما يكون كائناً في الذهن، ولَمَّا كان الكائنُ في الذهن الصورةَ.. يكون المعلومُ أيضاً هو تلك الصورة، ولمّا كانت بين الصورة والشيء نسبةُ التباين والتغاير.. لا يكون علمُ الصورة مستلزماً لعلم الشيء؛ كما هو، والعلمُ الحضوريُّ هو الذي يكون الحاضرُ فيه في المدركة نفسَ الشيء من غير أن يتخلَّل في البين شيءٌ من الظلِّ والصورة، فيكون المعلومُ في هذا العلم هو نفس الشيء، لا صورةً من صُوَره، فيكون العلمُ الحضوريُّ أشرفَ، بل يكون العلمُ هو فقط لا غيرُ، ويكون ما سواه من العلم الحصوليِّ جهلاً مشتبهاً بصُورَة العلم، والمتَّصفُ بالجهل المركّب من يزعم جهلَه علماً ولا يدري بأنَّه لا يدري، فلا يكون للعلم الحصوليِّ إلى ذاته وصفاته تعالى سبيلٌ، ولا تكون الذاتُ والصِّفاتُ الواجبيّةُ تعالت وتقدّست معلومةً بهذا العلم، فإنَّ هذا العلمَ في الحقيقة علمٌ بصورة المعلوم، لا بنفس المعلوم؛ كما مرَّ.

ولا سبيلَ للصورة في حضرته جَلَّ سلطانه حتى يظنَّ العلمَ بالصورَة علماً بالأصل، وإن قال البعضُ: إنَّ الحقَّ سبحانه وإن لم يكن له مثلٌ، ولكن له تعالى مثالٌ[١]، ولكن هذه الصورةُ المثاليةُ على تقدير ثبوتها غيرُ تلك الصورة

[١] يأتي ما يؤيّده، فراجعه (ص ٤٤٥). (منه).

المنفيَّة التي يتعلّقُ بها العلمُ يمكن أن تكون الصورةُ كائنةً في المثال الذي هو أوسعُ المخلوقات، ولا تكُون ثابتةً في الذهن، وهذا الحديثُ القدسيُّ: «**لَا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَلَكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ**»[١] مخصوصٌ بقلب العبد المؤمن الذي معاملتُه مغايرةٌ لمعاملة سائر الناس لتشرُّفه بالفناء والبقاء، وتخلُّصه من الحصول وتحقّقه بالحضور، فإن كان هناك التوسُّعُ.. فهو باعتبار الحضور، لا باعتبار الحصول:

فِي أَيِّ مِرْآةٍ يَكُونُ مُصَوَّرًا

ينبغي أنْ يعلم أنَّ في العلم الحضوريِّ اتّحادَ العالم بالمعلوم، فزوالُ هذا العلم عن العالم لا يجوزُ، فإنَّ المعلومَ هو نفسُه فلا ينفكُّ عنه، بل العلمُ ثمَّة عينُ العالم وعينُ المعلوم، فأين المجالُ للانفكاك؟ ينبغي أن يعلم: أنَّ المعلومَ لما كان في العلم الحضوري نفس الشيء لا صورته.. يَنكشف المعلوم فيه؛ كما هو بالضَّرورة، ويصير معلوماً بالكُنْه، فإنَّ كنهَ الشيء عبارةٌ عن نفس الشيء، ولمّا كان جميعُ الوجوه والاعتبارات ساقطةً

[١] أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ٣٠) بهذا اللفظ: «**قال الله تعالى: لم يسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلبُ عبدي المؤمنِ اللين الوادع**».

وقد أورده الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٤٦٦) من حديث أنس رضي الله عنه بنحوه، ورواه أحمد في «الزهد» (٤٢٣) عن وهب بن منبه، قال: «إنّ الله عزّ وجلّ فتح السماوات لحِزْقِيلَ حتى نظر إلى العرش أو كما قال، فقال حزقيل: سبحانك، ما أعظمك يا ربِّ! فقال الله: «إنَّ السماوات والأرض لم تطقْ أن تحملني، وضِقْنَ مِن أن تَسَعَنِي، ووسعنِي قَلْبُ المؤمن الوارع اللين». وفي «الرسالة القشيرية» (ص ٥٠٢): «وفي بعض الكتب: أنَّ موسى عليه السلام قال: يا ربِّ؛ أين تَسكُن؟ فأوحى الله تعالى إليه: في قلب عبدي المؤمن، ومعناه: سكون الذكر في القلب؛ فإن الحقّ سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن كلِّ سكونٍ وحلولٍ، وإنَّما هو إثباتُ ذكرٍ وتحصيل»، وقال الحافظ الزبيدي في «الإتحاف» (٨/ ٤٣٠): «وشهد لصحة معناه حديث أبي عنبة الخولاني المارّ ذكره قريباً عن الطبراني، وهذا القدر يكفي للصوفي، ولا يعترض عليه إذا عزاه إلى حضرة الرسالة، والإنصاف من أوصاف المؤمنين».

وبقي نفسُ الذات الحاضرة عند المدركة.. صار كنهُها معلوماً، بخلاف العلم الحصوليِّ، فإنَّ المعلومَ هناك وجوهُ الشيء واعتباراته التي هي صورُه وأشباحُه لا نفسه؛ كما مرّ، فلا يكون المعلوم هناك كنهَ الشيء، ولا يكون الشيءُ فيه معلوماً بكنهٍ.

غاية ما في الباب: أنَّ في العلم الحصوليِّ انكشافَ الشيء ودركَ الشيء، وفي العلم الحُضُوريِّ انكشافَ الشيء موجودٌ، ودركَه مفقودٌ، فكنهُ المعلوم يصير منكشفاً ولا يكون مُدرَكاً، لا يخفى أنَّه إذا ثبت العلمُ الحضُوريُّ بالنِّسبة إلى ذات الواجب جلّ سلطانه؛ كما مرّ.. لزم أن يكون كنهُ الذات منكشفاً، وتكون الذاتُ معلومةً؛ كما هي، وهذا خلافُ ما تقرّر عند العلماء.

وأقول: إنَّ هذا العلمَ الحضوريَّ الذي تعلّق بذات الواجب تعالى من قبيل الرؤية التي يُثبتونها بالنِّسبة إليه تعالى، وهناك الانكشافُ موجودٌ، والدركُ مفقودٌ، وكذا هنا الانكشافُ موجودٌ والدرك مفقودٌ، فإذا تعلّقت الرؤيةُ بذات الواجب تعالى.. لِمَ لا يتعلّق بها العلمُ الذي هو ألطفُ من الرؤية؟ والمحذورُ إنَّما هُوَ في الادراك المستلزم للإحاطةِ لا في الانكشاف، قال الله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[١]، لم يقل: لا تراه الأبصار.

فإن قيل: إذا لم يحصل الدركُ ماذا يُجدي الانكشافُ؟ **أقول**: إنَّ المقصودَ من الانكشاف: هو التذاذُ الرائي، وهو حاصلٌ تحقّق الدرك أو لا.

فإن قيل: إنَّ الانكشافَ بلا دَرْكٍ كيف يكون مُستلزِماً للالتذاذِ؟ أجيب: أنّ العلمَ بالانكشاف كافٍ حصل الدرك أو لا أو نقول: إنَّ الدركَ أيضاً حاصلٌ

[١] سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

في ذاك الموطنِ، ولكنّه مجهولُ الكيفيّة، والدركُ المنفيُّ - الله أعلم -: هو ما تُعلَم كيفيَّتُه، ويوجب إحاطةَ المعلوم، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾[١] مناسبٌ للعلم الحصوليِّ، فإنَّه إذا لم يكن الدركُ في العلم الحضوريِّ من أين يكون في العلم الحصوليّ، فإنَّ كلَّ ما هو في الظلِّ مستفادٌ من مرتبة الأصلِ، ولكن الدركَ في الأصل مجهولُ الكيفيّةِ، وفي الظلِّ معلومُ الكيفيّةِ، انتهى كلامه بحروفه[٢].

تتمة: ثم اعلم: أنَّ ما يزول عن الوليّ الفاني في الفناء أو البقاء العلمُ الحصوليُّ لا العلم الحضوريّ أي: زوال رقبة العلم الحصوليّ؛ أي: زوال بقاء العلم الحصوليّ مملوكاً له؛ أي: بحيث يتصرّف به الفاني[٣] كيف يشاء باختياره وإرادته الكائن[٤] معه قبل حصول ملكة الفناء؛ لمحويّة إرادته بعد ذلك في إرادته تعالى؛ إذ إنّه لا ينظر إلى سوى اللهِ تعالى إلا بالله وبأمره في أمره[٥]، ولا يعمل عملاً إلّا معه تعالى، بل يمشي يقول: ليس في الكون إلا الله تعالى، فلهذا قالوا: الفاني لا يردّ، لا نفس العلم الحصولي[٦] حتى يرد عليه ما أورد من أنّه يختلّ ويتعطّل بدُون العلم ما لا بدّ له منه من أمُور دينه ودنياه، وذا لا يجُوز ولا يلزم من زوال رقبة العلم الحصوليّ عن الفاني زوالُ رقبة العلم الحضوريّ لا فناء ولا بقاء؛ لما مرّ نقلا عن «مكتوبات الإمام الرباني» من أنّهما ليسا بشيء واحد حتى يطلب زوالُ

---

[١] سورة طه، الآية: ١١٠.

[٢] «المكتوبات للإمام الرباني» (٣/ ٦٤ -٦٦).

[٣] أي: والباقي. (منه).

[٤] وهو صفة العلم الحصوليّ. (منه).

[٥] أي: في مَأموره من الصلاة وغيرها على أنّه مصدر بمعنى المفعول. (منه).

[٦] معطوف على قوله: (أي: زوال رقبةِ العلمِ الحصوليّ...).

أحدِهما زوالَ الآخر، فراجعه على أنَّ ذلك الوليّ الفاني إذا رجع إلى الخلق يرجِعُ مع الحقّ؛ كما يدلّ عليه حديث: «**يُبْصِرُ بِي، وَيَسْمَعُ بِي، وَيَبْطِشُ بِي**»، فلا يكون فرقٌ بين فرقه وجمعه[١]، بل هما سِيَّان لديه، وسيأتي بيانُهما في شرح بيت الناظم رحمه الله تعالى: (فلحثّ وَألفة وَاتّعاذ...) إلخ، فراجعه[٢].

فالحاصل: أنّ رقبةَ العلم الحضوريّ ونفسَه لازمٌ للوليّ الفاني لا ينفكّ عنه فناءٌ وبقاء كالسِّكَّة المضروبة على الدرهم بخلاف العلم الحصوليّ، فإنّ رقبتَه تزول و إن لم تزل نفسُه، فراجع وحرّر.

وفي هذا المقام ما لا بدّ فيه من المراجعة إلى «مكتوبات الإمام الرباني» من المكتوب السادس عشر، ومن المكتوب الثاني والخمسين في الجزء الثالث منها، فراجعها.[٣]

[١] كان الأستاذ أبو علي الدقاق يقول: «الفرق: ما نسب إليك، والجمع: ما سلب عنك». ومعناه: أنّ ما يكونُ كسباً للعبدِ، من إقامة العبوديةِ، وما يليقُ بأحوال البشريَّةِ.. فهو فرقٌ، وما يكون من قبل الحقِّ من إبداء معانٍ وإسداءِ لطفٍ وإحسانٍ.. فهو جمعٌ. فمن أشهدَه الحقُّ سبحانه أفعالَه من طاعاته ومخالَفتِه.. فهو عبدٌ بوصفِ التفرقةِ، ومَن أشهدَه الحقُّ سبحانَه ما يوليه من أفعال نفسِه سبحانه.. فهو عبدٌ يشاهد الجمع. فإثباتُ الخلقِ من باب التفرقةِ وإثباتُ الحقِّ من نعت الجمعِ، ولابدَّ للعبد من الجمع والفرقِ، فإنَّ مَن لا تفرقةَ له.. فلا عبودية له، ومَن لا جمعَ له لا معرفةَ له، فقولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ : إشارةٌ إلى الفرق وقولُه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: إشارةٌ إلى الجمع. «الرسالة القشيرية» (ص ٢٥٠).

[٢] في (ص ١٣٥)

[٣] وفي المكتوب السادس عشر: اعلم: أنَّ الحضورَ عبارةٌ عن حضور الباطن مع جناب قدس الحقّ جلّ سلطانه شبيةٌ بالعلم الحضوريّ الذي الدوامُ لازمُه، هل سمعت أحداً أنَّه غفل عن نفسه في وقتٍ من الأوقات وذهل؟ والغفلةُ والذهولُ إنّما يتصوَّران في العلم الحصوليّ لوجود المغايرة في البين، وفي العلم الحضوريِّ حضورٌ في حضورٍ دائماً، وإن كان الأبلهُ في جهلٍ من هذا الحضور ونفورٍ، وبحصولٍ في غرورٍ، فكان الدوامُ لازماً للحضور، والذي لا دوامَ له؛ فهو ميلانٌ إلى المطلوب، وله شباهةٌ بالحضور المذكور، ودوامُه متعذِّرٌ؛ لكونه شبيهاً بالعلم الحصوليّ الذي هو قليلُ النَّصيب من الدوام، ولله المثل الأعلى، وإطلاقُ

وأما ما يزول عن المبتلى الناسي كلّ شيء سوى الله تعالى، والفاني عن كلّ شيء غيره تعالى بسبب الابتلاء لا بسبب ملكةٍ حاصلة فيه من علم الرياضَة كما هو في الولي الفاني.. فليسَ رَقبة العلم الحصوليّ ولا نفسه؛ إذ إنّه بعد البرْء عن مرضه، وبعد الخلاص عن بَلائه.. يَرْجع إلى أخلاقه، ويتصَرّف علمُه في

العلم الحصوليّ والعلم الحضوريّ بالنِّسبة إلى جانب قدسه تعالى إنّما هو على سبيل التَّشبيه والتَّنظير، فإنَّه تعالى إذا كان أقربَ إلى الإنسان من نفسه.. يكون خارجاً عن حيطة العلم الحضوريّ والعلم الحصوليّ وإن عجز أربابُ المعقول عن تصوُّره، ولم يجدوا أقرب من أنفسهم، ولكن هذا المعنى واضحٌ عند أرباب العلم اللدنيّ، وحاصلٌ بالسُّهولة بعناية الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]. «المكتوبات للإمام الرباني» (٣/ ١٦).

وفي المكتوب الثاني والخمسين: الفناءُ عبارةٌ عن نسيان ما سوى الحق سبحانه، وما سواه تعالى على قسمين: آفاقيٌّ وأنفسيٌّ، فنسيان الآفاقيّ عبارةٌ عن زوال العلم الحصوليِّ بالنِّسبة إلى الآفاق، ونسيانُ الأنفسيّ عبارةٌ عن زوال العلم الحضوريِّ بالنِّسبة إلى الأنفس، فإنَّ العلمَ الحصوليَّ يتعلّقُ بالآفاق، والعلمَ الحضوريّ بالأنفس، وزوالُ العلم الحصوليّ بالأشياء مطلقاً وإن كان متعسِّراً لكونه نصيبَ الأولياء، ولكنَّ زوال العلم الحضوريّ مطلقاً عسير جداً، ونصيب الكُمَّل من الأولياء يكاد يكون تجويزُه، بل تصوُّرُه محالاً عند أكثر العقلاء؛ لزمهم عدم حضور المدرك عند المدرك سفسطة، فإنَّ حضورَ الشيء عند نفسه ضروريٌّ عندهم، فزوال العلم الحضوريّ- وإن كان لمحةً - لا يكون مجوَّزاً عندهم، فكيف إذا كان زوالُ هذا العلم مطلقاً بحيث لا يعود أبداً؟ والنسيانُ الأوّلُ الذي هو بالنِّسبة إلى العلم الحصوليّ يتعلّقُ بفناء القلب، والنسيانُ الثّاني الذي هو بالنِّسبة إلى العلم الحضوريّ مستلزمٌ لفناء النَّفس الذي هو أتمُّ وأكملُ، وحقيقةُ الفناء إنَّما هي في هذا الموطن، والفناءُ الأوّل كالصورة لهذا الفناء وكالظلِّ له، فإنَّ العلمَ الحصوليَّ ظلُّ العلم الحضوريِّ في الحقيقة، فيكون فناؤه ظلَّ فناء هذا بالضَّرورة، وبحصول هذا الفناء تستقرُّ النَّفسُ في مقام الاطمئنان، وتصير راضيةً عن الحقِّ سبحانه، ومرضيَّةً له تعالى، وبعد البقاء والرجوع تتعلّقُ معاملةُ التكميل والإرشاد بها، ولها يتيسّرُ الجهادُ والغزو مع طبائع العناصر الأربعة المختلفة التي هي أركانُ البدن، وكلُّ واحدٍ منها يقتضي أمراً من الأمور غيرَ ما يقتضيه الآخرُ، ويريد شيئاً من الأشياء خلاف ما يريده الآخر، وهذه الدَّولةُ غير متيسّرةٍ لواحدةٍ من اللطائف، وهي التي تصلح الأنانيّةَ الإبليسيّةَ الناشئةَ من عنصر النار بسياستها، وتورث الاعتدالَ للقوة الشهويَّة والغضبيَّة وسائر الأوصاف الذَّميمة التي فيها شركةٌ للبهائم والحيوانات بحسن تربيتها، سبحان الله، قد صار شرُّ اللطائف خيرَها، و قال عليه الصلاة والسلام: «خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا». [أخرجه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨)].

تنبيهٌ: علامةُ نسيان السوى: عدمُ حضوره في القلب، وعلامةُ زوال العلم الحضوري بنفس العالم: انتفاءُ العالم بالكلِّ عيناً وأثراً حتى يتصوَّر زوالُ العلم والمعلوم عنه، فإنَّ العلمَ والمعلومَ في ذلك الموطن نفسُ العالم، فما لم يزل نفسُ العالم لا ينتفي العلم والمعلوم، والفناءُ الأوّلُ هو فناءُ الآفاق، والفناءُ الثّاني فناءُ الأنفس الذي هو حقيقةُ الفناء. «المكتوبات للإمام الرباني» (٣/ ٦٨).

هوى نفسه، ولا يَثبت فيه ذلك النسيان والفناء؛ كما يَثبت ذلك في الوليّ الفاني؛ فلا يُورد بهذا لذاك.

قال الممدوح قدس سره في «مكتوباته» إلى ذاكر حضرة الچِسْطَاوِيّ[١] ما لفظه هذا: (إذ يمكن أن يوجد النسيانُ بدون الولاية والفناء مع عدم زوال الرقبة بأمرٍ آخرَ؛ كالابتلاء، فإنّ المبتلى ببلاء لا يَدفع بسبب من الأسباب إلّا بمحض فضلِ الله تعالى يتوجّه ويتجرّد إليه تعالى وينسى وراءَه تعالى مع أنَّ الرقبةَ باقيةٌ فيه ولو كانت مضمرةً في ذلك الوقت؛ كما نطق به الكريم، ولكن لا يثبت النسيانُ فيه بعد الخلاصِ عنه، بل بعدَ وجودِ أسبابِ الخلاصِ يرجع إلى حالاتِه القديمةِ أي: بحيث إذا مسّه الخيرُ كان منوعاً).

وأما الفاني.. فلا يرجع[٢] إلى رقبة السويّ إلّا به تعالى أو بأمره جلّ شأنه كما مرّ في تعريف الفناء، ولذا قيل: الفاني لا يَردّ، وظهَر مما ذكرنا من أحوال زوالِ العلمِ الحصوليِّ من الفاني، وكيفيتِه بأنَّ المرادَ منه: زوالُ رقبةِ

[١] الشيخ محمد ذاكر أفندي القزاني الچِسْطَاوِيّ - هو المربي الكبير، والمسلّك الشهير، الأستاذ العارف بالله ذو القطبيّتين المرشد الجليل (١٨١٥-١٨٩٣م)، وصفه العارف الشيخ شعيب الباكني في كتابه «طبقات الخواجكان النقشبندية»: وهو أشهر خلفاء الخالدية في ديارنا، ومقتدى الكلّ؛ بحيث لم يبق ناحية من نواحي بلاد قَزَان إلا وقد انقاد له علماؤها العظماء، وفضلاؤها الكرماء، وهو - سلَّمه مولاه - عالم في جميع العلوم العقلية والنقلية، تفقَّه على المولى العالم أوحد أهل عصره في مصره الشيخ المغفور المرحوم عبد الله المَچْكَرَوِي رحمه الله تعالى، ثم اشتغل بالتدريس وإفادة العلوم في بلده سنين كثيرة، وانتفع به خلق كثير، ثم أخذ الطريقة الخالدية، وتلقَّن الذكر عن الشيخ محمود أفندي الداغستاني الألمالي قدس سره؛ عن الشيخ يونس الخالدي. وفيه أيضا: «ولقد قال أخونا الصالح سيف الله النزبكري: إنِّي رأيت مكتوباً كتبه الشيخ محمود أفندي بيده إلى الشيخ محمد ذاكر وكان في أثنائه مخاطبا به: سبقتَنا بدرجات» انتهى. «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٤٠٨).

[٢] أي: بسبب الولاية فلا يرجع إلى مملوكيته السّويّ إلا به تعالى... إلخ. (منه).

العلمِ[١] لا نفسُ العلمِ حتى يردَ عليه ما أورد باختلال الدينِ والدنيا بدون العلمِ وهو الظاهرُ، وأنَّ زوالَ رقبةِ العلمِ الحصُوليِّ[٢] لا يستلزم زوال رقبةِ العلمِ الحضوريِّ؛ كما يقتضيه حديث: «**يُبْصِرُ بِي وَيَسْمَعُ بِي**... » إلخ» انتهى ملخَّصاً على المرام مع زيادةٍ قليلةٍ.

فلنرجِع الآنَ إلى ما نحن فيه: اعلم: أنِّي سمعتُ عن مشايخ الطريقةِ العليّةِ: أنَّ الشيخَ لما أجلسَ مريدَه للتوجّه لا يطلق جميعَ قوّتِه الرحمانيّةِ وملكتَه الإرشاديةَ إليه، بل ينظُر إلى نسبة المريدِ، واستعدادِه وقوّتِه؛ لأنّه لو توجّه به توجهاً تامّاً.. لا يستطيع القعودَ موضعَ التوجّهِ أي: أمام الشيخ حيث يوقد ناراً في فؤاده، ويذوب روحاً؛ كما يذوب الملحُ في الماء الحارِّ، أو لا يكون قدرُ النسبةِ الحاصلةِ إليه من طرف الشيخ في زمانٍ يسيرٍ على وجه العُجالَةِ والسهولةِ عظيماً لديه، فيتركه الشيخُ في بحار الأذكارِ والأفكارِ أزماناً؛ ليسبح فيها وليحصل له التعبُ والمشقةُ في الطريق ويعلمَ قدرَ النسبةِ الحاصلةِ به؛ إذ ما من محصول بعد الطلبِ إلا هو أعزُّ من المُنْسَاق بلا تعبٍ أو لأنَّ هذه الطريقةَ العليّةَ سلوكُها وقطعُ عقباتِها إنّما هو بالذلّ والانكسارِ والخوفِ الشديدِ وبمحبة الشيخِ للمريد، فمتى مال إليه بقلبه.. نال مطلوبَه ووصل إلى مشاهدةِ ربِّه، وميلُ الشيخِ له غالباً لا يكون إلا بعد تزكيةِ النفسِ وتصفيتِها بكثرة الأورادِ والأذكارِ والاتّباعِ لسنن المصطفى.

وهذه طريقةُ الصحابةِ أي: فكذلك ساداتُ هذه الطريقةِ العليةِ لا يميلون

[١] أي: العلم الحصُوليّ لا نفس العلم الحصوليّ. (منه).

[٢] أي: عنه. (منه).

بقلوبهم لتابعيهم إلّا بعد الامتحانِ عنهم من سير الرسولِ وأصحابِه ومن أخلاقهم، هذا.

ثم تظهر للمريد الأنوارُ على حسب استعدادِه، فتلك تكون أوّلاً كالبرق واللوامعِ واللوائح، ثم كالسراج، ثم كالشَّمْع، ثم كالمَشْعَل، ثم كالكواكب، ثم كالهلال، ثم كالبدر، ثم كالشمس، ثم أنواراً مجرّدةً، ووصفُ ذلك يطول، ثم من بعدها التجلياتُ ويليها المكاشفاتُ، ثم الوصولُ إلى حقيقة المعرفةِ والذاتِ، كلُّها قد ظهرتْ لي كما ذكرتُ ببركة شيخي التّلالي قدّس سرّه، فللّه الحمد على ذلك.

ثم بعد ذلك أي: بعد هذا المذكورِ من المجاهدة والمراقبةِ، وبعد ظهورِ تلك الأنوارِ المذكورةِ تحصل له المشاهدةُ بتجلّي الجمالِ والجلالِ، رزقنا الله تعالى إياها، وهي مقامُ النفسِ المطمئنةِ، وفي هذا المقامِ يجلس المريدُ على سرير الإرشادِ ويُجيز له شيخُه إن كان ممّن وهبَه الله ذلك المقامَ في علمه الأزليِّ، وإلا.. فلا؛ كما مرّت الإشارةُ إليه في شرح بيت الناظم رحمه الله: (كَمْ وَرَّى مِنْ بَضَائِعِ الْعِلْم...) إلخ، فراجعه[١].

قال المحبوبُ الصمدانيّ المجدِّدُ للألف الثّاني قدّس سرّه: «إذا تيسّرتْ هذه النسبةُ بسرعةٍ وتحصّلتْ بالعجلة.. ربما لا يعدّها القاصرُ أمراً عزيزاً، فإن الطلب يُوجِب عزّةَ المطلوبِ وفخامتَه، فإنْ استعجل أحدٌ في حصولها.. فهو ليس بطالبٍ ولا يتأهّل للصحبة، فإنَّ طلّابَ الدنيا تراهم يتحمّلون المشاقَّ الشديدةَ من ترك الأوطانِ ومهاجرةِ الإخوانِ في مدةٍ مديدةٍ، بل أعمارٍ طويلةٍ،

[١] في (ص ٥٦).

فطالبُ الحقِّ جلّ ذكره أحرى بذلك وأجدرُ، فقد أفنى المتقدّمون في ذلك أعمارَهم، وتركوا أوطانَهم وديارَهم» انتهى[١].

وكتب صاحب «ترصيع الجواهر المكيَّة» ما فيه نصرة لهذا المقام عبارته: (واعلمْ: أنَّك إذا أتممتَ المقامَ الرّابعَ، واطمأنّت نفسُك طمأنينةً رحمانيّة، وما زلّت قدمك عن اتّباع الكتابِ والسنّةِ قدر شعرةٍ بل مازَجَ الشّرعُ والاتّباعُ لحمَك ودَمك.. جَذبتك يدُ الألطافِ جذبةَ الكمالِ، وهي غير الجذبةِ الأولى التي هي في أوّلِ السُّلوكِ، ونُودي على نفسك بلسان سرّ السرّ[٢]: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً﴾[٣] فيعتريك حينئذٍ النسيانُ فلا تُدرِك شيئاً من أُمورِ الدّنيا والآخرة إلاّ إذا كان حاضراً عندَك، ومَتى غاب عنك.. غِبتَ عنه، وذلك؛ لأنَّ قلبك حينئذٍ لا يفتر عن مشاهدة جمال الحقِّ وجلالِه) انتهت[٤].

[١] «البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية» (ص ٦٧).

[٢] قوله: (سرّ السر) قال في كتاب «السير والسلوك» لسيّدي قاسم الخاني الحلبي: (اعلم أنَّ هذا الجوهرَ المسمَّى بالنفس الناطقة والقلب واللطيفة الإنسانيّة وحقيقة الإنسان الذي هو المدركُ العالم المخاطبُ بالأوامر والنَّواهي له مركبٌ ظاهرٌ وهي النّفسُ الشهواتيّة، وله باطنٌ وهو الروحُ، ولباطنه باطنٌ وهو السرُّ، وللسرّ باطنٌ وهو سرُّ السرِّ، ولسرّ السرّ باطنٌ وهو الخفاء، وللخفاء باطنٌ وهو الأخفى، وباطنُ الشيءِ حقيقتُه ومادّتُه.

ولنوضِّح لك ذلك بضرب مثال وهو: أنَّ السريرَ مثلاً باطنُه قطعُ الخشبِ، وقطعُ الخشبِ باطنُها الشّجرُ، والشجر باطنه العناصرُ الأربعُ، فافهمْ هذا التحقيقَ فإنّك لا تراه في غيرِ هذا الكتاب، فهذا الأمر الواحدُ الذي اللطيفة الربانيَة القائمة بالقلب الصنوبريّ الشكل قيامَ البصر بالحدقةِ الذي امتاز به الإنسان عن سائر الحيوانات حال كونه في غايةِ اللّطافة، والخفاء يسمّى بالأخفى وحال تنزله درجة واحدة وتكاثفه يُسمّى بالخفاء، وحال تنزله درجة ثانية تكاثفاً أقوى من الأوّل يُسمّى سرَّ السرّ، ثمّ ينزل عن ذلك فيُسمّى بالروح، ثمّ ينزل عنها أيضاً فيسمّى بالقلب وبالنَّفس الناطقة إلى آخر ما تقدّم، فإن تنزّل درجة أخرى .. سُمّي بالنفس الأمّارة) انتهى بتصرف. «ترصيع الجواهر المكيّة في تزكية الأخلاق المرضيّة» من المنهوات (ص ١٢٤).

[٣] سورة الفجر، الآيتان: ٢٧-٢٨

[٤] «ترصيع الجواهر المكيّة في تزكية الأخلاق المرضيّة» (ص ١٢٤ -١٢٥).

فالمشاهدةُ هي رؤيةُ الحقِّ سبحانه وتعالى في كل ذرّةٍ من ذرّات الوجودِ مع التنزيه عمّا لا يليق بعظمتِه من الحلول ونحوِه، وإنَّما هي مشاهدةٌ ذوقيةٌ من قبيل: إذا شاهَدْتَ خطَّ إنسانٍ.. فاستحضرتَ بقلبك ذلك الكاتب.

ثم اعلم: قد كنتُ قبل هذا بيسيرٍ أنشأتُ أبياتاً تركيّةً في شرح هذا المقام، ثم لمّا وُفِّقْتُ لشرح هذه القصيدةِ المحموديةِ.. نقلتُها وضمّمتُها إليه، ثم كتبتُها في هذا الموضع؛ لينحلَّ بها وينكشفَ إشكالاتُه، وهي:

قِيَامَةْ عَارِفِينَه هَرْ زَمَانْ دَائِمْ دِمِشْ[١] أَللهْ
چُونْ أَنْلَرْ سَيْرِ رُوحْ إِيلَه مُسَافِرْ دُرْ دِمِشْ أَللهْ
بِلَاشَكْ أَنْلَرُونْ فِكْرِي خُدَادَنْ غَيْرِدَه أُولْمَزْ
خُدَا أَنْلَارَه هَرْآنْ مَنْ مُعِينَمْ يَسْ دِمِشْ أَللهْ
بِلُونْ أَنْلَرْ بُوكَوْ نَيْنْدَنْ يُمُوبْ كُوزْلَرْ عُبُورْ أَيْلَرْ
بُلُوبْ طُرْفَتْدَه قَابَ الْقَوْسِ أَوْ أَدْنَى دِمِشْ أَللهْ
خُدَاوَارْ بَكْزَمَزْ بِرْشَيْئَه دِيرْلَرْ يَا أُوعَالِيلَرْ
بَنِي إِدْرَاكْدَه[٢] عَجِزْ يِنْكِرْ هَمْ إِدْرَاكْ دُرْ دِمِشْ أَللهْ
تَبَحُّثْ إِتْمَيْنِ إِخْوَانْكِه سِرِّي ذَاتِ بَارِينُونْ
چُوبَحْثْ إِتْمَكْ أَنِيكْ سِرْدَنْدَخِي شِرْكْ دِمِشْ أَللهْ

[١] لما قيل: قيامةُ العارفِ دائمةٌ. (منه).

[٢] ولذا قيل: ودركُ العجزِ عن الإدراكِ إدراكٌ، والبحثُ عن سرّ ذاتِه إشراكٌ، وكذا قيل: لا يدرك كنهَه وغورَه حتى الأنبياءُ. (منه).

خُدَا عَاشِقْلَرِينَه كُورِ نُورْ أَشْيَاده أَسْمَالَرْ
هَمْ أَسْمَادَه مُسَمَّا مِزْ كُرُوبْ كِيچَرْ دِمِشْ أَللّٰهْ
أَيَا عُثْمَانْ نِيَازْ أَيْلَه خُدَايَه إِتْمَسُونْ سَنِي
كَنَارَه بُويْلَه بِرْ عَالِي هِمَمْلَرْدَنْ دِمِشْ[١] أَللّٰهْ.

وكذا كنتُ أقول في أوان شبابِي وابتداءِ أمرِي، وقبل أخذِي من هذا الطريق نسبةً إلهيّةً كيف الوصولُ إلى الله تعالى في نفَسٍ واحدٍ إذا سمعتُ من أفواه أهل القلوب أنّ الوليَّ يصل إلى الله في نفَسٍ واحدٍ؟

ثم لمّا أخذتُ نصيباً من نسبة إلهيّةٍ ومحبّةٍ ربّانيَّةٍ في هذا الطريق بواسطة مشايخِ الطريقةِ العليّةِ.. تحقّقتُ أنَّ قولَهم: «إنَّ الوليَّ يصل إلى الله تعالى في نفَسٍ».. حَقٌّ حقيقٌ؛ لما قالوا: إنَّ الوصولَ إليه جلّ سلطانُه ليس بالهبُوط والصعُودِ، بل بكون العبد في أوّل التوجّهِ إليه تعالى فانياً عمّا سوى الحقِّ وممحوّاً ومُستغرِقاً في بحر الوَحْدةِ؛ كما قال الشاعر رحمه الله تعالى:

لَيْسَ قُرْبٌ بِالْهُبُوطِ وَالصُّعُودِ ❊ إِنَّمَا الْقُرْبُ انْطِلَاقٌ عَنْ وُجُودِ

رزقنا الله تعالى ولكم هذا المقامَ، ومَتَّعَنا ومتّعكم به وبدوامِه إلى يوم القيامِ وبعد القيام، آمين، اللهم آمين.

تتمة: اعلم: أنَّ أوّلَ السيْرِ علمٌ، ثم عملٌ، ثم حالٌ، وهو الذوقُ ثم الشُّرْبُ، ثم السكرُ، ثم المقامُ، وهو الصحوُ، ويقال: الأحوالُ مواهبُ، والمقاماتُ مكاسبُ، وكسبُها هو تقدّمُ الأحوالِ عليها؛ كأنَّها نتائجُها.

[١] كما قيل: همّةُ الرجالِ تقلع الجبال. (منه).

وكون الأحوال مواهبَ، يعني: بعدَ التحرّكِ في جَلبها كخرق العوائدِ، وحضورِ حِلَقِ الذكرِ، والسماعِ مع تفرّغِ الباطنِ من العَلائق، وتكون الأحوالُ ظلمانيّةً أو نفسانيّةً أو شيطانيّةً.

والأحوالُ الربانيّةُ هي التي تنشأ عن ذكر الله تعالى من القلوبِ المنوَّرةِ، وعن سماعِ ما يحرّك إلى الحضرة، وعلى فَحْواه قيل:

وأوّلُ السَّيْرِ عِلْمُ الشَّرْعِ يَعْمَلُهُ * فَالْحَالُ فالشُّرْبُ ثُمَّ السُّكْرُ يَنْخُلُهُ

ثُمَّ الْمَقَامُ بِهِ الوُصُولُ يُكَمِّلُهُ * إِذَا ارْتَضَاكَ فَنُورٌ مِنْهُ يُرْسِلُهُ،

إِلَيْكَ تَشْهَدُ مِنْهُ بِالبَصِيرَاتِ

أي: يُقذِف الله تعالى ذلك النورَ من عنده إلى قلب المريدِ القابلِ.

ثم يشهَد ذلك المريدُ به ذاتَه تعالى في كلّ ذرّةٍ من ذرّاتِ الوجودِ كما مرّ غير مرة، ولهذا قالوا: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله تَعَالى**»[١]، كما قال الله في قرآنه المنزَّل على نبيّنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلّم ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ [٢]كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ

[١] هذا حديث رواه الترمذي في «سننه» (٣٣٩٢).

[٢] أي: صفته في قلب المؤمن. «جلال». (منه).

مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ[١] وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ[٢] وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ[٣] عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ[٤] مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[٥] الآية.

ثم إنَّ لله جلّ ذكرُه تجليّاتٍ ومظاهرُ لا نهايةَ لها، وترجع إلى قسمين: جمالٌ يُعطي الاتّساعَ والبسطَ والأُنسَ والمحبةَ، وجلالٌ يعطي القبضَ والهيبةَ والأدبَ والغيرةَ وجمالٌ في جلاله، وعكسُه يُوجبان الدَّهْشةَ، فكلُّ وارثٍ مِن أُمّته صلَى الله تعالى عليه وسلّم له نصيبٌ من هذيْنِ التجلّيَّيْنِ، وعلى معناه قيل:

يكَادُ يهْلكُ منْ خَوْفِ الجَلَالِ ضَوَى * وَتَارَةً بِجَمَالِ البَسْطِ يَرْجُو دَوا

هُمَا محَلَانِ لِلْعَبْدِ[٦] الجَلِيلِ رَوَى * مَجْلَى الجمالِ اتّساعَ البَسْطِ يُعْطِ سِوى

مَـجْلَـى الـجَلَالِ غَـيُـورُ ذَاتِ غَـارَاتِ

واعلم: أنَّ معنى الأُنسِ: ارتياحُ القلبِ بمشاهدة المحبّةِ، ثم اعلم: أنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى لا يتجلَّى لأرباب السلوكِ تجلّيا متساوياً في الرتبة، بل تختلفُ رُتَبُ التجلياتِ باختلاف استعداداتهم مِن حيث القوةُ، والضعفُ في الصَّفوةِ

[١] بل بينهما فلا يتمكّن منها حَرّ ولا برد مضرّين. «جلال». (منه).

[٢] لصفائه. «جلال». (منه).

[٣] ونور الله أي: هداه للمؤمن نور على نور الإيمان. «جلال». (منه).

[٤] أي: دين الإسلام. «جلال». (منه).

[٥] سورة النور، الآية: ٥٥ .

[٦] وكذا عبد الجميل. تدبّر. (منه).

والزكاءِ، ومن حيث التقرّبُ والتبعّدُ من الحضرة الإلهيّةِ، لأنَّ مراتبَ الكشفِ إنّما تزيد وتنقص في التجليّاتِ الإلهيّة بقدَر أنوارِ بَصائرِ القلوبِ، وقدرُ أنوارِ بصائرِ القلوبِ إنّما يتفاوَت بقدرِ القربِ والبُعْد من الحضرة الإلهيّةِ؛ كما أنَّ مراتبَ رؤيةِ الأبصارِ تتفاوت بقدرِ أنوارِ حاسّةِ الأبصارِ، وتفاوتُ أنوارِ حاسّةِ الأبصارِ هو باختلاف استعدادِ القوّةِ الباصرةِ في اعتدال المِزاجِ العُنْصُرِي، وباختلاف القربِ والبعدِ من المبصرات؛ لأنَّ نورَ الباصرةِ إنَّما يكون إذا كان مزاجُ الرائي أعْدَلَ وكان قربُه من المبصر أكثرَ، فحينئذ تكونُ رؤيتُه أزيَدَ وأكملَ، وكذلك الحالُ في شهود البصائرِ بأنوار التجلياتِ الإلهيّةِ؛ لأنَّ نورَ البصيرة إنّما يكون أزْيدَ إنْ كان الاستعدادُ أقوى وكان قربُ البصيرةِ منه تعالى أكثرَ، فحينئذ تكون البصيرةُ أكثرَ شهُوداً وأكملَ كشفاً.

ثم اعلم: أنَّ أشرفَ الأنوارِ وأعلاها نورُ الحقِّ سبحانه وتعالى، ثم نورُ الروحِ، ثم نورُ القلبِ، فإنْ ارتقى السالكُ من مرتبة القلبِ إلى مرتبة الروحِ.. صار نورُ بصيرتِه أشرفَ وأعلى من مرتبة نورِ القلبِ.

فعُلم من هذا: أنَّه كلّما قرُب السالكُ إلى الحضرة الإلهية.. كانَ نورُ بصيرتِه أشرفَ وألطفَ حتى صار له نورٌ قريبُ التشابُه بنوره تعالى، فلذلك التبس الأمرُ لبعض مَن وصل إلى تلك المرتبةِ، فتكلّم بكلامٍ دالٍّ على الله فَتعالى اللهُ عنه علوّاً كبيراً، لكنّ الكلامَ يُعفى عنه، وإذا تاب واستغفر واعتذر.. كان عذرُه مقبولاً، ولا يظنّ السالكُ أنَّه إذا وصَل إلى تلك المرتبةِ.. يحصل له الاتّحادُ مع الحقِّ سبحانه؛ لأنَّ اتّحادَ الخالقِ مع المخلوقِ محالٌ ذاتيٌّ من كلّ الوجوه؛ لأنَّ الاتّحادَ مَعْناه: أن يصير الشيءُ بعينه شيئاً آخر، فهذا الاتّحاد إمّا في

الجسمانيّاتِ، بأن يكون بالاتّصال والامتزاج والتركيبِ وبطلانُه ظاهرٌ في حقِّه تعالى، وإمّا في المُجَرَّدات وبطلانُه ظاهرٌ أيضاً؛ لأنّ الشيئين إذا اتّحدا، فإنْ بقي أحدُهما مع بقاء الآخرِ.. فيتعدّدان؛ فلا اتّحاد بينهما، فإنْ بطل أحدُهما وبقي الآخرُ.. فلا اتّحادَ أيضاً، وإنْ بطَلَا معاً.. فلا وجُودَ لهما فضلاً عن الاتّحاد؛ فثبت بطلانُ الاتّحادِ بين الخالقِ والمخلوقِ.

وأمّا الاتّحادُ الذي يدلّ عليه كلامُ بعض الواصلينَ إلى نور الأحديّةِ الذاتيةِ في بعض السَّكَراتِ.. فلِعَلاقة القربيّةِ ونسبة الأحديّةِ التي تحت تلك العلاقةِ عند الالتفاتِ إلى ذاته لاستعلاء نورِ الأحديّةِ عليه، فينطلق لسانُه حينئذ بكلام حُكمِ الأحديّةِ، وذلك الكلامُ ليس في الحقيقة منه، بل هو كلام الحقِّ تعالى يتكلّم بلسان عبدِه؛ لكمال قربيّتِه إليه تعالى، كما تكلّم بالشجرةِ لموسى عليه السلام: إنِّي أنا ربّك.

شعر:

وَلْتَفْنَ حَتَّى عَنْ فَنَائِكَ إِنَّهُ * عَيْنُ الوِصَالِ فَعِنْدَ ذَاكَ تَرَاهُ
فَإِذَا فَنَيْتَ بِهِ فَلَسْتَ بِذَاتِهِ * كُلَّا وَلَا أَيْضاً تَكُونُ سِوَاهُ
شَيْئَانِ مَا اتَّحَدَا وَلَكِنْ هَهُنَا * سِرٌّ يَضِيقُ نِطَاقُنَا عَمَّاهُ

ثم اعلم: أنَّ ألذَّ العلومِ العلمُ بالله تعالى وصفاتِه، والرؤيةُ له سبحانه ألذُّ منه؛ لازْديادِ الكشفِ في معرفة ذاتِه وصفاتِه فيها أي: في الرؤية حال تجلّياتِه فاللّذّة باعتبار هذا المعلومِ وازدياد الكشف المفهومِ لما قيل: شرفُ العلمِ بشرف معلوماتِه.

ثم لمّا كان من أجلّ آياته على ولايته وكمالِ قوّتِه وسلطنتِه خلفاؤُه الباقيةُ عنه في قرى متفرقةٍ والمريدون القابلون المنتفعون عنهم وانتشارُهم في كلّ ديار.. قال الناظم رحمه الله تعالى إشارةً إليهم:

١٣. وَبُدُورٌ بَدَوْا سَنًا نَائِبِيهِ * وَالَّذِينَ اقْتَفَوْا بِهِمْ فِي ارْتِيَاحِ

١٤. هَؤُلَاءِ الأُولَى أَتَوْا بِطِبَاعٍ * فِيهِ بَاتَتْ هُدَى جَنَاحَ النَّجَاحِ

قوله: **(وبُدُورٌ)** مرادُ الناظمِ رحمه الله تعالى منه: خُلفاءُ الممدوحِ والمأذونون منه قدّس سرّه.

قوله: **(سَنا)** أي: ضوؤه. قوله: **(نَائِبِيهِ)**[١] حالٌ من فاعل **(بدوا)**، وضميرُه راجعٌ للوليّ الممدوحِ أي: حال كونهم خلفاءَه وقائميه في مقامه[٢].

قوله: **(بِطِبَاعٍ)** جمعُ طبيعةٍ. قوله: **(فِيهِ)** ضميرُه المجرور فيه راجعٌ للوليّ متعلّق لـ**(بَاتَتْ)** قُدِّم عنه؛ للوزن والتخصيصِ.

قوله: **(هُدَى)** خبرٌ لـ«بَاتَتْ»، وتنوينُه محذوفٌ للوزن. قوله: **(جَنَاحَ النَّجَاحِ)** مضافٌ ومضافٌ إليه، خبرٌ بعد خبر لـ**(بَاتَتْ)** وجدتُه كذلك بضبطِ الناظمِ رحمه الله تعالى، فـ«بَاتَ» مع اسمِه وخبرِه صفةٌ لـ**(طباع)** كما لا يخفى، وفي قوله: **(جَنَاحَ النَّجَاحِ)** التجنيسُ مع قلبِ بعضٍ.

ومعنى البيتيْنِ: ومِن أجلِّ آياته الدالّةِ على ولايته أيْضاً: انتشارُ خلفائِه الباقية عنه في النواحي والأقطارِ الذين هم؛ كالبُدور في الإضاءة على الآفاق

---

[١] أي: كوحده وجهده، فراجع «الجامي». (منه).

[٢] في نسخة: وقائمين في مقامه. (منه).

موصلين وصاياه إلى محبِّيه، وهاديهم إلى سبيل الرّشادِ، وانتشارُ المريدين عنهم أيضاً.

[خلفاء الشيخ محمود أفندي في ديارنا]

ولا يَذهب عليكم أنَّ هؤلاء الخلفاءَ كلَّهم قد كانوا على هُدى من ربّهم في ظاهر الشريعةِ، واتّصَفوا ببعض طباعِه وأخلاقِه مثل الجودِ والعلمِ وغيرهما التي صارت فيه سببَ الهُدى والنُّجْحِ والنيلِ إلى المقصدِ الأقصى، وهم ثمانيةٌ في ديارنا هذه، وأما في باقي النواحي.. فلا نعلَم عددَهم.

[الشيخ أحمد أفندي التَّلَالِيّ]

الأول منهم: مولانا قطب العارفين، ومُسند السالكين، مجدّد المائة الرابعة، أستاذنا الشيخ حاجي أحمد أفندي الچَارِيّ التَّلَالِيّ قدّس سرّه، وما وصَل إلينا مُعَنْعَناً أنَّه أقدمُهم مرتبةً[١]، وأفضلُهم درجةً، وأوسعُهم يداً، كما أشار إليهم بذلك أستاذُهم ذو الشأنِ محمود أفندي قدّس سرّه، وعاشَ هذا أستاذُنا قدّس سرّه بعد إجازتِه نحو ستّ وثلاثين سنة، وكمُل منه رجالٌ كثيرٌ، أذكرُ منهم مَن أعرِفُهم وأعرفُ أسماءَهم إن شاء الله تعالى عن قريبٍ.

ومات في سنة ألف وثلاثمائة، وإحدى وعشرين، ودُفن في قريته تَلَهْ[٢]، في موضِعٍ معلومٍ، وعلى قبره ما يليقُ لذاته من الجلالة، يُزار ويتبرّك، وجميعُ

[١] يأتي ما فيه تأييد لهذا، فراجعه. (منه).

[٢] «تَلَه» (Yukhary-Tala): قرية كبيرة في منطقة زَكَا تَلَه بأذربيجان حالياً، أهل تَلَه.. أكثرُهم يتكلَّمون بلسانِ أَوَار، والآخرُ بلسان زَاخُورْ.

سِنِّه تخميناً ثلاث وستّون سنة، ومناقبُه كثيرةٌ معلومةٌ لدى أولي الفضلِ وأهل العصرِ، أذكرُ نبذةً منها في آخر هذه الرسالة إن شاء الله تعالى[١].

[الشيخ جَبْرائيل أفندي الـزّاخُورِيّ]

والثاني منهم: مولانا الشيخ الحاج جَبْرائيل أفندي الـزّاخُورِيّ ثم اللَّكِيتِيّ قدّس سرّه، مات رحمه الله تعالى في سنة ألف وثلاثمائة وسبعٍ، ودُفن في مَسْكَنه لَكِيتْ في موضعٍ مشهورٍ، وعلى قبره قبّةٌ محدوديّةٌ يُزار عليه ويتبرّك منه.

[الشيخ حمزة أفندي الـزّاخوريّ]

والثالث منهم: مولانا حاج حمزة أفندي الـزّاخُورِيّ الإِيلِيسُويّ قدّس سرّه، مات رحمه الله تعالى في سنة ألفٍ وثلاثمائة وثمانٍ، ودُفِن في مقرّه إيلِيسُو في المقبرة الكائنة فوق بيشْ بُولَاق، وعليه قبّةٌ يُزار ويتبرّك، ولهما مناقبُ كثيرةٌ، أذكرُ منها نبذةً يسيرةً في آخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى[٢].

[الشيخ حضرة أفندي الـزّاخوريّ]

والرابع منهم: والدنا الشيخ حضرة أفندي الـزّاخُورِيّ قدّس سرّه، مات رحمه الله تعالى في سنة ألفٍ ومائتيْن وأربعٍ وثمانين، ودُفن في قريته في مكانٍ معروفٍ، وعليه قبّةٌ محدوديّةٌ يُزار ويتبرّك، ولم يعش قدّس سرّه بعد إذنِه

---

[١] في (ص ٣٨٣).

[٢] في (ص ٣٢٨).

إلاّ يسيراً، ومع ذلك بقي منه آثارٌ كثيرةٌ أذكرُها إن شاء الله تعالى في آخر هذه الرسالة[١]، وهو أوّل مَن اختار الآخرةَ من خلفائه[٢].

[الشيخ الحاج إسماعيل أفندي السِّوَاكْلِيّ]

والخامس منهم: مولانا الحاج إسماعيل أفندي السِّوَاكْلِيّ[٣] قدّس سرّه العزيز، مات رحمه الله في سنة ألفٍ وثلاثمائةٍ واثنتين، في شهر رَجَب المرجَّب، في الخامس والعشرين منه، ودُفن في قريته سِوَاكْلِ أعلاها، وله أيضاً مناقبُ مذكورةٌ في آخر هذا الكتاب، فراجعه[٤].

[الشيخ الحاج محمد أفندي الأَوَارِيّ الرُّوچِيّ]

والسادس منهم: مولانا الشيخ الحاج محمد أفندي الأَوَارِيّ الرُّوچِيّ قدّس سرّه، مات رحمه الله تعالى في سنة ألفٍ وثلاثمائة وثلاث تخميناً، ودُفن في قرية شُودِوَارْ[٥] في محلّة الجامع.

[الشيخ الحاج بَابَه أفندي الـچَارِيّ]

والسابع منهم: مولانا الحاج بَابَه أفندي الـچَارِيّ القَاخِيّ، مات رحمه الله تعالى في سنة ألفٍ وثلاثمائة وأربع، ودفن في قريته يزار ويتبرّك.

---

[١] في (ص ٣٢٧).

[٢] أي: من الخلفاء الذين كانوا في ديارنا هذه. (منه).

[٣] «سِوَاكْل» (Suvagil): قرية كبيرة في ناحية زَكَا تَلَهْ في أذربيجان، وتقع على المنحدرات الجنوبية لجبال القوقاز، في وَادي أَلَازَنِ، على بعد ٢٢ كيلومتراً جنوب شرق مدينة زَكَا تَلَهْ.

[٤] في (ص ٣٤٢).

[٥] أي: المشهور بشُتَوَارْ. (منه).
«شُودِوَارْ» (Shotavar): قرية في ناحية قَاخْ (Qax) في جمهورية أذربيجان.

[الشيخ نور الله أفندي اللَّيْسِغِيّ]

والثامن منهم: مولانا الشيخ نور الله أفندي اللَّيْسِغِيّ قدّس سرّه، مات رحمه الله تعالى في سنة ألفٍ وثلاثمائة وخمس عشرة، ودُفن في قريته قريبَ داره، وعليه قبّةٌ يزارُ ويتبرّك.

ولم يبقَ من هؤلاء الثمانية خلفاءُ إلاّ مِن حاج جبرائيل أفندي خليفةٌ، وهو حاج عبد الرحمن أفندي العَسَويّ[١]، ومن حاج حمزة أفندي خليفةٌ أيضاً وهو حاج مَمَايْ أفندي الإِيلِيسُوِيّ[٢]، وهذا قد أخذ من يد شيخنا بعد انتقالِ شيخِه، وكمُل منه أيضاً، وأذن عليه إذناً عامّاً لتربية السالكين.

[خلفاء شيخنا أحمد أفندي قدس سره]

وأما خُلفاء شيخنا المرحوم الشيخ حاج أحمد أفندي قدّس سرّه.. فهؤلاء المذكورون بعد مولانا الحاج شرين أفندي الكُلُّوكيّ قدّس سرّه، وهو أقربُ شيخنا روحاً إذ كان يحمله معه في المجالس ويعظّمه.

[١] حاج عبد الرحمن العسويّ العالم الواصل، القطب الحقيقي ولد سنة (١٢٥٠هـ) في قرية عَسَبْ من ولاية هِيدْ من نواحي الشيخ شاميل أفندي، كان قائماً بإذن شيخه جبرائيل أفندي الـزاخوري على تربية المريدين، قد خدم الشيخ الكامل جبرائيل أفندي في سنين عديدة، وأتمَّ السلوك عنده في مدة مديدة، فأجاز له شيخه المذكور بالإجازة المطلقة، واجتهد بعد ذلك في إرشاد الخلق إلى طريق الحقّ، ومات الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي في بلدة جدّة في سنة (١٣٢٤هـ) حين ذهب إلى الحج ودُفن هناك في قريب إلى قبر أمِّنا حوّاء عليها السلام. «سراج السعادات في سير السادات» (ص ١٧٢)، و«طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٤١).

[٢] مَمَايْ أفندي الإيليسُويّ العالم النحرير، المرشد الكامل، فإنّه قد كان أوّلًا في تربية مولانا وسيدنا الحاجِّ حمزة أفندي الـزاخوريّ ثم الإيليسويّ، ولازم على خدمته نحو اثنتي عشرة سنة، وأجازه وأقامه على مقامه، ثم لمَّا ارتحل من الدنيا إلى العُقبى، وأراد الكمالة فوق الكمالة، خدم ثانياً للشيخ أحمد التلالي، ولازم على تربيته، وأجازه الشيخ أحمد التلالي أيضاً وجعله من خلفائه. «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص٥٨٣).

١. ومولانا حاج عبد الرحمن أفندي الغُمُوقي قدّس سرّه.

٢. ومولانا عمر أفندي الكُوريّ[١].

٣.ومولانا حاج مُصْطَفى دِبِر الغُدُبرِيّ[٢].

٤. ومولانا حاج شُعَيْب أفندي الباكنيّ[٣].

٥. ومولانا حاج عبد السلام أفندي الخَچْمَازِيّ[٤].

٦. ومولانا حاج مُصْطفى أفندي المُلاخِيّ[٥].

٧. ومولانا حاج بَكر أفندي المِشْلِشِيّ[٦].

٨. ومولانا عَبْد الرحمن دِبِر الأُنْهَدِيّ[٧].

٩. ومولانا عبد الوَهّاب أفندي الـزّاخوريّ.

١٠. ومولانا حاج مَمَايْ أفندي الإيليسُوِيّ.

[١] «كُورَاه» (Kyura): مِنْطَقَةٌ فِي جَنُوبِ دَاغِسْتَان، بَيْنَ نَهْرِ سَامُور جَنُوباً، وَطَبَسَرَان شِمَالًا، أَهَالِيهَا يَتكَلَّمُونَ بِلِسان لِزْكِي.

[٢] «غُدُبِرِ» (Godoberi): قرية في منطقة بُوتْلِيخْ في داغستان، تقع على بعد ٩ كم جنوب غرب قرية بُوتْلِيخْ.

[٣] «بَاكِنُبْ» (Bakinub): قرية في منطقة چَرَدَهْ في داغستان، وتقع بالقرب من نهر رِسُورْ على بعد ٣١ كم جنوب غرب قرية زُورِبْ.

[٤] «خَچْمَازْ» (Khachmaz): قرية في منطقة أُوغُوزْ بجمهورية أذربيجان. تقع على بعد ٤٠ كم جنوب شرق مدينة أُوغُوزْ على نهر كَالَاتْشَايْ عند سفح جبل زُوكَالِدَاغْ.

[٥] «مُلاَخِي» (Mulakhi): ناحية تقع على ضفة النهر مُلاَخُورَ على بعد ١٠ كم من ناحية مِسْتِيِيَ في جمهورية جورجيا.

[٦] «مِشْلِشْ» (Mishlesh): قرية في منطقة رُوتُولْ في داغستان، وتقع على الضفة اليمنى لنهر سَامُورْ.

[٧] «أُنْهَدَهْ»(Unkhada): قرية صغيرة في منطقة تْلَرَتَهْ في داغستان.

١١. ومولانا جُنَيْد أفندي القُوبَلِيّ[١].

١٢. ومولانا تِمِرْخَان أفندي القَرچَاويّ[٢].

١٣. ومولانا حاج موسى دِبِر القَرَنيّ[٣].

١٤. ومولانا حاج كُلْ محمد أفندي المصوليّ موطناً، والعثمانيّ مسكناً.

١٥. ومولانا حسن دِبِر التَّاشِيّ[٤].

١٦. ومولانا ابن حجر العَكَّقِيّ[٥].

١٧. ومولانا أُونْدَال حاج الهِدَلِيّ[٦].

١٨. ومولانا شاميل أفندي البَاتُونيّ.

١٩. ومولانا موسى أفندي الكُوَيْنِيكِيّ؛

٢٠. والكاتبُ الفقير الزاخوريّ ثمّ اللّكيتيّ.

[١] «قُوبَا» (Quba): مدينة في جمهورية أذربيجان، على بعد ١٦٨ كم شمال غرب بَاكُو، المركز الإداري لمنطقة قُوبَا، تقع على المنحدرات الشمالية الشرقية لجبل شَاهْدَاغْ، على ارتفاع ٦٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، على الضفة اليمنى لنهر كُدِئَلْ چَيْ.

[٢] «قَرچَايْ» (Karachay): هي المنطقة التاريخية لتكوين وإقامة لشعب قَرَچَاوِيينَ في جبال الجزء الشمالي من منطقة القوقاز الكبرى، والتي تعد الآن جزءًا من جمهورية قَرَچَايْ-چِرْكِيسْ. أكثر من يسكنها هم الْقَرَچَاوِيُونَ.

[٣] «قَرَنُبْ» (Karanub): قرية في منطقة چَرَدَهْ في داغستان، وتقع على بعد ١٨ كم جنوب غرب قرية ڤُورِبْ على ارتفاع ٢٠٠٠ م عن سطح البحر.

[٤] «تَاشَلْ» (Tashal): شعب يسكن في وسط جبال داغستان الآن في شمال منطقة تْلَرَتَهْ في داغستان.

[٥] «عَكَّقْ» (Akhvakh): منطقة في داغستان، تقع في جنوب غرب داغستان، في الجزء الغربي في جبال داغستان.

[٦] «هِدَلْ» (Hydatl) منطقة في ناحية جباليّة من داغستان، هذه المنطقة تسمى حاليّا بـ«منطقة شَامِيل».

قدّس الله أرواحهم، وأعاد علينا وعليهم من نفائس أنفاسِ من فوقهم، ومن تحتهم، آمين اللهمّ آمين.

ثم تركْتُ هنا ذكرَ بعضِ مناقبِ خلفاءِ حضرةِ مولانا محمود أفندي ومناقبِ خلفاءِ شيخي التّلاليّ قدّس الله أسرارهما وأسرارهم العليّة، وأعاد علينا من بركات أنفاسهما وأنفاسهم البهيَّة – آمين – لذكرِها في آخر الرسالةِ عند مناقبِ القُطبيْنِ، وخلف كراماتِ البدريْنِ محمود الفعال أفندي، والحاج بالحرميْنِ المحترميْنِ، والزائر تربةَ سيّد الكونين الشيخ حاج أحمد أفندي قدّس الله أسرارهما نقلاً ممّا ذكر في «طبقات» أخينا الكبير شُعَيْب أفندي الأواريّ الباكنيّ مع ما أضمُّ إليه من الأخبار العجيبةِ، والآثارِ الغريبةِ، والكراماتِ السنيّةِ، فراجعها إن شئتَ البيان، أعادك الله تعالى ولنا من فيُوضهم العَنْبريّةِ بحرمةِ خيرِ البريّةِ.

وأيضاً: لمّا كان من آياته الدالَّةِ على حقيَّة ولايتِه كونُه ذا يدٍ واسعةٍ في الرزقِ؛ بحيث يجيء له من أقطار الأرضِ ومن موضع لا يَخْطُر بباله، وذلك لإدباره عن الدنيا وما فيها، وإقباله إلى المولى؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1]؛ إذ لله خزائنُ السمواتِ والأرضِ، ولما ورد: «أنَّ الدنيا كَظلِّ الإنسانِ».. قال الناظم رحمه الله تعالى مصرِّحاً بذلك:

١٥. ذُو اتِّسَاعٍ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبْ رِزْ * قاً خَلا مِنْ كَدٍّ وَتَعْبِ اجْتِرَاحٍ

[١] سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

قوله: **(وَتَعْبِ... إلخ)** معطوفٌ لـ«كَدٍّ» عطف تفسيرٍ، يقال: حُذف تنوينُه للوزن، وأُضيف إلى ما حُذف عنه واو عطفه للوزن من «اجْتراحٍ» بمعنى: الاكتساب، فأصله: وَتَعِبٍ وَاجْتِراحٍ، أو يقال: إنَّه على أصْله أي: لا حذفَ ولا كسرَ غير أنّه مُضافٌ ومُضَافٌ إليه مع تقديمٍ وتأخيرٍ؛ للوزن وللمحافظة على الحرف الرويّ؛ كما لا يخفى؛ فأصلُ الكلامِ هكذا أي: خلا من كدٍّ وَاجْتراحِ تعبٍ بناءً على أنَّ الاجتراحَ بمعنى: الاحتمالِ، فراجعه.

والقول الثاني: أوْلى؛ لخلوّه عن الحذف وإن كان فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ للوزن، فتأمَّل.

وهذا البيتُ مُقتبسٌ من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ الآية[١]، ومأخوذٌ من قوله جلّ ذكره: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[٢].

فمعنى البيت: أنّ ذلك الوليَّ كان ذا اتّساعٍ في الرزق أي: كان له سَعَةٌ من عند ربّه في الرزق؛ بحيث يحصل له بلا تعبٍ ولا مِحنةٍ[٣] بالهَدَايا وغيرِها من كلّ فجٍّ عميقٍ، وكان يقرِي الضيوفَ والفقراءَ والمساكِينَ، ولا يدّخِرُ.

وفي هذا المطلبِ يَنْطق البَيْتُ الذي يَلي لهذا، فراجعه مع شرحه.

ثم لما كان من أجلّ آياتِه المُخبرةِ بكمال ولايتِه وجلالِ قدرِه توارُدُ التحفِ والهدايا إليه من القرى والبُلدان بأيدي الزائرينَ تعظيماً له وتوقيراً به؛ لارتفاع عظمتِه، ولكونه وَزيرَ الله في أرضه، بل ولأنَّ ما أتوا به

---

[١] سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

[٢] سورة الطلاق، الآية: ٣.

[٣] لما فيه من التوكّل التامّ. (منه).

كان أمانةً عندهم إلى وقتها لا بدّ من تسليمها إلى صاحبها.. قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٦. تُحَفٌ قَدْ تَـوَارَدَتْ نَجْدَ مَجْدٍ * وَأُحِيطَتْ بِهَا سِجَالُ السَّمَاحِ

قوله: (تُحَفٌ) جمعُ تحفةٍ. قوله: (قَدْ تَوَارَدَتْ) أي: جاءتْ من كلّ فجٍّ عميقٍ مترادفة متعاقبة.

قوله: (نَجْدَ مَجْدٍ) من قبيل إضافةِ الصفةِ إلى الموصوف مفعولٌ لـ(تَوَارَدَتْ) أي: إلى عَظَمَتِه الرفيعةِ.

قوله: (بِهَا سِجَالُ السَّمَاحِ) الضميرُ في (بِهَا) راجعٌ إلى (التُحف)، و(سِجَالُ) جمعُ سَجْلٍ بالفتح نائبُ الفاعلِ لـ(أُحِيطَتْ) ومُضاف لـ(السَّمَاحِ) ويأتي جمعُه على أسْجالٍ أيضاً، والسماحُ والسُّمْحُ: الجُودُ يُقال: سمح به يسمح بالفتح فيهما سَماحاً وسماحةً أي: جاد وسمح له أي: أعطاه، مضافٌ إليه لـ«سِجَالٍ».

فمعنى البيت: من علامات حقيّةِ ولايتِه التّحفُ والهدايا الواردةُ إلى عَظَمَته الرفيعةِ المحيطةِ بها سجالُ سماحِه؛ بحيث يَصرفها ولا يَدّخر، بل يُحسِن معها من ماله بالضيافة وغيرها إلى الخلق مع توقيرهم وإقرائهم.

فائدة عجيبةٌ سمعتُها من أفواه ثقاتٍ: أنَّه كان يصل إليه من أيدي الزائرين المخلصين مقدارَ مائةِ مناتٍ في يوم واحدٍ، ثم يضعه تحت بساطِه الذي بَسطَه لجلوسِه عليه، ثم كان يأخذ منه ويصرفه إلى الفقراء الذين قدمُوا على باب دارِه بعادتهم التي اعتادوها لما علموا فيه مِن الجُود والسخاء.

ثم لمّا لم يبقَ للعَشاء منه وممّا معه أي: من نقوده شيءٌ ما يُصرفه إليه.. كان يُرسِل رسولاً إلى سُوقيّ ليشتري منه كفايةَ أهلِه في سُفْرَة العَشاءِ بطريقِ القَرْضِ إلى غدٍ، رفعَ الله درجتَه، وأفاضَ علينا من فيوضاته العَنْبَريّة.

وكذا لمّا كان من آياته الناطقةِ بل أكبرها برفعَة درجتِه وحقيّةِ ولايتِه.. كسبُ الحالِ والكمالِ حين كونِه محبوساً بين يدي أولئك الكفرةِ الفجَرةِ، ومطروداً عن أهله وعيالِه.. قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٧. وَكَفَاهُ اسْتِفَادَةُ الفَضْلِ سَبْياً * بِنَواحِي وَعَصْرِ كُفْرٍ سِفَاحِ

قوله: (سِفَاحٍ) معطوفٌ على (كُفْرٍ) بحذفِ[١] واوِ العطفِ؛ للوَزْن.

فمعنى البيت: ألا يَكفي للمنكرينَ كرامَةً عَلى تمام ولايتِه كسبُه هذه الحالَ واستفادتُه تلك المنزلةَ والدرجةَ حالَ الأسرِ بين يدي الكفّارِ، ووقتَ غلبةِ ميْلِ الناسِ إليهم يعني: إكمالَه واستفادتَه رتبةَ الولايةِ أسيراً بين يدي الكفرةِ في الزمان الذي عاد الإسلامُ غريباً، وكان الأنصار[٢] وَلّت الأدبارَ إليه، وتولّوا عنه بل أقبلُوا إلى الكفر ومالُوا إليه ميلاً؛ بحيث يوالُون بأهاليه ودنوا إليهم بالخدمةِ وغيرها، وهم يحْسَبُون أنّهم يصنعون صُنعاً جميلاً كَلَّا، بل لا يفقهُون كونَ كلِّها يُصليهم ناراً كيف يفقهُون ذلك؛ لأنَّهم يقولُون بزعمهم أنَّ من وَالَاهم هو المسلمُ المحترمُ العاقلُ، ومَن بَعُدَ عنهم سفيهٌ جاهلٌ؛

[١] أي: كما حُذِف التنوينُ على قول: من كفر لأجله وإضافة له. (منه).

[٢] أي: الناصرون أوّلا للإسلام. (منه).

كما صرّح[١] بذلك[٢] العلامة الشيخ يوسف بن إسماعيل النَّبَهَانيّ[٣] رئيسُ محكمة الحُقوقِ في بَيْروت حالاً، أطال الله بقاءَه في قصيدته «الرائية الكبرى» في مبحث نصيحةِ المسلمين وتحذيرِهم من الفتن العصريّة التي أعظمُها المدارسُ النصرانيةُ حيث قال:

وَمَنْ يَدَّعِي الإسْلَام وَهو مُثابِرٌ * عَلى الغيِّ لم يَبْرَح به الشهْرَ والدهرا

وَليسَ لهُ أعمال خيرٍ فؤادهُ * بِأنوارِها يبيضُّ مِنْ بَعْدِ مَا اغبرّا

فَلا صامَ لا صَلَّى ولا حَجَّ لا له * زَكاةٌ ولا أعْمالُ برٍّ بها برّاً

كَمَنْ قد تربّي في مَدارسَ شُيّدت * لتخريب دينِ الله عَاشَ بها عمراً

فَصارَ يُحبُّ الكافرينَ وشبههم * يَرى لذّة في قُربِهم ويَرى فخرا

مُناسَبةٌ قد ألّفت بين أهلها * تَجرُّ إلى الأشكالِ أشكالَهم جرّا

وَيكرهُ أهلَ الدينِ حَتّى قريبهُ * وَلا سيِّما مَنْ كان أشعَثَ مُغبّرا

انتهى كلامه ملخَّصاً على المرام[٤].

[١] أي: بعدم تفقّههم بما فعلوا. (منه).

[٢] أي: بمثله. (منه).

[٣] يوسف بن إسماعيل النبهانيّ العالم العلامة، وفقيه صوفي، ولد في قرية إجْزِمْ سنة (١٢٦٥هـ)، قرأ القرآن على والده الشيخ إسماعيل النبهانيّ، ثم أرسله إلى مصر لطلب العلم في الجامع الأزهر، وفي هذه المدة أخذ من العلوم الشرعية ووسائلها عن أساتذة وشيوخ الأزهر، أما مصنفاته.. فهي كثيرة جدّاً، وجلّها أو كلّها في الحديث ومتعلّقاته؛ كالسيرة النبوية والمديح، وعلم الأسانيد، وتراجم أعيان علماء الأمة، والصلاة على النبي، وتدوين المدائح التي مدحه بها أو مدحه بها غيره من الأقدمين والمتأخّرين، من سائر أهل المذاهب الأربعة وأكابر المحدثين، توفي في مدينة بيروت في أوائل شهر رمضان سنة (١٣٥٠هـ)، ودفن في مقبرة الباشورة، وقبره ظاهر يزار. «الأعلام» (٨/ ٢١٨)، و«حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» (ص ١٦١٢).

[٤] أورده عبد القادر بن محمد سليم الكيلاني الإسكندراني (ت ١٣٦٢هـ) في «مجلة الحقائق (الدمشقية)» في التقريظ لـ«لرائية الكبرى» للعلامة يوسف النبهاني (١٢/ ٢٨).

وهذه الآيةُ الدالّةُ على ولايته كبُرت فيه لما ذكر فيما سبق، ولكونها تُفْهِمُ ازديادَ رفعتِه ومَتانَتِه لو راح إلى الحجاز بتخلية سبيلِه ولبِث ثمّة بضع سنين لكونه منبعَ الإسلامِ.

وكذا لما كان من أكبر آياتِ ولايتِه أيضاً تبعيدُه الله تعالى عن وطنِه وإماتتُه في الغربة؛ لحيازة فضيلةِ الموتِ فيها.. قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٨. وَكَـذَا رَمْيُـهُ القَضَـاءُ مِـنَ المَـوْ * طِـنِ حَتَّـى أَتَـى المُنَى بِـطِـرَاحٍ

١٩. وَتَـمَـنِّــي إِيّـابَـهُ قَـدْ أُجِـيـبَـا * حِـيـنَ حَـانَ الـوَفَـاءُ مَـرْأَى صَـلَاحٍ

قوله: (مِنَ المَوْطِنِ) اسمُ مكانٍ أي: عن موضع توطّنِه، أي: عن وَطنه أَلْمَالِي متعلّق لـ(الرمْي).

قوله: (المُنَى... إلخ) الموتُ في طراحٍ، أي: في مكانٍ بعيدٍ، فالباء فيه بمعنى: في.

قوله: (قَدْ أُجِيبَا) ألفه للإشباع. قوله: (مَرْأَى صَلَاحٍ) المرأى مصدرٌ ميميٌّ مضافٌ إلى (صَلَاحٍ) مفعولٌ له لـ(حَانَ) أو لـ«أُجِيبَ» على سبيل التنازعِ أو لـ«حَانَ» مع بعض تعَلّق له لـ«أُجِيبَ» أي: حين حان أجلُه.. أجيب دعاءه لإراءته ما فيه صلاحُه عند الله في الآخرة.

فمعنى البيتين: من أكبر علاماتِ ولايتِه جريُ قلمِ قضاءِ الله تعالى بتبعيدِه عن الوطن والأحبابِ والأقاربِ إلى الأقطار الغريبةِ ثانياً بعد التخلّصِ من شبكة الكفرةِ وإطالةِ مكثِه فيها مع تجرّعِ الشدائدِ وتحمّلِ المحنِ حتى مات فيها

وهو يتمنّى [ويسأل الله][١] جلّ ذكرُه الرجوعَ إلى المنزل لما في صلة الأقارب، ووصلة الأحباب من مسرَّة القلوب غير مرضاة الربّ، وانكشاف الهموم والغموم بلا عَدٍّ ولا حساب؛ كما لا يخفى لأولي الألباب.

ولا يخفى عليك أنَّه قد أجيب متمنّاه من طرف الله تعالى لكن ذلك حين قرُب أجلُه، ولم يُمهل له، بل مات في الغربَة أي: لينال درجةَ الشهيدِ؛ إذ ورد: «مَن مات في الغربة .. فقد مات شهيداً»[٢]، ولأنَّ إنعامَ الوليِّ في الآخرة أي: شاء الله تعالى أن يُعْطيه تلك الدرجة فيها، ففي ذلك خيرٌ وصلاحٌ له في الآخرة أي: عند الله تعالى وهو ازديادُ الدرجةِ، وكونُه شهيداً؛ كما قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية[٣].

وكتب عليها جلال الدين المحلّي[٤]: «أي: في الدنيا؛ لأنّه شاء أن يُعْطيه إيّاها في الآخرة» انتهى[٥].

---

[١] وفي الأصل: (ويسأل عن الله جلّ).

[٢] رواه ابن ماجه في «سننه» عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَوْتُ غُرْبَةٍ شَهَادَةٌ» (١٦١٣).

[٣] سورة الفرقان، الآية: ١٠.

[٤] جلال الدين المحلي محمد بن أحمد، ولد بمصر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (٧٩١ هـ)، واشتغل وبرع في الفنون؛ فقهًا وكلامًا وأصولًا ونحوًا ومنطقًا وغيرها، وأخذ عن البدر محمود الأقصرائي والبرهان والبيجوري وغيرهم، وكان سمع الحديث من الشرف ابن الكويك وحدّث، وصنّف كتبًا كثيرة، ومنها كتاب في التفسير أتمه الجلال السيوطي، فسمى «تفسير الجلالين»، و«كنز الراغبين» في شرح «المنهاج» في فقه الشافعية، و«البدر الطالع في حلّ «جمع الجوامع»، و«شرح الورقات» في أصول الفقه وغيرها، توفي في أوّل يوم من سنة أربع وستين وثمانمائة (٨٦٤ هـ)، وصلّي عليه بمصلى باب النصر في مشهد حافل جدًّا، ثم دفن عند آبائه الكرام. «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (١/ ٤٤٣)، و«الأعلام» (٥/ ٣٣٣).

[٥] «تفسير الجلالين» (ص ٤٧١).

قوله: (لأنَّه شاء أن يعطيه إيّاها في الآخرة) تعليلٌ للتقييد بقوله: (أي: في الدنيا) أي: فالعطاءُ في الدنيا هو الذي يصحّ تعليقُه بـ«إن» الشرطية، وأمّا العطاءُ في الآخرة.. فهو مُحقّق، والظاهر: أنَّ المراد بمشيئة الإعطاء في الآخرة: تعلّقُ الإرادةِ القديمُ الأزَليُّ؛ لأنَّ تعلّقه الحادث إنّما يكون عند وجودِ الشيءِ مقارِنا لتعلّق القدرةِ به، تأمّل «فتوحات» من عينه.[١]

فالمفهومُ من هذه الآية ومن كلام المفسِّرين عليها: أنَّ الله تبارك وَتعالى لو شاء أن يعطيَ لحبيبه محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم من الجنّات والبساتين في الدنيا.. لأعْطاها فيها فوق ما اقترحوه عنه لا يُعجِزه شيء، ولكنّه سبحانه وتعالى لم يشأ الإعطاءَ إليه فيها، بل شاء أن يُعطيه إيّاها في الآخرة؛ لأنَّ أفضلَ إنعامِه تعالى لخواصّ عباده في الآخرة وذلك فضلٌ من الله يُؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفَضْل العَظيم.

فكذلك مشيئةُ إنعامِه تعالى لهذا الوليّ درجةَ الشهيدِ في الآخرة بقبض روحِه في الغربة قبل أن يصل إلى وطنه حيّاً فضلٌ من الله كَيْ يزيدَ له درجاتِ الآخرةِ ولا ينقصَ عنها فيها شيء مّا.

تلخيصُه: أي: لمَّا رماه القضاءُ عن الوطن إلى ديارٍ بعيدةٍ، وتمنّى الإيّابَ إليه أَذِن له بالرجوع إلى وطنه إشعاراً لإجابة دعائِه وسؤالِه، ولكن لم يُمِهل له بل مات في الغربة لخير له في العُقبى؛ لأنَّ الله يحسن مَن يحبّه فيها[٢]، وما عند الله خيرٌ للأبرار.

---

[١] «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» (٥/ ٣٣٠).

[٢] راجع إلى «العقبى».

وهذا الرميُ ليس إلاّ محنةً من محَن الدنيا وهي في حقّ أمثالِه رَحمةٌ، بل ومسرّةٌ غير مُنصَرمةٍ عند الله تعالى، وفي تحمّلِها رفعةُ درجاتِهم[١] كما يأتي في النظمِ عند قوله:

كُـلُّ ضُـرٍّ أَتَـى بِـهِ عَـادَ نَـفْـعـاً * إِذْ يُـقَـوِّي دَلِـيـلَ دَعْـوَى الـصُّبَاحِ

فراجعه مع شرحه[٢].

فلذلك ابْتُلِي السّلفُ والخلفُ[٣] كلٌّ بكلٍّ، وسيأتي في النظم ما يُفسِّر ما في هذيْنِ البيتيْنِ، فراجعه.

قال الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلانيّ رضي الله عنه وَأرضاه في كتابه «فتوح الغيب»: (إنَّما يَبْتلي الله طائفةً من المؤمنين الأحبابِ من أهل الولايةِ؛ ليَردّهم بالبلاء إلى السّؤال فيُحبّ سؤالَهم، فإذا سألوا يُحبّ إجابَتهم. ثم إنّ الإجابة قد تَتأخّرُ وقد لا تتأخر، فليتَأدّب العبدُ عند نزول البلاءِ، وليُفتِّش عن ذنوبه في ترك الأوامرِ وارتكابِ المناهي، وما ظَهر منها وما بطَن، ثم ليَستغفِر فإن انكشفَ البلاء به.. فذاك، وإلاّ فليتّخذ إلى الدّعاء والتّضرّعِ والاعتذارِ، فيُديم بالسّؤال؛ لجواز أن يكون ابتلاه ليَسأله، ولا يتّهمه لتأخير الإجابةِ لما بيَّناه، والله أعلم) انتهى كلامه بحرُوفه مع زيادة يسيرة[٤].

تذنيب: ولقد وصَل إلينا بالتواتر: أنَّ مولانا قطبَ الأقطابِ وغوثَ العصرِ محمود أفندي الألماليّ مولداً، والحاج ترخاني مدفناً قدّس سرّه العزيز كان

[١] أي: إذا عُولجتْ بالصبرِ عليها... إلخ. (منه).

[٢] في (ص ١٦١)

[٣] كما يأتي البيان به في النظم، وفي الشرح، فراجعه. (منه).

[٤] «فتوح الغيب» (ص ٩٧).

في شبابه رجلاً يجالس ويصاحب مع أُمراء إِيلِيسُو وأكابرِهم، بحَيْث يُحرِّر أمورَهم ويقرّر طُروسَهم، وكان ذا فَطِنٍ ومَهارةٍ في جميع العلومِ حتى إنَّه يَعلم علمَ الكِيمِيَاء، ويعمَل به وبعد ذلك يوماً من الأيّام ألهمَه الربّ جلّ وعلا بفضله ذَهابَه وتمسّكَه من يد شيخِ الوقتِ وفريدِ الساعةِ الشيخِ حاج يُونس أفندي اللّلَالِيّ قدّس الله سرّه، وأفاض علينا من فيوضه.

ثم لما كمُل منه وأجازه بالإرشاد، وابتدأ انتشارُ صيتِه يوماً فيوماً.. أخذَه الروسُ وحبسَه بسبب ألسنةِ الناسِ وفِتنتِهم عنه في حقّ هذيْنِ الأمريْنِ المذكوريْنِ، ثمّ أرسله إلى سِبرْ، وبقي فيه مدّةً مديدةً، ولكنّه لما كان فيه كان مُنقطعاً عن الناس، ومجتهداً في الطريقة فوق الاجتهادِ قائلاً في نفسه: أن لا نهايةَ في السير إلى الله، ووصَل منزلاً لا يَبلغُه واصلٌ في بلدة قَزَان بصُحبة المشايخِ العظامِ، ترقّى مقاماً لا يَصله أحدٌ من معاصريه، خَطر بباله وَقُرِعَ على سمعه كَتبةُ كتابٍ إلى هذه المملكةِ تحديثاً بما مَنَّ الله به عليه امتثالاً لأمره: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [١]، أي: إلى وطنِه أَلْمَالِي على بعض أصحابِه في شباب مُنبِئٍ من أحوالات ما كانت له وعليه بعد الافتراقِ عنهم.

ثم لما أتى كتابُه المستطابُ إليه وجمع الأصحابَ والأحبابَ وقرأه عليهم وتَكلّم منهم مَن شاء بما شاء.. علم الشيخُ قدّس سرّه وهو في قَزَان بحالٍ من الأحوال ذلك الخبر، وما تكلّمُوا عنه، فأنشأَ أبياتاً تركيّةً على مُقتضى حالِهم إجابةً لهم على ما قالوا عنه، وأرسلها إليهم ثانياً، وهي هذه:

[١] سورة الضحى، الآية: ١١.

كوُكُلْ أُولْدُوْ قدَهْ مَخْمُورِي وِصَالِ جَامُ صَهْبَادَنْ
قَـچَانْ يَادْ أَيْلَسُونْ دَكْلُو هَنُوزْ بَاقِي مُصَفَّادَنْ
دُوتَرْ بِرْحِيرَتِ كُبْرَى كِه أَصْلَا كَنْدْ أُزِينْ بِلْمَزْ
نَه فَرْقْ أَيْلَرْ وِصَالِنْ هِجْرِنَه إِسْمِي مُسَمَّادَنْ
كِه شَيْخْ يُونُسْ دَيُودِلْ بَاغِينْ أُوكُلْدَنْ تَهِي دُوتْمَه
تَهِي أُولْمَقْ رَوَادُرْمِي بَهِشْتْ أُولْ قِدِّ طُوبَى دَنْ
قَزَانَه كَلْسَه مَكَّه يُوقْ عَجَبْ هَرْكُنْ أُوسَرْوَلَهْ
چُوبَنّا سِي أُولُوبْ إِبْرَاهِيمْ آيِنْكْ أَمِرْ مَوْلَادَنْ
تَذَكُّرْ أَيْلَه يَحْيَى نِي كِتَابِي سَاخْلَه قُوَّتْلَنْبُوَّتْ
مَسْنَدِينَـه إِيرْ آلُورْسَـنْ دَرْسْ إِنْشَـادَنْ
إِرِتْشَه خِضْرَه مُوسَى سِي أُو سُلْطَانِي بَعِيدْ أُولْمَزْ
أَكَرْچِه بُولْمَدِي هَمْرَاهْ مُقَدَّمْ خِضْرِ مُوسَى دَنْ
نَظَرْبَيْ عِلَّه أُولْسَه فَرْقْ مَحْمُودِي مُحَمَّدْيُوقْ
إِرِيشُورْ قَابَ قَوْسَيْنَه أُوقُوبَانْ بُو مُعَمَّادَنْ

انتهى كلامُه اللّطيفُ قدّس الله سرّه العزيز، وأفاد علينا من فيوضاته، آمين، اللهم آمين بحرمة محمّد المَبْعُوثِ من بلده الأمين.

فلمّا أَتى إليهم هذا الكتابُ المكتوبة فيه هذه الأبياتُ التركيَّةُ ثانياً وتُلِيَ لديهم ما فيه على مقتضى حالِهم، وعَلِمُوا ما فيه من الرّمُوز والإشاراتِ.. سمعْتُ أنَّهم تابُوا ورجعُوا عمّا قالوا وأَقرُّوا واعترفُوا على ولايته.

ثم بعد زمانٍ قليلٍ خلصَ بفضل الله تعالى من سِبِرْ، وآبَ إلى وَطنه ألْمَالِي، فلمّا وصل إليه ووقع الخبرُ إلى أطراف القرى والبُلْدان بأنَّ قطبَ الأقطابِ حضرةَ مولانا ذا الشأن محمود أفندي قدّس سرّه قد جاء وخلص من سِبِرْ.. اجتمع الناسُ عليه ثانياً من أقطار الأرضِ؛ لتعَشّقهم وحيرانِهم لرُؤيته، وأخْذِ الفيضِ من جَنابه.

ثم إنَّه لما لمْ يقدرْ الفراغَ عنهم خوفاً من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، ومِن قول القائلِ: فهَل ينهَر عن الأنهار السائلون؟، أي: لما لم يَجد بُدًّا عنه.. ابتدأ قدّس سرّه ثانياً مُتوكّلاً وداعياً إلى الله الكريم لإرشادِ الناسِ وتسليكِهم فوق ما أرشدَهم قبلَ هذا وأنشأ في هذا المقام أبياتاً تركيَّةً مناسبةً للكتْبِ فيه، وهي هذه:

جُنُونْ أُولْدُوقْ بُوعَالَمْدَه فَرَاغَتْ كَزْدُورَاكْ بَاشِي
جُنُونَ خَاصْ رَاحَتْ نِيشْ يَتَانْلَرْ يَاغْدُورَارْ دَاشِي

نَه دَهْرِينْكْ رِسْتَمِي أُولْمَكْ نَه أَفْلَاطُونِ قَلَّاشِي
نَه آصَفْ بَرْخِيَا اُولْمَكْ قَضَادَنْ قُورْتَارِرْ بَاشِي

قَدَرْ سَهْمِينَه أَيْ عَارِفْ هَدَفْ قِلْ كَنْدِكِي يَكْبَارْ
إِرَرْتِيزِ قَضَايَتْدُوكْدَه سَجْمَزْ صَدْرُ فَرَّاشِي

كُونَشْ دَنْ قَاچْمَه كُوزْنِكْ آچْ أُلُوبْ عَكْسِ تَمَاشَاقِلْ
مَحَاقِ مَاهَ بَاعِثْ دُرْ رِمَازِ رَنْكْ خَفَّاشِي

بُودَهْرِي بَيْ وَفَادَنْ أَهْلُ دِينْ عَاقِلْ وَفَا أُومْمَزْ

مُغَايِرْ نَقْشِ إِيدُوبْ لَيْلِي نَهَارِنْك نَقْشِ نَقَّاشِي

تَوَكُّلْ دَامَنِنْ تُوتْمَقْ لِيك أَفْضَلْدُورْ تَرَدُّدْدَنْ

تَحَمُّلْ أَيْلَه تَسْلِيمْ أُولْ إِرْشِدُورْ قَلْبَه بَشَّاشِي

خُمَارْ آلُودَهْ صَهْبَايِ وَفَاوُعْشِقْ مَحْمُودِي

قِلُورْ نَذْرِ إِيَازِ حُسْنِ بَـادَه جَانِلَه بَـاشِـي

انتهى كلامُه، وقصّة أياز مكتوب في «أنيسِ الجليس»، فراجعه.

ثم لمّا عَلِمَ عِلْمَ مشاهَدةٍ انقطاعَ نصيبِ رزقِه من وطنه أَلْمَالِي أيضاً حيث وقع في ألسنة الرجالِ المُعاندين له خبرُه، وفار الفتنةُ مِن بَيْنهم.. جهد واجتهد غايةَ الاجتهادِ إلى إكمال بعضٍ من مريديه الذين ظنَّ فيهم حسنَ الظنِّ، وهم الذين مرّ التصريحُ بهم في شرحِ بيته السابق: وَبُدُورٌ بَدَوْا سَنا نَائِبِيهِ... إلخ، ليقعَ أثرٌ من آثاره في هذه الديارِ بعد ذهابِه وهجرتِه، ولينتفع بهم مَن خلفهم إلى يوم الدين.

وسمعتُ من أفواه ثقاتٍ: أنَّه قال في زيارته في بابا عَرْتمَه على وجُوه الخلقِ: «أيّها الناس؛ إنِّي أرى - اللهُ ورسوله أعلمُ - انقطاعَ نصيبِ رزقي من هنا ولا أَجِد موضعاً في هذه المملكةِ يكون فيه قبري فأدعوكم على أشخاصٍ مِن بين المحبِّين لي وهم فلان وفلان إلى آخر مَن سبق منهم فمن تمسَّك بأحدٍ منهم على شرطه.. يَأخذ الفيضَ والبركةَ عنه فوق ما يؤخذه عنّي، والسّلامُ على من اتَّبع الهدى».

ثم بعد بُرَيْهَةٍ هاجَر سرّاً وخُفيةً إلى بلدة حَاجِ تَرْخَانْ، وسَكنَ وعَاشَ فيها سنين، وبَقِيَ منه هنالك أيضاً آثارٌ عجيبةٌ وكراماتٌ غريبةٌ وخلفاءُ، منهم: الحاج عَبْد الوَهّاب أفندي الحاج تَرخَانيّ[١] قدّس سرّه، ومحمّد ذاكر حضرة الجِسْدَاوِي قدّس سرّه، ومات فيها في غرصد[٢] سنة، ودُفن عند شيخ زمان البخاري قدّس الله أسرارهما، وأعاد علينا من بركاتهما، آمين، اللهم آمين، كما يأتي البيان ببيانه[٣] في آخر هذه القصيدة، إن شاء الله تعالى، فراجعه[٤].

ومن أعظم كراماته: أنَّه لما قدم إلى منزل.. انتشر فيضُه فيه، وكان[٥] كأنّه معطّرٌ يعلمه الخواصّ والعوّام، ولا تخرج تلك الرائحةُ من أُنُوفهم أيّاماً.

فائدة: وكذا من أعظم كراماتِ ذي الشأن محمود الفعال أفندي قدّس سرّه إرسالُه وقتئذٍ رجلاً من رجال الغائبِ إلى باب السَّردَال[٦] الأعظمِ؛ لتنبيهه في حقّ نفسه، وذلك أنَّه لمّا ذهبَ إلى حاج ترخان هارباً من أيدي الكفّار بعد رجوعِه وخلاصِه من سِبرْ، وبعد تحرّك الفتنةِ مِن بينهم في حبسه وإرساله إلى سِبرْ ثانياً، وكذا في حقّ خلفائِه، وأوصل المُنكرون خبرَ هربه

[١] عَبْد الوَهّاب أفندي الحَاجِ تَرخَانِيّ، الشيخ، العالم وإمام المسجد في حاج ترخان، وفي نفس الوقت كان قائماً بتنفيذ تعليمات السُلطة المتعلّقة بالأمور الدينية، وكان أيضاً كاتباً عند الحاكم، وبطلبه شقيقه الذي كان موسراً محسناً بنى بيتاً في حاج ترخان للشيخ محمود أفندي قدّس سرّه وهو أوصله إلى درجة الكمال وأجاز له بالإجازة التامة لإرشاد المريدين وتسليك السالكين، ودفن على بعد مائة متر عن شيخه.

[٢] أي: سنة (١٢٩٤ هـ).

[٣] أي: بيانُ وقتِ موتِه، ومكانِ دفنِه. (منه).

[٤] في (ص ١٨٣)

[٥] أي: المنزل. (منه).

[٦] أي: القائد، ويقال أيضاً «السَّرْدَار».

إلى السَّرْدَار الأعظمِ في تِفْلِيسَ[١]، كتبَ السّردارُ بالتيل[٢] إلى كُبُورْنَاطُور[٣] حَاجِ تَرْخَانْ كتاباً بأخذه وحبسِه وإرسالِه إلى سِبِرْ، ثمّ إنَّ كُبُورْنَاطُور لمّا أمَرَ على وُزَرائه بناءً على أمر السَّرْدَار بإرساله إلى سِبِرْ.. طلب الشيخُ المومى إليه المُهلةَ إلى أيامٍ بإبصاره مريضاً وأعانَه في حقّ ذلك رجالٌ من بلد حَاجِ تَرْخَانْ.

فبينما الأمرُ على هذا المِنوالِ أُخْبِرُكَ مَن السَّرْدَار، ومَن رجلٌ من رجالِ الغائبِ يَمشي أمام بيته من نحو ثلاثةَ أيامٍ.

كان السَّرْدَارُ يَراه في كلّ وقتٍ ولا يرى أحدٌ غيرَه، ثمّ إنَّ السَّرْدَارَ الأعظمَ سأل عنه اليوم الثالث: مَن أنت تمشي أمامَ بيتي من يوم كذا ومدّةٍ كذا؟ قال له: أنا رقيبُك، قال السَّرْدَارُ له: لستَ بِرَقيبِي ولي رقيبٌ معيَّنٌ، قال: وكيف لا، بل أنا رَقيبُك، ورقيبُ مملكتِك كلِّها.

ثمّ لما لم يطّلع إلى حاله، ولم يفهم ما قاله.. كتب السَّرْدَارُ إلى مفتي السَّرْدَارِيَّةِ بالحضور، فلمّا جاء المفتي لديه وحكى القصّةَ وما قاله الرجلُ الدائرُ أمامَ دارِه.. سأل مفتي الديارِ عن هذا الرجل، وقال له: فهل مثلُك غيرُك من رجال الغائب في هذه المملكةِ ومَن أرسلَك إلى هُنا؟ قال: نعم، قال مفتي الديارِ: من هو؟ قال: محمود أفندي الألماليّ قدّس سرّه الساكنُ في حَاجِ تَرْخَانْ الآن الذي أرسل في حقّه هذا السَّرْدَارُ في هذه الأيام تِيلاً وخبراً إلى كُبُورْنَاطُور حَاجِ

[١] تِفْلِيسْ (Tbilisi): عاصمة جورجيا وأكبر مدنها، وتقع على ضِفَة نهر كُورَا ويبلغ عدد سكانها حوالي ١,٢ مليون نَسَمَةً.

[٢] أي: تلغراف.

[٣] كُبُورْنَاطُور – أعلى مسؤول في المحافظة.

تَرْخَانْ كذا وكذا، وهو أرسلَني بإذن الله تعالى إلى هنا؛ لتنبيه هذا السَّرْدَار عن أمره وحاله؛ إذ جعل الله لكلّ شيءٍ سبباً، قال هكذا والسَّرْدَارُ يَنظر ثمّ غاب، فلما رأى السَّرْدَارُ ما رأى.. كَتَبَ إلى كُبُورْنَاطُور في حَاجِ تَرْخَانْ بِعدمِ إرسال محمود أفندي قدّس سّره إلى سِبِرْ، وإراحته في موضعٍ شاءَ.

ثم إنَّ كُبُورْنَاطُورَ المذكورَ دعا هذا الرجلَ يعني: الحاج عبد الوهاب أفندي الحَاجِ تَرْخَانِيّ وقال: اذهَبْ إلى محمود أفندي قدّس سرّه وقُلْ له: إنَّ السَّرْدَارَ الأعظمَ كتبَ ثانياً في حَقّك كذا وكذا، فالبِشارَة لك يا بابَ الأبواب، ثم إنَّ ذلك الحاج عبد الوهّاب أفندي جاء لديه وبَشَّرَه بذلك، فحَمِد الشيخُ قدّس سرّه إلى الله حمداً كثيراً، وأعطى للبشير المذكورِ مَناتاً من فضةٍ.

ثم قال قدّس سرّه: الحمد لله مَرضنا هَهُنا وسَلمنا عنه ههنا، ثم إنَّ ذلك البشيرَ الحاج عبد الوهاب أفندي أخذ الإنابةَ عن الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه بهذا السبب، وسلّم نفسَه له لأجله، وكمُل عنه وأجازه الشيخ قدّس سرّه، فكان من أحد خلفائه هنالك، هذا.

ثم لا يخفى عليك أنَّ هذه القصةَ من أوّلها إلى آخرها وَصلتْ إلينا نقلاً من لسان الحاج عبد الوهاب أفندي الحَاجِ تَرْخَانِيّ بواسطة مُخْلصِنا الحاج عبد القادر الزّاخوريّ[١]، وحكاها عنه؛ كما حرَّرْناها بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ، وهو أعلمُ بأحوال الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه، ومناقبِه وأحوالِ أهلِ تلك الديارِ من غيره؛ لأنَّه كم زاره وكم قام لديه في حياته فضلاً عن زيارته إليه بعد مَماته؛ كما هو معلومٌ عندنا.

[١] الحاج عبد القادر الزّاخوريّ كان مريدا للشيخ الحاج حمزة أفندي الزّاخوري ثم الإيليسويّ.

وكان هذا محمود أفندي قدّس سرّه محمّديّا في المشرب، ويدلّ عليه كمالاتُه، ومن أعظمِها: قصيدتُه المنشئةُ[١] في حقِّ مدح خيرِ البشرِ محمّد هو شافعُ الأمةِ في المحشرِ صلّى الله عليه وسلّم قائلاً في آخر الخُطبةِ قبل ابتداءِ القصيدةِ هَضْماً لنفسه هذا الفرد:

پَهْلِوَانْ لَارْ بَادِ پَالَرْ سَكْرَ دَنْدَه هَرْ طَرَفْ

طِفْلُ هَمْ جَوْلَانْ إِيدَرْ أَمَّا أَغَاچْدَنْ آتِي وَارْ

وهذا الفرد:

بَلِي هَرْ عَيْبِكِه سُـلْطَانْ پَسَـنْدَدْ هُنَرَسَـتْ

عبارةُ خُطبةِ تلك القصيدةِ ما لفظُها هذا:

«بسم الله خيرِ الأسماءِ ولله الحمدُ والثّناءُ والصّلاةُ والسّلامُ على خيرِ خلقِه محمّدٍ وعلى آله المجتبى، بحر طويل درّ مدح سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله مشتمل برشش بحر رجا برانكه هر بحرش خرب وحرز بحريست از بحور سبعه هرگاه بحر سابعرا براورده امان تام وَنجات عام كيشتى لكن بر ستة بحر ختم شد تم الأمْر وَجف القلم يفعَل الله ما يَشاء.

فرد پهلوان لربادپالر إلى آخر ما سَبق.

ثم قال داعياً إلى الله تعالى ومُتضرّعاً إليه: اللهمَّ؛ تقبّله، واجعله مَقبُولاً، ولا تجعَل رَجَائى مُنْعَكساً.

---

[١] أي: على لسان أهلِ الفارسِ. (منه).

والقصيدة هذه:

روحى فداك أي: صنم * ماه عرب مهر عجم
نور وجود كائنات * مرآت حسن شش جهات
ذات تو أي: مَرآت ذَات * رخشنده از نور صفات
درجلوه گاهى ممكنات * أى: ممكن واجب شيم
عاجز زاد راكت أمم * په په براين فضل كرم
از رفعتش خم نه فَلك * حيران در اسرارش ملك
ز آثار ايشارت يقين * نه چرخ تا هفتم زمين
جود وجود غيب عين * فخر الوَرى بى شيد شِين
عزّ ملك در رسم زين * سرمايهٔ لوح قلم
اسم صفت شان وُجود * در ذات بيچون محو بود
وز اسم باطن ذات حق * بر اسم ظاهر زد رمق
ظاهر بجوش آمد ازو * نوْرت در و بنمود رو
پس مظهر اسم متين * مرآت نورت شد مبين
ذرات عالم مو بمو * محبوس كشيدند درو
نقّاش اين نقش ازل * نقشى نديد بى بدل
خالى چو حسنت ازخلل * نه جاه الا نَه جَدَلْ
باحرف لولا زَدْ رَقَمْ * بر سطرهٔ اخص اعم
زان دم شده خاصان خدم * زان رو بتو عالم حشم
اسما شئونات صفات * از كبرياء اوج ذات

نـور تـجلّـی بـر گـشـود * درّ یـتـیـمـترا ربـود
در حـجـلهٔ تـجلیـات * سـجـود تـوشـد بهـت ذات
چون کردی از کثرت گذر * قیدت نشد وحدت دگر
از قـلـزم ذات صـفـات * بهـر وجـود شش جهات
چـون جـوهـرْ جـان آمـدی * از مـهـر تـابـان آمـدی
در حـیطهٔ هـسـتـی فـقـط * خالیست از حسنت سقط
بـر چـهـرهٔ کـن چـون نـقـط * زوکـاف نـون بگـشـود دم
تـا ملك هستی زد عـلـم * از عـرصـهٔ کـتـم عـدم
آن نقطهٔ نـون الـعـیـون * دَوْرِ وجـود آمـد ز نـون
چُـون قطب دوران مـدار * زد مـرکـز هـیجـده ازار
از عـرش کرسی نه فلك * ارواح امْـثـال مـلـك
تـا دور بـر آدم رسـیـد * نـور تـو دروی شـد بدید
تحسین بـریـن قـدر مزیـد * در صـورت آدم اگـر
حسنت نکیشتی جلـوْگـر * سـاجـد نـشـد خیـل ملك
بـرآب گـل بـی ریـب شـك * بـر کـسـوهٔ مـمـکـن زدی
از مـهـر ابـن اب جـدی * پـیـرایـهٔ زیـب اتـم
بـا جـلـوهٔ وجـوب دم * در عـشـوهٔ وجـه قـدم
زان حسن تقویمش بـدیـد * تـا نفخ روح حـقّ شنید
مـن عـاجـز دیـوانـه پـیـر * یـا رای ایـن امـر خطیر

کی آرم از وی دم زنم * بر ریش دل مرهم زنم
خاصان ز وصفت سو بسو * با عجز کردند غلو
لیك[۱] عشقت ازدل رخ نمود * یا رای یا رایم ربود
سالار عرش انبیا * سلطان او ادنی لقا
یس طه والضحی * هر چند کند قرآن ثنا
در وصف تست مختصر * بر طاقة طبع بشر
رحم است از ربّ الکرم * بر ضغو ادراك امم
چون سر نور ذات حق * نگشوده در عالم ورق
معنی کجا گنجد نگر * در تنگناهای صور
ار برق رویت بس رمق * و ز رمز مژگانَت صدق
چون تیر از قوس فلق * بر سینهٔ إدْراك خلق
ازْ شَصْتِ رَحْمانی بِجسْتْ * بر نقطهٔ دلها نشست
افروخت نار موسوی * سوزان دین عیسوی
من هم ازو شیدا شدم * محمود وش رسوی شدم
مجنون در لیلا شدم * آتش پرست این آتشم
هر دم زین آتش دم زنم * تا رخت هستی برتنم
یا رخت هستی بر کنم

انتهى كلامه اللطيف.

[۱] بسقوط عين: دوران. «م».

وكذا: لمّا كان من آيات ولايته إسلام المجوسيّ على يَده في دار الكفر وهو يقول: إذا سئل عنه: مَن أنبأك من هذا الشيخُ محمود أفندي قدس سره؟ نبّأني العَليم الخبير.. قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٠. وَدَعَـاهُ هُـدَى الـمَجُوسِيِّ طَـوْعـاً * قَـائِـلاً نَـبَّـأَ الـعَـلِـيمُ بِـنَـاحٍ

قوله: (ودَعَاهُ) ضمير راجع إلى الممدوح. قوله: (هُدَى المَجُوسيّ) الهدى مَصْدر مُضاف إلى الفاعل، فاعل لِـ«دَعَاهُ». قوله: (طَوْعاً قائلاً) حالان مِن فاعل (هُدى) أعني به: المجوسيَّ أي: أتى لديه مجوسي باختياره من دار الكفر طالباً منه إرشادَه وهدايتَه إلى دين الإسلام.

قوله: (بِنَاحٍ) اسم فاعل من النحو بمعنى: القَصْدِ، مُتعلّق لِـ(الْعَلِيم).

فمعنى البيت: ومن أكبَر دَلالاته المنبئة عن ولاية الممدوح، وعن كونه خيرَ أهل الأرض في زمانه.. إسلامُ المجوسي طَوْعاً لا كَرْهاً على يَده، وهو قد أتى لديه من دار الكفر، أي: إسلامُه، وقد أتى لديه باختياره من دار الكفر قائلاً: إذا سأل عنه سائلٌ: مَن أنبَأكَ، وأخبرَك عن هذا الوليّ وعن اسمه، ومن قال لك: إنَّ الدين المحمديّ حَقّ؟ أنبأني[١] عنه العليمُ بمن توجَّه، وقَصَد إلى الهداية وطرفِ رضائه تعالى، الخبيرُ عن حركات العبادِ وأفعالهم ونيّاتِهم.

وفي المصْراع الثاني من هذا البيت اقتباسٌ من قوله تعالى: (مَن أنبأك) إلى قوله: (نبّأني العَليم الخبير) الآية[٢].

[١] مقول القول. (منه).

[٢] سورة التحريم، الآية: ٣.

فمجيئ هذا المجُوسيّ وإتيانُه إلى الإسلام بيد هذا الولي كما[١] أتى بعضُ أكابر اليهود والنصارى وغيرُهم إلى الإسلام بيد نبيّنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما هو مُقرَّر ومَسْطور في كتبِ السيَر والتفسير، فراجعها.

قال الله تعالى في قرآنه المنزّل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ الآية[٢]، فكُلُّ ما هو معجزةٌ لنبي بقي كرامَةً لوليٍّ مِن أمّته أي: على مَشْربه، فالحمد لله ثم الحمد لله على ذلك؛ إذ الشيخ في قومه؛ كالنبيّ في أمته.

لطيفة: قال الشيخ عمر الكيماني[٣]: لم تكن مجالس سيدنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه تخلو ممّن يُسْلِمُ مِن اليهود والنصارى، ولا ممّن يَتوب من قطّاع الطريق، وقاتلِ النفس، وغير ذلك من الفساد، ولا ممّن يَرْجع عن مُعْتقد شيء، وأتاهُ راهبٌ وأسْلم على يَديه في المجلس، ثم قال للناس: «إني رَجل من أهل اليَمن، وإن الإسلام وَقع في نفسي، وَقَوِيَ عَزمي على أن لا أسْلم إلا على يد خير أهل اليَمن في ظني، وجَلسْتُ مُتفكّراً إلى الأرض، فغلب عليّ النوم، فرأيتُ عيسى ابن مريم عليه السلام يقول لي: يا سنان؛

[١] أي: مثل إتيان.

[٢] سورة النصر، الآية: ١.

[٣] هو عمر بن أبي المعالي الكيماني الزاهد، من ساكني القطيعة بباب الأزج، قرأ شيئاً من الفقه على مذهب أبي عبد الله بن حنبل على أبي حكيم النَّهْرَوَانِيّ، وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي، وكان شيخاً صالحاً منقطعاً عن الناس مشتغلاً بما يعنيه، وكانت له حلقة بجامع القصر بعد الصلاة يجتمع حوله الناس، ويتكلم عليهم بكلام مفيد، وكان له قبول من الناس، وله أصحاب وأتباع، توفي يوم الجمعة التاسع عشر من صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، ودفن بمقبرة التل بالقطيعة من باب الأزج في قبة هناك – أمرت ببنائها أم الخليفة الإمام الناصر لدين الله رحمة الله عليها – وقد جاوز السبعين من عمره. «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (٥/ ١٢٦-١٢٧).

اذهب إلى بَغداد، وأسلِم على يد الشيخ عبد القادر، فإنَّه خير أهل الأرض في هذا الوقت.

قال: وأتاه في مرّة أخرى ثلاثةَ عَشر رجلاً مِن النصارى، وأسلمُوا على يديه في مجلس وعظه، وقالوا: «نحن مِن نصارى العَرب، وأرَدنا الإسلام، وتردّدنا فيمَن نَقْصِده لنُسْلِم على يديه، فهَتَفَ بنا هاتفٌ نسمَع كلامَه ولا نَرى شخصَه يقول: أيها الرَّكْب ذا الفلاح؛ ائتوا بغداد، وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر، فإنَّه يُوضَع في قلوبكم من الإيمان عنده ببركته ما لم يُوضع فيها[١] عند غيره من سائر الناس في هذا الوقت رضي الله عنه» انتهى.

ثم لمّا كانَ من أعظم آياته الدالّة على ولايته كوْنُ الأسرار في القلوب بأسرارها[٢] مَكشوفة لديه، وكونُ ذي جُناح وإثمٍ في مُدة قليلةٍ ذا جَناح وكمالٍ ببَركة شدّة توجّهه وقوّته.. قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢١. رُبَّ سِرٍّ تُجَاهَهُ بَاتَ جَهْراً * وَفَتًى فِي بُرَيْهَةٍ ذَا جَنَاحِ

قوله: **(تُجَاهَهُ)** مَفعول فيه لِـ**(بَاتَ)**، قُدِّم أوّلاً؛ للوَزن وثانياً للتخصيص.
قوله: **(وَفَتًى)** معطوف لـ**(سِرٍّ)**.

فمعنى البيت: رُبَّ سِرٍّ أي: كثير من الأسرار صار أمامه جَهراً؛ لأنّه كان يُخْبِر كثيراً مَّا عمّا في صدور الإخوان، كما هو مَحْسُوس ومُشاهَد لدى أهل زَمانه ومُحبّيه، ورُبَّ رجلٍ أي: كثير من الرجال كان لديه في بُرَيْهَةٍ ذا كمال

[١] أي: في القلوب.
[٢] لعلّ الصواب: «بأسرها».

أي: في أربعين يوماً، بل أقلّ منه، كذا كَرَّ حَضرة الچِسْداوي.

تتمة: هكذا وجَدتُه بخطّ الناظم رحمه الله تعالى.

وفي رواية: أنه وَصل إلى الكمال في عَشرة أيام غيرَ أني وجَدْت في «مكتوبات» الغوث محمود أفندي قدّس سرّه إلى هذا العارف محمد ذاكر أفندي قدس سره: (أنه وَصَل إلى الكمال في مدّة سنة أو أقلّ حَيْث قال: فاعلم: أنّك جَديد العَهْد، وَصَلْتُم ما وَصَلتم به في مدّة سنة أو أقلّ) انتهى ملخَّصاً على المرام.

فمن المعلوم: أن ليس الخبر كالعيان، هذا، والله أعلم.

فـ(رُبّ) في هذا البيت للتكثير، وفيما يليه للتقليل، فتدبّر؛ فهاتان الآيتان أيضاً كبُرتا فيه؛ لما ذكر.

ثم لمّا كان أيضاً مِن بعض آياته ابتلاءُ مُؤذِيهِ ببلاء لا دَواء له.. قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٢. رُبَّ عَاصٍ أَسَاءَهُ مَسَّ سُوأً * أَيْنَمَا حَلَّ ذَلَّ ذا بِاطِّرَاحٍ

٢٣. وَالَّذِي كَذَّبَ الهُدَى وَتَوَلَّى * ضَاقَ ذَرْعاً بِهِ بِكُلِّ مَرَاحٍ

قوله: (ذَلَّ) ماض مُضاعف بمعنى: حَقَرَ وَخَابَ، ومَعْطوف لِـ(مَسَّ)، وحَرْف عَطْفِه محذوف لِلْوَزن؛ كما لا يخفى أي: مسّ له سواء أيْنما حَلّ وذهبَ، وذَلَّ أيضاً وحَقر بوقوعه عن نظره ولوحِ قلبه.

قوله: (ذَا بِاطِّرَاحٍ) ذا فاعلٌ لِـ«ذَلَّ» وإشارةٌ[١] إلى (عَاصٍ)، و«بِاطِّراح» متعَلّق لِـ«ذَلَّ» أي: ذلّ وخاب ببعده عن نظر الوَليّ وتَبْعيده عنه.

قوله: (ضَاقَ ذَرْعاً به) أَصْله: ضاق به ذرعاً، قُدِّم وأُخِّر؛ للوزن، فذرعاً بالفتح بمعنى القُدرة والطاقةِ هنا، يقال: ضاق به ذرعاً أي: طاقة، وَضَاق بالأمر، أي: لم يطقه ولم يَقو عليه، وكَأَنَّهُ مَدَّ إليه يَدَه فلم تَنَلْهُ، ويقال: ضاق ذرعُ فلانٍ بكذا إذا وَقع في مكرُوه لا يُطِيق الخروجَ منه.

قوله: (بِكُلِّ مَرَاحٍ) أي: في كلّ موْضِع ذهَبَ إليه، فالباء فيه بمعنى: في، أتى به؛ للوزن، و«المراح» اسم مكان، تأمّل.

وفي المصْراعين من هذا البيت اقتباس لا يخفى.

فمعنى البيتين: رُبَّ عاصٍ إليه أي: مُؤذٍ به قدّس سرّه، وهو قليل، قد أذاه بلا سبب منكراً إليه وَقع في سوء أينما حَلّ وذَهب لا يَفْلَح[٢]، وذَلّ ذلك وَخاب ببُعْدِه عن نظر مثلِه ومَحبّته، بَل وتَبْعيدِه ذلك الممدوح عن لوح قلبه، وقد ثبَت عنه عليه الصلاة والسلام أنّه قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «مَنْ آذَى لِي وَلِيّاً.. فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ»»[٣]، وفي روايةٍ: «فَقَدِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمِي»[٤]، وفي رواية: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً.. فَأَنَا أُخَاصِمُهُ»، وفي روايةٍ: «فَقَدْ بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَةِ»[٥].

[١] أي: اسم إشارة. (منه).

[٢] أي: كان لا يفلح. (منه).

[٣] أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة بلفظ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً.. فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ».

[٤] أورده محمد بن سلامة القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٥٧)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٤٥) عن عائشة رضي الله عنها، ومحمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري في «بحر الفوائد» (٢٩) عن ميمونة رضي الله عنها.

[٥] أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٩٨٩) عن عمر بن الخطاب بلفظ: «مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيّاً، فَقَدْ بَارَزَ الله بِالمُحَارَبَةِ».

وجاء عن المشايخ العارفين والأئمة الوارثين: أنَّهم قالوا: «أول عقوبة المنكِرِ على الصالحين أن يُحْرَمَ بَركتهم»، قالوا: «ويُخشى عليه سُوء الخاتمة، نعوذ بالله».

وقال بَعض العارفين: «مَن رَأيتمُوه يُؤذي الأولياءَ فاعلموا: أنّه محارب لله، مَبْعُود مطرود عن قرب الله».

وقال الإمام أبو تراب النَّخْشَبِيُّ رضي الله تعالى عنه[١]: «إذا أَلِف القلبُ الإعراضَ عن الله تعالى.. صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى، فلا ذِلّةَ له أعظمَ من هذا»، وكذا ضَلّ وأضَلّ كثيراً عن سواء السبيل، وباء بغضب[٢] وخَيْبَة ضربت عليه الذلّة والمسكنة؛ كما باء بغضب وخيبة صَيْف الدين وسَيِّد جعفر الحاج تَرْخَانيّان، ضربَتْ[٣] عليهما الذلّة والمسكنة، فإنَّهما مدّا إليه قدّس سرّه أيديهما؛ لِيُهْلِكَاهُ ويَقْتُلاه فلم يَقدرا، ولم يَنالا مقصودَهما، فرجعا خائبين ذليلين أينما ذهَبا.

وهذا كما حَلف أبو جَهل: لَئِنْ رأيتُ محمداً يُصَلّي.. لَأَرْضَحَنَّ رَأسَهُ بالحجر، فأتاه وهو يُصَلّي، فلما رَفع الحجر.. شلّت يَدُه إلى عنقه، ولصق

[١] هو أبو تراب النَّخْشَبِيُّ، واسمه عَسْكر بن الحُصَيْن، وقيل: عسكر بن محمد بن الحصين، ونَخْشَب – بفتح النون، وسكون الخاء، وفتح الشين المعجمتين، وفي آخرها الباء الموحدة – بلدة من بلاد ما وراء النهر، صَحِب أبا حاتم العطارَ البَصْرِيَّ، وحاتماً الأصمَّ البَلخي إلى أن مات، وخرج إلى الشام، وكتب الكثير من الحديث، ونظر في كتب الشافعي، وتفقّه على مذهبه، وهو من جِلّة مشايخ خُراسان، والمذكورين بالعلم، والفُتوّة، والتوكّل، والزهد، والورع، توفي في البادية قيل: نَهَشَتْه السِّباعُ سنة خمسٍ وأربعين ومائتين. «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٣٠٦-٣٠٧)، و«طبقات الصوفية» (١/ ٥٤).

[٢] أي: من الله. (منه).

[٣] أي: بحيث ضربت عليهما... إلخ. (منه).

الحجرُ بِيَده، فلما عاد إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى.. سَقط الحجرُ، فقال رجل من بني مَخْزُوم: أنا أقتلُه بهذا الحَجر، فأتاه وَهُوَ يُصَلّي، فأراد أن يَرْمِيَهُ الحجرَ، فأعمى الله تعالى بصرَه، فجَعل يَسْمَع صَوْتَه عليه الصلاة والسلام ولا يراه، فرجع إلى أصحابه، فَلم يَرَهُم حتى نادُوه فقالوا: ما صنعتَ؟ قال: ما رأيتُه، ولكن سمعتُ صَوْتَهُ، وحَال بَيني وبينه شيء كهَيْئة العِجل ينفُخ بذنبه، ولو دَنَوْتُ منه.. لَأَكَلَنِي.

وبعد ذلك كلّما أراد أبو جهل محمداً عليه الصلاة والسلام.. لا يَقدر أن يراه، وقد نزل في حَقّه وفي حقّ أصحابه مِن بني مخزوم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الآية[١]، أي: وعلى رواية: نزلَ في حَقّ المُشركين، وذلك: أنهم كانوا مجْتمعين في مجلس واحدٍ منهم، قال بعضهم في حقّ محمد عليه الصلاة والسلام شيئاً، فقال: إن رَأيتُ محمداً.. فقُلت كذا وكذا، فجاء النبي عليه الصلاة والسلام وقامَ عنده، وقرأ سورة يس إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٢]، وبعد ذلك أخذ النبي عليه الصلاة والسلام قبْضة منَ التراب ورمى إلى وجُوههم ولحيَتهم، وذهَب من بَيْنهم، فلم يَرَوْه وهم يَنْفُضون الترابَ من وجوههم ولحيتِهم ويقولون: والله؛ ما رأيناه، وما سمعنا صوتَه عليه الصلاة والسلام.

ولما فرغ الناظم رحمه الله تعالى من ذكر آياته الجليلة وكراماته الكثيرة.. شرع في منع المُنكِر عن إساءة الظن إليه ثانياً؛ لأنَّ بَعْض الظنّ إثمٌ، وهو

[١] سورة يس، الآية: ٩.

[٢] سورة يس، الآية: ٩.

غيرُ مُتّعظٍ بتلك الآيات[١] بسبب أمور ظهرت فيه كالمفاسد، وبسبب أسره، وطرد عصره وعُسره، ولا يُعلم نيّته ومَطْلبه عن السبب الأوّل، وسَرَّ الله تعالى في السبب الثاني، وقال رحمه الله تعالى:

٢٤. فَـبِ[٢] عَـنْ عَـزْوِهِ الإسَـاءَةَ زُغْـماً * بِـأُمُـورٍ لَاحَــتْ بِــهِ كَـالـقِـبَـاحِ

قوله: (فَبِ) أي: إذا كان الأمر كما ذكر.. فامنع واكفف... إلخ، فـ«الفَاءُ» فيه جَزائيّة، و«بِ» أمر مِن: وَبَى يَبِي؛ كقِ مِن «وَقَى يَقِي». قوله: (عَنْ عَزْوِهِ) مَصْدر مُضاف للمفعول، ضميره راجع للممدوح. قوله: (بِهِ) أي: فيه، أتى به بَدَله؛ للوزن، قوله: (كالقِبَاحِ) جمع قُبْح وهي المفاسد.

فمعنى البيت: فيا صاح؛ إياكَ والقذف له، وامْنع عن سوء الظنّ إليه بسراية طَيْفك إلى بعض أمور لَاحَت فيه؛ كالمفاسد؛ لما سَيجيئ من الأدلّة، وهي[٣]: قصُورٌ مرصّعَة، وفُرش مَرْفوعة على سُرُرٍ، وأرائِك مُكَلَّلة، وغيْرُها من التفات الناس بالألفَة بلا امتياز بَين الصالح والطالح، واحْترامهم بالضيافة وغيرِها، وأنت تقول له: كلُّ ذلك كان عنه مَسْؤولاً.

ولما قال الناظم رحمه الله تعالى في منع المُنْكِر وتهديدِه مَا قال.. دَارَ في خَلَد السامع: أنَّ الأمورَ التي منع الناظم رحمه الله تعالى المنكِرَ من سُوء الظنّ للمَمْدُوح بها، ما هي؟ وسأل عنه بلسان حَاله.. قال رحمه الله تعالى ولله دَرّه:

[١] أي: السابقة. (منه).

[٢] في «طبقات الخواجكان النقشبندية» للشيخ العارف شعيب أفندي الباكني قدّس سرّه: (ذَبَّ).

[٣] أي: الأمور.

٢٥. وَهِــيَ دَارٌ مُـرَصَّـعٌ فُـرُشٌ مَـرْ * فُـوعَــةٌ حُـبُّــهَـا رُؤُوسُ طَــلَاحٍ

أي: بَعْضُهَا[١] هذه.

قوله: (فُرُشٌ) معطوف لما قبلهُ من (دَار)، فالواو محذوف منه؛ للوزن.
قوله: (حُبُّهَا رُؤُوسُ طَلَاحٍ) مبتدأ وخبر، وفيه إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»[٢]، وإلى قوله: «دُنْيَاكَ مَا أَلْهَاكَ عَنْ مَوْلَاكَ»[٣]، و«طَلَاح» ضدُّ صلاح، والبعض الآخر ما يتلى عليك في هذا البيت، وهو هذا:

٢٦. وُدُّهُ مُــوقِــراً أُلُــوفــاً جَـنُـوفـاً * كُــلَّ بِــرٍّ وَفَــاجِــرٍ مِــنْ قُـبَـاحٍ

قوله: (وُدُّهُ) مَصْدَر مُضاف إلى فاعله. وقوله: (كُلَّ بِرٍّ) مفعوله، وما بَيْنهُما مِن (مُوقِراً) إلى (جَنُوفاً) أَحْوال عن فاعله، كما لا يخفى لمن له يَدٌ في النحو. قوله: (مِن قُبَاحٍ) جمع قَبيح.

ومعنى هذين البيتين مُسْتغن عن البيان؛ لظهوره عما سَبق في الشرح.

ولما فرغ الناظم رحمه الله تعالى من بيان السبَب الأول المشتمِل على أمور في إساءة المنكر الظنَّ إلى الممدوح.. شَرع في بيان السبب الثاني فقال:

٢٧. وَبِــأَسْــرٍ وَطَــرْدٍ عَـصْـرٍ وَعُـسْـرٍ * كَــانَ كُــلٌّ مُـسَـطَّـراً بِــالـجَـنَـاحِ

[١] أي: الأمور.

[٢] هذا جزء الحديث الذي أخرجه الخطيب التبريزي في «مشكاة المصابيح» (٥٢١٢).

[٣] أورده محمد الخادمي في «البريقة المحمودية» (٣/ ١٧) بلفظ: «مَثَلُ صَاحِبِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْمَاشِي عَلَى الْمَاءِ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ لَا يَبْتَلَّ قَدَمَاهُ، فَكُلُّ مَا أَلْهَاكَ عَنْ مَوْلَاكَ فَهُوَ دُنْيَاكَ».

٢٨. قَـائِـلاً لَـوْ غَـدَا وَلِـيّـاً مُـجَـاباً * لَـيَـنَـالَ الـمَـأْمُـولَ أَهْـلُ الـمَـرَاحِ

قوله: (وَبِأَسْرٍ)... إلخ معطوف على قولِه: (بِأُمُورٍ). قولُه: (وَعُسْرٍ) معطوفٌ على قوله: (وَبِأَسْرٍ) أي: وَبِعُسْرٍ ومشقّةٍ له فيه، أي: في الأَسْر والتغريب.

قوله: (كَانَ كُلٌّ)... إلخ، اقتباس من (كَانَ كُلٌّ) إلى قوله: (مسطّراً)، فقوله: (بِالجَنَاحِ) بمعنى: الكتاب مجازاً، وباؤه بمعنى: في؛ كما لا يخفى، وهو أي: هذا المصراع الثاني من البَيت بمَنزلة الدليل، أي: إياك وسُوءَ الظن إليه بأسره[١] وغيره؛ لأنَّه مُقدَّر له في علم الله الأزليّ، ولا يُسْأل عما يَفْعَل وهم يسألون.

قوله: (قَائِلاً) حال من فاعل الأمر[٢] المخاطب المذكور. قوله: (لَيَنَالَ المَأْمُولَ) أي: لم يَنَل المأمُول، ولو كان وَلِيّاً حقّاً.. لَنَالَ. قوله: (أَهْلُ المَرَاحِ) خبَر لمبتَدأ محذوف؛ للوزن، وجمْلةٌ حاليَّة أي: وهو أهل المراح.

فمعنى البيتين: يا مَن فيه أثرُ الإنكار لهذا الوَليّ؛ إياك وسُوءَ الظنّ إليه بسبب التغريب ورَمْيِهِ القضاء من الوطن، وبِوُصول العُسْر والمشقة له في الأسر والتغريب، واكْفُف عنه حال كَوْنك قائلاً: لو صَارَ وَليّاً مجاب الدعوة.. لَرَزَقه الله تعالى الرجوعَ إلى وَطنه قبل الموتِ، فلم يَرزق له ذلك؛ لكون كلّ ذلك في علم الله الأزَليّ مكتوباً بوقوعه، فلا يُبَدَّلُ القولُ لديه، فلا بُدّ مِن وقوعه، فَلِأَجْلِه لم يُمْهَل له، وقد أُجِيب متمنّاه من الرجوع إلى الوَطن؛

[١] أي: بكونه وجَعْلِهِ أسيراً بَيْن يدي الكفار. (منه).

[٢] وهو «ب» في «فَبِ عَن عَزْوِه»... إلخ. (منه).

ولم يُمْكِن، بل مات في الغربة؛ لينال درجة الشهيد؛ كما مرّ، على أنه ليس فيهما[١] له ذُلٌّ، بل له بهما عِزٌّ؛ إذ في مَصائب الكرامِ رحمةٌ وراحة لهم، عكسَ ما في مَصائب اللِّئام؛ كما دَلّت عليها آياتُ رَبِّنَا وأحاديثُ نَبِيِّنا عليه الصلاة والسلام، وكما قال الناظم[٢] رحمه الله تعالى في هذه «القصيدة المحمودية»:

كَمْ سُلُوفٍ مَسَّتْهُمُ البَأسُ وَالضَّرْ * رَاءُ مَا فِيهَا الذُّلّ غَيْرُ ارْتِيَاحٍ

فراجعها مع شرحها[٣].

فلا جرَمَ أنها تُنَزِّلُ العَبْدَ مِن الله جَلَّ ذِكْرُهُ على قدر منزلتِه عنْدَه، فما هذه الأذِيَّات والعُقوبات أي: ما نُزُولُهَا عليه قدس سره إلا؛ كما نَزلت وجَاءت أنواع الأذيّات والعقوبات على نبينا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم مِن حين بعثتِه إلى قوّة الإسلام بنصر من الله تعالى، بل وإلى موته من طَرف المشركين، بل ومِنْ أَقْرِبائه من قريش، وعلى سائر الأنبياء - على نبيّنا وعليهم السلام - من أقوامهم، كذا في كتب السير والتفسير، فراجعها.

فأعلى المراتب وأسْناها: صبرُ العَبد ورضاه عليها في كلّ وقتٍ وحينٍ؛ لأنَّها وإن كانت بحسب الظاهر من طرف الكفار والأعداء.. لكنّها في الحقيقة من طرف الله سبحانه وتعالى لامتحان خواصّ عباده، وارْتفاع درجاتِهم، فراجع وحَرّر؛ كما قيل على فَحْواه:

---

[١] أي: في الأسر والتغريب. (منه).

[٢] وسيأتي عن قريب. (منه).

[٣] في (ص ١٦٥).

بِقَدْرِ قَدْرِكَ عِنْدَ اللهِ تُعْطَى بَلَا * فَالصَّبْرُ فَالصَّبْرُ يَا بَاغِيَ الكَرَامَاتِ

دَاءُ الفُؤَادِ وَسِرٌّ وَالصَّفَاءُ أَذىً * مَحْض سِوَى الجِسْمِ لِلْحَسَنَاتِ ذَا آتٍ

خَدْشاً تُهَدِّفُ تُصِبْكَ البَلْوَى لَا تَلْقَا * كَمْ فِي العَنَا وَالبَلَا لِلصَّبِّ رَفَعَات

أَسْنَى المَرَاتِب عَنْ مَوْلَاكَ تَرْضَى بِمَا * يَقْضِي وَبِالضِّدِّ دَعْ عُنْفَ الرُّعُونَاتِ

كما يأتي غاية البيان ونهاية البَسْط في شرح هذين البَيْتَيْنِ للناظم رحمه الله تعالى، وهما قوله:

وَكَذَا ذَا يَدْعُو ازْدِيَادَ جَلَالٍ * إِذْ أَذىً نَابَ صَالِحاً مِنْ صَلَاحٍ

كَمْ سُلُوفٍ مَسَّتْهُمُ * إلى قوله: غَيْرُ ارْتِيَاحٍ فراجعه[١].

ثم لما قال الناظم رحمه الله تعالى ما قال، ولم يتذكّر المُنْكِرُ، ولم ينفع له، ولم يَتب به عمّا فيه من الإنكار والعناد إليه قدّس سرّه، بل أقبل بسُوء الظنّ إليه جهراً.. قال له الناظم رحمه الله تعالى مُدْبِراً[٢] مُسْرِعاً مُلْزِماً بتقديم مقدِّمات سَنيّةٍ قبل بَراهينَ قويّةٍ:

٢٩. أَنَّهُ لَوْ أَقْبَلْتَ بِالسُّوءِ جَهْراً * لَنْ يُطَالَ الإِدْبَارُ بِالمِرْضَاحِ

٣٠. أَنَّهُ بَاتَ مُنْعَماً مِنْ مَلِيك * فَاسْتَحَقَّ الإِشَاعَ حَمْدَ امْتِدَاحٍ

[١] في (ص ١٦٤).

[٢] أي: مُدْبِراً للمنكر، ومُسْرِعاً عليه، ومُلزماً به. (منه).

٣١. وَالتِفَاتُ الوَرَى إِلَى زِينَةِ الدُّنْيَا * وَفَخْرٍ تَكَاثُرٍ وَانْفِسَاحٍ

قوله: (أنه لو أَقْبَلْتَ بِالسُّوء جَهْراً) بفتح الهمزة، علَّةٌ للإباءة[١]، وضمير «أنّه» راجعٌ إلى الشان، واقتباسٌ مِن ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾[٢]. قوله: (بالمِرْضَاحِ) أي: بالدليل. قوله: أنَّه بفتح الهمزة أيضاً تمهيد للدليل، وعلّةٌ لقوله: (لَنْ يُطَالَ)... إلخ.

قوله: (فَاسْتَحَقَّ) أي: ذلك الوَليُّ الممدوحُ قدّس سرّه، فضمير الفاعل راجع إليه[٣]. قوله: (حَمْدَ امْتِدَاحٍ) الأوّلُ عامّ والثاني خاصّ، فحينئذ جاز الإضافَة، وفي نسخة: حَمْدَ ارْتِيَاحٍ. قوله: (وَالْتِفَاتُ الوَرَى) جملة حالية، وفيه اقتباس لا يخفى. قوله: (تَكَاثُرٍ) مَعْطوف لما قبلَه، وحرفُ عَطفِه محذوفٌ؛ للوزن. قوله: (وَانْفِسَاحٍ) أي: سَعة.

فمعنى الأبيات: أنَّه لو أقبلتَ أيها المنكِرُ المعانِد بسوء الظنّ إليه قدّس سرّه مُجاهراً.. لا يَبْعد إلزامُك بإقامَة أدلّة مَقبُولةٍ عند أولي المعْرفة، وذلك أنَّه لمّا صار مُنْعَماً من الله تعالى بِفَضله بما ذُكِر من النعم الكثيرة، لا بطلبِه ومحبّة قلبه إليها؛ كما كان طلبُها عن غيرِه بمحبّة قلبِه إليها.. استحقّ ولَزِم أن يُرى فيه آثارُ نِعَمِه تعالى حمداً عليها، لا لغرضٍ آخرَ، وهو مما أحبَّهُ تعالى في عَبْده لِحَديث بذلك؛ لأنَّ شكرَ المنعِم على المنعَم عليه واجبٌ.

ومع ذلك غرضُهم أي: غرضُ المشايخ والكاملين في مثل ما ذكِر استعانةُ

[١] أي: المفهُومُ والمأخوذ مِن «فَبِ» المقدّم. (منه).
[٢] سورة النساء، الآية: ١٤٨.
[٣] أي: إلى الممدوح.

إقامةِ الدين به، وإظهارُ شعائرِ الإسلام لا غيرُ، وأما غرضُ والتفاتُ غيرِهم من أهل الدنيا فيما أنعم الله عليهم.. فيكون[١] في زينة الدنيا وتَزْيِينِها والافتخار بها، وفي تكثير الأموالِ فيها فقط؛ كما قال الناظم رحمه الله تعالى به في آخِر بيتٍ من هذه الأبيات الثلاثةِ لا في إقامَة الدين، وإظهارِ شعائره؛ كما يأتي على ذلك شواهدُ ودلائلُ في القصيدة عن قريبٍ[٢]، فعَليك بإصْغائها والاتّعاظ بها، والخروج من ظلمة الإنكار والعناد، نعُوذ بالله من شرور أنفسِنا، ومِن سيئات قبائح أعمالنا وأقوالنا.

ثم لما وَعَظ الناظم رحمه الله تعالى قبل هذا لمنكرٍ ولمعاند بِعَدم إساءة الظنّ إليه قدّس سرّه من أوّل الأمر بما يَراه فيه من السبب الأوّل المذكور في البيتين السابقين للناظم رحمه الله مطلعهما: (وَهِيَ دَارٌ مُرَصَّعٌ...) إلى قوله: (كُلَّ بِرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ قُبَاحِ) ولم يَقْبَل قوله، بل أقبل في بعض الأحيان والأماكن بِسُوء الظنّ إليه جهراً وعياناً أي: عند الناس.. أرادَ أن يُبيِّن ما يقصده الوَليّ المَمْدُوح قدّس سرّه عن ذلك السَّبب الأول بأدلّة مقبولة عن أولي الألباب إذ ورد: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[٣]، وهي بالقلب كيف لا؟! لأنَّ العاداتِ والمباحات تَنْقَلِبُ عباداتٍ بها[٤]؛ كما بُيِّن في مَحلّه في مواضِعَ مُتفرقةٍ.

[١] فكائن. (نسخة). هامش.

[٢] أي: على كون غرض المشايخ مما أنعم الله عليهم استعانة إقامة الدين، وصرفه في وجوه الخير يأتي شواهد في القصيدة بقول الناظم رحمه الله: فَلِحَثٍّ وَأُلْفَةٍ... إلخ. (منه).

[٣] أخرجه البخاري (١).

[٤] ولو بمثل هذه الأمور التي تَرى من أوّلها؛ كالمفاسد أي: قبل التفكر في عاقبتها، كما يجيء البيان بالعيان في قول الناظم رحمه الله تعالى:

وَمَتَى سُلِّمَتْ مَفَاسِدُ حَقّاً * إلى قوله: وَذَا نَاوِياً بِهَا لِكِفَاحٍ

فراجعه مع شرحه (ص ١٥٤). (منه).

فقال: أما مراد الممدوح قدّس سرّه ومطْلبُه من السبَب الأوّل من بِنائه في حَاج تَرْخَان بَعد الهجرة إليها داراً عاليَةً كدُور السلاطين، وبَسْطِها بفرش مرفوعةٍ، وكراسي مُكلَّلةٍ وغيْرِها من التفات الناس وألفتهم بلا امتيازٍ بين صالحٍ وطالح، واحترامِهم بالضيافة وغيرِها وإن كان كُلٌّ منها مَسْؤولاً عنها بحسب الظاهر ولو بسُؤال العَرْض، وغرضه عنه.. فَلِتقليب قلوب الناسِ وتميلِها إليه لا غيرُ؛ كما قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣٢. فَـلِـحَـثٍّ وَأُلْـفَـةٍ وَاتِّـعَـاظٍ * هَـارِبٌ رَاهِـبٌ بِـجِـدٍّ اجْـتِـنَـاحٍ

٣٣. جُـعِـلَـتْ كُـلُّـهَـا ذَرِيـعَـةَ فَـوْزٍ * مُـدْبِـرٌ مُـقْـبِـلٌ جَـنَـاحَ نَـجَـاحٍ

أي: فإذا كان الأمر كذلك.. جُعلت كُلُّها وسيلةً لحثٍّ وألفة، فقوله: (فَلِحَثٍّ)... إلخ جملة جَزائية لجملة شرْطيةٍ مقدَّرة. قوله: (هَارِبٌ) فاعل لما قبله على سَبيل التنازع. وقوله: (رَاهِبٌ) معطوف إلى «هارب»، وحرْف عطفِه محذوف؛ لِوَزنٍ.

قوله: (مُدْبِرٌ) فاعل[١] لما قبلَه منَ «الفَوْز»[٢] على ما ضبَطَ به الناظم رحمه الله، ولكن قلبي يَميل على كونه خبرَ المبتدأ محذوف تقديرُه: وهو «مُدْبر»... إلخ، فراجعه.

وقوله: (مُقْبِلٌ) إما معطوف إلى «مُدْبِر» أيضاً بحَذف حَرْف العَطْف للوزن، أو خبَر بعد خَبر لمبتَدَأ محذوفٍ، فتأمّل.

---

[١] أي: معنىً فقط. (منه).

[٢] أي: جعل الممدوح كلّها من الدور والفُرش ذريعة ووسيلةٌ لحثّ الناس وألفتهم إليه... إلخ أي: ولفوزه بذلك إلى الثواب من الله تعالى، مُدبرا عن الدنيا، مُقبلا إلى العُقبى. (منه).

وقوله: (جَنَاحَ نَجَاحٍ) إما مفعول لـ«مُقْبِل»، أو خبر بعد خبر أيضاً لمبتدأ محذوف بتقدير: ذُو؛ لِيَصحّ الحملُ؛ كما مرَّ في أول هذه الرسالة أو عطف بَعْد عَطف بتقدير حرفِ العَطف وذو، وكلُّ ذلك مُحْتمَل، وقلبي إلى الاحْتمال الأوّل أميَلُ؛ لقلَّةِ الحذفِ فيه فتأمّل، وقد سبَق أنّ فيه تجنيسَ قلب قلبِ بَعْضٍ[١].

فمعنى البيتين: فإذا كان الأمر كَيْتَ وكَيْت.. جُعِلَتْ كُلُّها، أي: كُلُّ ما ذكر منَ الدُّور والفُرش وغيرها ذَريعَةً ووَسيلة لحثّ الناس وألفتِهم واتّعاظِهم ولوصُولهم وإيصالهم إلى المطلوب، ولم تُجْعَل لِمَطْلب آخَر غيرها، ومعه أنَّه هاربٌ من الضلالة إلى الهداية، وخائفٌ من الله تعالى فقط لا من غيره؛ إذ الوَليّ لا يَخاف غيْرَ الله تعالى حقيقة إلا لمصلحةٍ؛ كما قيل:

إِنِّـي أُحَـيِّي عَـدُوِّي بَـعْـدَرُؤْيَـتِـهِ ❊ لِأَدْفَـعَ الـشَّـرَّ عَـنِّـي بِـالـتَّـحِـيَّـاتِ

فما يُرى من الأولياء مِن الخوفِ في بعض المواضِع عن بعض أهل الظلمة ظاهراً فهو خوفٌ عن الله تعالى حقيقةً، فلا يَطّلع على أسرارهم إلا مَن في قدمهم ومَقامهم؛ لما قيل: مَنْ لم يَذُقْ.. لم يَعْرِف، لا أفلَح الله مَن أطال لسانَه عليهم، وهو[٢] مُدْبِر عن الدنيا وعما فيها، ومُقْبِل إلى العقبى، بل إلى رضاء الله في كلّ حالٍ وزمانٍ، بل وفي كلّ فعْلٍ وحركةٍ ومَقالٍ، وواصل إلى درجَة لا نهايةَ لها بحال من الأحوال.

ثم اعلم: أنَّ العناية الأَزَلِيَّة قد سَبَقتْ له، ولهذا قد فرّ مِن الضلال؛ لتحصيل طريق الهُدى والإجلال حَيْثُ وَفّقه الله تعالى للرحلة والسفر في

[١] في (ص ٩٤).

[٢] أي: الممدوح. (منه).

طلبه تعالى، وهو درجاتٌ وأقسامٌ، فراجع إلى مطوّلات كتب القومِ إن شئتَ البيانَ فوق العيان.

والسفر الرابع عند الرجوع من الخلق إلى الحق في مَقام الاستقامَة وهو أحَديّة الجمْع والفرْقِ بشهود اندراج الحقّ في الخلق، واضمِحْلال الخلق في الحّق حتى يُرى عَيْن الوَحْدة في صُوَرِ الكَثْرة، وصُوَرُ الكثرةِ في عَيْن الوحدة، فافهم؛ كما يحْصُل ذلك للسالك الصادق من أوّل توجّهه إلى الله تعالى بغَمْض عَيْنيه؛ كما هو عادة المتوجّهين إليه تعالى بفناءٍ تامٍّ، وذلك من استغراق قلبه أولاً، وبالذات وجميع لطائفه ثانياً، وبالعَرْض بذكره تعالى دائمَ الأوقات، ثم من فنائه عن نفسه، ووُجُودِه مع فناء القَلب وسائر اللطائف، ومن استغراقه في النور المُسَوّد الإلهي، رَزقنا الله تعالى ولجميع إخواننا إياه.

ثم يَعْقُبُهُ البقاء، فعند ذلك يَجلس المريدُ على سرير الإرشاد بإذن شيخه، وينكشف له أسرار المُلكِ والملكُوت، ويَسْري روحُه إلى عالَم الجبَرُوت، بل إلى عالَم اللاهُوتِ، فيكون عندَه عرشيّاً وَفرشيّاً، بل في بعض الأحيان كرسيّاً أي: لا يستقرّ روحه وقتئذ في مكان، بل يَسْري في كل زمان ومكان مع عبرة في عجائب المخلوقات والأشياءِ، ويقال له عند الصوفية: سَيْرٌ في الأشياء، أعني به: رؤيةَ الحقّ في الأشياء، وفي بعض الأحيان يَنكشف له الحقّ بلا أشياءَ، وهذا نهاية مَقام السالكين.

ولا يخفى أنّ المرادَ مِن الكلِّ: الوصولُ برضاء الله والمعرفةِ به تعالى، وذلك يَحْصُل من التفكّر في المَصْنُوعات الغريبة، بل في سماوات ذاتِ أبراجٍ وأرضٍ وبِحارٍ ذاتِ أمواجٍ، فإذا سَرى رُوحُ ذلك السالك القابل في تلك

المنازل، ومرّ عنها مع عبْرة وعرفان الخالق العادل، ووَصل إلى خيام لَيْلَى.. لا يَكُون فَرقٌ بين فَرقِهِ وجَمْعِه، فهذا عند الرجوع من الخَلق إلى الحقّ على الاستقامة، يقال له عند الصوفية: **أحديةُ الجمْع والفَرْقِ**، رزقنا الله تعالى وإياه هذا المشربَ بحرمة مَن لا نبيَّ بَعده، آمين؛ كما مرّ الإشارة إليها نقلاً عن الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه في قصيدته التركيَّة حَيْث قال فيها:

رِضَايِ دُوسْتِ رِضَاسِينَه مُرْتَضَى تُوكَانُورْ * فِرَاقِ وَصْلِ هَمَه ذَوْ قِدَه بَرَابَرْ اُولُوبْ

يقال: «فلان في الجمع»، يعني: في اسْتيلاء مراقبة الحقّ على قلبه، فإذا عادَ إلى الأعمال.. عاد إلى التفرقة، وذلك للأولياء.

وحاصله: أنَّ الجمع العلمُ بالله تعالى، والتفرقةَ العلمُ بأمر الله تعالى، ولا بُدّ منهما جميعاً، قال المازني رضي الله تعالى عنه وعنا[١]، آمين: «الجمع عيْن الغناء بالله تعالى، والتفرقةُ العبُوديّة؛ كما قال ولي الله العارف الصَفَدِي قدّس سرّه:

وَارْجِعْ إِلَى الشَّرْعِ جَمْعٌ لَيْسَ تَفْرِقَةٌ * فِيهِ فَزَنْدَقَةٌ فَابْغِ الجَلِيَّاتِ»

انتهى ملخصاً على المرام[٢].

[١] هو العارف بالله، الولي الكبير أبو الحسن علي بن محمدٍ المُزَيِّن البغدادي، صحِبَ سَهْلَ بنَ عبدِ الله التُّسْتَرِيَّ والجُنَيْدَ، وأقام بمكة مجاوراً، وكان من أورع المشايخ، وأحسنِهم حالاً، حكى عنه أبو بكر الرازي وغيره، توفي سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثِ مائةٍ. «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٢٣٢)، و«طبقات الصوفية» (١/ ٢٨٩)، و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (١/ ٣٣٣).

[٢] راجع «الفريدة المخمسة الأحدية» للشيخ شعيب أفندي الداغستاني على «المنظومة الصمدية الصفدية» للعارف عبد الواحد الصفدي (ص ٩٣).

ثم لما قال الناظم رحمه الله تعالى ما قال، ولم يَسترح به قلبُه.. أراد بيانَ أدلّةِ تلك الأمور ثانياً تفصيلاً فقال:

٣٤. وَكَـذَا عَـدُّهَـا مَـفَـاسِـدَ شَـرْعـاً * بِـالَّـذِي غَـرَّهَـا بِـزُعْـمِ صَـلَاحِ

٣٥. وَغَـدَا مَـشْـغُـولاً بِـهَـا عَـنْ إِلَـهٍ * بِـئْـسَ بَـأْساً مَـرْعَـاهُ بِـالإِضْـرَاحِ

قوله: **(مَفَاسِدَ)** حالٌ مِن مبتدأٍ، بناءً على جوازه عنه. وقوله: **(شَرْعاً)** تميزٌ عن مَفاسدَ. وقوله: **(بِالَّذِي)**... إلخ مع صلته خبرٌ لمبتدأ سابقٍ وهو: **(عَدُّهَا)**، فالباء في «بِالَّذِي» بمعنى اللام، فراجعه. قوله: **(وَغَدَا)** معطوفٌ على قوله: **(غَرَّهَا)**.

فمعنى البيتين: وكما أنَّ الأمور السابقةَ جُعِلت لتقليب قلوب الناس وتمييلها إليه فقَط لا لمطلبٍ آخرَ كذلك عَدُّها واعتبارُها مفاسدَ في الشرع بناءً على الشخص الذي مال قلبُه إليها، واغترَّ بها، زاعماً أنَّ الخير له فيها، وصار مَشْغُولاً بها بالقلب، غافلاً عن الربّ جلّ وعلا لا مطلقاً، فمن كان صفتُه ذلك.. كان مطرُوداً عن باب رحمة الله تعالى، العياذُ بالله.

ثم لما ذُكر كونُها أي: الأمورِ مفاسدَ على الذي اغترّ بها؛ لا مطْلقاً.. وَقع في قلب السامع أنَّ ذلك الوَلِيَّ الممدوح، ألا يكون مغْرُوراً ومشغولاً بها[١]، غافلًا عن الله تعالى، فأجابَ بقوله:

[١] أي: من القلب غافلًا بها عن مولاه ولو قليلًا وإن شَغل بها مع ملاحظة مولاه كثيراً إذ جُلُّ نَظر أمثاله الملاحظة. (منه).

٣٦. بَيْدَ ذَا مَحْمُودٌ كَفِيلٌ كَفَاكَ * مُرْشِداً مُغْنٍ مُبْتَغِي الإِيضَاحِ

٣٧. كَيْفَ لَا تَفْوِيتُ التَّفَاوُتِ بَيْنَ * الدَّرِّ وَالدُّرِّ دَأْبُ أَهْلِ الصَّلَاحِ

قوله: (**بَيْدَ**) اسمٌ ملازِمٌ للنصب والإضافةِ إلى «أن» وَصِلتِهَا بمعنى: غيرُ، ذَكره الجوهري[١] وقال: يقال: إنه كثير المال بَيْدَ أنه بَخيلٌ، وبمعنى: مِن أجْلِ، ذَكَرَه أبو عبيدةَ وغيرُه، وعليه حديث: «**أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ**»[٢]، وقيل: أن بَيْدَ فيه بمعنى: غيرُ، وأنّه مِن تأكيد المدح بما يُشبِهُ الذمَّ، كذا في «شرح جمع الجوامع»[٣]، فراجعه.

فَعَلى هذا أنَّ الناظم رحمه الله تعالى اسْتعْمَلَه هنا على خلاف وَضْعه؛ كما تَرى، فلا أعلم ما سَبَبُه، فراجعه وانظره.

أقول: لعلّ سببه: وقوعُه في ضرورَة الشِّعْر؛ كما ترى، وأما ملازمتُه للنصب والإضافةِ إلى «أن» وَصِلَتِها.. ففي سَعَة الكلام؛ لا مُطْلقاً، فلا عيْبَ حينئذ في كلام الناظم رحمه الله تعالى.

[١] هو إمام اللغةِ، أبو نَصْرٍ إسماعيل بن حمادٍ الجَوهري التُّركي الأتْرارِي، وأُترار هي مدينة فَارَابَ، مصنف كتاب «الصحاح»، وأحد مَن يُضْرَبُ به المثل في ضبط اللغة، دخل بلاد رَبيعَةَ ومُضَر في تَطلّب لسان العرب، ودارَ الشامَ والعراق، ثم عاد إلى خُراسان، فأقام بنَيْسَابُور يُدرِّس ويُصنف، ويُعَلِّمُ الكتابة، ويَنسخ المصاحف، قال جمال الدين علي بن يوسف القِفْطِي: مات الجوهري مُتَرَدِّياً من سطح داره بنيسابور في سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثِ مائةٍ. ثم قال: وقيل: مات في حدود سنة: أربعِ مائةٍ، رحمه الله تعالى. «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٨٠-٨٢).

[٢] قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ٩٥): «معناه صحيحٌ، ولكن لا أصل له كما قاله ابن كثير، وذكره ملا علي القاري» في «الأسرار المرفوعة» (ص ٢٤٨) وقال: قال السيوطي: «أورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من خرجه ولا أسنده».

[٣] راجع «شرح جمع الجوامع» للجلال المحلي (١/ ١٤٥).

قوله: (ذَا) اسم إشارة ومبتدأ، قوله: (مَحْمُودٌ) عَطْفُ بَيانٍ لـ«ذَا» أي: اسمُه محمود، وأخلاقه أيضاً محمودةٌ، فالاسمُ مُطابِق لمُسمّاه، فأنّى يَأتِيه الغَفْلةُ بسبَب تلك الأمور عن مولاه، تلخيصه: لا يَأتيه الغفْلة بسَببها أصلاً، بل إنّها لأمثاله وَسيلةٌ للفوز والنجاح، فيَتقرّب بها إلى الله تعالى في كلّ وقف، بل في كلّ نظرة، فتأمّل؛ كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الآية[١].

قوله: (كَفِيلٌ) خبر لـ«ذَا» أي: أنّه كفيل وَضامِن لجمْع جَميع المهمّات والخيراتِ لا يَفوت عنه قدس سره شيءٌ مَّا عنها أصلاً، فكيف يَأتيه الغفلة بسبَبها. قوله: (كَفَاكَ)[٢] خبرٌ بعد خبَر لـ«ذَا»، وَأَلِفُهُ للإشباع.

قوله: (مُرْشِداً) حَالٌ من فاعل «كَفاك»، والمرشدُ: مَن جَلس على السَّجادة لإرشاد العِباد، وله شُروطٌ تُطْلب من المطوّلات، فَجَمِيعُها مَحْصُورٌ وموجود في الممدوح. قوله: (مُغْنٍ)... إلخ، خبر بعد خبر أيضاً لـ«ذا»، ويجوز أن يكون عطفاً لِـ«كَفِيل»، بحَذف حَرْف العَطْف عنه للوزن.

وقوله: (مُبْتَغِي الإيضَاح) متعلّق لـ«مُغْنٍ» بحذف حَرف التعليق عنه؛ للوزن.

فتقدير الكلام[٣]: أنَّ ذلك الممدوحَ كَفِيل لك[٤]، كفاك مرشداً مُغْنٍ بك عن مُبتغي الإيضاح، قوله: (كَيْفَ لَا)... إلخ أي: كيف لا يُغنيك هذا

[١] سورة النور، الآية: ٣٧.

[٢] ويجوز أن يكون صفَةً لِـ«كَفِيل». (منه).

[٣] أي: على احتمال الأول في «مُغنٍ». (منه).

[٤] أي: يا أيها المخاطب. (منه).

الممدوحُ عن مبتغي الإيضاح على أنّ فيه أخلاقا وسِيرا لا يَلْزم ولا يُطلب معها إيضاحُ مُوَضِّحٍ، منها[١]: تفويتُ التفاوت بَين الدَّرِّ والدُّرِّ، وهو مِن دَأب الصالحين والكاملين، فالممدوح من جملتِهم.

قوله: (تَفْوِيتُ التَّفَاوُتِ) مبتدأ. وقوله: (دَأْبُ أَهْلِ الصَّلَاحِ) إما خبر لمبتدأ مذكور، وإما خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو دأبُ أهل الصلاح، فجملتُه: خبرٌ للمذكور أيضاً أي: نَفْيُ التفاوت بينهما من دأب أمثال الممدوح.

حاصله: كيف لا يكون لك أيها المخاطب هذا الممدوحُ الذي أنشأ هذا الناظمُ رحمه الله تعالى في حَقّه هذا المديحَ كفِيلاً[٢]، قد كفاك مرشداً إليك، ومُغنياً إياك عن إيضاح موضِّحٍ على أن نَفْيَ التفاوتِ بينهما من شأن أمثاله.

ثم لما ذكر الناظم رحمه الله تعالى: أنَّ الممدوح وأمثالَه لا يكون مَغْرُوراً ولا مَشْغُولاً بها غافلاً عن مولاه.. سَأل سائل: فَهَل لإقدام مِثْلِه لأمثالها، واختلاطِه بها محمِلٌ ودليل من آية أو حديث وإن لم يُشْغِلْهُ بها عن مولاه شاغل.. قال رحمه الله تعالى:

٣٨. مَعَ مَا فِيهَا مَحْمِلاً يَذْكُرُ اللَّـ * ـهَ الوَرَى فِي فَرْشٍ عَلَى إِبْرَاحٍ

قوله: (مَعَ مَا فِيهَا مَحْمِلاً يَذْكُرُ اللهَ)... إلخ، اقتباسٌ من حديث الخُدْرِي رضي الله عنه؛ كما يأتي عن قريب في شرح بيت الناظم رحمه الله:

[١] أي: من الأخلاق والسير.

[٢] أي: لك. (منه).

وَتَـحَـايَـا العِـدَى... إلى قولـه:

وَوَلِـيٌّ أَمَـالَـهَا بِـرُوَاحٍ، فـراجعه[١].

فمعنى الأبيات الثلاثة: بيد أنّي أقول أيها السامع السائلُ عن حال هذا الوليّ الممدوح: بَيْنه وبَين الذُّهُول عنه تعالى بسبب إقْدامه إلى تلك الأمور التي هي كالمَفاسد واختلاطه بها بَوْنٌ بَعيدٌ بِمَرَاحلَ، وأَنَّى يَأتيه الغَفْلَةُ وهو من أكابر الطريقة النقشبندية العليّة الذين لا يَلتفتون بِمَيْل القلب والأُلْفَة إلى التفاوت بَيْن الذهب والخَزَف، وبين نفعٍ من مَنافع الدنيا وضرٍّ من مَضارّها، بل يستويان عندهم قلباً وإن كانوا يتقلّبُون على فرش بطائنُها من اسْتبرق؛ لأنهم متّصفون بكمال الإخلاص، واتّباع السنة، وترك البدع، وإعراض القلب عن مَتاع الدنيا، والميل إلى نعيم الآخرة؛ لِحَديث: «**إنَّ لِلَّهِ أَقْوَاماً يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا عَلَى الفُرُشِ المُمَهَّدَةِ، فَيُدْخِلُهُمْ عَلَى الدَّرَجَاتِ العُلَى**»[٢].

فائدة: فالحاصل: أن حَضرة مولانا ذا الشأن محمود أفندي الأَلْمَالِيّ قدس سره كان رجلاً مَن رآه اهْتَدى واتّصل بِسَعادة لا تخفى.

وحكي: أن السلطان محمود الغازي[٣] دَخل على الشيخ الرباني أبي

---

[١] في (ص ١٤٩).

[٢] أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٩٨)، والسيوطي في «الجامع الصغير» (٧٥٦٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: «**لَيَذْكُرَنَّ اللهَ قَوْمٌ فِي الدُّنْيَا عَلَى الفُرُشِ المُمَهَّدَةِ يُدْخِلُهُمُ الدَّرَجَاتِ العُلَى**».

[٣] هو أبو القاسم محمود بنُ ناصر الدولة سُبُكْتِكِين التركي، صاحبُ خُراسان والهِنْد، وأحد أئمة العدل، ولد في ليلة عاشوراء سنة: (٣٦١)، كان مبدأ ملكه سنة (٣٨٧)، وكان يلقب قبل السلطنة بسيف الدولة، وأما بعدها بيمين الدولة، وفي سنة (٣٩٢) غزا بلاد الهند، وفتح الله على يديه، وكسر الهنود وأسر ملكهم، كان أولا حنفي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي لما صلّى القَفَّالُ بين يديه صلاة لا يُجوِّز الشافعي دونها وصلاة لا يجوّز أبو حنيفة دونها، توفي رحمه الله تعالى في غَزْنَة سنة

الحسن الخَرَقَانِي[١] قدّس سرّه لزيارته وجلسَ ساعةً ثم قال: «يا شيخ؛ ما تقول في حَقّ أبي يزيد البَسْطَامِي[٢] ؟» فقال الشيخ: هو رجل من رآه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى، فقال محمود: وكيف ذلك وأبو جهل رأى رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يَتصل بالسعادة، ولم يتخلّص من الشقاوَة؟! فقال الشيخ في جوابه: إن أبا جهل ما رأى رَسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وإنّما رأى محمدَ بنَ عبد الله يَتِيمَ أبي طالب حتى لو كان رأى رسولَ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم.. لَخَرَجَ مِن الشّقاوة ودخل في السّعادة.

ثم قال: ومِصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾[٣]، فالنظَرُ بعين الرأس لا يوجب هذه السَّعادَةَ، بل النظر بعين السرّ والقلبِ يورثُ ذلك، فمن رأى أبا يزيد بهذه العيْن.. فَازَ بالسعادة، وفي الحديث: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي، وَلِمَنْ رَأَى

(٤٢١)، وقبره يُزار. «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٨٣-٤٩٥)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٣١٤-٣٢٧)، و«وفيات الأعيان» (٥/ ١٧٥-١٨١).

[١] هو شيخ عصره، وفريد وقته، أبو الحسن علي بن أحمد الخَرَقَانِيُّ البَسْطَامِيُّ، له الكرامات الظاهرة، والأحوال السنية، كان قد راض نفسه وأجهدها، قصده السلطان محمود، وجرت بينه وبينه حكايات عجيبة، مات قدس سره في يوم الثلاثاء، وهو يوم عاشوراء من سنة (٤٢٥)، وكان له يوم وفاته ثلاث وسبعون سنة. «الأنساب» (٢/ ٣٤٧-٣٤٨).

[٢] هو سلطان العارفين، أبو يزيد، طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البَسْطَامِي، الزاهد المشهور، كان له أخوان زاهدان عابدان أيضاً: آدم وعلي، وكان أبو يزيد أجلّهم، وسئل أبو يزيد: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع وبدن عار. كانت وفاته سنة إحدى وستين، وقيل: أربع وستين ومائتين، عن ثلاثٍ وسبعين سنةً، رحمه الله تعالى. «سير أعلام النبلاء» (٣١/ ٨٦-٨٩)، و«طبقات الأولياء» (١/ ٦٦)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٥٣١).

[٣] سورة الأعراف، الآية: ١٩٨.

مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي»[١]؛ كما في «الرسالة العلية» للكاشِفي[٢]، وظهر من هنا: أن رؤية الأولياء أيضاً إنّما تُفِيد إذا كانت بالبَصيرة، ثم إن الرؤية تتناول ما في اليقظة وما في المنام.

واعلم: أن جميعَ الأنبياء مَعْصُومُون مِن أن يَظهر شيطان بِصُوَرِهم في النوم واليقظة؛ لئلا يَشْتَبِهَ الحقُّ بالباطل.

يقول الفقير أصلحَه الله القدير: سمعت مِن حضرة شيخي المتفرّد في زمانه بعلمه وعِرْفَانِهِ: أن الشيطان لا يتمثّل أيضاً بصور الكُمَّلِ من الأولياء الكرام كقُطب الوجود في كل عَصْر، فإنه مَظْهَر تامٌّ للهدى، سارٍ في سِرِّه سِرُّ النبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم تسليماً كثيراً.

فعلى العاقل أن يَترك القيل والقال، ويَدَعَ الاعتراض بالمقال [و] الحال، ويَسْتسلمَ لأمر الله الملك المتعالي إلى أن يَبْلغ مَبْلغ الرجال، ويتخلّصَ من مكر الشيطان البعيد عن ساحة العزّ والإجلال، ويكونَ هادياً بعد كونه مَهْديّاً إن كان ذلك أمراً مَقْضِيّاً.

اللهم؛ اهدنا إلى رُؤية الحق، وأرِنا الأشياءَ؛ كما هي، وخَلِّصنا من الاشتغال بالمناهي والمَلاهي، إنك أنت الجواد لكل صنف مِن العبّاد، مِنك المبدأ وإليك المعاد.

---

[١] أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٦٩٩٤) بلفظ: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي، وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي»، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٠٥٥) بلفظ: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي، وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي، وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي».

[٢] وهو كتاب: «الرسالة العلية في الأحاديث النبوية» في شرح أربعين حديثاً فارسي، لحسين بن علي البيهقي كمال الدين الكاشفي الهروي، الشهير بـ« الواعظ الحنفي»، توفي سنة: (٩١٠) بهراة. «هدية العارفين» (١/ ١٦٨).

ويؤيّده ما قاله ولي الله العارف الشيخ إسماعيل حَقِّي قدّس الله سرّه[١]، وأعادَ علينا مِن بركاته في لوائحه حيث قال: «لَاحَ لي عند قوله عليه السلام: «**الحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ الله فِي أَرْضِهِ، فَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ بَيْعَة رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ الحَجَرَ، فَقَدْ بَايَعَ الله وَرَسُولَهُ**»[٢]، إن حضرة الكعبة بمنزلة الذات، والحجرَ الأسود يمينه التي تقبل بالتعظيم كما يَتَقَبَّلُ يمين السلطان عند المبايعة، والإشارةُ فيه: أن قلب الإنسان الكامل مُسْتوِي السرّ الإلهي، ويمينَه يمينُ الله، فمُبَايَعَتُه مُبايَعَةُ الله، ومبايعةُ رسوله، فإذا كان الجماد بهذه المنزلة من التعظيم والتكريم.. فما ظنّك بالإنسان الكامل المكرَّمِ؟!

ومعنى: «فَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ» أن سرَّ المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ورثتُه الكُمَّلُ، وهم آخِذون مِن مشكاته، فالوصول إليهم كالوصول إلى النبي عليه السلام، ولذا وَرد: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي».

فإن قلت: فما تقول في أبي جهل وأمثاله، فإنّهم رأوا النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم؟.. قلت: إنّهم ما رَأوه قطعاً، ومصداقُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٣]، فالنظر بعين الرأس لا يوجبُ السعادَة،

[١] هو إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلام بُولي الحنفي الخَلْوَتي، المولى أبو الفداء، متصوّف مفسّر، ولد في آيدُوس سنة (١٠٦٣)، وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بُرُوسَة (بُورْصَة)، فمات فيها سنة: (١١٢٧هـ)، وقيل: (١١٣٧)، من تصانيفه الكثيرة: «روح البيان» في تفسير القرآن، و «الرسالة الخليلية» في التصوف. «معجم المؤلفين» (٢/ ٢٦٦) بزيادة يسيرة.

[٢] أورده محمد الأَزْرَقي في «أخبار مكة» (٣٩٥) عن عكرمة، وأخرجه الحسن البصري في «رسالته» بلفظ: «**الحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ الله فِي الأَرْضِ، يُصَافِحُ بِهَا عِبَادَهُ كَمَا يُصَافِحُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، وَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ بَيْعَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَدْرَكَ الحَجَرَ وَمَسَحَهُ فَقَدْ بَايَعَ اللهَ**».

[٣] سورة الأعراف، الآية: ١٩٨.

بل النظر بعين القلب والسرّ، فالأولياءُ رأوا النبيَّ عليه السلام ببصائرهم، وَاقْتَفَوْا أثرَهُ، واستفاضُوا من مَشرعه، وصاروا مظاهرَ سِرّه.

فمن رآهم رأى النبي عليه السلام، بل رأى اللهَ تعالى؛ كما ورد: «**مَن رآهم.. ذَكر الله**»، فانظر في هذه البِشارة ماذا ترى، فمن لم يَعْرف الكعبةَ الحقيقية، ولم يَطُف حَوْلَها، ولم يُقَبِّل يَمِينها بالتعظيم والتكريم، ولم يُبايِعْها.. فقد ضلّ عن طريق الرُّشْد، ليس له بَصيرَة في طريق الحقّ، وهذه حالُ مُنْكِرِي الأولياء ومبايَعتِهم. وأما مُعْتقدُوهم والمبايعُون لهم.. فقد اهتدَوْا مناراً ما ضَلَّ سَالِكُه. اللهم اجعلنا من خُدّام الإنسان الكامل، ويَسِّر لنا تقبيلَ يَمينك، والوُصولَ إلى ذاتك، آمين، آمين، بجاه نبيّك الأمين. انتهى كلامه بحروفه.

ثمّ لما قال الناظم رحمه الله تعالى ما قال.. وَقع في قلب سَامعِه: فما تعظيم الكفّار وأهل الظَّلَمَة والأُلْفَة بهم، واحترامهم بالضيافة والمُصافَحة، أليس اللهُ ذَمَّ مَن رَكَنَ إليهم حيث قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾؟ الآية[١] أجاب عنه:

٣٩. وَتَحَايَا العِدَى لِدَفْعِ شَرَارٍ * وَوَلِيٌّ أَمَالَهَا بِرُوَاحٍ

٤٠. نُزُلٌ وَارِدٌ عَلَى قَيْدِ مُصْطَا * دٍ خَلَى مُوقِرَ القَبَاحَ القَشَاحِ

قوله: (**وَتَحَايَا العِدَى لِدَفْعِ شَرَارٍ**) مبتدأ وخبرٌ وإشارة إلى قول صاحب «سلك العين»: إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ... إلخ[٢]، واقتباسٌ عنه.

[١] سورة هود، الآية: ١١٣.

[٢] وهي بتمامه: ... لأدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ. «سلك العين» (٥).

قوله: (وَوَلِيٌّ أَمَالَهَا بِرُوَاحِ) أيضاً مبتدأ[١] وخبر، تعريفُه بالتخصيص[٢]؛ كما في: ﴿وَلَعَبْدٌ[٣] مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ﴾ الآية[٤]، وجملة حاليّةٌ بتقدير: قد[٥].

فأصلُه: وقد أمال مثلَ هذه الأمور[٦] إمَامٌ كامِلٍ من الأئمة العَليّة، ورَئيس عَالٍ من رُؤساء الطريقة النقشبندية؛ لأجل أغراضٍ أُخرويَّةٍ، وفوائد جَليَّة لا تَخْفى عند أهل البصيرة، وهذا الممدوح مِثْلُه أمالَ تلك الأمور لمصالح العباد، لا لاستراحَة نفسه، ووَجد في عاقبتِها السرور، أقلّه[٧]: كونه محفوظاً بِسَببها عن الفتنة. ولا يخفى أنّ حديث الخُدري رضي الله عنه: «**لَيَذْكُرَنَّ اللهَ تَعَالَى أَقْوَامٌ فِي الدُّنْيَا عَلَى الفُرُشِ المُمَهَّدَةِ يُدْخِلُهُمْ عَلَى الدَّرَجَاتِ العُلَى**» دليل واضِحٌ على صحّة ما عليه بهاء الحقّ والدين، إمام الطريقة النقشبندية، الشيخ محمد البخاري الأُوَيْسِي قدّس الله سرّه[٨]،

---

[١] أي: لفظاً وصُورة، وفاعل معنىً وحقيقةً. (منه).

[٢] لعلّ تخصيص المبتدأ هنا بصفته المحذوفة أي: (وَوَلِيٌّ كَامِلٌ أَمَالَهَا)... إلخ، كما أفادَهُ قولنا في الشرح: (إمَامٌ كَامِلٍ)... إلخ، كما كان تخصيصُ شَرٍّ في (شَرٌّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ) بصفته المحذوفة، أي: (شرّ عَظيم أهرّ)... إلخ، هذا عند من جَعله مبتدأ، وأما... إلخ.. فليسَ من هذا القبيل، بل قال في «الامتحان»: أنَّ الجمهور شرَطوا التخصيصَ بشيء للإفادة، وهي قد توجد بِدُونِهِ ككوكب انقض الساعة، فلا وَجه لاشتراط غيرِه، ولذا شرَط المحقّقون من النحاة إياها بدُونِه. (منه).

أي: تقديره: (وَوَلِيّ كَامِلٍ)... إلخ، فيكون داخلاً في قسم ما جاز الابتداء [به]؛ لكونه موصوفاً؛ لأن الوصف أعمّ مِن أن يكون ظاهراً أو مقدّراً، وهو هنا مقدّرٌ. (منه).

[٣] وكما في (شر أهرّ ذا ناب)، فراجعه. (منه).

[٤] سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

[٥] أي: قبل أمالها. (منه).

[٦] أي: منها: الميل إلى نفائس الثياب والنعم، فراجعه. (منه).

[٧] أي: أقلّ ما وُجد. (منه).

[٨] هو الغوث الأعظم محمد بن محمد بهاء الدين الشّاه نَقْشَبَنْد، الأُوَيْسِيّ البخاري، ولد في محرم سنة (٧١٧هـ) في قرية «قَصْر العَارِفَان» مِن قرى بُخارى، وتَلَقّى هذه الطريقةَ العلية في الظاهر مِن الشيخ

ونفعنا بنَفائسِ أنفاسه العليّة، آمين، وعلى ما عليه سائر أتباعه في طريقته قدّس الله أسرارَهم البَهيّة، آمين، اللهم آمين من الميْل إلى نفائس الثياب والنعم[١]، فراجعه.

قوله: **(نُزُلٌ)**... إلخ، خبر لمبتدأ محذوف، تقديرُه: هذا نزل، وَالنُّزُل الطعام المُهيَّأ للضيف، ونظيرٌ لكون الْتِفاتِ[٢] الطالحين واحترامِهم بالضيافة والمُصافحة ليسَتْ مِن صَميم الفؤاد، ولا هو قدّس سرّه مُسْتحسِن ما هُمْ عليه، بل لترغيبهم وحثّهم إلى وُجوه الخير، فراجعه؛ كما أنَّ الأطعمة التي أتاها الصيَّادُ على قَيْدٍ وضع لاصْطياد السباع ليست لإكرامها واحترامها، وتتغذّى بها وتتناولها، بل لِتَهَجُّمٍ وتَقَبُّلٍ إلى القيد، وتَدَخّلٍ إلى يده.

قوله: **(خَلَى)**... إلخ إما حال مع مُتعَلِّقه لِـ**(نُزُل)**، وهو **(مُوقِر القَبَاح)**، حُذف عنه حرف أداة التعليق؛ للوزن بتقدير: قد على مذهب جَواز الحال من

محمد بَابَا السَّمَّاسِي، ومن بعده صحب السيد أمِير كُلَال، وفي الحقيقة كان أُوَيْسِيّاً، رَبَّتُهُ رُوحانية الشيخ عبد الخالق الغُجْدَوَانِي، توفي قدّس سرّه في ٣ من ربيع الأول سنة (٧٩١هـ)، ودفن في بستانه بأمره. «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٢٩٥-٣٠٨)، و«المواهب» (١٠٢-١٣٤)، و«رشحات عين الحياة» (٩٣-٩٦).

[١] وروي: أن امرأة كان ولدها في تربية الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره، فيوماً جاءت لرؤية ولدها، فإذاً هو على حصير يَأكل رغيف شعير بِجَرِيش الملح، ثم زارت الشيخ، فرأته على فُرش نفيسة يَأكل خبزاً لطيفاً ودَجاجاً، فصاحت: ابني يأكل الشعير وهو على الحصير، وأنت تأكل الدجّاجَ، فنظر الشيخ إلى ذلك الدجاج وقال: قم بإذن الله تعالى، فعاد حيّاً، فقال للمرأة: إذا صار ابنك لهذا المقام.. فليأكل ما أراد من الطعام. كذا في «شرح الطريقة المحمدية» (١/ ١٥٤) لمولانا أبي سعيد الخادمي قدس سره، فراجعه. (منه).

(فعاد حيّاً): وإحياء الموتى كرامة، فهو وإن كان عظيماً، إلا أنه جائز على القول الصحيح المختار عند المحققين من أئمة الأصول؛ إذ ما جاز أن يكون معجزة لنبي.. جاز أن يكون كرامة لوليّ بشرْط أن لا يَدّعي التحدّي؛ كالنبوّة، وإحياء الموتى كرامة للأولياء، كثير لا ينحصر. كذا في «حياة الحيوان»، فراجعه (١-٢/ ٢٩٢). (منه).

[٢] أي: الصادر من ذلك الجناب أحياناً أي: حين المصادفة والملاقاة إليهم... إلخ. (منه).

الخبر. **فتقديره على هذا:** هذا نُزُل واردٌ على قَيْدٍ مصطادٍ قد خلى عن توقير السِّبَاع وتعظيمها... إلخ وإلخ؛ إذ غرضه من ذلك: إدْخالُها إلى يده بأيّ حيلة مِن الحِيَل، فكذلك غَرَضُ هذا الممدوح من تعظيم أهل القلّة بجميع ما ذكر: إدْخالهم إلى يده بأيّ حيلة من الحِيل، فلا لوْمَ بذلك عليه.

وإما صفة له[١] مع مُتعَلّقه أيضاً، وهو «مُوقِرِ القَبَاح»[٢]، حُذف عنه حَرْف التعليق؛ للوزن أيضاً.

فتقديره على هذا: هذا نُزُل واردٌ على قَيْدِ مُصْطَاد خَلَى[٣] عن توقير السّباع إلى آخر ما سَبق، وهذا الأخير مما اسْتراح عليه قلبي لقلّة الحَذْف فيه، فتدبّر، غيرَ أن الناظمَ رحمه الله قد ضبط[٤] على قوله: «مُوقر القَبَاح» بأنّه حالٌ كَوَحْده، فراجعه، انتهى، فلا أعلم ما سبيلُه، فراجع، وانظر قوله: **(القَشَاح)** عَطف لـ«القباح» بحَذف حَرْف عطفه؛ للوزن.

فمعنى البيتين: أي: تحيّتُه قدس سره، وتحية سائر الأولياء قدس الله أسرارهم العَلية على أعداء الله تعالى من الكافرين، وعلى أعدائهم ومُنْكريهم من المؤمنين؛ لأجل محافظتهم عن فِتَنهم، لا حبّاً من أنفسهم بهم، ولا كرامةً لهم على ما هم عليه، بل لِتَرْغِيبهم إلى الإسلام، وحثّهم إلى وجوه الخيْر، وإدْخالهم تحت أيديهم؛ لينالُوا من الله تعالى بِسَبَبه نصيباً أتمَّ، وليَأخُذوا

[١] أي: تعظيمه قدس سره... إلخ، فلا إشكال فيه، فراجعه. (منه).
[٢] وهو الدُّب، والقَشَاح: الذئب. (منه).
[٣] أي: خلى ذلك النزل عن توقير السباع... إلخ. (منه).
[٤] أي: كتب. (منه).

عنه حَظّاً أوْفرَ؛ كما أنَّ الأطعمة التي أتاها الصّيَّاد على قيد وُضع لاصطياد السباع.. ليست لإكرامها واحترامها، وتتغذّى بها، وتتناوَلَ عنها، بل لتَهْجم وتُقبِل إلى القيْد، وتَدْخلَ إلى يده.

ثم لما قال الناظم رحمه الله تعالى ما قال.. اختَلَج في صَدْر السامع أن يقول: ألا يُمكن اختيارُ تلك الأمور من صميمِ الفؤادِ مع المحبّة التامّة منه إليها، وذا ليس بِمُحال؟! فأجاب:

٤١. لَوْ أَتَاهَا قَصْداً وَبِالذَّاتِ حَمْداً * لَالْتَوَى آثَارُ الهُدَى وَالفَلَاحِ

قوله: **(حمداً)** مصدرٌ لِفِعْل محذوف، أي: وحَمْدها بالذات حمداً. قوله: **(لَالْتَوَى آثَارُ الهُدَى وَالفَلَاح)** الآثار: بقاياه[١] من خلفائه وخلفاءِ خلفائه، وهكذا إلى آخر الزمان، وثناءٌ حَسَنٌ له قدّس سرّه عندَهم، يَبْقى أثرُه إلى يوم الدين؛ كما للأنبياء على نبينا [و] عليهم الصلاة والسلام، والأولياءِ قدّس الله أسرارهم ثناء حسَن يبقى أثره إلى يوم الدين، فراجع كتبَ التفسير، خصوصاً من قوله تعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ الآية[٢]، أي: الذين يَأتون بعدي إلى يوم القيام.

وروي في تفسير «الآثار»: أنَّها[٣] أيضاً ما تركه قدّس سرّه مِن سُنّةٍ حَسَنة صالحةٍ، فعُمِلَ بها بعد موتِه؛ كما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام: «مَنْ

[١] أي: ما تركه مِن خلفائه... إلخ. (منه).

[٢] سورة الشعراء، الآيتان: ٨٣-٨٤.

[٣] أي: بقاياه.

سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً.. فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً.. كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً» انتهى[١].

فمعنى البيت: لو كان اختيارُه تلك الأمور لنفسه بِمَيْل القلب إليها، ومشغولاً بسببها عن الله تعالى مِن كل الوُجوه.. خَلَتْ عن كونها ذريعَةً ووسيلة إلى مَنفعةٍ له في العُقبى، ولَمَا بقي فيه من آثار الولايةِ والهدايةِ شيء مَّا؛ لأنّها[٢] تكُون في مَعْرَض الزوال ممن أدبَرَ عنها بإقباله إلى الدنيا ومَتاعِها واغْتِرَارِه بها؛ لأنّهما ضِدّان لا يجتمعانِ، ومع هذا يقال: «إنَّ الإجماع مُنْعَقِدٌ على أنَّ الكرامة[٣] لا تَظْهَر على يَدِ فاسقٍ»، كما بُيِّن في مَحلّه،فراجعه.

فمن جملةِ ما بُيِّن في المحَلّ ما قيل فمتى قيل، سَيَقع في اليوم الفُلاني كذا وكذا، ينبغي النظر في حال القائل، فإن كان من أهل الدِّيانَة والصلاح والاستقامة.. يكون ذلك منه كرامةً؛ لأنَّه لا يُخبِرُ بذلك إلا عن صادق الإلهام

---

[١] أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٣٩٨) بلفظ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

[٢] أي: آثار.

[٣] قال سلطان العارفين أبو يزيد البَسْطامي قدّس سرّه: «لو نظرتُم إلى رجل أُعْطِي من الكرامات حتى تَرَبَّعَ في الهواء» أو جلسَ على الماء أو في النار.. فلا تَغْتَرُّوا به»، ولا تَنْسِبُوه إلىَ الولاية «حتى تَنْظُروا كيف تَجِدُونَهُ عند الأمر والنهي»، امْتَثَلَ الأولَ بالفعل، والثاني بالتَّرْك أم يُخالِفُ، «وحِفْظِ الحدودِ» أي: فلا يَهْتِكُها، «وَأَدَاءِ» أحكام «الشريعة» كالصلاة والصيام وغيرها أي: فلا يُضيِّعُها انتهى.

يعني: إن كان قائماً بالاتّباع، واقفاً عند الحُدود.. اعْتَدَّ بما وَقع له من الكرامات، وإلا.. فهو اسْتدراجٌ لا كَرامَةٌ؛ كما وَقع ذلك لبعض الكَفَرة المُرْتَاضين.

أقول: هذا القول منه إثباتٌ وبيان لِتَوَقُّفِ حُصُول الفَيْض الإلهي على كمال اتّباع الشرع، ولكون الكشف الخارجِ اسْتدراجاً ومَكْراً من مُخالِف الشرع. (منه).

أو عن كشف تامٍّ أو عن رُؤيةِ منامٍ، فقد وَقع ذلك من أئمة الأعلام؛ كما سيجيء عن الإمامين أبي بكرٍ وعمرَ وغيرِهما.

وآثارُه[١] الباقيةُ عنه، وكراماتُه قد كانت أكثرَ مِن أن تُحْصَى، وأجلُّهَا: حياةُ اسمِهِ المبارك في جميع الديارِ، وبقاءُ ثنائه الحَسن، وانتشار صِيتِهِ في الأقطار ولو مات هو قدّس سرّه، ومع هذا قد اتّفق على ولايته[٢]، وأثنَى عليه أكثرُ علماءِ زمانه من غير شُذوذِ أحَدٍ منهم، ومَن بَعْدهم إلى يومنا هذا، فهذا من بعض كراماته الجَلِيَّةِ قدّس الله سرّه، ونوّر ضريحه، وأفاض علينا من فيوضه إلى يوم الدين بحرمة نَبِيِّهِ الذي بُعِث من بلدِه الأمين، آمين اللهم آمين.

ثم لما أجاب الناظم[٣] رحمه الله تعالى على سُؤال السائل عن كوْن تلك الأُمُور مفاسدَ بالجوابِ المَنْعِيّ، وهو: أن يُحْمَل كوْنُها مَفاسِدَ لو كانت هي في الحقيقة مفاسدَ على الذي اغترَّ وصار غافلاً بها عن الله جَلَّ ذِكْرُهُ بِزَعْمِهِ صَلاحَها لا مُطلقاً.. وَقع في قلبِه أيضاً سؤالٌ وهو أن يقال: لو سُلِّمَ كوْنُها مفاسدَ مُطْلقاً؛ ما تقول في جوابه أيها الناظم؟ أجابَ له رحمه الله تعالى عن ذلك بالجواب التّسْليميِّ، ومِن المعلوم: أنَّ الجواب التسليميَّ أقربُ في دَفْع قولِ السائل من المَنْعِيِّ عند أهل المناظرة، فراجعه أي: أجاب بقوله:

[١] أي: الممدوح. (منه).

[٢] ومما يؤيّد قولَ الناظم رحمه الله تعالى في حقّ ولاية هذا الممدوح قدّس سرّه ما قاله مولانا أبو سعيد الخادمِيُّ قدّس سرّه في «شرحه على الطريقة المحمدية» (١/ ١٥٤): «ولا ينبغي لأحدٍ أن يُنْكِرَ الطريقةَ وأهلها حتى يرى منهم ما يخالف الشرع»، فراجع وحرّر. (منه).

[٣] أي: قبل هذا. (منه).

٤٢. وَمَتَى سُلِّمَتْ مَفَاسِدَ حَقّاً * جَازَ جُزْئِيُّهَا هُدًى لِلصِّلَاحِ
٤٣. مَعَ مَا فِيهَا مُوجِباً نُزُلَ اليَوْ * مِ وَذَا نَاوِياً بِهَا لِكِفَاحِ

قوله: (حَقّاً) مفعول مطلق لمحذوف أيضاً[١] أي: حَقَّ ذلك حَقّاً. قوله: (جُزْئِيُّهَا)... إلخ إشارة إلى قول الفقهاء: ارْتكابُ مفسَدةٍ جزئية لمَصْلحَة كُلِّيَّة جائزةٌ[٢] شرْعاً، واقتباسٌ عنه، فقوله: (هُدىً) أي: شرعاً. وقوله: (لِلصِّلاَح) بكسر الصاد مِن المصلحة.

قوله: (نُزُلَ اليَوْمِ) أي: إجْلالاً له[٣] يوم القيامة. قوله: (وَذَا) مبتدأ، وخبره محذوف وهو كائن، والجملةُ حاليَّةٌ، فتدبّر.

قوله: (نَاوِياً بِهَا) حالٌ من المبتدأ على مذهب جواز الحال من المبتدأ، وضمير «بها» راجعٌ إلى قوله: «مَفَاسِدَ». قوله: (لِكِفَاحِ) معناه لِأَشْيَاءَ كثيرةٍ ومَصالحَ.

فمعنى البيتين: ولو سُلِّمَ كَوْنُها أي: الأمورُ المذكورة مفاسدَ مُطْلَقاً.. فلا يَرِدُ ذلك أيضاً؛ لأنَّ الارتكابَ إلى مفسدةٍ جُزئية لمصلحةٍ كُليَّة جائزٌ شرعاً؛ كما لا يخفى، خاصَّةً إذا كان الآتي بها أهلاً لاعتبار المصالح، ومُلاحَظة الخيور ومحافظتِهما، ثم المداراة بهما.

[١] أي: كما أن (حَمْداً) في البيت السابق مفعول مطلق... إلخ، فكذا هذا. (منه).

[٢] قوله: (جائزةٌ): تأنيث الضمير باعتبار: أن المصدر يُذَكَّرُ ويُؤنَّث، أو باعتبار اكتسابِ التأنيث مِن المضاف إليه؛ كما في قولهم: ذَهَبَتْ بَعْضُ أَنَامِلِهِ، فراجعه.
وجه المراجعة: إنّ قولهم: (إنّ المصدر يُذكّر ويؤنّث) **ليس على الإطْلاق، بل في المصدر المؤنّث**، فالمصدر ههنا ليس بمؤنث بل مُذكَّر؛ كما ترى، فلو خَصَّصْنَا تأنيثَ الضميرِ هنا على الاعتبار الثاني.. لكان صواباً. (منه).

[٣] أي: للممدوح. (منه).

ومن المعلوم: أنَّ الشيخ الممدوح أهل لذلك على أنّ في بعض المفاسدِ منها نفعاً أخرويّاً له؛ مِن التصدُّقِ، وإطعام الجِيعان، وإسكان العاجزين، والحالُ: أنَّ نيّتَه قدّس سرّه لم يكن خالياً عنه في أوّل مُباشرتِه إلى تلك الأمور التي هي كالمفاسدِ ظاهراً، وعند جَعْلِ محبّتِهِ إلى اختيارِها، ومَيْل قلبه إليها، فتَنْقَلِبُ تلك المفسَدةُ عند ذلك مصلحَةً؛ لِما فيها من هذا الخير الكثيرِ، وفي بعضها مع ذلك جَلْبُ الناس وأهلِ الظلمة إليه؛ لإرشادهم إلى سبيل الحقّ.

فهذه لَيْسَتْ من الدنيا المذمومةِ، بل من الدنيا الممدوحة، فلا ضَرَرَ ولا ضِرارَ فيها؛ كما صرّح الشيخ الممدوح بذلك في مواضع مُتفرّقةٍ من مكتوباته المرسلة إلى خليفته العارفِ الحاجِّ محمد ذاكر أفندي الجِسْداوي قدس الله سرّهما عند عَدِّه عَقَبَاتِ الشخص السالكِ.

وقال ما عبارته هذه: ثم اعلم وتدبَّر: أنَّ للسالك الذي سَلَكَ القرْبَ، والمحبةَ، والغِناء، والبَقاء، والرضاءَ، واللقاء عَقَبَاتٍ.

أُولَاهَا: الخلقُ أي: أُلْفَتُهُمْ[١] واختلاطُهم، فعلاجُه: الخلوةُ، وهذه العَقبة سَهلةُ الزوال.

وثانيتُها: الشيطان، وهي عقبة مُطلقاً، لا خير فيها أصلاً، ولا يُرجى عنها إلا الضررُ المحضُ، فعلاجه: تَصْميمُ الإرادةِ، وصدقُ النيةِ، وهي أيضاً سهلةُ الزوالِ.

وثالثتها: الدنيا، وهي أيضاً عقبَةٌ مطلقاً لا خيرَ فيها[٢] أي: ما لم يَترك

[١] أي: بلا غرض من أغراض الآخرة. (منه).

[٢] أي: في عقبة الشيطان. (منه).

حُبَّهَا حتى تكونَ؛ كحجَر الاستنجاء، أما إذا ترك حبَّها.. فتكونُ من مَبادِي الخيْراتِ، وتُعِينُ العباداتِ، وتكون سبباً لِلْمَكِنَةِ[١] التَّامَّةِ في جميع أعمال الحَسَنات، ووسيلةً لارتفاع الدرجات ظاهراً وباطناً، صورةً ومعنىً.

وهذه الدنيا هي الممدوحَةُ في الحديث «بِنِعْمَ»، أي: «**نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ**»[٢]، وإلا.. فمذمومةٌ مطلقاً لا خيرَ فيها؛ كما مرّ، وهذه العَقَبة مما عَسُرَ زوالُها إلا بِتَشْمِير الساقِ، وشَدِّ الوَثاق.

ورابعتُها: النفسُ، وهي الموصُوفَةُ المشهورة، والعلماءُ مُسْتَغْنُونَ عن وصفِها وبيانِها، ولا خيرَ فيها أصلاً قَبْل إصلاحِها، ولا يخفى أنَّ إصلاحَها باطْمِئْنانِها، وكمالُ اطمئنانِها بالوصول إلى مقام الروح، فحينئذ تكون مَطِيَّةَ الروح.

والحاصل: أنَّ الاتِّكال على النفس بجميع مراتبِها حرامٌ؛ كما ورد به الحديثُ: «**رَبِّ؛ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**»[٣]، مع أنّه صلوات الله وتسليماتُهُ عليه وعلى آله قال: «**أَسْلَمَ شَيْطَانِي**»[٤] عند مَن قال: المرادُ من الشيطان.. الشيطانُ الأنفسي، هذا.

---

[١] **المَكِنَةُ والمُكْنَةُ**: القدرة والاستطاعة، والقوة والشدة. «المعجم الوسيط».

[٢] أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٢١٠)، والبيهقي في «شعبه» (١١٩٠).

[٣] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٤٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٠١) بلفظ: «**اللَّهُمَّ؛ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إله إِلَّا أَنْتَ**».

[٤] أورده ابن عجيبة في «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» (٤/ ٣٧)، وإسماعيل حقي في «روح البيان» (٨/ ٣٢٤).

ثم اعلم: أنَّ الدنيا المذمومةَ عبارةٌ عن قِسْمِها المحبُوبِ غيرِ المتروك حُبُّها. أما المحبةُ بمقدارٍ مَّا لقضاء الحوائج؛ كما مرّ في حَجر الاستنجاء.. فمسْكُوت عنها، وأما الحب بالزائد عنه.. فحرام محضٌ. والجمد[١] على حُبّ الدنيا وتكثيرِها ليس بِمَرْضِيٍّ في مذهب الصوفية احتياطاً عما في سورة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ﴾[٢] إلى آخرها؛ إذ ورد: «**حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ**»، وفي رواية: «رَأسُ كُلِّ خَدِيعَةٍ»، ولا يُرى خِدَعُها وخَطيئتُها عند حبّها؛ إذ مُحِبُّهَا؛ كالسكران انتهى[٣] ملخَّصاً على المرام مع زيادة يسيرة.

ثم قال قدّس سرّه بطريق الوَعْظ على الإخوان: «أَلَيْسَ حبُّ الدنيا مَفْسَدَ الأعمال، ومَخْرَب القلوب؟! بلى، إنه مُوَرِّثُ آفات القلوب في جميع الأديان، ومنبعُ الأخلاق الذميمة، بل ومُزِيلُ الأخلاق الحميدة، وسببُ زوال الإيمان في بعض الأحيان؛ إذ محبُّ الدنيا لا يخلو عن النفاق» انتهى ملخَّصاً، فإن شئتَ نهايةَ البيان بعد العَيان.. فراجع إلى «مكتوباته».

فالفرحُ المحضُ بالدنيا مِن أنَّها دُنْيَا مذمومٌ على الإطلاق، فالعاقلُ مَن لا يُلْقِي لها بالاً، فلا يَفرح بإقبالها، ولا يَحزَنُ لإدبارِها؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ الآية[٤]، أي: بكثرة المال، فَرَحَ بَطَرٍ،

[١] يقال: جمد في مكانه أي: ثبت فيه ولم يتحرّك.

[٢] سورة التكاثر، الآية: ١.

[٣] أي: كلامه. (منه).

[٤] سورة القصص، الآية: ٧٦.

لا فَرَحَ شُكْرٍ، وكما قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[١]، بأن تُنْفِقَهُ في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[٢] أي: أن تَعْمَلَ فيها للآخرة، ﴿وَأَحْسِن﴾ للناس بالصدقة إليهم، وبِرَفْعِ اليد عما لك عليهم من الحقوق، ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ أي: لا تَطْلُبْ ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، بمعنى: أنَّه يُعاقِبُهم عَدْلاً لا ظلماً.

ومن المعلوم: أن الدنيا كَظِلِّ الإنسان تُقْبِلُ لمن أَدْبَرَ عنها، وتُدْبِر عمن أقبل عليها، وإن الله تعالى يُعْطي الدنيا على نية الآخرة، ولا يُعطي الآخرةَ على نية الدنيا، وكيف لا يكون كذلك ؟! ونية الآخرة هي طاعةُ الله؛ لأنَّ النيةَ رُوحُ العبادات وذاتُها، وإذا أطعْتَ اللهَ بزُهدك في الدنيا أو طَلَبِكَ دارَ الآخرةِ.. كنتَ من خواصّ الله عزّ وجلّ وأهل طاعته ومحبّته، وحصلتْ لك الآخرةُ؛ وهي الجنةُ وجوارُ الله عزّ وجلّ، وخدمتْك الدنيا، فيؤتيك قِسْمُك الذي قُدّر لك منها، إذ الكلُّ تَبعٌ لخالقها ومولاها وهو الله عزّ وجلّ.

وإن اشتغلتَ بالدنيا وأعرضتَ عن الآخرة.. غَضِبَ الرّبُّ عليك، وفاتَتْكَ الآخرة، وتعاصَت الدنيا عليك، وتَعَسَّرَتْ، وأَتْعَبَتْكَ في الإيصال قِسْمَك إليك لغضب الله عزّ وجلّ عليك؛ لأنّها مَمْلُوكتُه تُهين مَن عصاه، وتُكْرِم مَن أطاعَه، فيتحقّق حينئذ قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ ضَرَّتَانِ»[٣]، إن أرضيتَ إحداهُما.. سَخطَتْ عليك الأخرى، قال الله

[١] سورة القصص، الآية: ٧٧.

[٢] سورة القصص، الآية: ٧٧.

[٣] ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» (٣/ ٢٠٩-٢١٠) من كلام علي كرم الله وجهه، ولفظه: «الدنيا

تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[١]، يعني به: أبناءَ الآخرةِ، فانظر مِن أبناء أيِّهما أنت، ومِن أيِّ القبيلتين تُحِبّ أن تكون وأنت في الدنيا؟!

ثم إذا صِرْتَ إلى الآخرة.. فالخلقُ فريقان، فريقٌ في الموقف قيامٌ في طول الحساب ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ كما قال الله تعالى[٢]، وفريقٌ في ظلّ العَرْش؛ كما أخبر النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، «**إِنَّكُمْ تَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ عَاكِفُونَ عَلَى الْمَوَائِد، عَلَيْهَا أَطَايِبُ الطَّعَام وَالفَوَاكِهِ، وَالشُّهْدُ أَبْيَض مِنَ الثَّلْجِ**»؛ كما جاء في الحديث: «**يَنْظُرُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ**»[٣] حتى إذا فرغ مِن حساب الخلق.. دخلوا الجنة، يَهْتَدون إلى منازلهم كما يَهْتَدِي أحدُ الناس في الدنيا إلى منزله، فَهَل وَصَلُوا إلى هذه إلا بتركهم الدنيا، واشتغالِهم بطلب الآخرة والمولى، وهل وَقَعوا أولئك في الحساب، وأنواع الشدائدِ والذلِّ إلا لاشتغالهم بالدنيا ورَغبتِهم فيها، وزهدهم في الآخرة، وقِلّةِ المبالات بأمرِها، ونسيان يوم القيامة، وما سَيَصِيرُون إليه غداً مما ذُكِر في الكتاب والسنة.

فانظر لنفسك نظَرَ رحمةٍ وشَفقة، واخْتَر لها خيرَ القبيلتين، وأَفْرِدْهَا عن أقران السوء من شياطين الإنس والجنّ، واجْعَلِ الكتابَ والسنّة أمامَكَ،

والآخرة ضرّتان، فبقدر ما ترضى إحداهما.. تسخط الأخرى»، وفي معناه ما عند الإمام أحمد في «مسنده» (١٩٧١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٥٣): «**مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى**».

[١] سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

[٢] في سورة السجدة، الآية: ٥.

[٣] أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير من حديث البشير النذير» (٢١٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وانظر فيهما، واعمل بهما، ولا تَغْتَرَّ بالقَالَ والقيلَ والهَوَسِ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ الآية[١].

ثم لما أجاب الناظم رحمه الله تعالى على سؤال السائل عن تلك المفاسدِ الموجودة فيه ولو صورةً بتلك الأدلّة المقبولةِ عند أهل الحقّ، واسْتراحَ قلبُه عنه.. قال:

٤٤. أَصْبَحَ النَّافِي مُفْحَماً ذَا خَسَارٍ * حَيْثُ هَاوَى جُبّاً أَتَى لِلإِكَاحِ

قوله: (النَّافِي) مَن يُنكر ولايتَه بسبب تلك الأمور الكائنة فيه. قوله: (مُفْحَماً) لو قال بَدلَه: (مُلْزَماً).. لَأَصَابَ[٢]، ولكن يمكن عنه الجوابُ: أنه لم يَنظر إلى قوانين أهل المناظرة، بل نَظر إلى معناه اللُّغَوِي، وقال ما قال، يقال: «أفحم فلاناً إذا أسكتَه».

قوله: (حَيْثُ هَاوَى جُبّاً لِلإِكَاحِ) اقتباسٌ من حديث: «مَنْ حَفَرَ بِئْراً لِأَخِيهِ المُسْلِمِ.. وَقَعَ فِيهِ»[٣]. فقوله: (لِلإِكَاحِ) أي: لإهلاك غيره.

فمعنى البيت: أي: صار ذا صَباح من يُنْكِرِ ولايتَه قدّس سرّه، وبقيَ ساكتاً مُلْزَماً ذا خَسار؛ لأنَّه حَفَرَ حفرة لِقَصْد إهلاك الغيْر، ولكن الله تعالى أسْقطه

---

[١] سورة الحشر، الآية: ٧.

[٢] أي: لكان أولى. (منه).

[٣] يقول ملا علي القاري في كتابه «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» (١/ ٣٤٢): «لم أجد له أصلاً، ولكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾. [سورة فاطر، الآية: ٤٣]».
وفي هذا المعنى أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ حَفَرَ بِئْراً لِأَخِيهِ.. يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهَا**»، أورده عبد القادر بن عمر البغدادي في «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» (٦/ ٥).

إليها، فلله الحمد على ذلك؛ كما ورد في حديث: «مَنْ حَفَرَ بِئْراً» إلى قوله: «وَقَعَ فِيهِ».

ولمّا فرغ الناظم رحمه الله تعالى من بيان العلة للسَّبَب الأوّل ودَلائله.. شرع في بيان العلّة والحكمة للسبب الثاني ودلائله وقال:

٤٥. كُـلُّ ضُـرٍّ أَتَـى بِـهِ عَـادَ نَـفْـعـاً * إذْ يُـقَـوِّي دَلِـيـلَ دَعْـوَى الـصُّـبَـاحِ

٤٦. أَنَّ مِـنْ شَـأْنِـهِ إِضَـاءَ الـنَّـوَاحِـي * مَـا خَـلَـى الـجَـوُّ عَـنْ عَـنَـانِ الـصُّـرَاحِ

قوله: (**إذ يُقَوِّي**) علّة؛ لما سَبق من قوله: «عَادَ نفعاً» وضميره راجع إلى قوله: (**كُلُّ ضُرٍّ**). قوله: (**الصُّبَاح**) بضمّ الصاد، يقال لكوكب مضيء، وهذا الشيخ مِثْلُ كوكب في الإضاءة[١]؛ كما مرّ التصريح به في أوّل القصيدة، فراجعه[٢].

قوله: (**أَنَّ مِنْ شَأْنِهِ**)... إلخ، علّة لما سَبَق[٣] من قوله: (**إذ يُقَوّي دليل**)... إلخ، فحذف عنه حرف الجرّ قياساً، وضمير (**مِن شأنه**) راجع إلى القطب الممدوح، فقوله: (**إِضَاءَ النَّوَاحِي**) جمع ناحية، مضاف إليه لـ«إضاء»، وهو اسم مُؤَخَّر لـ«أن»، فراجعه.

قوله: (**مَا خَلَى الجَوُّ**) الجوّ يقال لهواءٍ ما بين السماء والأرض أو يقال

---

[١] بل أعلى منه في إضاء النواحي، فراجعه. (منه).

[٢] في (ص ٢٩).

[٣] أي: لـ«أن مِنْ شأنه»... إلخ. (منه).

لِوَسَط كلِّ شيء[١]، فاعل لـ«خلى»، و«ما» فيه ظرفيَّة مصدرية أي: ما دام[٢] خلوّ الجوّ عن عَنان الصُّراح[٣]، فالعنان: السحاب، والصراح يقال: للسماء الدنيا.

فمعنى البيتين: كلّ ضُرّ أصاب الوليَّ في الدنيا من التغريب وغيره صار نفعاً له، وسبباً لوصوله إلى الكمال؛ لأنَّ من لا يَتَحمّل الأذى والمشقّة لا يَسُود، وخاب المنكِرُ بسبب ذلك؛ لأنّه عاب عليه بتغريبه من الوطن، وعدم رجوعه إليه مَثلاً، كما مرّ عن الناظم رحمه الله تعالى حيث قال:

قَائِلاً: لَوْ غَدَا وَلِيّاً مُجَاباً * لَيَنَالَ المَأْمُولَ أَهْلُ المَرَاحِ

فراجعه مع شرحه[٤].

فلما صار كلُّ ما أصابه من الضرّ خيراً له في العاقبة.. قَوِيَ دَليلُنا على قُطبيّته، وضعف دلائل المنكِر حمداً على ذلك، كيف لا ولا؟! لأنه كان من شأنه[٥] ووَظيفتِه إضاءةُ قلوب أهالي القرى والبلاد، وإرشادهم شيئاً فشيئاً

[١] لكن المرادَ منه هنا: الممدوح كما لا يخفى، ففيه إظهار في موضع الضمير، فراجع. (منه).

[٢] أي: مدة دوام خلوّ الجوّ عن عنان... إلخ. (منه).

[٣] أي: (ما دام خلو الجوّ)... إلخ، يقال: زيادَةُ لفظةِ «دامَ» هنا مع صلاحيّته معنىً لبيان حاصل المعنى لقوله: (ما خلى الجوّ) فقط، أو يقال: إنّما زادها؛ لأن فَهْمَ كَوْن «ما» مَصْدريّةً ظرفيةً مع «دامَ» أقربُ منه مع غيرها كما قاله سم، لكن قد يقال: إنَّ حذف الأفعال الناقصة لا يجوز سوى «كان»، فالأولى أن نقول لنتخلّص من هذا الاعتراض: ليسَ مرادنا من ذلك أن لفظة «دام» مقدَّرة، بل مرادنا منه: بيان حاصل المعنى بجَعل «ما» مصدرية نائبةً عن ظرف الزمان المضاف للمصْدَر المؤوَّل، صلتها به لا غير، كما أفاده قولنا أولَ هذا التقرير فقط، وإلا.. فأصل هذا القول، وتفسيرُه أي: مدّة خلو الجوّ... إلخ، لا أي: ما دام خلو الجوّ... إلخ، فراجعه. (منه).

(هذا القول): أي: قول الناظم رحمه الله تعالى: ما خلى الجو... إلخ. (منه).

(ما دام خلو الجو): كما فسّرنا به في الشرح. (منه).

[٤] (ص ١٣٠).

[٥] أي: كيف لا يقوى دليلنا ولا يضعف دلائل المنكر؛ إذ من شأنه . (منه).

إلى سبيل الرّشاد ما دام خلوُّه عن مَانِعٍ من الإرشاد، ولا يخفى ما فيه من الاستعارة المُصرِّحة والترشيحيّة.

ثم لما وَقع في قلب السامِع من تحرير ما في البيتين السابقين من كونه قطباً حقيقيّاً، وكون شأنه إضاءةَ النواحي وأهلِها أن يقول: لو كان الأمر؛ كما قلت فَلِمَ لم يَسْرِ ضوءُه وفيضه إلى جميع أهالي الديار؟ أي: مِثْلِ الحجاز وغيره.. أجابَ له الناظم رحمه الله تعالى بقوله:

٤٧. فَمَتَى خُلِّيَ السَّبِيلُ إِلَى مَا * لَمْ يَرِدْ دَارَ فِيهِ فَيْضُ فَلَاحٍ

قوله: (فَمَتَى خُلِّيَ السَّبِيلُ)... إلخ مقتبسٌ من قوله تعالى: ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ الآية[١].

فمعنى البيت: فلو رزقه الله تعالى رؤية الأمكنة الممْكِنَة التي لم يَرها من الحجاز والرُّوم وغيْرهما.. لاشتهَر أنوار جَلِيَّاته فيها، ووَصَل من أهلها ناسٌ كثير بِبَركات أنفاسه القدسيّة إلى الكمال؛ كما اشتهرت أنوار جَليّاته، ووصل منه ناس كثيرٌ في هذه الديار رَفَع الله درَجته ولا أفلحَ من أطال لسانَه فيه.

ثم لما لم يَسترح قلب الناظم رحمه الله تعالى على دليله السّابق فقط على رَدّ قول المنكر.. أرادَ أن يُبيّن دليلاً يقوّي ويؤيّد ذلك فقال:

٤٨. وَكَذَا ذَا يَدْعُو ازْدِيَادَ جَلَالٍ * إِذْ أَذَى نَابَ صَالِحاً مِنْ صِلَاحٍ

[١] سورة التوبة، الآية: ٥.

٤٩. كَمْ سُلُوفٍ مَسَّتْهُمُ البَأْسُ وَالضَّرْ * رَاءُ مَا فِيهَا الذِّلُّ غَيْرَ ارْتِيَاحٍ

قوله: (وَكَذَا ذَا) علّة أيضاً، و(ذا) إشارة إلى التغريب مَثلاً، أي: التغريب يَدْعُو ازديادَ درجةِ الممدوح. قوله: (إِذْ أَذىً نَابَ صَالِحاً)... إلخ إشارةٌ إلى قول الإمام:

كُلُّ أَمْرٍ نَابَ النَّبِيِّينَ فَالشِّدَّ * ةُ فِيهِ مَحْمُودَةٌ[١]

واقتباسٌ عنه.

قوله: (مِنْ صِلَاح) بكسر الصاد من المَصْلَحَة. قوله: (كَمْ سُلُوفٍ مَسَّتْهُمُ البَأْسُ وَالضَّرَّاءُ)... إلخ اقتباسٌ من قوله تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ الآية[٢].

فمعنى البيتين: أي: حاصله: وكما كان الرميُّ والطرد يَدُلّ كلٌّ إلى قطبيّته كذلك يَدلّ على ازدياد درجته في الآخرة؛ لأنَّ كلَّ ما أصاب المؤمنَ من مِحَن الدنيا رِفعةٌ له، فلذلك ابتُلِيَ الأنبياءُ والصلحاء الأَقْدَمون كُلٌّ بِكُلٍّ من البَليات، ولكنْ ما فيها لهم من ذِلٍّ غير ارتياح، ومَسرّةٌ في العُقبى؛ لأنَّهم يشاهِدُون فيها من رِفعة درجاتهم، فيَسْتَلِذُّونَ بها كما يَستلذُّ الآكلُ من طعام لذيذ، بل أبْلغُ منه؛ كما صرّح بذلك العلامة أحمد الحَطَّانِي رحمه الله الملك المغني في «هَمْزِيَّتِهِ الرَّمْزِيَّةِ فِي مَدْحِ خَيْرِ مَنْ لَهُ المَزِيَّة» في مَبْحث ذكر غزوة أُحُد[٣] حيث قال:

[١] وهو بتمامه: وَالرَّخَاءُ. راجع «الهمزية» للإمام البوصيري.

[٢] سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

[٣] راجع «الهمزية الرمزية في مدح خير من له المزية» (ص ٥٣) الذي ألفه أعلم علماء العصر أحمد الحطاني الجانبكي مسكناً، من قضاء مَيْقُوبْ؛ عاصمة أُدِيغِيَا، في شهر رجب سنة (١٣٢٥هـ).

فَأَصَابَتْ خَيْرَ الْبَرَايَا ابْتِلَاءً * كَأُولِي الْعَزْمِ قَبْلَهُ بَأْسَاءُ
مِثْلَ مَا نَالَ قَبْلُ نُوحاً فَإِبْرَا * هِيمَ مُوسَى عِيسَى وَهُمْ أَنْبِيَاءُ
ابْتَلَاهُمْ مَنِ اصْطَفَاهُمْ فَجَلَّى * فَإِذِ الابْتِلَاءُ مِنْهُ جَلَاءُ
فَأَشَدُّ الأَنَامِ مِنْهُ ابْتِلَاءً * أَنْبِيَاءُ وَدُونَهُمْ أَوْلِيَاءُ
إِنَّمَا ذَلِكَ الْبَلَاءُ عَلَاءٌ * لَهُمُ فِيهِ رِفْعَةٌ وَسَنَاءُ
فَاسْتَلَذُّوا بِهِ وَصَبْراً جَمِيلاً * صَبَرُوا فَهُوَ عِنْدَهُمْ نَعْمَاءُ

ألم تر أن نبيَّنا محمداً صلوات الله تعالى وتسليماته عليه وعلى آله كان في غاية الألم من إيذاء الكفّار إلى ثلاثَ عشرةَ سنة، وأصحابه رضي الله عنهم كانوا أيضاً مبتلين بغاية إيذائهم إلى المدّة المذكورة حتى تركوا الأوطانَ، وهاجرُوا إلى الحبَشَة والمدينة المنوَّرة، كذا في كتب السير، فراجعها.

قال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «**مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيْتُ**»[١]، وقال بعض محقّقي الصوفية: «المحنُ والبلايا للمخطِئِينَ عُقوباتٌ، وللأبرار مُكَفِّرات، وللعارفين درجات، فقد يكون السابق في علمه أن لا ينال العارفُ تلك الدرجةَ بعمل بل بمحنةٍ[٢]، فيُوصِلُها له بذلك، ولو

[١] أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» (٧٨٥٢)، (٧٨٥٣) بأسانيد ضعيفة من حديث جابر، ولفظه: «**مَا أُوذِيَ أَحَدٌ مَا أُوذِيتُ**»، وعن أنس بلفظ: «مَا أُوذِيَ أَحَدٌ مَا أُوذِيتُ فِي اللهِ».

[٢] وفي «تنبيه المغترين» ما يناسِبُ نقلُه لهذا المقام في مبحث كثرة الصبر على البلايا غيرَ أني تركتُ نقله خوفاً عن الإطناب، فإن شئتَ بيانَه.. فراجعه. (منه).

شاء.. لَأَوْصَلَها بِدُون ذلك، ولكن لا يُسأل عما يفعل انتهى كرخي[١]».
«فتوحات» من عينه.

ومِن أجل كون البلايا والأمراض والأسقام في الدنيا للعارفين درجات كما قال ذلك البعض.. أَعْطَيْتُ كفارةً على ما سَبق عليه لساني مرةً في عِيادَة شيخي التَّلَالِيّ حيث قلتُ له بلا تأمّل: «يا سيدي؛ ليكن مرضُك هذا كفارةً لذنوبِك»، ثم ألهِمت: أنَّ الأمراض للعارفين لا تكون إلا لارتفاع الدرجات، وقلت لنفسي متأسِّفاً غايةَ التأسف: «لا يُسَاوي لشناعَة قولي هذا شيء مّا»، فأَعْطَيْتُ عليه لصاحِبَيَّ اللَّذَيْنِ معي في زيارته حاج قربان أفندي إمام جِنِيغ[٢]، وحاج عبد الله أفندي إمام كُلُّوك[٣] كفارة في سُوق چَارْ بعد خُروجنا من زيارته، فهذه سُنّة الله في عباده المخلِصين قبله.

فقد جَرَتْ عليه قدّس سرّه؛ كما جَرت على مَن قَبله رضي الله تعالى عنهم وعنا أجمعين لِيَرْفع عنده من جليل شأنه، ويعظم له أجراً، وذلك لِما رأى أهل الظلمة وأهل الإنكار مِن أهل الظاهر وغيرهم من عَظَمَةِ ظهوره، واشتهار فضلِه في الدنيا، وعُمُوم نفعه، وامتدادِ سلسلته المُطَهَّرَة من ولايته

---

[١] هو الشيخ، الإمام، الثقة، أبو الفتح عبدُ الملكِ بنُ عبدِ الله بنِ أبي سَهْل الكَرُوْخِيُّ الهَرَوِيُّ، ولد بِهرَاةَ في ربيع الأول سنة اثنتين وستين وأربع مائةٍ، كان صُوفيّاً من جملة مَن لَحِقَتْهُ بركةُ شيخ الإسلام، لازمَ الفقرَ والورعَ، وكان يَنسخ كتابَ أبي عيسى بالأجرة، ويَتقوَّتُ، ثم جاورَ بمكةَ حتى توفي في الخامسِ والعشرين من ذي الحجة، بعد رحيلِ الحاجِّ بثلاثةِ أيامٍ، سنة ثمانٍ وأربعين وخمسِ مائةٍ، رحمه الله. «سير أعلام النبلاء» (٢٧٤-٢٧٦/ ٢٠).

[٢] «جِنِيغْ» (Djinyh): قرية من قرى زَاخُور، على بعد (٣٥) كم شمال غرب رُتُول من داغستان.

[٣] «كُلُّوكْ» (Kulluk): قرية من قرى أَخْتِه، تقع في وادي نهر سَامُور من داغستان.

چَارْ وشِكِي[١] إلى قَزَان، وحَاج تَرْخَان وچِسْدَى[٢]، وإلى چَچَان[٣]، وَچِرْكِز[٤]، وكُورَه[٥]، وقُوبَه[٦]، وغُمُوق[٧]، وأَوَار[٨]، وإلى ناحية سَمْبُور[٩]،بل لَمَّا سرى صِيتُهُ إلى دار حِجاز، وكانت تَرِدُ له قدّس سرّه الكتب والرسائل من أتباعه في كلّ جانبٍ مشحُونةً بالمسائل العِلميّة المتعلّقة بالطريقة العَلِيّة، وحقائق الصوفية، كرسائل خليفة الحاج محمد ذاكر أفندي الچِسْدَاوي قدّس سرّه، فيُجِيب قدّس الله سرّه عنها بما أفاضَ الحقُّ تعالى عليه كذا وكذا.. أطالوا ألسنتَهُم في حقّه، وابتدأوا بإيذائه حَسَداً عليه، كما مرّ بعضُ تفصيلٍ في هذا الباب في شرح بَيْتَي الناظم رحمه الله تعالى:

وَكَذَا رَمْيُــهُ القَضَاءُ مِنَ المَوْطِنِ إلى قوله: حِينَ حَــانَ الوَفَاءُ مَرْأَى صَلَاحٍ

فراجعه[١٠].

ولقد ثبت: إنَّ الله تعالى حكيم، ومقتضى الحكمة: أن يفرق بَيْن المحسن والمسيء، والعاصي والمطيع، والكافر والمؤمن، وهذه التفرقةُ إما أن تكون

[١] «شَاكِي» (Shaki): بلدة في شمال غرب أذربيجان اليوم، بالقرب من داغستان، كانت تعرف سابقا بـ: «نُخَاه» (Nukha).

[٢] «تْشِيسْتُوبُولْ» (Chistopol): إحدى مدن تتارستان، موطن الشيخ محمد ذاكر أفندي قدس سره.

[٣] «الشِّيشَان» (Chechnya): جمهورية في روسيا في جهة الغرب من داغستان اليوم.

[٤] «شِرْكِسِيَا» (Cherkessia): عبارة عن منطقة تقع في شمال وسط وغرب القوقاز.

[٥] «كُورَه» (Kyura): منطقة في جَنوب داغستان، وأهاليها يتحدثون بلسان لِزْكِي.

[٦] «قُوبَا» (Guba): مدينة في شمال أذربيجان حالياً.

[٧] «غَازِي غُمُوق» (Gazi Kumukh): قرية كبيرة، وولاية مشهورة في وسط داغستان.

[٨] «أوار» (Avars):يعني: خَانِية أَوَارْ، المعروفة أيضاً باسم: خُنْزَخْ، وأَوَارِسْتَانْ.

[٩] «سامور» (Samur).

[١٠] في (ص ١٠٦).

في الدنيا أو في دار أخرى، والأوّل باطل؛ لأنَّ الغالب أنَّ الكفار والفساق في أعظم الراحات، والصلحاء والزهاد في أعظم المحن والآفات، وأنَّ أجْهَلَ الناس وأفسقَهُم في أعظم اللذات والغِنى، وأنَّ أعلمهم وأزهدهم في أشدّ الفقر والبلاء فتَعَيَّنَ الثاني[١].

ثم لما رَضِيَ[٢] هذا الولي الممدوح بهذه المصائب، وأحَبَّهَا مِن قلبه، ولم يَشْتَكِ عنها عند أحدٍ؛ لكمال نفسه وعلمِه أُجُورَ المصائب، بل لكون نزول أمثالها سنّة الله وعادَته في أمثاله من عباده المخلصين أي: فلو لم يكن مِن أهل الكمال لَمَا رَضِيَ، وتَزَجَّر عندَها وعصى، وكان عادةُ النفس قبلَ كمالِها وعِلْمِها ومشاهدَتِها من أجرة تحمُّلِ الأذى والمحن، كراهةَ المحن والبلايا مع أنها تدعوا[٣] زيادة درجة صاحبِها.. قال الناظم رحمه الله تعالى:

٥٠. وَالهَوَى رَاحَ كَارِهاً وَتَوَلَّى * فَعَسَى أَنْ يُحِبَّ مَاحِي الصَّلَاحِ

٥١. إذْ غَوَى بِالغَنَاءِ يَصْلَى المَنَاهِي * وَهِيَ سِجْنٌ لَهُمْ خَلَى عَنْ صُبَاحٍ

قوله: (الهَوَى) أي: النفس الأمارةُ واللَّوَّامة والملهمَة لِمَيْل النفس عند هؤلاء الثلاثة إلى الشهوات الموجبةِ لهلاكها ونُفورِها عن التكليفات المُوجبَةِ لِسَعَادَتِها. قوله: (فَعَسَى أَنْ يُحِبَّ مَاحِي الصَّلَاح) اقتباس مِن قوله

[١] أي: التفرقة في دار أخرى.

[٢] أي: وقد رضي ولم يَتزجَّر عندَها ولم يعص، فهو من أهل الكمال، فأصبح المنكر والسائل ملزَماً إلى آخر ما سبق.

(الكمال): أي: بلا شك. (منه).

[٣] أي: تحمّلِها. (منه).

تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ ﴾ الآية[١]. و«الصَّلاَح» يُقرأ بفتح الصاد هنا.

قوله: **(إذْ غوَى بِالغنَاءِ)** الباء فيه بمعنى: «فِي»، كما في صَلَّيْتُ بالمسجد أي: في المسجد، وعلّة لـ«رَاحَ وَتوَلَّى»، و«أن يُحِبَّ» على سبيل التنازع، فراجعه.

قوله: **(وَهِيَ سِجْن)** مقتبسٌ من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ**»[٢]، وجملة حاليّة.

قوله: **(عَنْ صُبَاحٍ)** بضمّ الصاد، يقال لكوكب؛ كما مر غيرَ مرة.

فمعنى البيتين: نعم؛ لا شكّ أن الرميَ والطردَ والتغريبَ كُلَّها يَدْعو زيادةَ درجتِهِ في الآخرة؛ كما قال الناظم رحمه الله تعالى[٣]، لتحمّله قدّس الله سرّه كُلَّ واحدٍ منها في هذه الدنيا تحمُّلَ رضاءٍ على قضاء الله تعالى وقَدَرِهِ، وعَدَم إعراضٍ، ولا شكايةٍ عند أحدٍ عنها، فلو لم يكن الممدوحُ كما ذُكر أعني به:ذا كمالٍ، وصاحِبَ مطمئنّةٍ فما فوقها، بل كان صاحِبَ أمّارةٍ ولوّامةٍ[٤] ومُلهمة.. تكون عادةُ نفسِهِ أن يَتولّى[٥] ويُعْرِضَ[٦] عن المحن والبلايا، ولا يُحِبُّها؛ لِما فيها من الكُلْفَة والمشقّة؛ كما أشار إليه الناظم رحمه الله تعالى

[١] سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

[٢] أخرجه مسلم في «صحيحه» (٧٦٠٦)، والترمذي في «سننه» (٢٣٢٤)، ولفظه: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ».

[٣] في البيتين السابقين قبل هذين البيتين، فراجعه. (منه).

[٤] الواو فيهما بمعنى «أو» لوقوعها بين الضدين، فراجع وحرّر. (منه).

[٥] أي: عادةُ النفس الأمارةِ وأُخْتَيْها أن لا تُريد ما فيه الشدة والمشقّة، بل تَصير في أكثر الأوقات كارهةً ما فيه خير لها عند الله تعالى، هذا. (منه).

[٦] أي: لم يعرض عنها. (منه).

في هذين البيتين،خصوصاً حين عُجِّنَ عَجينُها بارتكاب المناهي، وزَيَّن لها الشيطان والدنيا أعمالَها.

وقد عَلِمْتُم مما قَدَّمْناه آنفاً: أنَّه قد تحمَّل أكثر مَصائب هذا الزمان، ولم يَتولّ عنها، ولم يَصِر كارهاً لها، فثبت أنَّه ذو كمالٍ ودرجةٍ، فأصبحَ المنكِرُ والسائلُ مُلْزَماً ذا خَسارٍ إلى آخر ما سَبق، فراجعه؛ كما يأتي ما يؤيّده عن قريب بقوله رحمه الله تعالى:

فبكلّ يزول ريب مريبٍ

إلى قوله:

كَفَمٍ مَاحِي طُعْمَ مَا بِالبُطَاحِ

فراجعه مع شرحه[١].

ثم إنَّ الناظم رحمه الله تعالى لما أتى بدلائلَ على المنكِرِ؛ لإسكاته، وكان كمَنْ سَكتَ ولم يَسْكت تماماً.. أتى بدليل ثانياً لِيَسْكُتَ، ولِيَرْجِعَ مِن إنكاره نعوذ بالله من سوء الاعتقاد للعارفين وقال:

٥٢. وَكَذَا مَوْتُهُ غَرِيباً مُجَاباً * رَحْمَةٌ عَنْ مَسَرَّةٍ فِي المَرَاحِ

قوله: **(وَكَذَا مَوْتُهُ)** أي: الولي الممدوح. قوله: **(غَرِيباً مُجَاباً)** أي: بعد تخلية سبيله. قوله: **(رَحْمَةٌ عَنْ مَسَرَّةٍ)** أي: رحمةٌ[٢] مُبَدَّلَةٌ عن المسرّة الحاصلة بملاقاة الأقارب والأحباب في الوطن. قوله: **(فِي المَرَاح)** أي: في الوطن.

[١] في (ص ١٧٢).

[٢] أي: رحمة عَوّضها الله تعالى له عن المسرة بِوُصوله إلى الأقارب والإخوان. (منه).

فمعنى البيت: وكما أن تَغْرِيبَه وغيرَه دليلٌ على ولايته.. كذلك موتُه في الغربة بعد إذنه للإياب إلى الوطن دليل على ولايته، ورحمة له، أي: مُبَدّلَةٌ[1] لهذا الولي عن المسرّة بمُلاقاة الأهل والإخوان وقتَ إيابه إليه.

ثم لما سمعَ السامع ما سَمِعَ، ولم يَدْخل في سمعه، بل لمّا اختلج في صَدره أن يقال: إنَّه لو كان وليّاً حقّاً لم يُؤذن له بالإياب إلى الوطن قبل وصول الأجل، ولم يَفْرَح فَرَحَ وُصْلٍ.. أجاب عنه الناظم رحمه الله تعالى بقوله:

٥٣. أَنَّ مَوْلَاهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُنِيبَا * فَرَحَ وَصْلٍ مَنَابَ سَعْدِ طِرَاحٍ

قوله: **(أَنَّ مَوْلَاهُ)** بفتح الهمزة، علة لمضمُونِ بَيتِهِ السابق، حُذف عنه حَرف التعليل أي: لأن مولاه. قوله: **(أن يُنِيبَا)** أَلِفُهُ للإشباع؛ كما لا يخفى. قوله: **(مَنَابَ سَعْدِ طِرَاحٍ)** أي: مناب فضيلةِ الموت في مكان بَعيد[2]، فهو من قَبِيل «ضَرْب اليوم» أي: ضرب في اليوم.

فمعنى البيت: أي: لم يَشَأ اللهُ تعالى استبدالَ فضيلة الغربة في الآخرة بِمَسَرَّة الدنيا بالرجوع إلى وطنه، والمواصَلة بالأحباب والأقارب، إذ وَرَدَ: «**وَمَنْ مَاتَ فِي الغُرْبَةِ مَاتَ شَهِيداً**».

ثم لما ثبَت مُدَّعَى المُعَلِّلِ والمثْبِت وهو ولاية الممدوح بكلّ ما ذكر من الدلائل الثابتة في هذه القصيدة وشرحها، وطَرْدُ قولِ السائل والمبْطِل، ودلائله.. قال الناظم رحمه الله تعالى:

---

[١] أي: كان الموت في الغربة رحمةً له، وبدَلًا عن المسرّة. (منه).

[٢] أي: قوله: (مَناب سَعْد طِرَاح). (منه).

٥٤. فَبِكُلٍّ يَزُولُ رَيْبُ مُرِيبٍ * كَزَوَالِ الظَّلَامِ بِالإِصْبَاحِ
٥٥. مَنْ أَتَى بَعْدَ مَا تَلَا بِعِنَادٍ * كَفَمٍ مَاحِي طُعْمَ مَا بِالبُطَاحِ

قوله: **(فَبِكُلٍّ)**... إلخ، الفاء جَزائية لمقدَّرٍ تقديرُه، فإذا ثبتَ ولايتُه بما ذكِرَ من الدلائل.. فيَزُول رَيْبُ مُرِيب بكلّ منها، فـ«الريب» فاعل لِـ«يَزُول»؛ كما لا يخفى، قوله: **(مَا تَلَا)** من التلاوة لا مِن التِّلْوِ[١]. قوله: **(كَفَمٍ مَاحِي طُعْمَ مَا بِالبُطَاحِ)** إشارة إلى قول الإمام، ومقتبَس منه:

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ * وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ[٢]

انتهى.

فقوله: **(مَا)** بالقَصْر لغةً في الماء، فراجعه، وقوله: **(بِالبُطَاحِ)** يقال: لمرض في فم المريض.

فمعنى البيتين: فإذا كان الأمر كما ذُكر فيَزُول رَيْب مُرِيبٍ[٣] بكلّ ما ذكر مِن الدلائل السابقة؛ كما يزول ظُلامُ الليل وقتَ الصبحِ، فمن أنكرَ ولايتَه وأقبلَ بالعناد على إنكاره، ولم يُعرِض عن إنكاره وعناده بَعد تلاوة هذه الشواهد على وجهه مَثَلُه؛ كمثل فم مريض يُنكر طُعْمَ الماء لِفَساد في فمه بمرض فلا يَفْقَهُ ذلك، ويرى العيب في الماء، ويُنْكِر طعمَه.

[١] التِّلْوُ: ما يتلوه ويتبعه. «المعجم الوسيط».
[٢] راجع «بردة المديح» (١٠) للإمام البوصيري.
[٣] أي: على ولاية الولي الممدوح. (منه).

ثم لما فرَغ الناظم رحمه الله تعالى مِن بيان أدلّة المثْبِتِ، وإبطال أدلّة النافي والمنكِر، وكان من جملة أدلّة المثبِت موتُ الشيخ الممدوح في الغربة؛ كما مرّ، وكان في موته إيماءٌ لموته، وإخبار به لِمَا قيل: «إنَّ موت العَالِمِ موت العَالَمِ»، ولقول الشاعر رحمه الله تعالى:

لَـوْ كَـانَـتِ الـدُّنْـيَا تَـدُومُ لِـوَاحِـدٍ * لَـكَـانَـتِ الأَنْـبِـيَـاءُ فِـيهَـا مُـخَـلَّـدَا

ولقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[١] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٢].. أحضَرَ الناظم رحمه الله تعالى صاحباً له لِيَعِظَهُ[٣] مع نفسِه عن إزالة الغفلةِ بعد هذا، وليتأسّف معه على كُسُوف الشمس، وذَهاب ضوئها بذهاب الممدوح عن الدنيا؛ إذ كان مثلَ شمس، بل فَوْقها في الضوء على الأرض، وقال:

٥٦. صَـاحِ إِيَّـاكَ وَالـذُّهُـولَ طَـرُوبـاً * يَـا أَسَـفَـا عَـلَـى انْـطِـفَـا الـمِـصْـبَـاحِ

٥٧. جَـزَعٌ بِـانْـكِـسَـافِ قُـطْـبِ مُـضِـيءٍ * حَـلَّ يَـا صَـبْـرُ جِـئْ وَعِـظْـهُ بِـمَـاحٍ

٥٨. وَهَـوَاهُ إِنْ لَـمْ يُـعَـقْ مِـنْ جِـمَـاحٍ * كَـادَ يَصْلَى مَـنِ اصْـطَفَى فِـي جُـنَـاحٍ

قوله: (صَاحِ) منادى مُرَخَّم، حذف عنه حرف النداء، فأصله: يا صاحب، قوله: (إِيَّاكَ وَالذُّهُولَ) من قَبيل إياك والأَسَد، فالواو فيه معطوف لـ«إياك»،

[١] سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

[٢] سورة االعنكبوت، الآية: ٥٧.

[٣] أي: بقوله: يَلزم لي ولك يا صاحبُ أن لا تَفعل مِن بعد هذا... إلخ وإلخ. (منه).

ولهذا نَصَب الناظم[١] رحمه الله تعالى مَدْخُولَهُ، فالمعنى: يا صاحبُ؛ بَعِّدْ نَفْسَك مِن الذهول[٢]... إلخ، أي: الغفلة، فراجع «الجامي»[٣] من باب التحذير، تجد البيان شافياً إن شاء الله تعالى.

قوله: **(يَا أَسَفَا)**[٤] بِمَدّ السين؛ للوزن، مقتبَسٌ من قوله تعالى: ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾... إلخ[٥]. قوله: **(عَلَى انْطِفَآ المِصْبَاح)** بحذف الهمزة من الانطفاء؛ للوزن.

قوله: **(جَزَعٌ)**[٦] كسلام في سَلامٌ عليكم في وُقوعه مبتدأ مع كونه نكِرَة. قوله: **(حَلَّ)** خبره. قوله: **(يَا صَبْرُ جِئْ)**... إلخ، لا يخفى ما فيه من استعارة مَكْنِيَّةٍ وتَخْيِيلِيَّة. قوله: **(وَهَوَاهُ إِنْ لَمْ يُعَقْ)**... إلخ، في حكم العلّة لما قبله، فراجعه، والضميرُ فيه راجع للـ«جزع»، وفيما يليه مِن **(إِنْ لم يعق)**، و**(كاد)**، و**(يَصْلَى)** راجع لِلْ**(هَوى)**، ولا يخفى ما فيه من استعارة مكنيّة وتخييلية أيضاً، فراجعه.

فمعاني الأبيات الثلاثة: يا صاحب أعرِض الآن عن الاشتغال[٧] والغفلةِ،

---

[١] أي: ضَبَطه بالفتح. (منه).

[٢] آخره: والذهول من نفسك بِعَطف الذهول على «إياك»، وحذف المتعلق أيضاً، وهو: «من نفسك»، فراجعه. (منه).

أي: بحذف المتعلق في المثال، وهو: من الذهول، فراجعه. (منه).

[٣] «الجَامِي» شرح عبد الرحمن الجامي الحنفي على «متن الكافية» لابن الحاجِبِ المالكي، المسمى بـ«الفوائد الضيائية».

[٤] أي: يُقرأ بمدّ السين. (منه).

[٥] سورة يوسف، الآية: ٨٤.

[٦] أي: عظيم كائن بانكساف... إلخ، حَلَّ... إلخ، فهو مبتدأ مخصّص بصفته المحذوفة، فراجعه. (منه).

[٧] أي: إلى الدنيا الدنية، والغفلة فيها. (منه).

وتَنَبَّهْ أنّك بقيْتَ في ظلمة بسبب موت ذلك القطب، وانتقاله عن الدنيا، فلا يفيدُ لك السرورُ والغرورُ من بَعد هذا بالحياة فيها، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [١].

ومع ذلك اعلم وأيقن: أنّك ترتحل غداً؛ إذ إن موته مَوْتُك، ورسول عليك، وأبعِد أيضاً من التمسّك والميْل إلى الدنيا الدنيّة؛ لأنّه كان مصباحاً على الأرض، بل صباحاً عليها، وقد طَفِئَ وأظلمَتْ؛ فلا فائدة في بيت ليسَ فيه ضَوء المصباح ولا ضوء الصباح، ويَا صَبْرُ جِئْ وَعِظْ لمن حَلَّ له الجَزَعُ مِن أنك كريم، فالكريم يَصْبِرُ على ما نزل به من المصائب إذ عاقِبَتُه تكون خيراً، فالصبر جميل إذ هَواه أي: الجازِع إن لم يَمْنع مِن جِمَاح بِقُرْب يَدخل من اختاره في جُناح، وعليه يَنْطق بيت الإمام رحمه الله تعالى:

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا * كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الخَيْلِ بِاللُّجُمِ [٢]

ثم لما وَقع في قلب السامع أن يقول: ما كان حالُه وشُغلُه حين عايَنَ له الموت، ومرض بمرضه، وفي أيّ يوم وسنةٍ، وفي أيّ ساعة من اليوم، وفي أيّ فَصْل مِن الفُصُول الأربعة مات قدّس الله سرّه، وأعاد علينا من بركاته، وحين قُبِضَ ما حَالُهُ وحال الزمان وأهله.. أجاب الناظم رحمه الله تعالى عنه:

٥٩. لَمْ يَقِفْ عَنْ إِضَاءَةٍ غَيْرَ أُسْبُو * عٍ سَرَى خَلْفَهُ وَرَاءَ الوَحَاحِ

٦٠. خَامِساً مِنْ مُحَرَّمٍ غَرْصَدِ الحَوْ * لِ قُبَيْلَ الغُرُوبِ وَقْتَ القِمَاحِ

[١] سورة لقمان، الآية: ٣٣.

[٢] راجع «بردة المديح» (٣) للإمام البوصيري.

٦١. مَــوْرِدُ الـحَـمْـدِ لَـمْ يَـزَلْ يَـذْكُـرُ اللهَ * كَـمَـــا اعْـتِـيـدَ قَـبْـلَـهُ بِـانْـشِـرَاحِ

٦٢. فَـــإذاً أَدْلَـــجَ الـنَّـهَـارُ كَـلَـيْـلٍ * وَعُـيُـونٌ سَـالَـتْ سُـيُـولَ الـبِـطَاحِ

قوله: (عَنْ إضَاءَة غَيْرَ أُسْبُوع) أي: لم يَقُم عن تربيَة الإخوان، وتزكيتهم حين المَرَض إلا في أسبوع. قوله: (الوَحَاح) الحِجاب. قوله: (خَامِساً) بَدَلٌ مِن (خَلْفَه) أي: يوماً خامساً، فحذف عنه الموصوفُ. وقوله: (مِنْ مُحَرَّم) متعلّق لـ«كَائِن»، وصفة لـ(خَامِساً)، فجاز كونُه بَدلاً مِن «خَلْفَهُ»؛ كما جاز ﴿بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ﴾[١].

قوله: (غَرْصَدِ الحَوْلِ) أي: في سنة ألف ومائتين، وأربع وتسعين. قوله: (وَقْتَ القِمَاحِ) بكسر القاف من قماح أي: وقت الشتاء. قوله: (مَوْرِدُ الحَمْد) أي: اللسانُ. قوله: (كَمَا اعْتِيدَ قَبْلَهُ بِانْشِرَاح) أي: كان يَذكر الله في سكراته كما هو عادته في صحّته وحياته.

قوله: (فَإذاً) الفاء جزائية. قوله: (وَعُيُونٌ سَالَتْ) جملة حاليةٌ. قوله: (سُيُولَ البِطَاح) السُّيُول جمع سَيْلٍ، منصوبٌ بنزع الخافض، وهو الكاف، والبطاح الأودية، أي: والحال سالتْ دموعُ العيون كسيول الأودية، ولا يخفى ما في هذه الأبيات الأربعة مِن الفصاحة والبلاغة، لله دَرُّ قائلها.

فمعاني الأبيات: لم يقم قدّس الله سرّه العزيز في مَرضه؛ كما لا يَقوم عند صحّته عن تربية الإخوان وتزكيتهم إلا في أسبوع، ثم انتقَل قدّس الله سرّه وقتَ تمام الأسبوع إلى دار الآخرة، يَوماً خامساً كائناً من شهر الله المبارك

---

[١] سورة العلق، الآيتان: ١٥-١٦.

محرم الحرام، لِسَنة ألفٍ ومائتين، وأربع وتسعين، قريبَ غروب الشمس، وَقْتَ الشتاء، وكان في حال وفاته في سَكراته ملازماً على اسم التوحيد؛ بحيث يَجُرُّ النفَسَ إلى الدماغ، وفي الآخر جَرَّهُ ولم يَعد، فقُبِضَ بذلك رحمه الله عليه وأعاد علينا من بركاته؛ كما كان مُلازماً ومداوماً عليه، وعلى اسم الذات، وفانياً في ذاته تعالى، وباقياً به في صحّته في خَلْوَته وجَلْوَتِهِ، بل في جميع أزمانه.

فلما قُبِض روحه الكريم، وطار إلى مقامه في أعلى العليّين.. أظلم النهارُ المنوَّر على خلفائه ومريديه، بل على جميع مَن في قلوبهم ذَرَّةٌ من الإيمان؛ كما أظلم الليلُ وجرَت دمُوعُ عيونِهم، وسالت؛ كما سالت سُيُول الأودية، وارتفعَت أصواتُهم إلى السماء بالبكاء عليه؛ كما ارتفعَت أصوات الأطفال إليها عند الافتراق عن أمهاتهم.

شعر:

حَدَثَ المَآثِرُ وَالمَصَائِبُ فِي القُرَى * رَعَدَ المُصِيبَةُ صَاحَ فِي الأَقْطَار
بَكَتِ العُيُونُ بِدَمْعِهَا وَدِمَائِهَا * وَتَأَسَّفَ الأَبْرَارُ بِالأَفْكَار

انتهى.

ثم لما دار في صَدر السامع حين سمعَ انتقالَهُ قدّس الله سرّه أن يَسْأل عن انتقاله بقوله: ما له في الانتقال وما علينا فيه؟.. أجابَ عنه الناظم رحمه الله تعالى بقوله:

٦٣. فَانْتِقَالٌ لَهُ خَلَاصٌ مِنَ السِّجْـ * ـنِ وَجَوْرِ العِدَى رُؤُوسُ القِبَاحِ

٦٤. وَلَنَا كَآبَةٌ بِخَيْبَةِ رَجْوٍ * بِاجْتِنَابِ الهَوَى غَوَى بِجِمَاحِ

قوله: (فَانْتِقَالٌ)... إلخ، يقال لِفَائِه فاءُ الفَذْلَكَةِ، فراجع إلى موضع بيانه. قوله: (رُؤُوسُ القِبَاحِ) مضاف ومُضاف إليه، خبَر لمبتدأ محذوف، تقديره: وهم رُؤوس القِباح، والجملة إما حال لـ«الْعِدَى»[١]، وقد مَرّ تقديرُه على كونها حالاً، أو صفَةً له[٢]، فتقديرُهُ عند ذلك[٣]: هم رُؤوسُ القباح، بلا واوٍ، فتبصّر و(القباح) بكسر القاف جمْع قُبْحٍ؛ بضمّ القاف، فراجعه.

قوله: (وَلَنَا كَآبَةٌ بِخَيْبَةِ رَجْوٍ)... إلخ، الخَيْبَةُ مَصدر مِن خاب خيبةً، يقال: خاب الرجل خيبةً: إذا لم يَنَلْ ما طَلَبَهُ. قوله: (غَوَى) حال من «الهَوَى» بتقدير: قد. قوله: (بِجِمَاحٍ) بكسر الجيم: اشتداد رأس الفَرَس؛ بحيث يُتْعب راكبَه، يقال: جَمَحَ الفَرَسُ جِمَاحاً، فهو فرس جموح.. إذا اشتَدّ فارسُه وغَلَبَهُ، ولا يَقِفُ عند الكبح باللجام أي: انتقاله لنا، وعلينا انكسارُ حالٍ بانتقاء مَرْجُوِّنَا مِن الخلاص من الآثام بسبب التوبة على يده، والكمالِ والوصولِ

[١] أقول: هذا بناءً على ضبط الناظم رحمه الله تعالى وقراءته. قوله: (رُؤوس القِباح) بالرفع، وإمّا على تقدير جرّه، فهو صفة لِـ«لْعِدَى» بلا تقدير المبتدأ، فراجعه. (منه).

[٢] أي: باعتبار كون اللام في (العِدَى) للجنس كما في الحمار في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾[الجمعة، الآية: ٥]، أو للعهد الذِّهْني؛ كما في اللئيم في قوله: (ولقد أمرّ على اللئيم يَسبّني)، فجاز كون جملة: (هم رؤوس القِباح) هنا صفة لـ«لعدى»؛ لكونه في حكم النكرة بذلك؛ كما يجوز جملة: (يحمل أسْفاراً) وجملة: (يَسبّني) صفة للحمار، ولِلَّئيم على ذلك؛ إذ قالوا: وتوصَف النكرةُ، أو ما في حكمها بالجملة الخَبريّة مِن ذي لام يُقصد به الجنس من حيث هو هو، أو يُقْصد به فرد مُبْهَم؛ كما ذكرناه في المثالين السابقين، فتبصّر. (منه).

[٣] أي: عند كون تلك الجملة صفة لـ«لعدى»، فراجعه. (منه).

إلى الله تعالى ببَركته وتربيته قدّس الله سرّه العزيز، وأفاض علينا من بركات نفائس أنفاسه، آمين.

فمعنى البيتين: فانتقال الممدوح؛ لأجله[١] كائنٌ؛ لخلاصه مِن السجن وتخليصِه عنه؛ أي: مِن الدنيا وما فيها؛ إذ إنّها سِجْن المؤمن لا سيّما له لكونه في غُرْبَة تامّةٍ، ومِن شَبَكة أولي القَهْر والجُور، ومن تحَمُّل، ومقاساة الشدائد والمحن والفتن، ولفوزه بحلول المؤجَّلِ مِن أجور[٢] الأعمال الحَسَنة، ورُؤيته تعالى ورضوانه عنه؛ كما قال الله تبارك وتعالى وتقدس: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية[٣].

ولنا انتقالُه كآبةٌ وحُزْنٌ بانتفاء رجائنا عنه قدّس الله سرّه من اقتراف رِبْحٍ، واجتناء ثَمَرٍ بالاجتباب[٤] عن هوانا بِبَركته حالَ كونه قد غَوَى وطَغَى حين إرخاء عَنَانِه.

ثم لما تردّدَ في وَهْم السامِع حين سمع ما ذكر: أنَّ هذا الناظم رحمه الله تعالى، وأعاد علينا وعليه من بركات هذا الوليّ هل رَآه، وهل سمع نَصيحَته، وقبّل يَدَه.. أجاب عنه الناظم رحمه الله تعالى بقوله:

٦٥. فَلَهُ الحَمْدُ إذْ أَرَانِيهِ بِالنُّصْـ * ـحِ وَسَمْعِ النَّدَى وَتَقْبِيلِ رَاحٍ

٦٦. قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ وَثَرَاهُ * وَأَنَارَ الضَّرِيحَ بِالمِصْبَاحِ

---

[١] أي: لنفسه. (منه).

[٢] أي: إعطاء أجور... إلخ، بتقدير مُضاف. (منه).

[٣] سورة يونس، الآية: ٢٦.

[٤] الجَبُّ: القَطْعُ، واجتب الشيء: قطعه. «لسان العرب».

٦٧. فَـاقَـهُ اللهُ فِـي هُـــدَاةِ مَـعَـادٍ * وَحَـــوَاهُ شَـفَـاعَـةَ الارْتِـيَـاحِ

قوله: (فَلَهُ الحَمْدُ) الفاء جزائية، وضميرُه راجع إلى الله. قوله: (النَّدَى) بفتح النون والألف المقصُورة، يقال للمَطر اسْتُعِيرَ بالاستعارة المصَرّحة للواردات الرحمانية المعْنَويّة بجامع الإحياء، فإنّها تجيئ بأرض القلب، وتَفْعَلُه مثل ما يَفْعَله المطرُ بالأرض، بل أزيد، أو الجودُ والعطاء، يقال: فلان نَدِيٌّ أي: جَوادٌ وسَخِيّ، وهو أَنْدَى مِن فلانٍ أي: أكثرُ خَيْراً منه، أو يقال: لذهاب الصَّوْت إلى مكان بَعيدٍ، يقال: فلان نَدِيَ صَوْتُه، أي: بَعد ذهاب صَوته، وفلان أندى صوتاً أي: أبْعد. وهذا المعنى الأخِير يكون أقرب وأصلح[١] في هذا المكان من غيره؛ كما لا يخفى عند أولي الأفهام، فراجع وحَرّر.

قوله: (قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ) أي: طَهَّرَ الله مَحلّ سره، وهو القلب، أو نَزَّهَ الله كَشْفَهُ عن الخطأ. قوله: (وَأَنَارَ الضَّرِيحَ بِالمِصْبَاح) أي: أنار الله تعالى قبره المباركَ بنور من عنده.

قوله: (فِي هُدَاةِ مَعَادٍ) الإضافة فيه بمعنى: في، كما في «ضرب اليوم»، فراجعه. فـ(الهداة) جمع هاد، وهم صلحاء المؤمنين، أي: رفع الله تعالى دَرجتَهُ كائناً في هداة في معاد، أي: كائناً يومَ القيامة في عباده الصالحين.

قوله: (وَحَوَاهُ[٢] شَفَاعَةَ الارْتِيَاح) أي: جعل الله تعالى له حظّاً وَفِيراً مِن الشفاعة الكبرى، وهي الشفاعة المحمّدية صلوات الله وتسليماته عليه، وعلى آله أبَدَ الآبدين ودَهْرَ الداهرين.

---

[١] أي: بقرينة قوله المضاف إلى «النَّدى»، وإن صلح غيره من معانيه. (منه).

[٢] أي: رَزقه الله شفاعة الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم التي فازت بها أهل الكبائر. (منه).

فمعاني الأبيات: أي: إذا كان الأمرُ كما ذكر.. فَلِلَّهِ الحَمْد جَلّ سلطانه إذ أرانيه ناصحاً، ورَزقني سَمَاعَ كلامِه المحيِي للقلوب القاسية، وصوتِه الذاهبِ إلى مكان بَعيدٍ، وتقبيلَ يده المبارَكةِ قدّس الله سرّه وثراه، وأَنَارَ قبرَه الكريم بنور من عنده، وجَعَله عالياً في الدرجة، وكائناً في زُمْرَة الذين ابْيَضّت وُجوهُهُم، وجَمَعَتْهُم الشفاعةُ الكبرى، وهي الشفاعة الخاصَّةُ لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام؛ كما قالها العلامة أحمد الحَطَّانِي رحمه الملك المغني في «همزيّته الرمزية في مدح خير مَن له المزية» في مَبْحَث ذكر مِعْراجه عليه الصلاة والسلام حيث قال:

قَالَ: يَا أَحْمَدُ؛ أُدْنُ مِنِّي أُدْنُ مِنِّي * يَا حَبِيبِي يَا مَنْ لَهُ الإِدْنَاءُ
فَدَنَى مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْ * نَى فَتِلْكَ السِّيَادَةُ القَعْسَاءُ
قَالَ: سَلْ مَا تُحِبُّ مِنِّي فَمِنْكَ السُّـ * ؤَالُ يَا صَفْوَتِي وَمِنِّي العَطَاءُ
كُلُّ عَبْدٍ يُرِيدُ مِنِّي رِضَائِي * غَيْرَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْكَ الرِّضَاءُ
قَالَ: سُؤْلِي شَفَاعَتِي سَيِّدِي فِي * أُمَّتِي يَوْمَ شَبَّتِ الرُّضَعَاءُ
فَحَبَاهُ المَوْلَى شَفَاعَتَهُ العُظْـ * مَى التِي لَا يَنَالُهَا الأَنْبِيَاءُ
وَلَهُ الفَضْلُ وَالوَسِيلَةُ أَتَى * وَالْمَقَامُ المَحْمُودُ ثُمَّ اللِّوَاءُ
فَالنَّبِيُّونَ فِي القِيَامَةِ يَأْوُو * نَ إِلَيْهِ وَهُمْ لَهُ خُدَمَاءُ
فَلِكُلٍّ مِنْهُمْ إِلَيْهِ الْتِجَاءُ * وَلِكُلٍّ تَوَسُّلٌ وَارْتِجَاءُ[١]

انتهى كلامه ملخَّصاً على المرام.

[١] راجع «الهمزية الرمزية» (ص ٣٠-٣١).

ثم إنَّ الناظم رحمه الله تعالى لَمَّا يَئِسَ منه إفادَةً واستفادة.. رجع إلى الله تعالى، ودعاه وقال:

٦٨. رَبِّ هَبْ لِي شَفَاعَةَ الشَّافِعِ الهَا * دِي وَهَذَا الوَلِيِّ دَاعِي الصَّلَاحِ

قوله: (وَهَذَا الوَلِيِّ) معطوف لـ(الشَّافِعِ الهَادِي) وهو: النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

فمعنى البيت: طلبَ الناظم رحمه الله تعالى من الله شفاعة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم عليهِ، والوليّ الممدوح أيضاً، وقال: (رَبِّ هَبْ لِي)... إلى آخره؛ إذ لا يَشفع أحد لِأَحَد إلا بإذنه تعالى؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ الآية[١].

ولا ينافيها حديثُ أنسٍ حيث قال رضي الله عنه: سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم أن يَشفعَ لي يوم القيامة، فقال: «أَنَا فَاعِلٌ»[٢]. حَسَّنَهُ الترمذي؛ لأنَّه مَأْذُون له في ذلك أو يَسْتأذن فيه فيُجاب؛ فجمع بين تلك الآية وهذا الحديث.

ثم إنَّ الناظم رحمه الله تعالى لما أراد بيان مَدْفنِه؛ ليُعلّم الزائرين موضِع قبره المبارك، وحُسْن جواره، وبَهْجَة رَوْضته.. قال:

٦٩. دُفِنَ الشَّيْخُ عِنْدَ شَيْخٍ شَهِيرٍ * حَاجِ تَرْخَانٌ اسْمُ مَثْوَى السَّمَاحِ

٧٠. رَوْضَةٌ ذَاتُ بَهْجَةٍ وَرُوَاءٍ * صَادِحَاتِ الطَّيْرِ الْتَقَتْ بِالصِّيَاحِ

[١] سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

[٢] أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٤٣٣) عن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه.

٧١. جَنَّةٌ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهُر اللَّا * تِي تُغَنِّي الغُصُونُ حِينَ الرِّيَاحِ[١]

قوله: **(دُفِنَ الشَّيْخُ)** أي: مولانا الممدوح ذو الشأن محمود أفندي قدّس سرّه. قوله: **(عِنْدَ شَيْخٍ شَهِيرٍ)** أي: يُدْعَى ويقال له: «شيخ زمان البخاري». قوله: **(حَاجِ تَرْخَانٌ)** مبتدأ وخبره. قوله: **(اسْمُ مَثْوَى السَّمَاح)** أي: اسم مثوى ذي السماح، وهو الشيخ الممدوح أي: حاج ترخان اسم بَلده الذي دفن هو فيه، السَّمَاحُ: الجُودُ، يقال: سَمَحَ به يَسْمَحُ بالفتح فيهما سماحاً وسماحة أي: جَادَ.

حكي: أن حضرة مولانا ذا الشأن محمود أفندي قدّس سرّه لما زار إلى حَضْرَة شيخ زمان البخاري المسمى بـ«نَجْم الدين الكُبْرَى قدّس سرّه» المدفون في تربة حاج تَرْخان قريبَ انتقاله من الدنيا، وقام عن زيارته بَعد تمامها.. وَقف ساعةً على الموضِع الذي الآن هو مدفونٌ فيه، مُتَّكِأً على عصاه، بوضع رأسه المبارك على رأس العَصا، هكذا مَثلاً.

ثم رفع رأسَه عنه وقال لمن حَوْله من المخلصين: أيّها الإخوان؛ وَضَعُوني إلى هنا، وكان هذا موضِع قبري، وقَبِلَ هذا الولي شيخ زمان البخاري كَوْنِي جاراً له، فبعد موتي تَضَعُوني إلى هذا المكان، وتَجعلوه لي مكانَ الدفن إن شاء الله تعالى.

وهذه الحكاية وَصَلَتْ إلينا مِن طرفه بواسطة مخلصِنا الحاج عبد القادر الـزاخُورِي وحكاها عنه؛ كما حَرَّرْناها بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ، وهو أعلم

[١] هذا البيت والذي قبله ساقطان من «طبقات الخواجكان النقشبندية».

بأحوال الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه، ومناقبه من غيره؛ لأنه كم زَارَهُ، وكم قام عنده في حياته فضلاً عن زيارته إليه بعد مماته.

قوله: (رَوْضَةٌ) خبر لمبتدأ محذوف وهو، وهي أي: البقعة التي دفن هو فيها روضة. قوله: (ذَاتُ بَهْجَةٍ وَرُوَاءٍ) أي: ذاتُ حُسْن ومَنْظَرٍ، صفة لـ«رَوْضة». قوله: (صَادِحَاتِ الطَّيْرِ)... إلخ؛ أي: ما تَصِيحُ وتُغَنِّي مِن الطيور الْتَقَتْ بعضُها إلى بعض فيها بالصِّيَاح الحَسَنة والحركات اللذيذة، صفة بعد صفة لـ«رَوْضة». قوله: (جَنَّةٌ)... إلخ، خبر بعد خبر.

فمعنى الأبيات: غَنِيٌّ عن البيان؛ لِوُضُوحه مما ذكر في أثناء التراكيب.

ثم لما وَقع في قلب المستمع أنَّ هذا الناظم رحمه الله تعالى حين رآه بالنصح هل استفاد منه أم لا؟.. أجاب عنه بقوله:

٧٢. وَرَدَ الْوَارِدُ الْمُرَادَ فَعَادَا * لَمْ يَفُزْ مِنْ زَوَالِ ظِلِّ الْجَنَاحِ

قوله: (فَعَادَا) ماضٍ مفرد، فأَلِفُهُ للإشباعِ. قوله: (مِنْ زَوَالِ ظِلِّ الْجَنَاحِ) أي: ذي الجناح بتقدير: ذي، فراجعه.

فمعنى البيت: ورد هذا الوارد[١] المراد من ناحية بَعيدة بِخرَّاجٍ كثير، فرجَع وعاد؛ كما وَرَد خَالياً عارياً من النفع لأجل موت شيخ الزمان، وسراج الأمة، ذي الجناحين محمود أفندي قدّس سرّه بعد وُرُوده عن زمانٍ قليلٍ[٢].

[١] أي: الناظم رحمه الله تعالى. (منه).

[٢] ولو قليلًا أم لا، أجاب عنه: نعم؛ قد استفاد قليلًا، لكن لم يَنَل المطلوب كما أراد وتمنّى؛ لموته قدس سره قريباً؛ كما أفاده قوله رحمه الله تعالى: ... لَمْ يَفُزْ مِنْ زَوَالِ ظِلِّ الجَنَاحِ. (منه).

تتمة: سَمِعْتُ عن الناظم رحمه الله تعالى: «أنه لما وَصَل إلى زيارته.. كان محمود أفندي قدّس سرّه مريضاً بمَرضٍ شديدٍ، وقال له حين المُصافحة معه: يا ولدي؛ مرحباً بك، قدمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ غيرَ أنّي قد صَافَحْتُ مع مَلَكِ الموت، وقد قَرُبَ أجلي، وأريد الذهاب إلى ربّي.

فما مضى عنه إلا نصفُ شهرٍ إذ جاءني رسول وأنا هناك وقتئذ بأنّه مات، رحمة الله عليه وعلينا أجمعين، فحضرتُ على جنازته، وقد حَضر معي عليها خَلْق كثيرٌ، فصلّيت معهم عليه صلاةَ جنازةٍ، وقصدتُ الدخولَ تحت تابوته حين حَمَلوه إلى المقبرة، فلم أقدِرْ عليه مِن كثرة الناس وازدحامهم، وكان قد حَضر للدفن مِن خيار بلد حاج تَرْخَان ما لا يُحْصَى عددهم، وكذا حَضر هُناك فَيْطُونَات[١] كثيرة لركوبِ أكابر البلد في الذهاب والإياب، لله سعيهم وعليه أجرهم، وكان المسافةُ بَين بلد حاج تَرْخان وبين مرقده الكريم نحوَ: فَرْسَخٍ، يَقْطَعُه الراكبُ في نحو ساعتين.

مَرِضَ قدّس الله سرّه في يوم الأحد، ومات في يوم الأحد، الخامس من محرم الحرام» انتهى كلامه.

ثم لما وَرد الناظم رحمه الله تعالى إلى زيارته من ديارٍ بعيدة ولم يَفز إلى مَطلوبه بِزَواله قدس الله سره عن زَمان يَسيرٍ.. أَلْهَمَ الله تعالى إليه بنظم هذا المديح؛ لِيَكُون مُتبَرِّكاً ومنتفِعاً بذلك، وتسليّاً وتسْكيناً لِقَلْبِه وإن لم يمكن له الانتفاعُ مِن ذاته، ومن بركات أنفاسه العَلية فقال:

٧٣. أُلْـهِـمَ الـرَّاخُـورِيُّ بِالكَتْبِ هَـذَا ❊ بَـدَلاً بَـاعِـثـاً إِلَـى الاِنْـشِـرَاحِ

[١] جمعُ: فَيْطُونْ. وفي القاموس: فَيْتُون.

قوله: (أُلْهِمَ الزَّاخُورِيُّ) أي: حاج عبد الله أفندي وَلد حاج عثمان الداغستاني الزاخوري، الشافعي مَذْهباً، والأشعريّ اعتقاداً، والنقشبندي المحمودي الحمزوي طريقة، والزاخور: قريةٌ كبيرة على نهر سَمْبُور، مُتعلّقة على ناحية أَخْتِي، بينها وبين بَلدة أَخْتِي مسافة يوم ونصف بِسَيْر مُعْتَدِل، وتاريخ بنائها على ما في كتب التواريخ: أَلْفَانِ وثمان مائة، وسبع وسبعون سنة.

وكان الناظم رحمه الله تعالى قد أخذ الإنابةَ أولاً حين كونه في حاج تَرْخَان من الممدوح غوثِ الزمان محمود أفندي الحنفي الداغستاني الأَلْمَالِي مذهباً ومولداً، والحاج ترخاني مرقداً، وأبي منصور المَاتُرِيدِي اعتقاداً، والنقشبندي الخَضَرِي المُجدّدي الخالدي طريقةً.

ثم لما توفي ذلك الفرد الكامل.. أَخَذَ مِن يد خليفته حاج حمزة أفندي الزاخوري مولداً، والإيليسُوِيّ مَدْفَناً، وكان رحمه الله تعالى قد أَخَذَ منه في الطريق نِسْبَة إلهيَّة، وَمحبّةً عامّة لجميع أهل الله، وكان حاج حمزة أفندي قدّس سرّه يقول في حقّه: «إنَّه مَعْدُودٌ عند الله تعالى من رجال الغيب».

وكان رحمه الله والله؛ كما قال أفضلَ الناس خُلُقاً، وأَوْرَعَ علماء الوقت، وكان قد شاعَ صيتُه بالأَوْرَعِيَّة عند أهل زمانه، وكانوا قد رَأَوْا منه ما لم يرَوْه إلى الآن مِن أحد من الآثار العَجيبة، والأخبار الغريبة، وكان نحيفَ الجسم، وشريف الاسم.

فالحاصل: أنَّه كان ذا منقبةٍ عظيمة، ونادر الدوران، وكان لدى شيخه حاج حمزة أفندي في مراقبة الخفيّ درساً، وهذا الفقير قد رأى كُلَّ مراقباته

المكتوبةَ على اسمه بيد شيخه المذكور، وهي الآن في يدي حَفِظتُها للتبرك.

ثم لما توفي هذا الشيخ.. كان متعَشِّقاً ومريداً إرادةً حقيقيّةً تُمْسِكُه من يد غوث العصر، وعزيز الوجود، أستاذي حاج أحمد أفندي الچَارِي التَّلَالِي قدس سره؛ إذ قد رأيت كتابَةُ المكتوبَ إليه في حَقّ ذلك، غيرَ أنَّ ذلك الأمرَ لم يَتَيَسَّر له؛ لانتقاله أي: الناظم من الدنيا قبل إمكان الأخذ.

ولا يَذهب عليك: أنَّه قد كان نائباً من طرف المسلمين في وَقت قدوم شَاهَوْ[١] على قلعة أَخْتِي، وعلى قلعة نُخُو، ثم حُبس في قلعة نُخُو نحو سَنَةٍ.

قوله: (بِالكَتْبِ هَذَا) أي: بكَتْبِ هذا الشعر، وهذه القصيدة؛ ليكون بدلاً وباعثاً لانشراح قلبه المغموم بِعَدَم الانتفاعِ عن الممدوح قدّس سرّه؛ لأجل موته بُعيد وصوله لديه.

فائدة: فإن قيل: أليس الله ذَمَّ الشِّعْرَ والشاعرَ، فكيف أَقْدَمَ هذا الناظم رحمه الله تعالى إلى مَدح هذا الممدوح، وإنشاء الشعر في حقّه؟ أقول: نعم، قد ذمّ الله الشعرَ الذي فيه هَجْوُ النبيّ وأصحابه، والشاعر الذي قد هَجَاهُمَا؛ كما قال الله جل ذكره: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ الآية[٢].

[١] هو شَاهَوْ بن محمود الأَنْصُخِي الأَوَارِي، نائب الإمام شمويل على ناحية أَنْصُخْ، وكان عابداً مخلصاً، محبّاً لدينه، محترماً له، وكان له تجربةٌ في الأمور لائقةٌ للاختيار، وفي (١١) من محرم سنة: (١٢٧٥هـ) هرب شاهو من الإمام إلى الروس، وفي زمن فتنة صُغُور سنة (١٢٩٤) الموافق (١٨٧٧) قدم إلى ناحية أَخْتِه؛ إذ نائبهم في ذلك الزمان الشيخ الحاج عبد الله الزَّاخُورِي، ولما أقرّ لغِنَارَال مِيلِكُوف خيانته لدولتهم.. حبس، وأرسل إلى قلعة غُنِيب، ومنها مع الأهل والعيال إلى غُوبِرْنِيه تَامْبُوف.

[٢] سورة الشعراء، الآيات: [٢٢٤-٢٢٦].

قال أهل التفسير: أراد شُعراء الكفّار الذين كانوا يَهْجُونَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم كعبد الله بن الزِّبْعَرِي السَّهْمِي[١]، وهُبَيْرَة ابن أبي وَهْب المَخْزُومِي[٢]، ومُسَافِع بن عبد مناف وأمثالهم، تكلّموا بالكذب والباطل، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد؛ وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غُوَاة قَوْمِهم يَسْمَعون أشعارَهم حين يَهْجُون النَّبِيَّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأصحابه، ويَروون عنهم قولهم، فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[٣]، أي: الرواة الذين يروون هجاء المسلمين، وقيل: الغاوون هم الشياطين، وقيل: هم السُّفهاء الضالّون.

وفي رواية: إن رَجلين أحدَهما من الأنصار تهاجيا على عَهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومع كلّ واحد غُواة من قومه، وهم السفهاء، فنزلت هذه الآيَة... إلخ، «خازن»[٤] مع تغيير قليل، وزيادة يَسيرة.

لَا الشِّعْرَ الذي فيه مَدْح وثناء للنبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم ولأصحابه، ومَن تَلَا تِلْوَهُمْ إلى يوم الدين، ولا الشاعر الذي قد أثنى على النبي صلّى

[١] هو عبد الله بن الزبعري بن قيس القرشي السهمي، وكان من أشدّ الناس على رسول الله صلّى الله عليه وسلم في الجاهلية، وعلى أصحابه بلسانه ونفسه، ثم أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه. «أسد الغابة» (١/ ٦٠٨)، و«الإصابة» (٤/ ٨٧).

[٢] هو هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي، وهو زوج أم هانئ، قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: «لما فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكة.. هرب هبيرة بن أبي وهب وعبد الله بن الزِّبعري إلى نجران»، فأقام بنجران حتى مات مشركاً. «أنساب الأشراف» (١/ ٦٩)، (٣/ ٣٧٠)، و«أسد الغابة» (١/ ٦٠٨)، (١/ ١٤٢٤).

[٣] سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤.

[٤] راجع «لباب التأويل في معاني التنزيل» (٣/ ٣٣٤) لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن.

الله تعالى عليه وسلّم، وعلى أصحابه، وعلى أتباعهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ الآية[١]. قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾... إلخ استثناء مما قَدَّرَهُ الجلال[٢] أوّلًا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾[٣] بقوله: فهم مَذمُومون، بِدَليل قوله[٤] آخر بعد قوله: ﴿ وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾[٥] فَلَيْسُوا مَذمُومين، فراجعه[٦].

وفي «الخازن»: ثم استثنى شعراءَ المسلمين الذين كانوا يُجِيبُون شعراء الكفّار[٧]، ويَهْجُون ويُنافِحُونَ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه

[١] سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

[٢] هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد، الشيخ جلال الدين المحلي الشافعي، تفتازاني العرب، ولد بمصر في سنة: إحدى وتسعين وسبعمائة، واشتغل وبرع في الفنون فقهاً وكلاماً وأصولاً ونحواً ومنطقاً وغيرها، ومصنفاته كثيرة، وأجل كتبه التي لم تُكمل تفسير القرآن، كتب منه من أول الكهف إلى آخر القرآن، قال الإمام السيوطي: وقد كمّلته بتكملة على نمطه من أوّل البقرة إلى آخر الإسراء، وكانت وفاته في سنة أربع وستين وثمانمائة. «شذرات الذهب» (٧/ ٣٠٣-٣٠٤)، و«طبقات المفسرين» (١/ ٣٣٥-٣٣٦).

[٣] سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤.

[٤] أي: بدليل قول الجلال.

[٥] سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

[٦] راجع «تفسير الجلالين» (٧/ ١٧٠).

[٧] في «لباب التأويل» (٣/ ٣٣٤): كانوا يجتنبون شعر الكفار.

كحَسَّان بن ثابت[١]، وعبد الله بن رَوَاحَة[٢]، وكَعْب بن مالك وأمثالهم، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٣].

روي: أنَّ كعب بن مالك قال للنبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم: قد أُنزِلَ في الشعر، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «**إِنَّ المُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحَ النَّبْلِ**»[٤].

[١] هو حسّان بن ثابتِ بنِ المنذر بن حرام الأنصاري، الخزرجي، النجّاري، المدني، سيد الشعراء المؤمنين، المؤيَّدُ بروح القدُسِ، أبو الوليد، ويقال: أبو الحُسَام، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحِبُه. توفي حسان قبل الأربعين في خلافة علي، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: سنة أربع وخمسين، وهو ابن مائة وعشرين سنة، لم يختلفوا في عمره، وأنه عاش ستين سنةً في الجاهلية، وستين في الإسلام. «أسد الغابة» (١/ ٢٥٤-٢٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥١٢-٥٢٣).

[٢] هو عبد الله بن رَوَاحَةَ بنِ ثَعلبة بنِ امرئ القَيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر، أبو عمرٍو الأنصاري الخزرجي، النّقيب، الشاعر، وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة، وَكان ممن شهد بدراً، والعقبة، وأحداً، والخندق، والحديبية، وخيبر، وعمرة القضاء، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الفتح وما بعده، فإنه كان قد قتل قبله، وليس له عَقِب. «أسد الغابة» (١/ ٦٠٦-٦٠٨). «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٣٠-٢٤٠).

[٣] سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

[٤] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٧٢١٨).

فصل في مدح الشعر

روى البخاري عن أُبَيّ بن كَعْب رضي الله تعالى عنه: أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «**إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً**»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فجعل يتكلّم بكلام، فقال: «**إنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْراً، وَإنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً**» أخرجه أبو داوود[٢].

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «الشعر كلام، فمنه حسن، ومنه قبيح، فخذ الحسنَ، ودع القبيحَ».

وقال الشعبي[٣]: «كان أبو بكر يقول الشعرَ، وكان عمر يقول الشعرَ، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علِي أَشْعَرَ مِن الثلاثة».

وروي عن ابن عباس: «أنه كان يُنْشِد الشعرَ في المسجد، ويَسْتنشده. فروي: أنّه دعا عمر بنَ أبي رَبِيعَةَ المخزومي فاسْتَنْشَدَهُ قصيدةً، فأنشد إياها، وهي قريب من تسعين بيتاً، ثم إن [ابن] عباس أعادَ القصيدةَ جَميعَها، وكان حَفِظَها مِن مرّة واحدةٍ» انتهى.

---

[١] أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦١٤٥).

[٢] أخرجه أبو داوود في «سننه» (٥٠١٣) بلفظ: «**إنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْراً، وَإنَّ مِنَ الشِّعْرَ حِكَماً**».

[٣] هو الإمام، علامة العصر، أبو عمرو عامر بن شَراحِيل بن عبدِ بنِ ذِي كبارٍ الهَمْداني ثم الشَّعْبِي، وكانت أمه من سَبي جَلُولاءَ، مولده: في إمْرَةِ عمرَ بن الخطاب، لِستٍّ سنين خلت منها، وكانت جلولاء في سنة سبعَ عشرة، وكان الشعبي ضَئيلاً، نحيفاً، ولد هو وأخٌ له تَوْءماً، ومات سنة أربعٍ ومائةٍ، وقد بلغ ثنتين وثمانين سنة. «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٩٤-٣١٩).

فمن ثمّ قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[١]، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٢].

وفي هذه الآية استدلالٌ على جواز ما فَعَلوه من هَجْوِهِم للكفّار في مُقابَلَةِ هَجْوِ الكفّار لهم، وفي قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾... إلخ استدلالٌ على اشتراط المماثَلَةِ في المقابَلة، فلا للمظلوم أن يَزيد في الذمّ على ما ظُلِم به من الهَجو انتهى، شيخنا مع زيادة.

وفي القرطبي: ومعنى ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣]: أيَّ مَصِيرٍ يَصِيرون، وأيَّ مَرْجعٍ يَرْجعون؛ لأنَّ مصيرَهم النار، وهو أقبحُ مصيرٍ، ومرجِعُهُم إلى العذاب، وهو أشَرُّ مَرْجِعٍ[٤].

فهذه[٥] القصيدة من جملة ما يجوز إنشاؤها شرعاً، كقصائد أئمة المسلمين وأشعارهم، وكقصائد إمام البُوَيْصِري، وقصيدة ولي الله الصَّفَدِي، وقصائد أضرابهما، فلا لَوْمَ للناظم رحمه الله تعالى من إنشاء هذه القصيدة؛ لأنَّه مَدَحَ فيها وَليّاً مِن أوليائه تعالى.

قوله: (إِلَى الانْشِرَاحِ) أي: إلى انشراح الصدر المغموم بمُفارقته عنه، وبعدم وصوله إلى الله.

[١] سورة النساء، الآية: ١٤٨.

[٢] سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

[٣] سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

[٤] راجع «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ١٥٣-١٥٤) للإمام القرطبي.

[٥] فالفاء في قولي: (فهذه) فاء الفذلكة. (منه).

فمعنى البيت: أي: وَقَع في قلبه حين راحَ تارةً إلى مرقده للزيارة بإنشاء هذا النظم؛ ليكون ذلك تَسَلِّياً له، وتسكِيناً لقلبه، وهو راجٍ إلى وصول نفع منه إليه، ومن الذين مالوا إليه وانتفعُوا منه من الخلفاء والمريدين وغيرِهم من الذين يَستمعونَ القول فيَتّبعون أحسَنَه، ويحسنون ويَدْعُون للمؤمنين بالخير، وحَصَل له النفع منهم؛ كما رجا، فلعَلّ الله يهديني وإخواني ببركته وبأدعية مثل هؤلاء المؤمنين الغيرِ الحاسدين.

ثم لما مَضى عنه ما مَضى من إثبات قول المعَلِّل، ودَفع قول السائل والمنكر... إلخ، ولم يمكن للناظم رحمه الله تعالى أن يَتحصّل منه ما رجاه عنه.. قال:

٧٤. سُؤْلُهُ أَنْ يَدْعُوَهُمَا النَّاظِرُ النَّا * ـصِرُ بِالاهْتِدَاءِ وَالإِسْجَاحِ

٧٥. وبِتَوْبِيخٍ لَا يَرُدُّهُ حَسُوداً * حَسَنٌ عَشْرُ وَالأَذَى بِجُنَاحِ

قوله: **(سُؤْلُهُ)** أي: مسؤوله أي: الناظم الزَّاخُورِيّ رحمة الله عليه، فالمصدر بمعنى اسم المفعول؛ كما لا يخفى مبتدأ. قوله: **(أَنْ يَدْعُوهُمَا)** أي: الناظمَ رحمه الله تعالى والممدوحَ قدّس سرّه، خبره. قوله: **(بالاهْتِدَاءِ وَالإِسْجَاحِ)** أي: بحسن الاهتداء والعَفْوِ والمغفرة والرضوان مُتَعَلِّقٌ؛ لـ«أنْ يَدْعُوهما»[١]، فراجعه.

قوله: **(وَبِتَوْبِيخٍ لَا يَرُدُهُ حَسُوداً)** معطوف على قوله: (أن يدعوهما) تقديره: وسُؤْلُه أن لا يَرُدَّه الناظر بتوبيخ حَسُوداً أي: بِعِتَابٍ لناظم هذا المديح

[١] أي: الوصول إلى الله بيَده كما مرّ غير مرة. (منه).

وعَيْبٍ عليه، ناشئ من حسده عليه؛ لما يَأتي[١] عن الناظم في المصراع الأخير، أو لما قيل: «الحَسُودُ لَا يَسُودُ»، وهذا هو المتبادر من ظاهر كلامه، ويُحْتَمَلُ أن يكون كلاماً ابتدائيّاً، فراجع وحَرِّر، فضمير المفعول في «لا يَرُدهُ» راجع إلى المديح.

قوله: (حَسَنٌ عَشْر وَالأَذَى بِجُنَاحِ) مقتبسٌ من قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ الآية[٢]، فهو في معنى العِلّة لمصراعه الأوّل، فقوله: «حَسَنٌ عَشْرُ» مبتدأ وخبر أي: حَسَن وَاحِدٌ عَشر، فهو على حذف صفة لـ«حَسَن»؛ للوزن، فجاز كونُه مبتدأً ولو كان نكرةً؛ كما جاز: ﴿وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ﴾[٣]، فراجعه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**يَقُولُ الله: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ.. فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا.. فَاكْتُبُوهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً، فَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي.. فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا.. فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَ.. فَاكْتُبُوهَا عَشْرَةً**») رواه الشيخان[٤].

فمعنى البيتين: مأمولي ومَسْؤُولي من المطّلع إليه؛ أي: إلى المديح أن

[١] وهو قوله: (حَسَنٌ عَشْرٌ وَالأَذَى بِجُنَاحٍ). (منه).

[٢] سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

[٣] سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

[٤] أخرجه البخاري (٧٥٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً.. فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا.. فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي.. فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا.. فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا.. فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ»).

ومسلم (٣٤٩) بلفظ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**إذا هم عبدي بسيئة.. فلا تكتبوها عليه، فإن عمِلَها.. فاكتبوها سيئة، وإذا هَمّ بحسنة فلم يَعْمَلْهَا.. فاكتبوها حَسَنَة، فإن عَمِلَهَا.. فَاكْتُبُوهَا عَشراً**».

[يدعو لهما] بالخير والسّعادة والرضوان من صميم الفؤاد في أثناء وخِلال الكلام من القصيدة، فإنْ [دَعا لهما] بالخير والرحمة والمغفرة.. فيكون على خير مِن رَبّه، وإن أتى بالهجو والهزل والاستهزاء.. فوَبالُهُ عليه، ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ﴾... إلخ[١]، و﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ﴾[٢]، و﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٣]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[٤] الآيات.

ثم اعلم: أنَّ أكثَر ما أبرزْتُ هنا من المعاني المعاني المفادَة، لا المعاني المرادة؛ لأنَّ المفادة يُخْرِجُها مَن له أدنى رَوِيَّةٍ وذَوْقٍ مِن العلوم العربية، وأما المرادة.. فلا يَعْلمُها إلا الناطق بها؛ لما قيل: «معنى الشِّعْر في بَطْن الشاعرِ».

تَمَّ بحمدِه تعالى وفضله وإفضالِه قصيدة الوُرُود المنظومة من بَحْر الخفيف مع شَرْحها في مدح شيخ محمود أفندي الأَلْمَالِيّ، ثم الحاج تَرْخاني قدّس الله سرّه العزيز، وأعادَ علينا من بركات أنفاسه العليّة، فسبحان مَن لا انقضاءَ لِمُلْكِهِ، وهو السميع العليم، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

تذييل: واعلم: أنّي لما شرَعْتُ تحريرَ شرح هذه القصيدة المحمودية، كنتُ مع استنادي إلى الله جل شأنه ومع طلبي التوفيقَ عنه على إتمامه ونقله من السواد إلى البياض.. أَسْتَمِدُّ على ذلك من رَوْحانيّات جميع المشايخ

[١] سورة النساء، الآية: ٨٥.

[٢] سورة النور، الآية: ١١.

[٣] سورة الطور، الآية: ٢١.

[٤] سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

قدّس الله أسرارهم العلية بَعد الاستمداد عن روحانية رسولنا محمد عليه أشرفُ الصّلواتِ وأكملُ التّحياتِ، وعن روحانيات سائر الأنبياء صلوات الله تعالى وتسليماته على نبيّنا وعليهم أجمعين، خصوصاً مِن روحانية شيخي التَّلَالِي، ومن روحانية الممدوح جَدّي ذي الشأن محمود الفعال أفندي قدّس الله أسرارهما، ونوّر ضريحَيْهما، فبينما كنتُ في هذا الحال إذ وَقع في قلبي إلهام مِن رَبّي بالجواب، فبِسَبَبه وَقع في جسدي احتراقٌ، فاحترَقَ به غايةَ الاحتراق، وغلَتِ اللطائف به مثل غَلَيَان المِرْجَل، وكان من كلّ شيء معي يُخَيَّلُ إلَيَّ ذكرُ الله، فما بَقي شيءٌ مِن مُتعلّقاتي إلا أنّه يقول ويدعو إلى الله على أنّ هذا الاحتراق فوق الاحتراق الذي هو دائم الأوقات مُلازِمي وعادتي، فتعجّبْتُ من هذا الحال وقلت: اللهم يا محوّلَ الأحوال حَوِّلْ حالَنا إلى أحسن الحالِ، ثم شكرْتُ على الله تعالى لذلك، فالحمد لله ثم الحمد لله على ذلك.

[بعض كرامات الممدوح]

خاتمة: أذكرُ فيها بعض كرامات الوليّ الممدوح التي لم تُذكَر في المديح، بل رأيتها في مكتوباته المرسلة إلى خليفته ومأذونه العالم الرباني، والفاضل الصَّمْداني، المرشد الكاملِ، والرجل الواصل، الشيخ محمد ذاكر حَضْرَة بن عبد الوهاب الجِسْطَاوي نوّر الله تعالى قبره، ووَسّع ضريحَه، ورزقنا من بركاته وفيوضه، آمين، وكراماتٍ له سَمِعْتُها من شيخي قطب الزمان، وسراج الأمة، الشيخ حاج أحمد أفندي بن مصطفى التَّلَالِي قدس سره، ومِن غيره، وعدّةٍ عديدة من كرامات أبينا المرحوم، قطبِ الواصلين، الحليم

على المريدين، والدي حَضْرَة أفندي الـزَّاخُوري قدّس سرّه، ونُبذة من كرامات شيخي المذكور، وبعض حالاتٍ مما لاحَ لي ببركة سيدي المزبُور قدّس سرّه على هذا الترتيب؛ ليكون تذكرة منِّي إلى الإخوان، وذخيرَة عنّي للخلّان، ولِيَدْعو لي ولوالديّ بالمغفرة والرضوان.

مقدّمة لازمة لهذه الخاتمة

اعلم: أنَّ نفسَ الكرامات ليسَت شيئاً قبيحاً؛ لأنها إكرام مِن الله تعالى لِعَبْده، ولكنْ تَطَلُّبُها والميلُ إليها شيء قبيحٌ، قاطعٌ عن حضرة القُرب إلى الله تعالى، والخواصّ لا يَفْرَحون بِظُهُورها، بل يتضيقون[١] خوْفاً من مكر الله تعالى، فراجعه.

ولذا يقال: «الكرامة حَيْض الرجال» أي: تَطَلُّبُهَا والميْلُ إليها حَيض الرجال المانعُ عن القرب إلى الله تعالى.

وأما الاستقامة نفسها وتطلّبها والميْلُ إليها، بل والقيام بها.. فشيءٌ حَسَنٌ، وأفضل من الكرامة؛ لأنَّ الكرامة تَطْلُبُها النفسُ، والاستقامة يطلبها الله تعالى مِن العَبد، فما يَطلبُه اللهُ جلّ جلاله أفضَلُ مما تَطْلُبُه النفسُ، كذا في كتب القوم، فراجعها.

ولقد بَسطنا الكلام في تحقيق هذا المقام في رسالتنا المسماةِ بـ«**تحفة الإخوان في مسائل علم التصوف لأهل القلوب والإيمان**»، فإن شئتَ نهاية البيان.. فراجعها.

[١] أي: عند ظهورها. (منه).

ثم اعلم: أنَّ هذا الممدوح، والشيخ العارف بالله، والغوثَ الكامل لله، حميدَ الخصال، كريم الفعال محمود أفندي الداغستاني الألْمَالِي ثم الحاج تَرْخَانِي قدّس سرّه قال في بعض مكتوباته المرسلة لمرشده محمد ذاكر حَضرة الجِسْطَاوِي:

اعلم: أرشدَنا الله تعالى وأرشدكم: أنَّ قطب الأقطاب، وقطبَ المدار، والغوث.. لَقْبُ شخصٍ، شَهير الاسم، خَفِيِّ الجسم، اختاره الله تعالى مِن بين عباده الصالحين لِقِوام المُلك عوناً وعيشاً لهم، فهو من أهل الخير[1]، ولا يخلو منه الزمان إلى قيام القيام، كما هو المشهور.

[روى] عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ ثَلَاثُ مِائَةٍ يُسَمَّى أَوَّلُهُمُ البُدَلَاء، وَطَبَقَاتُ قُلُوبِهِمْ كَقَلْبِ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَهُ أَرْبَعُونَ، قُلُوبُهُمْ كَقَلْبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَهُ سَبْعَةٌ، قُلُوبُهُمْ كَقَلْبِ إبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَهُ خَمْسَةٌ، قُلُوبُهُمْ كَقَلْبِ جَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَهُ ثَلَاثَةٌ، قُلُوبُهُمْ كَقَلْبِ مِيكَائِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَهُ وَاحِدٌ، قَلْبُهُ كَقَلْبِ إسْرَافِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُسَمَّى لَهُ: القُطْبُ**».. إلى آخر الحديث، أورده صاحب «المشكاة» في «مشكاة الأنوار».

واختلف فيه، قيل: إنه يكون غيرُ قطب الإرشاد في كلّ الأزمان، وقيل: لا يكون غيرَه؛ لأنَّه قد يَجتمع القطبيّتان في بعض الأزمان في رَجلٍ واحدٍ كالغوث الأعظم عبدِ القادر الكِيلَاني رضي الله تعالى عنه.

[1] سيأتي ما فيه نصرَة لهذا المقام في (ص ٢٠٧).

وقيل: لا يكون هو إلا قطبَ الإرشاد نفسَهُ، والأوسَطُ[١] هو الأظهر.

فالظاهر من وَصْفه: أنّه؛ كالشمس المُحْرِقَةِ لا يطيق لِصُحْبتِه وقُرْبته أهلُ الظاهر، وهو أيضاً أثقَلُ لأهل الباطن لشدّة استغراقِه إذ رَبَّاهُ الله تعالى بِجَلاله، واحْترَق بتجلّيّاته، فصار؛ كالنار المُحْرِقة؛ كما ظَهَر مِن موسى عليه السلام آثارُ التّجَلّي إلى ما شاء الله تعالى، ويكون خضر عليه السلام في خدمته لنظام أمرِه، ومقامُهُ مقام الاستغراق، ومقامُ قطبِ الإرشاد فوقَه في أمور الباطن؛ لأنَّه صاحبُ التصرّف، ولا تَصَرُّفَ لقطب المدار؛ إذ كُلُّ ما يَظْهَرُ منه يَظهر بلا اختيارٍ[٢] كأنّه كالآلة.

ثم لا يخفى أن يكون للبعض من أهل هذه النسبة السنيّة والسلسلة العليّة النقشبندية من أهل اليقظة من المجْذُوبين السالكين في ذلك المقام حَظٌّ، وأن يَتَشَرَّفَ باللَّدنيات، وقد أعطاهُ الله تعالى العلمَ اللدنِيَّ، وهو السيْرُ في حضرة الأسماء والصفات، وأن يظهر منه الخَوَارِقات، إمّا لكونه أهلاً لذلك المقام، وإما بالتنزّل لصاحب الصَّحْوِ من أهل النهايات، ولذلك يقال: إنَّ الكرامَةَ حَيْضُ الرجال؛ لأنَّ فيها التّنزُّلَ لأهل النهاية ولو كانت بلا قَصْدٍ منه إليها، بل بتصرّف الله؛ كما ورد في الحديث: «**يَسْمَعُ بِي وَيُبْصِرُ بِي**»... إلخ، وعَدَم اختيار[٣] له فيها أي: لأهل هذا المقام.

---

[١] أي: القول الثاني منها. (منه).

[٢] أي: بتصرّف الله تعالى فيه. (منه).

[٣] أي: ولو كانت الكرامة الظاهرةُ منهم بلا قصد من طرفهم إليها، وبلا اختيار لهم فيها. (منه).

ومن هنا ظهر: أنَّ الكرامة تَظْهَر مِن الأولياء بلا اختيارٍ ولا اقتضاءٍ منهم[١]، وإن رآها أهل الظاهر: أنَّه[٢] مختارٌ في أمره؛ كما أجْرى الله تعالى على لسان منصور قدّس سرّه[٣]: أَنَا الحَقّ، وعلى لسان أبي يزيد رضي الله عنه: سبحاني؛ ما أعظمَ شأني، وكما قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٤]، وإلا.. لا يَرضى أحدٌ من أهل النهاية التّنَزُّلَ من ذروة حضرة الذات إلى حضيض [مركز] الصفاتِ، وإن كان للوليّ اقتضاءٌ في الكرامة،وطلبٌ للخوارق.. لا يَظهر منه شيءٌ؛ لأنّه حينئذ نَزَّلَ نفسَه من الملكيةإلى البَشريّة، ومال إلى الأمارة، ومقامُ الأمارة ليس مقامَ الكرامة،فكيف تَظهر منه، نعم؛ تَظْهَر مَعُونةٌ، وهي لأهل البدايةِ، هذا انتهى مُلَخَّصاً على المرام.

أقول: وقد ذكر الممدوح قدّس سرّه في بعض «مكتوباته»: «أنَّ الكرامة تكون في مرتبة الصفات لا في مرتبة الذات حيث قال قدّس سرّه: ولذلك كان معجزاتُ سائر الأنبياء عليهم السلام أكثرَ وأظهرَ مِن معجزات نبينا صلّى الله تعالى عليه وسلّم؛ لأنّ المعجزات؛ كالخوارق في الأولياء رضي الله تعالى عنهم، وهي في مرتبة الصفاتِ، ومرتبةُ الذات مُسْتغْنِيَةٌ عنها، ولذلك ادّعى من ادّعى: أن ولاية النبي أفضلُ مِن نبوّته.

[١] أي: إليها. (منه).

[٢] أي: الولي من الأولياء. (منه).

[٣] هو الحسين بن منصور بن مَحْمِي، أبو عبدِ الله، ويقال: أبو مُغيثٍ، الملقب بالحَلاَّج، الفارسيّ، البيضاوي، الصوفي، نشأ الحسين بتُسْتَر، فصحب سهلَ بنَ عبدِ الله التُّسْتَرِيّ، وصحب ببغداد الجُنَيْد، وأبا الحسين النُّورِيّ، وصحب عمرو بنَ عثمان المكي، كان مقتله في سنة: تسعٍ وثلاثِ مائةٍ، لِستٍّ بَقَيْن من ذي القعدة. «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣١٣-٣٥٤).

[٤] سورة الأنفال، الآية: ١٧.

وأما النبوّة الصِّرْفَةُ.. فمُسْتَغْنِيَةٌ عن الولاية وإن كانت[١] فيها الولايةُ، فمن ثم سمّي لها: النبوة الصِّرفة» انتهى ملخصاً على المرام مع زيادةٍ وتغييرٍ على حسب المقام.

وقد سَبق عنه قدّس سرّه في «المكتوبات» قريباً من هذا المقام ما لفظه: «والقسم الأوّل الذي هو المُرَبّي[٢] بِقُرْبِ النبوة أهلُ اليقظة، لهم نصيب مِن حضرة الذات، وفوق المربّي بِقُرْبِ الولاية؛ إذ مرتبةُ الذاتِ نصيبُ النبوةِ الصِّرْفَةِ، وفيها لا يُتَصَوَّرُ الولايةُ، ومرتبةُ الصفات مرتبة الولاية، سواءٌ كانت مع الولايةِ نبوةٌ أو لا، فمن أجله كان درجةُ سَيِّدِنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم أَعْلَى مِن درجات سائر الأنبياء على نبينا وعليهم السلام» انتهى ملخَّصاً على المرام مع تغييرٍ قليلٍ وزيادةٍ يسيرةٍ، فراجعها.

ثم كتب[٣] وعَرَض له الممدوح في بعضٍ آخرَ مِن «مكتوباته» ما عَرض، وظهَر له في أثناء السلوك، بل وفي ابتدائه من الأحوال وإن كانت غيرَ مقصورة عنده لِمَا فيها من التنزّلِ لأهل النهايات، غيرَ أنّها قد كانت تظهَر عن الممدوح قدّس سرّه بلا إرادةٍ ولا قَصْدٍ منه إليها، ولا اختيار له فيها، بل بتصرّفه تعالى؛ كما مر[٤]، فراجعه.

ولهذا قال في آخره: فاعتبر أيها الأخ، والحالُ رَكعَةٌ مقبولةٌ من ذوي الأوقات الخمسةِ أَحَبُّ إلَيَّ من جميع ما ذكرناه... إلى آخر ما قال، فراجعه.

[١] أي: فرضاً. (منه).

[٢] أي: في الدرجة. (منه).

[٣] أي: لذاكر حضرة قدس سره. (منه).

[٤] وكما سيأتي عنه منقولًا مما في «مكتوباته»، فراجعه. (منه).

قال الإمام الرباني قدّس سرّه في ترجمة «رسالة المبدأِ والمعاد»[١] ما لفظه هذا: «ومنها: أن حضرة خاتَمُ الرسالة صلّى الله تعالى عليه وسلّم ممتازٌ مِن بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتّجلّي الذاتيّ، ومخصوصٌ بهذه الدولة التي هي فوق جميعِ الكمالاتِ، ولِكُمَّلِ تابعيه صلّى الله تعالى عليه وسلّم نصيبٌ مِن هذا المقام الخاصّ، لا يقال: يَلزم على هذا التقديرِ أن يكون كُمَّلُ الأولياءِ أفضَلَ مِن سائر الأنبياءِ عليهم السلام، وهذا خلاف مُعْتَقد أهل السنة والجماعة، وهذا الفَضلُ ليس بِجُزْئِيٍّ حتى يرفع به الشُّبْهَةُ، بل هو كُلِّيٌّ، فإنّ تفاضلَ الرجال إنّما هو بالقُرب الإلهيّ جَلَّ سلطانه، وكلّ فضيلةٍ سواه فهي دُون ذلك؛ لأنّا نقول: لا يَلْزَم ذلك، فإنه لا يَلزم مِن كون النصيب لهم من ذلك المقام وصُولُهُم إليه والفضيلةُ مَرْبُوطةٌ بالوصول، وهذا مفقودٌ في حقّ الكُمَّلِ، فإنَّ نهاية عُروجِ كُمَّل الأولياء من هذه الأمة التي هي خيرُ الأمم إلى تحت أقدام الأنبياء عليهم الصلوات والتسليماتُ، حتى أنَّ الصديق الأكبر رضي الله عنه الذي هو أفضلُ جميع البشر بعد الأنبياء عليهم السلام نهايةُ عُرُوجِه إلى تحت قدمِ نبيٍّ، هو دون سائر الأنبياء عليهم السلام.

غاية ما في الباب: أنَّ لِكُمَّل أولياءِ هذه الأمة مع كونهم في المقام التحتانيّ نصيباً تامّاً من كمالات مقام فوقِ الفوقِ التي هي مختصّةٌ بِنَبِيِّهِم عليه الصلاة والسلام، فإنّ الخادم بأيّ مكان كان يَصِل إليه شيء مِن نصيبِ مخدومِه، والخادمُ البعيدُ يجد بِطُفَيْلِيَّةِ مخدومه ما لا يَتيَسَّر لِلمُقَرَّبِينَ بدون دولة الخدمة.

[١] وهو كتاب «رِسَالَة المَبْدَأِ وَالمَعَاد» للإمام الرباني، الشيخ أحمد الفاروقي السّرْهَنْدِي قدس سره المتوفى سنة (١٠٣٤ هـ).

ينبغي أن يُعْلم: أن هذا التوهّم يَحْصل للمُريدين أحياناً بالنسبة إلى شيوخهم، وحصول مقامات شيوخهِم يكون باعثاً على تَوَهُّم المساواة لهم، وحقيقةُ المعامَلة هي ما ذَكرنا، فإن حصول المساواة إنَّما هو على تقدير الوصول إلى تلك المقامات، لا على تقديرِ حصولِها فقط، فإنّه طفيليّ، ولا يَتَوَهَّمَنَّ أحدٌ مِن هذا: أن المريد لا يكون مُسَاوياً لشيخه، فإنَّ الأمر ليس كذلك، فإن المساواةَ جائزةٌ بل واقعة، لكنّ الفرقَ بين حصول ذلك المقام وبين الوصول إليه دقيقٌ لا يَهْتَدِي إليه كُلّ مريد لا بُدّ فيه مِن كشفٍ صَحِيح وإلهَام صريحٍ، والله سبحانه الملهم للصّواب، والسلام على مَن اتّبع الهدى» انتهى[١].

وله تعالى عِباد مُكْرَمُون شتّى، منهم: أقطاب، ومنهم: أبدال، ومنهم: أوتاد، ومنهم: أنجاب، ومنهم: نقباء، فإن شئتَ نهايةَ بيان أحوالهم.. فعَليك برسائل أئمة المتقدّمين، وكتبِ المشايخ الماضين قدّس الله أسرارهم، وطَهَّر ضرائحَهم، أُفيدُهَا إخباراً في هذا الباب، وأجمعُها أحوالاً من أولئك الأنجاب رسالة العلامة محمد أمين الشهير بـ«ابن عابدين» قدّس الله سرّه، ونوّر ضريحَه.

فمن ثم التزمتُ نقلَ ما جمعه في حقّهم في تلك الرسالة من أوّله إلى آخره، وقلت بعبارته:

[١] راجع «رسالة المبدأ والمعاد» (٢٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شَرَّف هذه الأمة المحمّديةَ بأنواع التشريف، وشَرع لها شرعاً رَصيناً وحكماً مبيناً، وكَلَّفَها بأسْهل تكليف، وجَعَلَ منها عِبَاداً عُبَّاداً بَادَرُوا إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، حتى أماتوا أنفُسَهُم وأغرقُوها في بحار حياة التوحيد والتنزيه، وجَعل منها أوتاداً، ونقباءَ، وأقطاباً، وأبدالاً، وأخياراً، وأنجاباً؛ فرحم بهم عبادَه الضعفاء، وألبس بعضَهُم جِلْبَابَ السَّتْر والخَفاء، وجرّدَهم عن الكُدورات البَشريّة، وأغرقهم في بحار الأحديّة، وأشهَدهم أسرارَ أسمائه وصفاته، وجعَل قلوبَهم مشكاةً لأشعة تجليّاته.

والصلاة والسلام على مَنِ الكُلُّ مقتبِسٌ مِن نِبْرَاس أنواره، ومُلتمسٌ من فيض عرفانه وأسراره، ومغترف من بحار شرعه وهداه، ومقتطِفٌ مِن ثمار جُوده وجدواه، وعلى آله وأصحابه الذين لهم الغاية القُصوى في هذا الشأنِ، والخيولُ المُضَمَّرَة بين الفرسان، في السابق إلى هذا المَيدان.

وبعد: فيقول أسيرُ وَصْمَة ذَنْبِهِ، وراجي عفو ربّه، محمد أمين المكنَّى بـ«ابن عابدين» غفر الله ذنوبه، وستر عُيُوبه: قد كنت جمعتُ رسالةً بسؤال بعض الأعيان، عن أمر القطب الذي يكون في كلّ زمان وأوانٍ، وعن الأبدال والنقباء والنجباء، وعِدَّتهم على طريق البيان، وبادَرتُ إلى ذلك بعد طلب الإذن من حضرتهم العلية، وقراءة الفاتحة إلى أرواحهم الزكيّة، عسى الله أن يَنْفَحَنا من نفحاتهم، ويعيدَ علينا من عظيم بركاتهم، وجمعتُ ما وَقفتُ عليه من كلام الأئمة المعْتبَرين، ووَفقت للاطلاع عليه من كتب السادة المعمَّرِينَ.

ورَتَّبْتُ ما جمَعْته على أربعة أبوابِ، وخاتمة، وسمّيت ذلك بـ«**إجابة الغَوْث بِبَيان حال النقباءِ، والنجباء، والأبدال، والأوتاد، والغوث**»، وكتبت له نسخةً، وأرسلتها إليه، ثم رَأيت أشياء تُناسِبُ المقامَ، ويَسْتَحْسِنُ ذِكْرَها ذَوُو الأفهام، أحببت إلحاقَها لاستشفاء العليل، وربّما حَصَل بعض تغيير وتَبْديل، ولكن أبقيت التسميَة والترتيب، وسألت المعُونةَ مِن القريب المجيب.

الباب الأول

في بيان الأقطاب، والأبدال، والأوتاد، والنجباء، والنقباء وبيان صفتهم، وعددهم، ومَساكنِهم

فالأقطاب: جمع: قُطب، وِزَانُ قُفْلٍ.

وهو في اصطلاحِهم: الخليفة الباطن، وهو سيّد أهل زمانه، سمّي قطباً لجمعه لجميع المقامات والأحوال، ودَوْرانها عليه، مأخوذٌ من قُطْب الرَّحَى[١]: الحديدة التي تَدور عليها.

وفي «شرح تائية» سيّدي الشيخ شرفِ الدين عمرَ بنِ الفارض[٢]، لسيّدي عبد الرزاق القاشاني[٣]: القطبُ في اصطلاح القوم: أكملُ إنسان متمكّنٍ في مقام الفَرْديّة، تدور عليه أحوال الخلق.

---

[١] قُطْبُ الرَّحَى: الحديدة المُرَكَّبَةُ في وَسَطِ حَجر الرّحى السُّفْلَي. «تاج العروس».

[٢] هو عمر بن الفارض، أبو الحسن، علي بن المرشد بن علي، شرف الدين الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة. العارف المحب، المنعوت بالشرف، صاحب الديوان المعروف الفائق، والشعر الرائق، ونسب إلى الصلاح والخير والتجريد، وجاور بمكة وبمنى، مات في: جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ودفن في المقطم تحت العارض، وولد في ذي القعدة سنة ستّ وسبعين وخمسمائة. «جامع كرامات الأولياء» (٢/ ٤٨٨)، و«طبقات الأولياء» (١/ ٧٥).

[٣] هو كمال الدين، عبد الرزاق ابن أبي الغنائم أحمد جمال الدين الكاشي أو الكاشاقي أو القاشاني من كبار الصوفية، ومن أصحاب الشيخ نجيب الدين الشيرازي، والشيخ نور الدين عبد الصمد القطنزي، اختلف في وفاته كثيراً، ثم حدّدناها في «المعجم»: أنه توفي سنة (٧٣٦ هـ) في الثالث من المحرّم، ودفن في خانقاه (زيني ماسترى)، ترك عدداً من شروح الكتب الهامة، وكتب المصطلحات التي أهمّها: «معجم المصطلحات الصوفية»، و«كشف الوجوه الغُرّ في معاني نظم الدر». راجع إلى هامش «إجابة الغوث» (٢٩-٣٠).

وهو إما قطبٌ بالنسبةِ إلى ما في عالم الشهادة مِن المخلوقات، يَسْتَخْلِفُ بدلاً عنه عند موته مِن أقرب الأبدال منه، فحينئذ يقوم مقامه بَدَل هو أكملُ الأبدال.

وإما قطبٌ بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عَالَمَيِ الغَيْب والشهادة، ولا يَسْتخلف بَدَلاً من الأبدال، ولا يقوم مقامه أحدٌ مِن الخلائق، وهو قطب الأقطاب المتعاقِبَةِ في عالَمِ الشهادة، لا يَسْبِقُه قطب ولا يخلفُه آخَرُ، وهو الروح المصْطفَوِيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم المخاطَبُ بقولٍ: «لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلَاكَ» انتهى[١].

يعني: لا يَخْلفُه غيْرُه في هذا المقام الكامل، وإن خلفه فيما دُونه كالخلفاء الراشدين، ولا يُنافي ما سيأتي.

وفي بعض كتب العارف بالله تعالى سَيّدي محيي الدين بن عربي[٢] قال: اعلم: أنَّهم قد يَتوسَّعون في إطلاق لفظ القطب، فيُسمّون كُلَّ مَن دار عليه مقامٌ من المقامات قطباً، وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه، وقد يسمّى رَجُل البلد: قطب ذلك البلد، وشيخ الجماعة: قطبَ تلك الجماعة، ولكنّ

---

[١] في كتاب «اللؤلؤ المرصوع»: حديث:«**لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأفلاك**» لم يرد بهذا اللفظ، بل ورد: «**لَوْلَاكَ مَا خَلَقْتُ الجَنَّةَ، وَلَوْلَاكَ مَا خَلَقْتُ النَّارَ**»[روى الديلمي عن ابن عباس (٨٠٣١)]، ولذلك قال العلماء: إن معناه صحيحٌ.

[٢] هو الإمام الحبر المجتهد، العارف الكبير، والشيخ الأكبر، محيي الدين بن عربي، محمد بن علي بن محمد الحاتمي، الطائي، الأندلسي، الدمشقي، المعروف بـ: ابن عربي، صاحب «الفتوحات المكية» وغيرها من المصنفات الكبار والصغار التي زادت على المائتين. ولد بمَرْسِية سنة: (٥٦٠ هـ) ونشأ بها، ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق، توفي رضي الله عنه سنة: (٦٣٨ هـ)، ودفن بـ«الصالحية» في الشام. «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٢٤٦-٢٥٩)، و«ديوان الإسلام» (١/ ٦٧)، و«شذرات الذهب» (٥/ ١٩٠).

الأقطابُ المصطَلَحِ على أن يكون لهم هذا الاسمُ مطلقاً من غير إضافةٍ.. لا يكون إلا واحداً، وهو الغوث أيضاً، وهو سيد الجماعة في زمانه.

ومنهم: مَن يكون ظاهرَ الحكم، ويحوز الخلافة الظاهرة؛ كما حاز الخلافة الباطنة كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضوان الله تعالى عليهم، ومنهم: من يحوز الخلافةَ الباطنةَ فقط؛ كأكثر الأقطاب.

وفي «الفتاوى الحديثية» لابن حجر: (رجال الغيب سُمُّوا بذلك لِعَدَم مَعرفة أكثر الناس لهم، رأسُهُمُ القطب الغوث الفرد الجامع، جعله الله دائراً في الآفاق الأربعة أركانِ الدنيا؛ كدَوْران الفَلَكِ في أُفُقِ السماء، وقد سَتر الله تعالى أحواله عن الخاصة والعامة غِيرَةً عليه، غيرَ أنه يَرى عالماً كجاهلٍ، وأبله كفَطِنٍ، وتاركاً كآخذٍ، قريباً بعيداً، سهلاً عسراً، آمناً حذراً، ومكانتُه مِنَ الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزُها، به يَقع صَلاح العالم) انتهى.

وفي «المَعْدِن العَدَنِيِّ في أُوَيْس القَرَنِيّ» لِلْمُنْلَا علي القاري[١] قال: وأما قطب الأبدال في زمانه عليه الصلاة والسلام.. فالذي في ظنّي: أنّه أويس القرني[٢] انتهى.

[١] نور الدين الملاّ الهروي القاري، علي بن سلطان محمد (ت ١٠١٤هـ)، ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. قيل: كان يكتب في كل عام مصحفا وعليه طرر من القراءآت والتفسير، فيبيعه فيكفيه قوّته من العام إلى العام. وصنَّف كتباً كثيرة، منها: «تفسير القرآن» ثلاثة مجلدات، و«الأثمار الجنية في أسماء الحنفية». «الأعلام» (٥/ ١٢-١٣).

[٢] هو أبو عامر، أويس بن عامر، وقيل: ابن عمرو، القرني المرادي من بني قرن، خير التابعين بشهادة سيّد المرسلين، وسيّد العباد، وعلم الأصفياء والأولياء مِن الزهاد، أدرك زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره، اختلف في موته، فمنهم من زعم: أنه قتل يوم صِفِّين في رَجَّالة علي بين يديه، وقيل: قتل يوم نهاوند، وقيل: مات بجبل أبي قبيس بمكة، وقيل: أصابه البطن، فمات عند أهل خيمة حين غزا أرمينية زمنَ عمرَ بن الخطاب، ودفن بها. «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٧١٤-٧١٥)، و«الكواكب الدرية» (١/ ١٥٢-١٥٥).

وفي «شرح منظومة الخصائص النبوية» لشيخ مشايخنا، الشهاب أحمد المَنِينِي[١] قال: (وذهب التونسي من الصُّوفيّة إلى: أنّ أوّل مَن تَقَطَّبَ بَعده صلّى الله تعالى عليه وسلّم ابنته فاطمة، ولم أَرَ له في ذلك سَلَفاً، وأما أوّل من تقطّبَ بَعد عصر الصحابة.. فعمر بن عبد العزيز[٢]، وإذا مات القطب.. خَلَّفَهُ أحد الإمامين؛ لأنّهما بمنزلة الوزيرين، أحدهما: مقصُور على مُشاهَدة عالم الملكوت، والآخر على عالم الملك، والإمام الذي نظره في عالم الملكوت أعلى مقاماً من الآخر) انتهى.

والأبدال - بفتح الهمزة - جمع: بَدَلٍ، سُمُّوا بذلك؛ لما سيأتي في الحديث: «**كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ.. أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ رَجُلاً**»[٣]، أو لأنّهم أَبْدَلُوا أخلاقَهُم السيئة، ورَاضُوا أنفسَهُم حتى صارت محاسنُ أخلاقهم حِلْيَةَ أعمالهم، أو لأنّهم خلف عن الأنبياء؛ كما سيأتي في كلام أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، أو لِمَا نقله الشهاب المَنِينِي عن العارف ابن عربي قال: «وإذا رَحَل البَدَلُ عن موضع.. تَرَكَ بَدله فيه حقيقةً روحانية تَجتمع إليها أرواحُ أهلِ ذلك الموطن الذي رحل عنه هذا الوليّ، فإنْ ظهَر شوقٌ

[١] هو الشيخ العالم العَلَم، العلامة الفهامة، المحدّث، أحمد بن علي بن عمر الحنفي، الطرابلسي الأصل، المنيني المولد، الدمشقي المنشأ، ولد بقرية مَنين سَحرَ ليلة الجمعة، ثاني عشر محرّم، افتتاح سنة: تسع وثمانين وألف، ارتحل لبلاد الروم، وصار مفتياً بأحد بلادها، وله رواية في الحديث عن والده عن قاضي الجن عبد الرحمن الصحابي الجليل الملقب بـ «شَمْهورش» (ت ١١٢٩)، وأخذ طريق السادة النقشبندية مع بعض العلوم عن الجد الشيخ مراد البخاري الحسيني الحنفي. كانت وفاته في يوم السبت، تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنين وسبعين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح. «سلك الدرر» (١/ ٨٦-٩٤).

[٢] من المعلوم: أن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه ما نالها، وربما يقصد المؤلف هنا: أن من نال القطبانية ظاهراً وباطناً، نعم هو سيدنا عمر بن عبد العزيز.

[٣] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٨٩٦)، والخطيب التبريزي في «مشكاة المصابيح» (٦٢٦٨).

مِن أناس ذلك الموطن شديدٌ لهذا الشخص.. تَجَسَّدتْ لهم تلك الحقيقةُ الروحانية التي تركها بَدَلَهُ، فكَلَّمَتْهُم وكَلَّمُوها وهو غائب عنها، وقد يكون هذا من غير البَدل، لكنّ الفرق: أن البَدل يَرْحَل ويعلم أنّه ترك غيْرَه، وغيرُ البدل لا يَعْرف ذلك وإن تركَهُ» انتهى[١].

وفي «شرح التائية» للقاشاني: (المرادُ بالأبدال: طائفة من أهل المحبَّةِ، والكشف، والمشاهدة، والحُضور يَدْعون الناسَ إلى التوحيد والإسلام لله تعالى، [يَرْحَم الله تعالى] بِوُجودهم العِبادَ والبلادَ، ويدفعُ عن الناس بهم البلاءَ والفسادَ؛ كما جاء في الحديث النبوي حكايةً عن الله تعالى: أنه قال: **«إِذَا كَانَ الغَالِبُ عَلَى عَبْدِي الاشْتِغَالُ بِي.. جَعَلْتُ هَمَّهُ وَلَذَّتَهُ فِي ذِكْرِي، [فَإِذَا جَعَلْتُ هَمَّهُ وَلَذَّتَهُ فِي ذِكْرِي]**[٢]**.. عَشَقَنِي وَعَشَقْتُهُ، وَرَفَعْتُ الحِجَاب فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، لَا يَسْهُو إِذَا سَهَا النَّاسُ، أولئك كَلَامُهُمْ كَلَامُ الأَنْبِيَاءِ، وأولئك هُمُ الأَبْدَالُ حَقّاً، أولئك الذِينَ إِذَا أَرَدْتُ بِأَهْلِ الأَرْضِ عقوبَةً أَوْ عَذَاباً.. ذَكَرْتُهُمْ فِيهِ، فَصَرَّفْتُهُ بِهِمْ عَنْهُمْ»**[٣].

---

[١] راجع «حلية الأبدال» (٥/ ٢٦) لابن عربي قدّس سرّه.

[٢] ما المعكوسين زيادة من «شرح التائية».

[٣] أورده السيوطي في «جامع الأحاديث» (٢٦٩٥٦) بلفظ: يقول الله: «إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي.. جعلت نعيمه ولذّته في ذكري، فإذا جعلت نعيمه ولذته في ذكري.. عشقني وعشقته، فإذا عشقني وعشقته.. رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، وصيّرت ذلك مغالباً عليه لا يسهو إذا سها الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقّاً، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة وعذاباً.. ذكرتهم فصرفت ذلك عنهم»)، وقال: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٦٥) عن الحسن مرسلاً.

في الحلية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي.. جعلت نعيمه ولذته في ذكري، فإذا جعلت نعيمه ولذته في ذكري.. عشقني وعشقته، فاذا عشقني وعشقته.. رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، وصرت معالما بين عينيه لا يسهو إذا سها الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقّا، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة وعذاباً ذكرتهم، فصرفت ذلك عنهم.

والأبدال: أربعون رجلاً، لكلّ واحد منهم درجةٌ مخصوصةٌ، يَنْطبق أوّلُ درجاتِهم على آخِر درجات الصالحين، وآخِرُها على أوّل دَرجة القطب، كلّما مات واحد منهم.. أبدَل الله تعالى مكانَهُ أحداً يُدَانِيهِ ممن تحته، وظهر التبدّل في كلّ مَن هو أدنى درَجةً منه، فحينئذ يَدخل في أوّل درجاتهم واحدٌ من الصالحين، ويَنْخَرِطُ في سلك الأبدال، ولا يَزال عَدَدُهم كاملاً حتى إذا جاء أمرُ الساعة.. قُبِضُوا جميعاً كما جاء في الخبر[١]) انتهى.

وفي كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام حجة الإسلام الغزالي نفعنا الله تعالى به من (كتاب ذَمّ الكبر والعجب): (قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه[٢]: إن للهِ تعالى عباداً يقال [لَهُم]: الأبدالُ، خلفٌ من الأنبياء، [هُم] أوتاد الأرض، فلما انقضَتِ النّبوةُ.. أَبْدَلَ الله تعالى مكانَهم قوماً مِن أُمَّةِ محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يَفْضُلُوا الناسَ بكثرةِ صَوْمٍ، ولا صلاةٍ، ولا حُسْنِ حِلْيَةٍ، ولكنْ بِصِدْقِ الوَرع، وحُسْنِ النِّيَّةِ، وسَلامة الصدر لِجَميع المسلمين، والنصيحَةِ لهم؛ ابتغاءَ مَرضاة الله تعالى بصبرٍ ثخينٍ، وتواضع في غَيْر مَذَلَّةٍ، وهم قومٌ اصطفاهمُ الله تعالى واستخلصَهُم لنفسِهِ، وهم أربعون صِدِّيقاً، [أو] ثلاثون رَجُلاً، قلوبُهم على مِثْلِ يَقِينِ إبراهيمَ خليلِ الرحمن

[١] بل في الأخبار؛ كما وردت في «الحاوي للفتاوي» للسيوطي. راجع «كشف الوجوه الغُرّ في معاني نظم الدر»

[٢] هو عويمر بن عامر بن مالك، وقيل: اسمه: عامر بن مالك، وعويمر لقب، أبي الدرداء الأنصاري، الخزرجي، تأخّر إسلامه قليلاً، كان آخر أهل داره إسلاماً، وحسن إسلامه، وكان من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم، آخى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بينه وبين سلمان الفارسي، وكان أقنى، أشهل، يخضب بالصفرة، عليه قلنسوة وعمامة قد طرحها بين كتفيه. توفي أبو الدرداء قضاء دمشق في خلافة عثمان، وتولى قبل أن يقتل عثمان بسنتين. «أسد الغابة» (١/ ٨٨٣-٨٨٤)، (١/ ١١٦٨).

عليه الصّلاة والسّلامُ، لا يَمُوت الرجلُ [منهم] حتى يكون اللهُ تعالى قد أنشأ مَن يَخْلفُهُ.

واعلم يا ابن أخي: أنَّهم لا يَلْعَنُونَ شيئاً، ولا يؤذُونَه، ولا يُحَقِّرونه، ولا يتطاوَلُون عليه، ولا يَحْسُدون أحداً، ولا يَحْرِصون على الدنيا، هم أطيبُ الناس خيراً[١]، وألْيَنُهم عريكةً، وأسخاهم نفساً، عَلامَتُهُم السخاءُ، وسِجِيَّتُهم البشاشةُ، وصِفتُهُم السلامة، ليسوا اليومَ في خشيةٍ، وغداً في غفلةٍ، ولكنْ مُداومُون على حالهمُ الظاهرِ، وهم فيما بَينهم وبين رَبِّهم لا تُدْركُهُم الرياحُ العواصفُ، ولا الخيلُ المجراةُ، قلوبُهم تصعدُ ارتياحاً إلى الله تعالى، واشتياقاً إليه، وقدماً في استباق الخيْرات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

قال الراوي: قلت: يا أبا الدرداء؛ ما سمعتُ بصفةٍ أشدَّ عليَّ مِن هذه الصفة، فكيف لي أن أبلغَها؟ فقال: ما بَينك وبين أن تكون في أوْسَعِها إلا أن تُبْغض الدنيا؛ فإنك إن أبغضتَ الدنيا.. أَقْبَلْتَ على حبّ الآخرة، وبقدْرِ حبِّكَ للآخرة تَزْهَدُ في الدنيا، وبقدْرِ ذلك تُبْصِرُ ما يَنْفَعُكَ، فإذا عَلِمَ اللهُ تعالى مِن عبْدٍ حسْنَ الطلبِ.. أفرغَ عليه السَّدَادَ، واكتنفَهُ بالعِصْمَة.

واعلم يا ابن أخي: أنَّ ذلك في كتاب الله تعالى المنزَّلِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٣].

---

[١] وفي «إحياء علوم الدين» (٣/ ٥٩٨): (خُبْراً).

[٢] سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

[٣] سورة النحل، الآية: ١٢٨.

قال يحيى بنُ كثيرٍ[١]: «فنظرْنا في ذلك، فما تلذَّذَ المتلذّذونَ بمثلِ حبِّ الله تعالى وابتغاء مَرْضاته»» انتهى[٢].

فائدة: قال العارف ابن عربي في كتابه «حلية الأبدال»[٣]: «أخبرني صاحب لي قال: «بَيْنَا أنا ليلة في مصلّاي قد أكملت وِرْدي، وجَعَلت رأسي بين ركبتيّ أذكر الله تعالى.. إذ أحْسَسْت بشخص قد نَفَض مُصلّاي من تحتي، وبَسط عِوَضاً منه حصيراً وقال: «صَلِّ عليه»، وباب بيتي عَليّ مُغْلَق، فداخلني منه فزَعٌ، فقال لي: مَن يَأنَسُ بالله تعالى لِمَ يجزع؟! ثم إنّني ألهمتُ الصوتَ فقلتُ: يا سيدي؛ بماذا تصير الأبدال أبدالاً؟ فقال: بالأربعة التي ذكرها أبو طالب في «القوت»[٤]: الصمت، والعزلة، والجُوع، والسَّهر ثم انصرف، ولا أعرف كيف دَخل، ولا كيف خرج، وبَابي مُغْلَقٌ» انتهى.

قال العارف ابن عربي: «هذا رَجُل من الأبدال، اسمه: معاذ بن أشرس، والأربعة المذكورة هي: عماد هذا الطريق الأسنى وقوائمُه، ومَن لا قَدم له فيها ولا رُسُوخَ.. فهو تائِهٌ عن طريق الله تعالى، وفي ذلك قلت:

---

[١] هو أبو غسان يحيى بن كثير بن درهم العَنْبَري، مولاهم البصري، أصله من خراسان، وعِداده في البصرة، ثقة من التاسعة، وهو الذي يقال له: السَّعيري، روى عن شعبة، روى عنه: بندار، وأهل البصرة، مات سنة ست ومائتين. «الأنساب» (٤/ ٢٤٦)، و«تقريب التهذيب» (٢/ ٥٩٥).

[٢] راجع «إحياء علوم الدين» (٣/ ٥٩٨).

[٣] «حلية الأبدال»: رسالة هامة بيّن فيها محيي الدين ابن عربي قدس سره أهمّ صفات الأبدال وحليتهم.

[٤] هو الإمام، الزاهد، العارف، شيخ الصوفية، أبو طالب محمد بنُ عليّ بنِ عَطِيَّةَ، الحارثي، المكي المنشأِ، العجمي الأصل، لم يكن من أهل مكة، وإنّما كان من أهل الجبل، وسكن مكة، فنُسب إليه، كان يجوع كثيراً، ولقي سادةً، ودخل البصرةَ بعد موت أبي الحسن بنِ سالمٍ، فانتهى إلى مقالته، وله كتاب «قوت القلوب في معاملة المحبوب» مشهور، توفي في جمادى الآخرةِ سنة سِتٍّ وثمانين وثلاثِ مائةٍ. «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٥٣٦-٥٣٧)، و«شذرات الذهب» (٣/ ١٢٠).

يَا مَنْ أَرَادَ مَنَازِلَ الأَبْدَالِ * مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ لِلْأَعْمَالِ
لَا تَطْمَعَنَّ بِهَا فَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا * إِنْ لَمْ تُزَاحِمْهُمْ عَلَى الأَحْوَالِ
وَاصْمُتْ بِقَلْبِكَ وَاعْتَزِلْ عَنْ كُلِّ مَنْ * يُدْنِيكَ مِنْ غَيْرِ الحَبِيبِ الوَالِي
وَإِذَا سَهِرْتَ وَجُعْتَ نِلْتَ مَقَامَهُمْ * وَصُحْبَتَهُمْ فِي الحَلِّ وَالتِّرْحَالِ
بَيْتُ الوِلَايَةِ قُسِّمَتْ أَرْكَانُهُ * سَادَاتُنَا فِيهِ مِنَ الأَبْدَالِ
مَا بَيْنَ صُمْتٍ وَاعْتِزَالٍ دَائِمٍ * وَالجُوعِ وَالسَّهَرِ النَّزِيهِ العَالِي»

انتهى، نقله الشهاب المَنِينِيّ في «شرح منظومة الخصائص».

والأوتاد: جمع: وَتَدٍ بالكسر والفتح لغة قال العارف ابن عربي في بعض مؤلَّفاته: «وهؤلاء قد يُعَبَّرُ عنهم بالجِبال؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾[١]؛ لأنّ حكم هؤلاء في العالم.. حكمُ الجبال في الأرض، فإنه بالجبال يَسْكن ميلُ الأرض.

قال الشهاب المَنِينِي عن المُناوي[٢]: «الأوتاد أربعة في كلّ زمانٍ، لا

[١] سورة النبأ، الآيتان: ٦-٧.

[٢] هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، الملقَّب: بزين الدين الحدادي، ثم المناوي، القاهري، الشافعي، كانت ولادته في سنة (٩٥٢)، وكان إماماً فاضلاً، زاهداً عابداً، قانتاً لله، خاشعاً له، كثير النفع، وكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام، وقد جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره، توفي - رحمه الله تعالى - صبيحة يوم الخميس، الثالث والعشرين من صفر سنة (١٠٣١)، وصُلّي عليه بجامع الأزهر يوم الجمعة، ودفن بجانب زاويته التي أنشأها بخط المقسم المبارك فيما بين زاويتي سيدي الشيخ أحمد الزاهد والشيخ مدين الشموني. «خلاصة الأثر» (٢/ ٧٨-٨٠).

يَزيدون ولا ينقصون، أحدهم: يحفظ الله تعالى به المشرقَ، والآخرُ: المغرب، والآخر: الجنوب، والآخر: الشمال.

قال ابن عربي[١]: ولكل وَتَد من الأوتاد الأربعةِ ركنٌ من أركان البيت، ويكون على قلب نبيّ من الأنبياء [عليهم السلام]؛ فالذي على قلب آدم [عليه السلام] له الركن الشامي، والذي على قلب إبراهيم [عليه السلام] له العراقي، والذي على قلب عيسى [عليه السلام] له اليماني، والذي على قلب محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم له الركن الحجر الأسود، وهو لنا نحمد الله تعالى» انتهى.

والنجباء: جمع: نَجِيبٍ، وقد يقال فيه: أنجاب على غير القياس لمزاوَجة الأبدال والأقطاب، والجمع المَقِيسُ: نُجَباء، مثل: كريم وكُرماء.

قال سيدي العارف ابن عربي في بعض مؤلّفاته مَعْزِيّاً للفتوحات: «ومِن الأولياء النجباء، وهم ثمانية في كل زمان لا يزيدُون ولا ينقصُون، وهم أهل علم الصفات الثمانية، السبْعَةُ المشهورة، والإدراكُ الثامنُ، ومقامُهُم الكرسي لا يَتَعَدونَ، ولهم القَدَمُ الراسخُ في علم تسيير الكواكب من جهة الكشف والاطّلاعِ من جهَة الطريقة المعلومة عند العلماء بهذا الشأن» انتهى.

والنقباء: جمع: نَقِيب، قال في «الصحاح»: «النقيب: العَرِيفُ، وهو شاهد القوم وضَمِينُهُم» انتهى.

---

[١] اعلم: أنّي لما أَحُجُّ ثانياً، وزرتُ قبرَ هذا العارف محيي الدين ابن عربي في بلدة شام.. سمعت من واحد من أصحابي «أف»: رأيت مكتوباً على باب مسجده هذا البيت:

فَلِكُلِّ عَصْرٍ وَاحِد تَسْمُو بِهِ * وَأَنَا البَاقِي العَصْر ذَاكَ الوَاحِد

(منه).

قال العارف ابن عربي: «هم الذين حازوا علمَ الفلك التاسعِ، والنجباء: حازُوا علمَ الثمانيةِ الأفلاك التي دُونه».

وقال أيضاً في موضع آخر: (ومن الأولياء رضي الله تعالى عنهم النقباء، وهم: اثنا عَشر نقيباً في كل زَمان لا يزيدون ولا ينقصون على عَدَد بروج الفَلك، كُلُّ نقيبٍ عالم بِخَاصِيَّة بُرج، وبما أَوْدع الله تعالى في مقامه من الأسرار والتأثيرات، وما تَقْطعُ الكواكبُ السَّيَّارَة والثوابت، فإن للثوابت حركات،وقطعاً في البروج لا يُشْعَر به في الحسِّ؛ لأنَّه لا يَظهَر ذلك [أبداً] إلا في آلاف من السنين، وأعمالُ أهل الرصد تقصر عن مُشاهَدة ذلك.

واعلم: أنَّ الله تعالى قد جَعَل بأيدي هؤلاء النقباء علومَ الشرائع المنزَّلةِ، ولهم استخراج خبايَا النفوس وغَوائِلِها، ومَعْرفةُ مَكْرِهَا وخِداعها، وإبليسٌ مكشوف عندهم يَعْرفون منه ما لا يَعْرفه من نفسه») انتهى. وبقي الإمامان، وتقدم الكلام فيهما.

وقسم يقال له: «الأفراد» ذَكرهم العارف ابن عربي في بعض كتبه قال: «ونظيرهم من الملائكة الأرواحُ المُهَيَّمَة، وهم الكُرُوبِيُّونَ، مُعْتكفون في حَضرة الحقّ تعالى، لا يَعْرفون سواه، ولا يَشهدون سوى ما عرفوا منه، ليس لهم بذواتهم علم عند نفوسهم، وهم على الحقيقة ما عَرَفَهُم سواهم، مقامهم بين الصديقية والنبوّة» انتهى.

فصل في الكلام في عددهم وبيان مَسَاكنهم

نقل البرهان إبراهيم اللقاني[١] في «شرح منظومَة الكبير» المسمّى بـ«عمدة المريد لجوهرة التوحيد» عن «حواشي الشفا» لابن التلمساني قال: (نقل الخطيب[٢] في «تاريخ بَغْداد» عن الكتاني[٣] ما نصّه: «النقباء ثلاثمائة، والنجباء سَبْعُون، وَالبُدلاء أرْبَعون، والأخيار سبْعَة، والعُمَد وَيقال لهم: الأوتاد أيضاً أربعة، وَالغوْث واحدٌ فَمَسْكَن النقباء المغْرب، وَمَسْكن النجباء مصر، وَمَسْكن الأبْدال الشام، والأخيار سَيّاحُون في الأرض، والعُمَد في زوَايا الأرض، ومسكن الغوْث مكة، فإذا عرضت الحاجَة من أمر العامة.. اِبتهَل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العُمَد، فإنْ أجيبَ فريقٌ منهم أو كلُّهم فذاك، وإلاّ.. اِبتهَل الغوْث فَلا تتم مسألته حَتّى تجاب دعوتُه) انتهى[٤].

وقال ذو النون المصري رضي الله تعالى عنه: النقباء ثلاثمائة، وَالنجباء سَبْعُون، وَالبُدلاء أرْبعون، والأخيار سَبْعَة، والعمد أرْبعة، وَالغوث واحد.

[١] برهان الدين، إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني (ت ١٠٤١ هـ)، فاضل متصوف مصري مالكي، له كتب منها: «جوهرة التوحيد» منظومة في العقائد، و«بهجة المحافل» في التعريف برواة الشمائل وغيرها. «الأعلام» (١/ ٢٨).

[٢] أحد الحفاظ أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب، (٣٩٢-٤٦٣ هـ)، فلع مصنّفات كثيرة، من أفضلها «تاريخ بغداد» أربعة عشر مجلّدا. «الأعلام» (١/ ١٧٢).

[٣] محمد بن عليّ بن جعفر، أبو بكر الكتّانيّ الصُّوفيّ (ت ٣٢٢ هـ). «الأعلام» (٧/ ٤٦٧).

[٤] «تاريخ بغداد» (٤/ ١٢٧).

وحكى أبو بكر المُطَوِّعِي[١] عمّن رَأى الخضر عليه السلام وَتكلّم معه وَقال له: اعلم: أنَّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم لما قُبض.. بَكتِ الأرض، وَقالتْ: إلهي وَسَيّدي؛ بقيتُ لا يمْشي عليّ نبيّ إلى يوم القيامة، فأوحى الله تعالى إليْها أجعل على ظهركِ من هذه الأمة مَنْ قلوبهم على قلوب الأنبياء عَليْهم الصلاة والسلام لا أخليكِ منهم إلى يَوْم القيامَة، قالتْ له: وكم هؤلاء؟ قال: ثلاثمائة، وَهُمْ العرفاء، وثلاثة، وهم المختارون، وواحد وهو الغَوْث، فإذا مات.. نُقل منَ الثلاثة واحد وجعل الغوْث مكانه، ونقل من السبْعَة إلى الثلاثة، ومن العَشرة إلى السبْعَة، ومن الأربَعين إلى العَشرة، ومن السبْعين إلى الأربعين، ومن الثلاثمائة إلى السبعين ومن سائر الخلق إلى الثلاثمائة هكذا إلى يوم ينفخ في الصور) انتهى[٢].

قلت: وَفيما ذكرْنا هنا منْ تعيين العَدَد بعْض مخالفة لما مرّ، وكأنَّ ذلك والله أعلم أنّ من ذكر الأكثر.. بيّن الجَميع، ومن ذكر الأقلّ.. اقتصر على بَيَان من هم رؤساء أهل تلكَ الدرَجَة وأرْسَخُ قدمًا منْ بقيتهم فيها، وَكذا يُقال فيما سَيَأتي وهو أحسن مما أجاب له بَعْضهم؛ من (أنّ العدد لا مفهُوم له على الأصحّ) انتهى؛ لأنّ في بَعْضهم التقييد بأنّهم لا يزيدُون ولا ينقصُون، وسَيَأتي غيْر هذا الجواب، فتدبّر.

[١] يعقوب بن يوسف بن أيُّوب، الزّاهد العابد، سمع الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، وابن معين، وابن المديني، وروى عنه النجّاد وجعفر الخُلْدي، وكان ثقةً صدوقًا، وكانت وفاته ببغداد في رجب، ودُفن بباب البَردان. «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٦/ ٢٤٩).

[٢] «عمدة المريد لجوهرة التوحيد» (٢/ ١١٨٦).

الباب الثاني

فيما ورد فيهم من الآثار النبوية الدالة على وجودهم وفضلهم على سائر البَريّة

قد ذكر نُبْذة من ذلك العَلامة ابن حجر في «الفتاوى الحديثية»، والشهاب أحمد المَنِينِي في «شرح منْظومته» عن الحافظ السيوطي[١]، والإمامُ المناوي[٢]، وكذا الملا علي القاري في «المعدن العَدَني في أويس القرني»، فمنها ما روي عن الإمام علي كرّم الله تعالى وجهه: أنّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «**لا تَسُبُّوا أَهلَ الشامِ فإنَّ فيهمُ الأَبْدالَ**»، رواه الطبراني[٣] وغيره.

وفي رواية عنه مرفوعاً: «**وسُبُّوا ظُلْمَهُمْ**»[٤]، وفي أخرى: «**لاَ تَعُمّوا فَإِنَّ فِيهم الْأَبْدال**».[٥]

[١] إمام حافظ مؤرخ أديب، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، (٨٤٩ -٩١١ هـ)، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، من كتبه: «الإتقان في علوم القرآن» و«إتمام الدراية لقراء النقاية» كلاهما له، و«الأحاديث المنيفة» وغير ذلك. «الأعلام» (٣/ ٣٠١-٣٠٢).

[٢] زين الدين، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (٩٥٢-١٠٣١ هـ)، له نحو ثمانين مصنَّفا، منها الكبير والصغير والتامّ والناقص. «الأعلام» (٦/ ٢٠٤)

[٣] «المعجم الكبير» (١٨/ ٦٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٣٣٥).

[٤] «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٣٣٥).

[٥] «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٣٤١) بلفظ: «**لا تعم فإن فيهم الأبدال**».

وفي أخرى: «**الأَبْدالُ بِالشّامِ والنُّجَباءُ بِالكُوفَةِ**»[١]، وفي أخرى: «**إلاّ أن الأوتاد من أهْل الكوفة، والأبدال من أهْل الشام**»[٢].

وفي أخرى: «**النجباء بمصر، والأخيار من أهل العراق، والقطب في اليمن، والأبدال بالشام وهم قليل**»[٣].

قلت: وقوله في هذه الرواية:: «**النجباء بمصر**» مع قوله في السابقة «**والنجباء بالكوفة**» يفيدُ أنهم لَيْسُوا مخصُوصين بكونهم في أحَد هذين المحلّين بَل تارَة يكُونون بالكُوفة وتارة بمصر فلا منافاة، والله تعالى أعلم.

وَأخرج أحمد عنه: سمعتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يَقول: «**الأبدالُ بِالشَّامِ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، يُسْقَى بِهِمُ الغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشّامِ بِهِمُ العَذابُ**»[٤].

قلت: وفي «شرح الشهاب المنيني»: «ولا ينافي تقييد النصرة هنا بأهل الشام إطلاقُها في الأحاديث الأخرى؛ لأن نصرتهم لمن هم في جوارهم أتمّ وإن كانَت أعمّ» انتهى.

---

[١] «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٢٩٦).

[٢] ففي «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٢٩٧): «**إلاّ أن الأوتاد من أبناء الكوفة وفي مصر من الأمصار وفي أهل الشام أبدال**»

[٣] ففي «كرامات الأولياء» - (مخطوط) للخلال (ق/ ٥) عَنْ علي عليه السلام قال: «قبة الإسلام الكوفة، والهجرة بالمدينة، والنجباء بمصر، والأبدال بالشام، وهم قليل».

وفي «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٢٩٦) وفي حديث القزويني ثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال عن علي رضي الله عنه قال: «قبة الإسلام بالكوفة والهجرة بالمدينة والنجباء بمصر والأبدال بالشام وهم قليل».

[٤] أخرجه كذلك أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٢٧)، وابن عساكر (١/ ٢٨٩).

وَأخرج ابن أبي الدنيا عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن الأبدال فقال: «**هُم ستُّونَ رَجُلاً**»، فقلت: يا رسول الله جَلِّهم لي، قال: «**لَيْسُوْا بِالْمُتَنَطِّعِينَ ولا بِالْمُبْتَدِعِينَ وَلا بِالْمُتَعَجبين لَمْ يَنَالُوْا مَا نَالُوْا بِكَثرةِ صَلاةٍ وَلا صِيَامٍ وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنْ بِسَخَاوَةِ الأَنفسِ وَسَلامَةِ القُلُوْبِ، وَالنَّصِيْحَةِ لأُمَّتِهِم؛ إِنهم يَا عَلِيُّ فِي أُمَّتِي أقلُّ مِنَ الكِبْرِيْتِ الأَحْمَرِ**»[١].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «**البُدَلَاءُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، اثْنانِ وَعِشْرُونَ بِالشَّام، وَثَمانيَةَ عَشَرَ بِالْعِرَاقِ، كُلَّمَا مَاتَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ.. بَدَّلَ اللهُ تَعَالَى مَكانَهُ آخَرَ، فَإِذَا جَاءَ الأَمْرُ.. قُبِضُوا كُلُّهُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقومُ السّاعَةُ**» رواه الحكيم الترمذي[٢].

وفي رواية أيضاً عنه مرفوعاً: « **أَنَّ اَلْأَبْدالَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، وَأَرْبَعُونَ امْرَأَةً، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ.. أَبْدَلَ اللهُ مَكانَهُ رَجُلًا، وَكُلَّمَا مَاتَتِ امْرَأَةٌ . . أَبْدَلَ مَكانَها امْرَأَةً** » أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس»[٣].

وفي رواية عنه أيضاً: «**أَنَّ بُدَلاءَ أُمَّتِي لَمْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَلاتِهِمْ وَلَا صيامِهِمْ ، وَلَكِنْ دَخَلُوهَا بِسَلامَةِ صُدورِهِمْ، وسَخاوَةِ أَنْفُسِهِم**» أخرجه ابن عدي والخلال[٤].

[١] رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١/ ١٢)، وعنده: «لأئمتهم» بدل «لأمتهم». وأخرجه الخلال في كرامات الأولياء، (١/ ٦)، وفيه بدل: «ولا بالمتعمقين»: «ولا بالمعجبين» وزاد في أخرى: «إنّهم يا علي في أمتي أقل من الكبريت الأحمر».

[٢] رواه الحكيم في «نوادر الأصول» (١/ ٢٦١).

[٣] «الفردوس» بمأثور الخطاب (١/ ١١٩-١٢٠) والخلال في «كرامات الأولياء».

[٤] «الكامل في ضعفاء الرجال» (٧/ ٥٤٩)، وفي «كرامات الأولياء» للخلال: (ق/ ٣).

وزاد: في خَبَرِه «**والنُّصْحِ لِلْمُسْلِمِينَ**»[١].

وفي رواية أخرى بإسناد حسن عنه: أنّه عليه الصلاة والسلام قال: «**لَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِن أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِثْلَ إبْراهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَانِ، فَبِهِمْ يُسْقَوْنَ وبِهِمْ يُنْصَرُونَ، ما ماتَ مِنهُمْ أَحَدٌ إلّا أَبْدَلَ اللهُ مَكانَهُ آخَرَ**»[٢].

قال قتادَة: لسنا نشكّ أنّ الحسَن منهم.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما خلتْ الأرض من بعد نوح عليه السلام عن سبعة يَرْفع الله تعالى بهم عنْ أهْل الأرض.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رَسُول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «**خِيارُ أُمَّتِي فِي كُلِّ قَرْنٍ خَمْسُمِائَةٍ، والأَبْدالُ أَرْبَعُونَ، فَلا الخَمْسُمِائَةَ يَنْقُصُونَ ولا الأَرْبَعُونَ، كُلَّما ماتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مِنَ الخَمْسِمِائَةِ مَكانَهُ، وأَدْخَلَ مِنَ الأَرْبَعِينَ مَكانَهُمْ**»، قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ دُلَّنا عَلى أعْمالِهِمْ، قالَ: «**يَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ، ويُحْسِنُونَ إلى مَن أساءَ إلَيْهِمْ، ويَتَواسونَ فِيما آتاهُمُ اللهُ**» أخرجه أبُو نعيم وغيره[٣].

وفي رواية عنه مرْفوعاً: «**لِكُلِّ قَرْنٍ مِن أُمَّتِي سابِقُونَ**» رواه أبو نعيم في «الحليَة»[٤]، والحكيم الترمذي.

---

[١] الخلال في «كرامات الأولياء» (ق/ ٦).

[٢] «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٤٧).

[٣] «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١/ ٨).

[٤] «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١/ ٨).

وعن ابن مَسْعود رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «**إِنَّ لِلّهِ عزّ وَجَلَّ فِي الخَلْقِ ثَلاثمِائَةٍ قُلوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ آدَمَ، وَلِلَّهِ فِي الخَلْقِ أَرْبَعُونَ، قُلوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْراهيمَ، وَلِلَّهِ فِي الخَلْقِ خَمْسَةٌ، قُلوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ جَبْرائيلَ، وَلِلَّهِ فِي الخَلْقِ ثَلاثَةٌ، قُلوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مِيكَائِيلَ، وَلِلَّهِ فِي الخَلْقِ واحِدٌ، قَلْبُهُ عَلَى قَلْبِ إِسْرافيلَ، فَإِذَا مَاتَ الواحِدُ.. أَبْدَلَ اللهُ مَكانَهُ مِنْ اَلثَّلاثَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنْ الثَّلاثَةِ.. أَبْدَلَ اللهُ مَكانَهُ مِنْ الخَمْسَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنْ الخَمْسَةِ.. أَبْدَلَ اللهُ مَكانَهُ مِنْ السَّبْعَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنْ السَّبْعَةِ.. أَبْدَلَ اللهُ مَكانَهُ مِنْ الأَرْبَعِينَ، وَإِذَا مَاتَ مِنْ الأَرْبَعِينَ.. أَبْدَلَ اللهُ مَكانَهُ مِنْ الثَّلاثِمائَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنْ الثَّلاثُمِائَةِ.. أَبْدَلَ اللهُ مَكانَهُ مِنْ الْعامَّةِ، فَبِهِمْ يُحْيي وَيُميتُ وَيُنْبِتُ وَيَدْفَعُ البَلاءَ**» قِيلَ لِابْنِ مَسْعودٍ: كَيْفَ يُحْيي بِهِمْ وَيُميتُ؟

قَالَ: لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اللهَ تَعَالَى إِكْثارَ الأُمَمِ، فَيَكْثُرُونَ وَيَدْعونَ عَلَى الجَبَابِرَةِ ، فَيُقْصَمُونَ وَيَسْتَسْقونَ فَيُسْقَوْنَ، وَيَسْأَلُونَ فَتَنْبُتُ لَهُمْ الأَرْضُ وَيَدْعونَ فَيُدْفَعُ بِهِمْ أَنْواعُ البَلاءِ» أخرجه ابن عساكر[١].

قال بَعْضهم: لم يَذكر النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم أن أحداً على قلبه إذ لم يخلق الله تعالى في عالَمي الخلق والأمر أعزّ وَأشرف وَأكرَم وَألطَف منْ قلبه صلّى الله تعالى عليه وسلم، فقلوب الأنبياء والملائكة والأولياء بالإضافة إلى قلبه صلّى الله تعالى عليه وسلّم؛ كإضافة سائر الكواكب إلى إضاءة الشمْس، وَلعَلّ ذلك لأنه مَظهَر الحقّ بجميع صفاته بخلاف غيْره فإنه يكُون مَظْهراً لبَعْض صفاته في صُوَر تجليّاته على مَكنُوناته.

[١] «تاريخ دمشق» (١/ ٣٠٣-٣٠٤).

أقول: «وَمُقتضى ذلك إنّه لمْ يرد عَنْه عَليه الصلاة والسلام أن أحدا عَلى قلبه فتأمّله مع قول العارف ابن عربي فيما تقدمَ في الكلام على الأوْتاد منْ أنّ أحَدهم عَلى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم، ونسَب[1] ذلك المقام لنفسه.

وهو قدّس سرّه وَنفعنا به مَقامه أجلّ من أن يوصف؛ كما يعْلم ذلك مَنْ نوّر الله تعالى بَصيرَتَه، وَطَهّر من داء الحسد سَريرتَه، وكأنّه لما كانَ أجَلّ أهْل تلك الدرَجَة باطلاع الله تعالى بطَريق الكشف، وكانَ منهم من هو عَلى قلب إبراهيم خَليل الرحمن عليه السلام، وَليسَ فوقه في العُلوم وَالمعارف سوى نبيّنا صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: إنه على قلبه بَياناً لعلوّ مقامه عَلى سائر أقرانه وإن لم يَكن عَلى قلبه حَقيقة وَمِنْ كلّ وَجْه، فَتأمّل.

والمراد بكوْن أحَدهم على قلب نبيّ أو مَلك كما قال قدّس سرّه في بَعْض كتبه: أنّهم يتقلّبُون في المعارف الإلهيَّة بقلب ذلك الشخص، إذ كانَت وارداتُ العُلوم الإلهية إنّما ترد عَلى القلوب، وكلّ علم يَرد على قلب ذلك الأكبر من مَلَك أو رَسُول، فإنه يَرد عَلى هذا القلب الذي هُوَ عَلى قلبه، قال: وَرُبّما يَقول بَعْضُهم: فلان على قدم فلان وهو بهذا المعْنى نفسه» انتهى[2].

تنبيه: قال الشهاب المنيني: (قدْ طعن ابن الجوزي في أحاديث الأبْدال، وَحكم بوَضعِها وَتعقّبه السيُوطي بأنّ خبَر الأبدال صحيح، وإن شئت قلت: مُتواترٌ وَأطال، ثم قال: مثل هذا بالغ حَدّ التواتر المعْنَوي بحيث يقطع بصحّة وُجُود الأبْدال ضرُورَة) انتهى.

[١] حيث قال: وهو لنا... إلخ، فراجعه. (منه).

[٢] «الفتوحات المكية» (٣/ ١٥).

وقال السخاوي[١]: (خبرُ الأبْدالِ له طرق بألفاظ مختلِفَة كلّها ضَعيفة، ثم ساق الأحاديثَ الواردةَ فيهم، ثم قال: وأصحّ مما تقدّم كلّه خبر أحمد عن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: البدلاء يكونون بالشام وهم أربعُون رجلا كلّما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينصر بهم على الأعْداء، ويصرف بهم عَن أهْل الشام العذاب)، ثم قال السخاوي: (رجاله الصحيح غير شريح بن عُبَيْد[٢] وهو ثقة) انتهى[٣].

وقال شيخه الحافظ ابن حجر[٤] في «فتاويه»: (حينئذ الأبدال وردت في عدّة أخبار، منها ما يصحّ وَمَا لا يصحّ، وأما القطب.. فورَد في بَعْض الآثار، وأما الغَوْث بالوصْف المشتهر بَيْن الصوفية.. فلم يَثبت، وفي بَعْض الروايات: أن منْ عَلامات الأبدال أن لا يولد لهم، وإنّهم لا يُعْلنُونَ شيئاً) انتهى.

لكن قد تقدم وَسَيأتي أيضاً في كلام سيّدنا الإمام [اليافعي] تفسيرُ القطب بالغوْث، فدلّ على ثبوته، وَعلى أنّهما شيء واحد، فاعلم ذلك، وكأنّ مراد

---

[١] مؤرخ حجة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد (٨٣١ -٩٠٢ هـ)، ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة، ساح في البلدان سياحة طويلة، وصنّف زهاء مئتي كتاب أشهرها: «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع»، وله «شرح ألفية العراقي» في مصطلح الحديث. «الأعلام» (٦/ ١٩٤).

[٢] شُرَيْح بن عبيد شامي تابِعِيّ ثِقَة «معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم» (١/ ٤٥٢).

[٣] «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» (ص٤٥).

[٤] من أئمة العلم والتاريخ، شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني (٧٧٣ -٨٥٢ هـ)، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها: «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» أربعة مجلدات، و«لسان الميزان»، و«الإصابة في تمييز أسماء الصحابة». «الأعلام» (١/ ١٧٨).

الحافظ ابن حجر بعَدم ثبوته عدم وُروده في الأحاديث النبوية الصحيحة، ويكفي في ثبوته شهرته وَاسْتفاضة أخباره، وَذكره بيْن أهْل هذا الطريق الطاهر، والله تعالى أعلم» انتهى.

وفي «الفتاوى الحديثية» ذكر الحديث الأخير عن الإمام اليافعي[١]، لكن مع اختصار، ومع مُغايرَة في اللفظ، ثم قال: «قال الإمام اليافعي: «قال بعض العارفين: والواحدُ المذكور في هذا الحديث[٢] هوَ القطب، وهوَ الغَوْث الفرد.

ثم قال: «والحديث الذي ذكره إن[٣] صحّ، فيه فوائد خَفِيَّةٌ، منها: أنه... وَقد يجاب بأنّ تلك الأعْداد اصطلاح بدَليل وقوع الخلاف في بَعْضهم كالأبْدالِ، فقد يكُونون في ذلك العَدد نظرُوا إلى مَراتب عَبّرُوا عَنها بالأبْدال وَالنقباء والنجباء والأوْتاد، وَغير ذلك مما مرّ. والحديث نظر إلى مَراتب أخرى، وَالكُلّ متّفقون على وجود تلك الأعْداد.

ومنها: أنَّه يقتضي أنَّ الملائكة أفضلُ من الأنبياءِ، والذي دَلّ عليه كلام أهل السنة وَالجماعة إلّا من شذّ منهم أنَّ الأنبياءَ أفضلُ من جميعِ الملائكةِ.

[١] مؤرخ، باحث، متصوّف، من شافعية اليمن، عبد الله بن أسعد بن علي (٦٩٨ -٧٦٨ هـ)، نسبته إلى يافع من حمير، ومولده ومنشأه في عدن، حجّ سنة (٧١٢ هـ) وعاد إلى اليمن. ثم رجع إلى مكة سنة (٨١٧هـ) فأقام، وتوفي بها، من كتبه «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان» و«روض الرياحين في مناقب الصالحين». «الأعلام» (٤/ ٧٢).

[٢] «إن لله فِي الأَرْض ثلثمِائة قُلُوبهم على قلب آدم وله أَرْبَعُونَ قُلُوبهم على قلب مُوسى وله سَبْعَة قُلُوبهم على قلب إِبْراهِيم وله خَمْسَة قُلُوبهم على قلب جِبْرِيل وله ثَلاثَة قُلُوبهم على قلب مِيكائِيل وواحِد قلبه على قلب إِسْرافيل فَإذا ماتَ الواحِد.. أبدل الله مَكانَهُ من الثَّلاثَة وإذا ماتَ من الثَّلاثَة أبدل الله مَكانَهُ من الخَمْسَة وإذا ماتَ من الخَمْسَة أبدل الله مَكانَهُ من السَّبْعَة وإذا ماتَ من السَّبْعَة.. أبدل الله مَكانَهُ من الأَرْبَعين، وإذا ماتَ من الأَرْبَعين.. أبدل الله مَكانَهُ من الثلاثمائة وإذا ماتَ من الثلاثمائة.. أبدل الله مَكانَهُ من العامَّة يدْفع الله بهم البلاء عَن هَذِه الأمة».

[٣] ساقط من الأصل.

ومنها: أنَّه يَقتضي أنَّ ميكائيل أفضل من جبرائيل، وَالمشهور خلافه، وأنَّ إسرافيل أفضل منهم، وهو كذلك بالنسبَة لميكائيل، وأما بالنسبة لجبرائيل ففيه خلاف، والأدلّة فيه متكافئة، فقيل: جَبْرائيل أفضل؛ لأنه صاحب السر المخصُوص بالرسالة إلى الأنبياء والرسل، وَالقائم بخدمتهم وتَربيَتهم.

وقيل: إسرافيل؛ لأنه صاحب سرّ الخلائق أجمعين إذ اللوح المحفوظ في جبهته لا يطّلع عليه غيرُه، وجبريلُ وغيره إنما يتلقّون ما فيه عنه وهو صاحب الصور القائم مُلتقما له يَنتظر الساعَة والأمرَ به؛ لينفخ فيه، فيمُوت كل شيء إلا من استثنى الله تعالى.

واعلم: أنّ هذا الحديث لم أر من خرّجه من المحدّثين الذين يعتمد عليهم، لكن وردت أحاديث تؤيد كثيراً مما فيه، ثم ساقها وَقال في أثنائها: ولا تخالف بَيْن الحَديثين أي: حَديثي أبي نعيم وأحمد المتقدميْن في عدَد الأبْدال؛ لأن البَدَل له إطلاقات؛ كما يُعلَم مِن الأحاديث الآتية في تخالف علاماتهم وصفاتهم أو أنّهم قد يكُونُون في زمان أرْبَعين، وفي آخر ثلاثين لكن ينكر على هذا رواية: ولا الأرْبعون كلّما مات رَجُل... إلخ) انتهى[١].

وهُو مؤيِّد لما قلناه سابقاً، وذكر فيها واقعة مع بعض مشايخه لا بأسَ بذكرها، قال: «وَلقد وَقع لي في هذا البحْث غريبَة مع بَعْض مشايخي، هي: إنِّي رُبِّيتُ في حجور بَعْض أهل هذه الطائفة، أعني: القومَ السالمين من المحْذور وَاللوم، فوَقَرَ عندي كلامُهم؛ لأنَّه صادف قلبًا خالياً فتَمكَّنّا، فلمّا قرأتُ في العلوم الظاهرَة وسِنِّي نحو أربَعَة عشر سنَة بقراءة «مختصر أبي شجاع» عَلى شيخنا

[١] «الفتاوى الحديثية» (ص٥٩٥).

أبي عبد الله المجمع عَلى بَركته وَنسكه وعلمه الشيخ محمد الجُوَيْني بالجامع الأزهر بمصر المحروسَة.. فلازمتُه مدة، وكنتُ عندَه، فانجرّ الكلام يوماً إلى ذكر القطب والنجباء والنقباء والأبدال وغيرهم ممّن مر، فبادَر الشيخ إلى إنكار ذلك بغِلظةٍ، وَقال: هذا كلّه لا حَقيقةَ له، وَليس فيه شيء عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فقلت له: وَكنت أصْغرَ الحاضرينَ معاذ الله، بل هذا صِدْق وَحَقّ لا مريَة فيه؛ لأنّ أولياء الله تعالى أخبرُوا به، وَحَاشاهم منَ الكذب[١]، وممّن نقل ذلك الإمام اليافعي، وهو رَجُل جمع بَيْن العُلوم الظاهرة وَالبَاطنة، فزاد إنكار الشيخ وَإغْلاظه عَليّ، فلم يَسعْني إلا السكُوت، فسَكت، وأَضمرْتُ أنّه لا ينصرني إلا شيخنا شيخ الإسْلام وَالمسْلمين، وَإمام الفقهاء والعارفين أبو يحيى زكريا الأنصاري[٢]، وكانَ منْ عَادَتي أنْ أقودَ الشيخ محمد الجويني؛ لأنه كان ضريرًا، وأذهب أنا وهو إلى شيخنا المذكُور أعني: شيخ الإسلام زكريا يُسَلّم عَليْه، فذهبَتُ أنا والشيخ محمد الجُوَيْني إلى شيخ الإسلام، فلما قَرُبْنا منْ مَحلّه.. قلت للشيخ الجويني: لا بأسَ أن أذكر لشيخ الإسلام مَسْألة القطب وَمن دونه، وَننظر ما عنْدَه فيها.

فلما وَصَلنَا إليه.. أقبل على الشيخ الجوَيْني، وَبالغ في إكرامه، وَسُؤال الدعاء منه، ثم دعا لي بدَعوات منها، اللهم؛ فَقِّهْه في الدين، وكان كثيراً ما يدعو لي بذلك، فلما تمّ الشيخ وأراد الجويني الانصرافَ، قلت لشيخ

[١] أي: قَلَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ.

[٢] شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعيّ (٨٢٣ – ٩٢٦ هـ)، ولد في سنيكة بشرقية مصر وتعلّم في القاهرة وكفّ بصره سنة (٩٠٦ هـ) نشأ فقيراً معدماً، له تصانيف كثيرة، منها: «فتح الرحمن» في التفسير، و«تحفة الباري على صحيح البخاري»، و«فتح الجليل» تعليق على تفسير البيضاوي. «الأعلام» (٣/ ٤٦).

الإسلام: يا سيدي؛ القطب والأوتاد والنجباء والأبدال وَغيرهم ممن يذكره الصوفية هَل هم مَوْجُودُون حَقيقةً ؟ فقال: نعم والله يا وَلدي، فقلتُ له: يا سيدي؛ إنّ الشيخ - وَأشرت إلى الشيخ الجويني - ينكر ذلك، ويبالغ في الردّ على من ذكره، فقال شيخ الإسلام هكذا: يا شيخ محمد؛ وكرّر ذلك عليه حتى قال لهُ الشيخ محمد: يا مولانا شيخ الإسلام؛ آمنتُ بذلك، وصدّقتُ به، وقد تبت، فقال: هذا هو الظنّ بك يا شيخ محمد، ثم قمنا وَلم يعَاتبني الجوَيْني على ما صَدر منِّي) انتهى[١].

وفي كتاب «الأجوبة المحققة عن الأسئلة المفرقة لشيخ مَشايخنا إسماعيل العَجْلُونِي عن السيرة الحلبية»: وعن معاذ ابن جبل رضي الله تعالى عنه أنَّه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «**ثلاثٌ مَنْ كنّ فيه فهوَ منَ الأبدال الذين بهم قوام الدنيا وَأهلها: الرضاءُ بالله، والصبر عن محارم الله، والغضب في ذات الله**»[٢].

وفي «الحلية» لأبي نعيم[٣]: مَن قال كل يوم عشر مرات: اللهم؛ أصْلح أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم، اللهم؛ فَرّج الكُرَبَ عَن أمة محمد، اللهم؛ ارحم أمة محمد.. كتب من الأبْدال) انتهى[٤].

[١] «الفتاوى الحديثية» (ص ٥٥٦).

[٢] «الجامع الصغير» (٦٣٠١) بدون زيادة: «الذين بهم قوام الدنيا وَأهلها».

[٣] حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ)، ولد ومات في أصبهان، من تصانيفه: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» عشرة أجزاء، و«معرفة الصحابة». «الأعلام» (١/ ١٥٧).

[٤] «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٨/ ٣٦٦).

وقال الشبْراملسي[١] في «حَواشي المواهب»: «معنى كوْنه من الأبدال: أنّه مثلهم، وصفاً ومصَاحبةً؛ بحَيْث يحْشر معهم يَوْم القيامة لا ذاتًا، فلا ينافي أنّ مَنْ قال ذلك يكون منهم، وإنْ فرض أنَّ له أولاداً كثيرة) انتهى.

[١] أبو الضياء، نور الدين، علي بن علي (٩٩٧ -١٠٨٧ هـ)، فقيه شافعيّ مصري، تعلّم وعلّم بالأزهر، وصنّف كتباً، منها: «حاشية على المواهب اللدنيّة للقسطلاني» و«حاشية على نهاية المحتاج» في فقه الشافعية. «الأعلام» (٤/ ٣١٤).

البابُ الثالث

في الكلام عَلى بَعض أحْوال القطب الغوْث نفعنا الله تعالى به

تقدّمَ مَا يفيد أنّ مَسكَن القطب مكة أو اليَمن، وَالظاهرُ: أنه باعْتبار بَعْض أوقاتِه، أو أغلبها، يؤيّد هذا ما نقله الإمام العارف سيّدي عَبْد الوهّاب الشعْراني[١] عَنْ شيخه العارف ذي الإمْدادِ الربّاني سيدي علي الخواصّ[٢] حَيْث قال في كتابه: «الجواهر والدرر»: «قلت لشيخنا رضي الله عنه: هَل القطب الغَوْث مقيم بمَكة دائماً كما يُقال؟ فَقَال رضي الله تعالى عنه: قلبُ القطب طوّاف بحضرة الحقَّ تعالى لا يخرج من حَضرته كما يَطُوف الناس بالبَيْت الحرام فهُو يشهد الحقّ تعالى في كلّ جهَة، وَمن كلّ جهة لا تحيّز عنده للحقّ تعالى بوَجْه مِنَ الوجوه كما يَسْتدير الناسُ حَوْل الكعبَة، ولله تعالى المثل الأعْلى إذ هو رضي الله تعالى عنه مُتلقّ عن الحق تعالى جميعَ ما يفيضه على الخلق من البلايا والإمداد، فرأسُه دائمًا يكاد يتصدّع من ثقل الواردات، وأما جسَدُه.. فلا يختصُّ بمكة ولا غيرِها بل هوَ حيْث شاء الله تعالى.

[١] أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي (٨٩٨ -٩٧٣ هـ)، ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته، وتوفي في القاهرة، له تصانيف منها: «الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية»، و«أدب القضاة»، و«إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العالمين». «الأعلام» (٤/ ١٨٠).

[٢] أحد العارفين بالله تعالى، علي البرلسي الخواص (ت ٩٣٩ هـ)، كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك كان يتكلّم على الكتاب والسنة، وأحوال القوم، ومقاماتهم بكلام نفيسٍ عالٍ، توفي في جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاوية الشيخ بركات خارج باب الفتوح تجاه حوص الصارم بمصر. «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» (٢/ ٢٢٠).

وسمعْته يَقول: أكمل البلاد البَلَدُ الحرام، وأكمل البيوت البيت الحرام، وأكمل الخلق في كل عَصْر القطب، فالبَلد نظيرُ جسده، والبَيْت نظير قلبه، وَيتفرّع الإمْداد عَنْه للخلق بحسَب اسْتعْدادهم، وَإنما كانَت الإمْدادات أكثرها تنزل بمَكة لقوله تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[١]، لا سيما من أتاه مُحرِماً من بلادٍ بَعيدةٍ إذ الإمدادات الإلهية لا تنزل عَلى عبد إلا إذا تجرد من رُؤية حَسَنَاتِه وَصَار فقيرًا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[٢]، ولذلك ورَد: «**أن مَن حجّ وَلم يرفث ولم يفسق.. خرج من ذنوبه كيَوْم ولدته أمّه**»[٣]، فيُولد هناك ولادةً جَديدةً وَربّما كانَت حَسَناتُ بعض الناس كالذنوب بالنظر إلى ذلك المحَلّ الأقدَس، فقلتُ له: فهَل يحيطُ أحَد من الأولياء بأخلاق القطب رضي الله تعالى عنه؟ فقال: قلّ من الأولياء من يَعْرفُ القطبَ فضلاً عن أن يحيط بأخْلاقه، بَلْ قال بَعْضهم: إن القطب الغوْث لا يرى إلا بصُورة اسْتعداد الرائي) انتهى[٤].

وَقال أيضاً: سألتُ شيخنا رضي الله تعالى عنه عن مدّة القطب، هل له مدّة معينة إذا وليها وَليّ، وَهَل يصحّ عَزْل القطب أم لا يعْزل إلا بالموت؟ فقال رضي الله تعالى عنه: ذهَب جماعَة إلى أنّ مدّة القطب كغيْرها من الولايات يقيم فيها صاحبُهَا ما شاء الله تعالى، ثم يعْزل.

[١] سورة القصص، الآية: ٥٧.

[٢] سورة التوبة، الآية: ٦٠.

[٣] ففي «صحيح البخاري» (١٥٢١) عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «**مَن حَجَّ هَذا البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ.. رَجَعَ كَيَوْمِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ**».

[٤] «الجواهر والدرر الكبرى» (ص ٢٨١-٢٨٢).

والذي أقول به وسَاعده الوجود أن القطبيَّة ليْس لها مدّة معيّنة، وإذا وليها صاحبها لا يعْزل إلا بالموتِ؛ لأنّه لا يَصحّ في حقّه خروجٌ عن العدلِ حتى يُعزَل، قال: وإيضاح ذلك أنّ الفرُوع تابعَة للأصُول، وَقد أقام صلّى الله تعالى عليه وسلّم في القطبيَّة الكبرى مدّة رسالته، وهي ثلاث وَعشرُون سَنَة على الأصحّ، واتّفقوا عَلى أنّه ليْسَ بَعْده أحَد أفضَلَ من أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه.

وقد أقام في خلافته عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم سَنتين وَأرْبعَة أشهُر، وهوَ أوّل أقطاب هذه الأمّة، وكذلك مدّة خلافة عمر وَعُثمان وعلي وَمن بَعْدهم إلى ظهور المهْدي عليه السلام، وهو آخر الأقطاب من الخلفاء المحمدية.

ثم ينزل بَعْده قطبُ وَقته وَخليفةُ الله تعالى في الأرض عيسى بن مريم عليه السلام، فيقيم في الخلافة أرْبَعين سنة؛ كما ورد.

فعُلِم: أنّ الحقّ عدم تقدير مدّة القطابَة بمدّة معيّنة، وإن كانَت ثقيلة عَلى صاحبها كالجبال، فإنّ الله تعالى يعينُه عَليْها؛ إذ لا ينزل بلاء من السماء والأرض إلا بَعْدَ نزوله على القطب، وَلذلك كان منْ شأنه دائماً تصَدّع الرأس حَتى كأن أحدا يَضربُه فيها يَطير ليْلاً وَنهاراً.

قال: «وَبلغنا عَن الشيخ أبي النجا سالم المدفون بمَدَنية فوَرد: أنه أقامَ في القطبيَّة أرْبَعين يوْماً ثم مات، وقيل: إنه أقامَ فيها عَشرة أيام وَبلغَنا مثل ذلك عَن الشيخ أبي مدين المغربي.

فقلت لشيخنا: فهَل يشترط أن يكونَ القطب من أهْل البَيْت كما قال بعضهم، فقال: لا يشترط ذلك؛ لأنّها طريق وهب يُعطيها الله تعالى لمن شاء فتكون في الأشراف وَغيرهم» انتهى[١].

فصل

قد علمتَ ممّا ذكر أن القطب مختفٍ عن أكثر الناس، وأنَّه لا يطلع عَليْه إلاّ الأفراد منهم، وكأنَّه لعظم مَا تحمّله من الواردَاتِ وثقلِ أعبائِها التي تعجز عنها المخلوقاتُ، وعِظَم ما كساه الله تعالى من الهيبة والوَقار لا تكاد تطيق رؤيته الأبْصارُ.

وقد أفصح عَنْ ذلك الإمام الشعراني في كتابه المذكور حَيْث قال: (قال شيخنا رضي الله تعالى عنه: وأكثرُ الأوْلياء لا يصحّ لهم الاجْتماع به ولا يَعْرفونه فَضْلاً عن غيرهم، فإنّ منْ شأنه الخفاء ولو أنه ظَهر لشخص.. لم يَسْتطع أنْ يَرفع رأسَه في وجهه إلا إن كان مُؤهَّلا لذلك، وَقد أدخلُوا شخصاً على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فأُرْعد من هَيْبته فقال لهُ رَسُول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «**هَوِّنْ عليك فإنِّي لستُ بملكٍ، إنّما أنا ابنُ امرأةٍ من قريشٍ كانت تأكلُ الْقَدِيدَ**»[٢] هذا حال مَنْ رأى رَسُول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم مع أنّه أكثر الخَلق تواضعاً، والقطبُ بيَقين نائبُه في الأرض.

[١] «الجواهر والدرر الكبرى» (ص ٢٤٧-٢٤٩).
[٢] «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٠).

قلت: وقد حكى السيّد الشريف الشيخ شرف الدين العالم الصالح بزاويَة الحطاب بمصْر المحْرُوسَة قال: حكى لي سيدي الشيخ عثمان الحطاب:[١] أنَّه لما حجَّ معه شيخه العارف بالله تعالى سيّدي الشيخ أبُو بكر الدّقدوسي[٢] رحمه الله تعالى سَأله أن يجمَعَه بالقطب بمكة فقال: يا عثمان؛ لا تُطيق رُؤيتَه؟ فقال: لا بدّ، وأقسم عَلى شيخه بَيْن زمزم والمقام، وقال: لا تَقمْ منْ هُنَا حَتى يَحْضُر فصارت رأسُ سيدي عُثمان تثقُلُ إلى أن وصلت لحيتُه بَيْن أفخاذه قهراً عَليْه، فجاء القطب فجلس وصار يَتحدَّثُ مع الشيخ أبي بَكر زَمَانًا، ثم قال له القطب: استوصِ بعثمان خيراً، فإنه إنْ عَاش صار رجلا منْ رجال الله تعالى، فلمّا أراد القطبُ الانصرافَ.. قرأ «الفاتحة» وَسُورَة «لإيلاف قريش»، ثم عَادَ وانصرف، فلمّا شيَّعه الشيخ أبو بكر وَرَجع.. صَار يَكبِس[٣] رقبة سَيّدي عثمان زمَانًا حَتى اسْتطاع أن يسمَع كلامه، وقال: يا عثمان؛ هذا حَالُك منْ سَماع كلامِه، فكيْف لوْ رَأيتَ شخصَه ومن ذلك الوقت ما كان سيدي عثمان يجتمع بشخص وَيفارقه حَتى يقرأ «الفاتحة» وَسُورَة «لإيلاف قريش» تبرّكًا بما سمعَه منْ هذا القطبِ رضي الله تعالى عنه، فاعلم ذلك» انتهى كلام سيدي الشعْراني[٤].

[١] أجل من أخذ عن سيدي أبي بكر الدوقدسي رضي الله عنه من الزهاد المتقشّفين، كان له فروة يلبسها شتاء وصيفاً، خرج رضي الله تعالى عنه زائراً للقدس فتوفي هناك سنة نيف وثمانمائة رضي الله عنه. «الطبقات الكبري للشعراني» (ص ٤٢٨-٤٣٠).

[٢] الشيخ عثمان الخطاب رضي الله عنه، كان رضي الله عنه من أصحاب التصريف النافذ، وكانت الأعيان تقلب له. «الطبقات الكبري للشعراني» (ص ٤٢٨).

[٣] كبس الشيء: ضغطه.

[٤] «الجواهر والدرر الكبرى» (ص ١٤٨-١٥١).

وقال العَلامة الشيخ محمد الشوبري[١] في جَواب سؤال وَردَ عَليْه في هذا الشأن: «قال الإمام [اليافعي][٢] نفعَنا الله تعالى به في كتابه «كفاية المعتقد» في أثناء كلام نقلَه عن بَعْضِ العارفين، وقد سُترت أحْوال القطب وهو الغوْث عن العَامة والخاصة غِيرة مِنَ الحقّ تعالى عليه، غيْر أنّه يَرى عالماً؛ كجاهل وأبله؛ كفطن تاركاً آخذاً، قريباً بَعيدَة سهلاً عسراً آمناً حذراً، وكشفت أحْوال الأوْتاد للخاصَة وكشفت أحْوال الأبْدال للخاصّة وَالعارفين، وَسترت أحْوال النجباء والنقباء عن العامة خاصّة، وكشف بَعْضهم لبَعْض، وكشف حال الصالحين للعمُوم، وَالخصوص ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾» انتهى[٣].

[١] الإمام الفاضل العلامة الكامل شمس الدين محمد بن أحمد الشوبري المصري الشافعي (٩٩٧-١٠٦٩ هـ)، كان يقول فيه أهل عصره: إنه الشافعي الصغير، أخذ عنه علي الشبراملّسي، والشهاب القليوبي، وسلطان المزاحي، من تصنيفاته «حاشية على شرح التحرير». «طبقات الشافعية»، للشرقاوي (ص ٤٣٨).

[٢] لعلّ هذا سبق القلم من المؤلف لأنّ «كفاية المعتقد ونهاية المنتقد» لليافعي رحمه الله تعالى، والله أعلم.

[٣] «نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية» الملقّب «كفاية المعتقد ونكاية المنتقد» (٢/ ٦٩٠) بتصرّف.

الباب الرابع

في بيان ما ينزل على القطب وكيفية تصَرّفه فيما يَرد عليه

قال سيدي عَبْد الوهاب الشعراني في «الجواهر والدرر»: (قلت لشيْخنا رضي الله تعالى عنه: هل ينزل على القطب البَلاءُ النازل على الخلق، ثم يَنتشر منه؛ كما يَنزل عليه النعم والأمْداد أم حُكمُ الإفاضَة خَاصّ بالنعم فقط ؟ فقال رضي الله تعالى عنه: نعم، يَنزل عليه البَلاء الخاصّ بأهْل الأرْض كلِّهم ثم يفيض عنه، فإذا نزل عليه بلية تَلَقّاها بالخوف والقبُول ثم يَنتظر ما يُظهِره الله تعالى في اللوح المحْفوظ، والإثبات الخصيصة بالإطلاق والسراح.

فإنْ ظهَر لهُ المحْو وَالتبديل.. نفذ قضاء الله تعالى وأمضاه بواسطة أهْل التسْليك الذين هم سَدَنَة حضرته؛ بِحَيْث لا يشعرُون الأمر مُفاضاً عليهم منه رضي الله تعالى عنه، فإن ظهَر لهُ الإثبات لذلك وعدم المحو.. دفعه إلى أقرب عدد ونسبَة منه وهما الإمامان فيتحمّلانه.

ثم يدفعانه إلى أقرب نسبة منهما وهم الأوْتاد الأرْبَعة، وهكذا حتى يتنازل إلى أهْل دائرته جميعاً، فإن لم يرتفِعْ.. تفرّقَتْه الأفراد وغيرهم منَ العارفين إلى آحاد عمُوم المؤمنين حَتى يَرْفعه الله عَزّ وجلّ بتحمّلهم، وَكثيراً ما يجد أحد في نفسه ضيقاً وحرجاً لا يعْرف سببه، وبَعْضهم يحصل له قلقٌ يمنعه من النوم بالليل، وَبَعْضهم يحصل له غفلَة وكثرة صمت حتى لا يَسْتطيع

النطقَ بحرْف واحد، وكلُّ ذلك من البلاء الذي تُوَزّع عليهم وَلو لم يحْصُل توزيع.. لتَلاشَى منْ نزل عَليْهم البَلاء في طَرفة عيْن، فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١].

[١] سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

الخاتمة: [في الكلام على الكرامات وخوارق العادات]

وحيث انجرّ بنا الكلام إلى ما ذكرنا من أمْر القطب -أعاد الله تعالى علينا مِنْ بَركاته ولمحنا بلمحة من لمحاته-، وَبَيانِ شأنه العجيب وحَاله الغريب الذي هوَ شيء خارج عَن العادَة، وأمر خارق لا يظهَر إلا عَلى يد مَن أيّده تعالى، وأراده، ..فَلْنصرف عَنان مطيّة البنان ونُحِلْ عقال راحة البيان نحوَ الكلام على الكرامات وخوارق العادات.

وتقدّم بين يدي ذلك الكلام على الولي الذي تظهر على يديه فنقول: قال سيدنا الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري[١] في «الرسالة»: «فإن قيل فما معنى الولي؟ قيل محتمل أمرين أحدهما أن يكون «فعيلا» مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وغيرهما، ويكون معناه: من توالت طاعته من غير تخلّل معصية، ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى «مفعول» كقتيل بمعنى: مقتول وجريح بمعنى: مجروح وهو الذي يتولى الحقُّ سبحانه حفظه وحِراسَته على الإدامة والتوالي، فلا يلحق به الخذلان الذي هو قدرة العصيان ويديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢]» انتهى[٣].

---

[١] زين الإسلام شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين، أبو القاسم، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥ هـ)، كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها، من كتبه «التيسير في التفسير»، ويقال له: «التفسير الكبير»، و«لطائف الإشارات» ثلاثة أجزاء منه، في التفسير أيضا، و«الرسالة القشيرية»، «الأعلام» (٤/ ٥٧).

[٢] سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

[٣] «الرسالة القشيرية» (ص ٧٠٤).

وهو يفيد اشتراط كون الولي محفوظًا؛ كما يشترط في النبيّ أن يكون معصوماً، ولكن على معنى أنّ الله يحفظه من تماديه في الزلل والخطأ إن وقع فيهما؛ بأن يلهمه التوبةَ فيتوب منهما وإلا.. فهما لا يقدحان في ولايته؛ كما صرّح به في «الرسالة»، وفيها قيل للجنيد: العارف يزني يا أبا القاسم، فأطرق مليّا ثم رفَع رأسَه وقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وفيها أيضا فإن قيل: فما الغالب على الولي في أوان صحوه قيل صدقُه في أداء حقوقه سبحانه، ثم رِفقه وشَفقته على الخلق في جميع أحواله، ثم انبساط رحمته لكافّة الخلق، ثم دوام تحمّله عنهم بجميل الحقّ وابتداؤُه لطلب الإحسان من الله تعالى إليهم من غير التماسٍ منهم وتعليق الهمّة بنجاة الخلق وترك الانتقام منهم والتوقّي عَنِ استشعار حِقد عَلَيْهِم مَعَ قصر اليد عَن أموالهم وترك الطمع بكلّ وجه، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم، والتصاون عن شهود مساويهم، ولا يكون خصماً لأحد في الدنيا والآخرة) انتهى[١].

إذا علمتَ ذلك.. فنقول: الكرامة هي ظهور أمرٍ خارقٍ للعادة على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبيّ من الأنبياء مقترنًا بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح غير مقارنٍ لدعوى النبوّة، وبهذا يَمتازُ عن المعجزة، وبـ(مقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح) عن الاستدراج وعن مؤكّدات تكذيب الكذابين؛ كما رُوِي: أنّ مسيلمة بكسر اللامِ دعا لأعورَ أن تصير عينُه العوراءُ صحيحةً فصارتْ عينه الصحيحة عوراء، وبصق في بئرٍ لتزداد حلاوة مائها

[١] «الرسالة القشيرية» (ص ٧٠٧).

فصار ملحًا أُجاجا[١]، ومسح على رأس يتيم فصار أقرع، وهذا يسمّى إهانة؛ كما امتازت بكونِها على يد وليّ عما يسمَّى معونةً وهي الخوارق الظاهرة على أيدي عوام المسلمين تخليصاً لهم من المحن والمكاره.

وبهذا ظهر: أنَّ الخوارق أربعة معجزة وكرامة وإهانة ومعونة وعليه اقتصر بعضهم، وزاد بعض المتأخرين الإرهاص أي: التأسيس وهو: ما يكون قبل دعوى النبوة؛ كتسليم الحجر وإظلال الغمام قبل البعثة على النبي عليه الصلاة والسلام، والاستدراج وهو: ما يظهر على يد ظاهر الفسق وهي طِبق دعواه بلا سبب؛ كما وقع لفرعون السحرُ، والشعبذة وهو: ما يكون بسبب كأكل الحيات وهي تلدغه ولا يتأثر لها.

ثم اعلم: أنَّ كلّ خارقٍ ظهرَ على يد أحد من العارفين فهو ذو جهتين جهةُ كرامة من حيث ظهوره على يد ذلك العارف، وجهةُ معجزةٍ للرسول من حيث إنَّ الذي ظهرت هذه الكرامة على يده واحدٌ من أمته؛ لأنَّه لا يظهر بتلك الكرامة الآتي بها وليٌّ، إلا وهو مُحقّ في ديانته، وديانتُه هي التصديق والإقرار برسالة ذلك الرسول مع الإطاعة لأوامره ونواهيه حتى لو ادَّعى هذا الوليُّ الاستقلالَ بنفسه وعدم المتابعة.. لم يكن وليًّا ولم يظهر ذلك على يده.

فالخارق بالنسبة إلى النبي لا يكون إلا معجزةً سواء ظهر من قِبَله فقط أو من قبل آحاد أمته وبالنسبة إلى الولي لا يكون إلا كرامة؛ لخلوّه عن دعوى من ظهر على يده على النبوة، فالنبي لا بدّ من علمه بكونه نبيّا ومِن قصده إظهار خوارق العادات، ومِن حكمه قطعا بمُوجَب المعجزات بخلاف الوليّ،قاله

[١] أي: شَدِيد الْمُلوحَةِ والمرارَةِ.

بعض المحقّقين، وقد أشار إلى ذلك أيضا الإمام القشيري في «رسالته».

ثم قال: (وهذا أبو يزيد البسطامي سئل عن هذه المسألة فقال: مثل ما حصل[١] للأنبياء عليهم الصلاة والسلام كمثل زَقّ[٢] فيه عسل ترشّح منه قَطْرة فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء وما في الظرف مثل ما لنبينا عليه الصلاة والسلام) انتهى[٣].

وفيما مرّ إشارة إلى جواز كون الكرامة من جنس ما وقع معجزة للأنبياء كانفلاق البحر، وانقلاب العصا حيّةً، وإحياء الموتى خلافاً لمن منع كونَها من جنس ذلك زعماً منهم أنّها لا تمتاز عن المعجزة إلا بذلك.

وفي «عمدة المريد» للبرهان اللقاني: (قال السعد[٤] نقلًا عن الإمام[٥] في ردّ هذه المقالات: «وهذه الطرق غير سديدة، والمرضيُّ عندنا تجويز جميع خوارق العادات في مَعرض الكرامات، وإنما تمتاز عن المعجزات بخلوّها عن دعوى النبوّة حتى لو ادّعى الولي النبوّة.. صار عدو الله تعالى لا يستحقّ الكرامة بل اللعنة والإهانة»[٦].

[١] مر ما فيه تأييد لهذا المقام فراجعه. (منه).

[٢] أي: وعاءٌ من جلدٍ.

[٣] «الرسالة القشيرية» (ص ٧٠٣).

[٤] من أئمة العربية والبيان والمنطق، سعد الدين، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (٧١٢-٧٩٣ هـ)، ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن في سرخس، من كتبه: «تهذيب المنطق» و«المطول» في البلاغة، و«المختصر» اختصر به «شرح تلخيص المفتاح»، و«مقاصد الطالبين» في الكلام، و«شرح مقاصد الطالبين». «الأعلام» (٧/ ٢١٩).

[٥] فخر الدين الرازي.

[٦] «شرح المقاصد» (٣/ ٣٢٧).

ثم نقل فيها مثله عن الإمام النووي[١] حيث جعل ما قاله البعض غلطاً وإنكاراً للحسّ، وأنّ الصواب جريانُها بقلب الأعيان ونحوه، قلت: ومشى عليه الإمام النسفي[٢]، ونظمه شارح[٣] الوهبانية فقال:

وإثباتها في كلّ ما كان خارقا * عن النسفي النجم يُروَى وينصره

فاعلم ذلك.

تتمة: قال في «الرسالة»: (واعلم: أنَّه ليس للولي مساكنة[٤] أي: سكون إلى الكرامة التي تظهر عليه ولا له ملاحظة، وربّما يكون لهم في ظهور جنسها قوّة يقينٍ وزيادةُ بصيرةٍ لتحقّقهم أنّ ذلك فعل الله تعالى، فيستدلّون بذلك على صحّة ما هم عليه من العقائد.

[١] علامة بالفقه والحديث، محيي الدين، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعيّ، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلاً، من كتبه: «تهذيب الأسماء واللغات»، و«منهاج الطالبين». «الأعلام» (٨/ ١٤٩).

[٢] عالم بالتفسير والأدب والتاريخ، من فقهاء الحنفية، أبو حفص، نجم الدين، عمر بن محمد النسفي (ت ٥٣٧هـ)، وتوفي بسمرقند، قيل: له نحو مئة مصنّف، منها: «الأكمل الأطوال» في التفسير، و«التيسير في التفسير»، و«القند في علماء سمرقند» عشرون جزءا، و«تاريخ بخارى» و«طلبة الطلبة» في الاصطلاحات الفقهية، و«العقائد» يعرف بـ«عقائد النسفي». «الأعلام» (٥/ ٦٠).

[٣] عبد البر بن محمد الحلبي الحنفي المشهور بـ(ابن الشِّحنة).

[٤] فائدة: قال شيخنا اليافعي رحمه الله تعالى: لا يلزم أن يكون مَن له كرامة من الأولياء أفضل ممن ليس له كرامة منهم، بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة؛ لأنّ الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها، وكمال المعرفة بالله، ولهذا قال قطب العلوم وتاج العارفين وقرّة أعين الصديقين أبو القاسم الجنيد قدس سره: قد مشى رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش رجال أفضل منهم، ولأنّ الكرامة قد تقع لكثيرين من المحبّين، والزُهّاد ولا تقع لكثير من العارفين، والمعرفة أفضل من المحبّة عند الأكثرين وأفضل من الزهد عند الكلّ... إلخ. قلت: وهذا هو المختار عند المحقّقين والله أعلم كذا في «حياة الحيوان»، فراجعه. (منه).

وبالجملة: فالقولُ بجواز ظهورها على الأولياء واجبٌ، وعليه جمهور أهل المعرفة، ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبارُ والحكاياتُ صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الجملة علماً قويّاً تنفى عنه الشكوك، ومن توسّط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم ..لم يبق له شبهة في ذلك على الجملة.

ومن دلائل هذه الجملة نصّ القرآن في قصّة صاحب سليمان عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [١] ولم يكن نبيّاً، والأثر عن أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه صحيح أنه قال: يا سارية الجبل، في خطبته يوم الجمعة وتبليغ صوت عمر رضي الله عنه إلى سارية في ذلك الوقت حتى تحرز من مكامن العدوّ من الجبل في تلك الساعة[٢].

ثم قال بعد كلام ذكره: (ومما شهد من القرآن على إظهار الكرامات على الأولياء قولُه تعالى في قصّة مريم ولم تكن نبيّاً ولا رسولاً: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا﴾[٣].

وقوله سبحانه لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾[٤] وكان في غير أوان الرطب.

وكذلك قصّة أصحاب الكهف، والأعاجيب التي ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك، ومن ذلك قصة ذي القرنين وتمكينه سبحانه له مما

[١] سورة النمل: ٤٠

[٢] «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٢٢).

[٣] سورة آل عمران: ٣٧

[٤] سورة مريم: ٢٥

لم يمكّن لغيره، ومن ذلك ما أُظهر على الخضر من إقامة الجدار وغيره من الأعاجيب وما كان يعرفه مما خَفي على موسى عليه الصلاة والسلام، كلّ ذلك أمور ناقضة للعادة اختصّ الخضر بها ولم يكن نبيّاً، بل وليًا[١].

ثم نقل من الآثار والأخبار والحكايات العجيبة عن الأخبار من الصحابة والتابعين والأئمة المعتبرين وأطال في ذلك جدّاً مما لا يستطيع المنكر ردّاً، ولو التزمنا ذكر ذلك.. لخرجنا عن المقصود، فسبحان الملك المعبود الذي تفرّد في الوجود بإفاضة الخير والجود يمنَحُ من فضله ما يشاء ويختصّ برحمته من يشاء، نسأله سبحانه وتعالى أن يُميتنا على حبّهم وأن يُسقينا من رحيقهم وشُربِهم، وأن يُعيد علينا من بركاتهم الظاهرة وينفعنا بأنفاسهم الطاهرة ويلبسنا من حللهم الفاخرة ويجعلنا من أشياعهم في الدنيا والآخرة، إنّه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا وسندنا محمد خير المقربين وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه إلى يوم الدين) انتهى كلامه اللطيف[٢].

ثم اعلم: أنَّ نهاية الكلام في هذا الباب وغاية البسط في هذا المقام بلا ارتياب في رسالته[٣] المسمّاة بـ«**سَلُّ الحُسام الهِندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي**» قدّس الله سره ونوّر مضجعه، آمين.

[١] يأتي ما يؤيّده في (ص ٢٥٣). (منه).
«الرسالة القشيرية» (ص ٧٠٧ – ٧٠٨).

[٢] أي: كلام العلامة محمد أمين الشهير بابن عابدين. (منه).
راجع «مجموعة رسائل ابن عابدين» (٢/ ٢٨٠).

[٣] أي: رسالة ابن عابدين. (منه).

ومن جزئيّات ما فيها من الكلام ما نقلته عنها في هذا المقام، عبارته: **فإن قلت:** قد مرّ أنّ من أنواع السّحر أن يعتقد أنَّه بلغ في التصفية وقراءة الرُقى، وتدخين بعض الأدوية إلى أنّ الجن تطيعه في تغيير البِنية والشكل، وأنّ المعتزلةَ قالوا بكفره، وغيرُهم وإن لم يقل بكفره يقول: إنَّ ذلك حرام وإنَّه يكفر مُستحلُّه، وما كان متردّداً بين كونِه حراماً أو كفراً كيف يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين فضلًا عن الأولياء ؟

قلت: لا شكّ أنَّ كلاًّ من المعجزة والكرامة والسحر أمورٌ خارقة للعادة، وإنَّما الفرق بينها من حيث النسبة إلى من ظهرت على يديه، فإنْ ظهر ذلك الخارق ممن هو أفضل الناس نشأةً وشرفًا وخلقًا وصدقًا وأدبًا وأمانةً وزهادةً وإشفاقًا ورِفقًا وبُعدًا عن الدناءة والكذب والتمويه وكان له أصحاب في غاية العلم والديانة..كان ذلك الخارق معجزةً مُصدِّقَة لدعواه، وإن ظهر على يدي مُتَّبعٍ لنبيٍّ مقتف لهديه مواظبٍ على الطاعات مُعرِض عن المخالَفات يدعو إلى تصحيح العقائد وإقامة الشريعة والأذكار والعبادات.. كان ذلك الخارق كرامةً له أكرمه الله تعالى بها لا بقراءة رُقًى ولا بتدخينٍ وإن ظهر على يديْ ذي نفس شريرة خبيثةٍ.. كان سِحراً، وهذا فرقٌ باعتبار الظاهر.

وثَمَّ فرقٌ باعتبار الباطن ونفس الأمر وهو أنّ السحر كالسيميا[١] والهيميا يكون بخواصّ أرضية أو سماوية، وكالطِلَسْمات يكون بنقش أسماء خاصّة، لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زَعْمِهم وكالعزائم والاستخدامات يكون

[١] قد يطلق هذا الاسم على: ما هو غير الحقيقي من السحر، وهو المشهور. وحاصله: إحداث مثالات خيالية في الجوّ، لا وجود لها في الحسّ. «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» (٢/ ١٠٢١).

بتلاوة أسماء خاصّة تُعَظِّمها ملوكُ الجانّ مع تبخّرات وهيئات معلومة، غالبها مُكفِّرة وكلّ ذلك أسباب عادية جرت عادة الله تعالى بترتب مسبَّباتها عليها لكنّها خفيةٌ لم تظهر إلا لقليل من الناس فهي في الحقيقة ليس فيها شيء خارق للعادة إلا من حيث الظاهر، أما في نفس الأمر.. فلا؛ لارْتباطِها بأسبابها الخفية؛ كالحشائش التي يعمل منها النَّفْط التي تحرق الحصون، وكالدهن الذي من ادّهن به.. لم يقطع فيه حديد، ولا تؤثر فيه النار، ونحو ذلك بخلاف المعجزة والكرامة، فإنه ليس في الحشائش والأدهان وغيرها ما يَقْدِر فيه الإنسان على قطع المسافة البعيدة في زمن يسير أو على المشي على وجه الماء أو على إحياء الموتى وفلق البحر ونحو ذلك مما هو معجزة أو كرامة تظهر بمجرّد خلق الله تعالى بلا استعمال أسباب مُعدَّةٍ لذلك.

وقدّمنا أوّلَ هذا الفصل عن «شرح المقاصد» وجوهاً آخر فارقةً بين السحر وغيره، وكذا حكاية الصوفي مع البَرَهَمِي، وأما إذا ظهر ذلك الخارق على يد أحد من عوام المؤمنين.. فإنَّه يسمّى مَعُونةً؛ كما مرّ في الفصل الأوّل[١].

فإذا علمتَ ذلك.. ظهَر لك أنّ ما نسبه هذا الحاسد إلى حضرة مولانا خالد كرامةٌ له عظيمة ومِنْحَة جسيمة أشاعها عنه الحاسد بلسانه لمن لا يعلمها ولو عَقَلَ.. لكان يسترها ويكتمها، ولله دَرّ القائل:

وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ * طُوِيتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ

[١] في (ص ٢٠١).

فإنّ مما لا يشك فيه عاقل ولا يجحده إلا المعانِد الجاهِل أنَّ حضرة مولانا خالد قد أرغم الله به أنفَ الحاسد حيث حاز أسنى المقامات في اتّباع الشريعة، ووصل إلى أعلى منازلها الرفيعة، وشهد بذلك طلعتُه الوسيمة وعقيدته السليمة ودأبه على إرشاد العباد ورسوخ حبّه في قلوب عامة أهل البلاد واستقامة أحوال خلفائه ومريديه، وخذلان أعدائه وحاسديه، وهذا أعدل شاهد عند ذوي المقامات، على أنّه من أهل الكرامات، وإن كان هو لا يَدّعِي ذلك تواضعًا، ويراه من نفسه ممتنعاً، فقد سمعته مرة يقول: أعوذ بالله أن أكون ممن يَدّعِي الكرامات، بل أنا من كلاب[١] السادات ذوي المقامات وهذا مقام ذوي العرفان من أهل الشهود والإحسان كلّما علا مقام أحدهم وارتفع.. خَفَضَ نفسه واتَّضَعَ، ثم الله سبحانه يرفعه ويؤيّده ويُشتِّت شملَ عدوِّه ويُبدِّده.

[١] **أقول**: شأنه وشأن أمثاله قدّس الله أسرارهم استقصار ما صدر عنهم دائماً ويرون أنفسهم عند الله تعالى مع تلك الطاعات أحقرَ من الكلّ بالذنوب والتقصيرات؛ لينالوا بذلك درجة الكمال؛ كما حكي عن خواجه بهاء الدين محمد النقشبندي قدس سره العزيز أنه قال حين سئل عن الكرامة أيّ كرامة أعظم من المشي على وجه الأرض مع هذه الذنوب الكثيرة، وسيأتي ما يؤيده في كرامات الممدوح قدس سره، ثم وجدت في نفسي ذِلّة واحتياجاً إلى قوله: كأني أرذَلُ كلّ شيء وأخبث وأكثر الناس ذنباً... إلخ انتهى. (منه).

الفصل الرابع في دعوى علم الغيب

ذكر الحنفية في عدّة من كتبهم: أنّ من ادّعى لنفسه علمَ الغيبِ كَفَرَ.

وفي «الفتاوى الخانية»: سَمِعَ صوتَ هامةٍ[١] فقال: يموت واحد، قيل: يكفر، وقيل: لا يكفر؛ لأنَّ هذا إنمّا يقال على وجه التفاؤل، وكذا لو خرج إلى السفر فصاح العَقْعَقُ[٢] فرجع فهو على هذا الخلاف أيضا انتهى[٣].

وصرّح صاحب «الهداية» في «مختارات النوازل» في مسألة الهامة: بأنّ الصحيحَ: أنّه لا يكفر[٤].

وفي «البزازية»: من قال: أعلم الأشياء المسروقة، يكفُرُ، وكذا لو قال: أُخبِرُ بأخبار الجنّ يكفُر أيضًا؛ لأنَّ الجنَّ كالإنس لا يعلمون الغيب، ومن صدَّقه.. كفر؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**مَن أَتَى كاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا قَالَهُ.. فَقَدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ عَلى مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وسلّم**»[٥]، وذكر في «جامع الفصولين» مسألة بالفارسية حاصلها فيما لو تزوّجها بلا شهود، وقال: إنَّ الله ورسوله أو المَلَك يشهدان.. أنَّه يكفر؛ لأنّه اعتقد أنّ الرسول أو الملك يعلم الغيبَ، ثم استشكل ذلك بما أخبر به صلّى الله تعالى عليه وسلّم من المغيبات، وكذا ما أخبر به عمر وغيره من السلف.

---

[١] الْهَامَةُ: طائرٌ صَغيرٌ من طير الليل يأْلف المقابر. «المعجم الوسيط».

[٢] العَقْعَقُ: طائر من الفصيلة الغُرابيَة ورتبة الجواثم، وهو صَخَّاب، له ذَنَبٌ طويلٌ ومِنقارٌ طويل. «المعجم الوسيط».

[٣] «فتاوى قاضيخان» (٣/ ٥٢٠).

[٤] «مختارات النوازل» (٣/ ٥٢).

[٥] أخرج أبو داود الطيالسي نحوه في «مسنده» (١/ ٣٠٠).

ثم أجاب بأنَّه يمكن التوفيق، بأنّ المنفيَّ هو العلم بالاستقلال لا العلم بالإعلام، أو المنفيَّ هو المجزومُ لا المظنون، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾[١] الآية؛ لأنّه غيب أخبر به الملائكة ظنًّا منهم أو بإعلام فينبغي أن يكفر لو ادّعاه مُستقلًّا لا لو أخبر به بإعلام في نومه، أو يقظته في نوع من الكشف؛ إذ لا منافاة بينه وبين الآية؛ لما مَرَّ من التوفيق والله تعالى أعلم انتهى.

وقال في «الإعلام»: قال الرافعي عنهم أي ناقلا عن الأئمة الحنفية: ولو قرأ القرآن على ضرب الدفّ أو القضيب أو قيل له: أتعلم الغيب فقال: نعم.. فهو كفر.

واختلفوا فيمن خرج لسفر فصاح العقعق فرجع هل يكفر؟ انتهى كلام الرافعي.

زاد في «الروضة» قلت: الصواب: أنَّه لا يكفر في المسائل الثلاثة، واعترض تصويبه في الثانية؛ لتضمّن قوله: نعم تكذيب النصّ، وهو قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٢] وقوله عزّ وجلّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾[٣] ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٤]ولم يستثن الله تعالى غير الرسول.

---

[١] سورة البقرة، الآية: ٣٠

[٢] سورة الأنعام، الآية: ٥٩

[٣] سورة الأنعام، الآية: ٧٣

[٤] سورة الجن، الآيتان: ٢٧-٢٦

ويجاب: بأنَّ قوله ذلك لا ينافي النصّ ولا يتضمّن تكذيبه؛ لصدقه بكونه يعلم الغيب في قضية، وهذا ليس خاصّاً بالرسل بل يمكن وجوده لغيرهم من الصدّيقين، فالخواصّ يجوز أن يعلموا الغيب في قضيةٍ وقضايا؛ كما وقع لكثير منهم واشتهر، والذي اختصّ تعالى به، إنَّما هو علم الجميع، وعلم مفاتح الغيب المشار إليها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾[١] الآية، ويُنتِج من هذا التقرير: أنّ من ادّعى علم الغيب في قضية أو قضايا.. لا يكفر وهو مَحمَل ما في «الروضة»، ومن ادَّعى علمَه في سائر القضايا.. كفر، وهو محمَل ما في أصلها إلا أنّ عبارته لما كانت مطلقةً تشتمل هذا وغيرَه.. ساغ للنووي الاعتراض عليه، فإن أطلق.. فلم يُرِد شيئاً، فالوجهُ ما اقتضاه كلام النووي من عدم الكفر، ثم رأيت الأذرعيّ قال: والظاهر عدم كفره عند الإطلاق) انتهى[٢].

وسئل في «الفتاوى الحديثية» عمن قال: إن المؤمن يعلم الغيب هل يكفرُ للآيتين أو يستفصل لجواز العلم بجزئيات من الغيب ؟ فأجاب بقوله: لا يطلق القول بكفره؛ لاحتمال كلامه، ومن تكلّم بما يحتمل الكفر وغيره.. وجب استفصاله؛ كما في «الروضة» وغيرها.

ومن ثم قال الرافعي: ينبغي إذا نقل عن أحد لفظٌ ظاهرُه الكفر أن يتأمّل ويُمعِن النظر فيه، فإن احتمل ما يُخرِج اللفظَ عن ظاهره من إرادة تخصيص أو مجاز أو نحوِهما.. سُئِل اللافظ عن مراده، فإن ذكر ما يَنفي عنه الكفر

---

[١] سورة لقمان، الآية: ٣٤

[٢] «الإعلام بقواطع الإسلام» (ص ١١٤-١١٦).

مما يحتمله اللفظ.. تُرِك، وإن لم يحتمل اللفظُ خلاف ظاهره أو ذكر غير ما يحتمل، أو لم يذكر شيئا.. استتيب، فإن تاب.. قُبِلت توبته، وإلاّ.. فإن كان مدلول اللفظ كفرًا مجمَعا عليه.. حُكِم بردّته فيُقتَل إن لم يتب.

وإن كان في محلِّ الخلافِ.. نظر في الراجح من الأدلة إن تَأهّل، وإلا أخذ بالراجح عند أكثر المحقّقين من أهل النظر، فإن تعادل الخلاف.. أخذ بالأحوط وهو عدم التكفير، بل الذي أميل إليه إذا اختلف بالتكفير.. وقف حاله وترك الأمر فيه إلى الله تعالى، انتهى كلام الرافعي ملخصًّا على المرام.

ومتى استفصِل.. فقال: أردتُ بقولي: المؤمن يعلم الغيب أنّ بعض الأولياءِ قد يُعلِمه اللهُ ببعض المغيَّبات.. قُبِل منه ذلك، لأنَّه جائزٌ عقلًا وواقعٌ نقلًا؛ إذ هو من جملة الكرامات الخارجة عن الحصر على ممرّ الأعصار، فبعضهم يُعلمه بخطاب وبعضهم يُعلمه بكشف حجاب، وبعضهم يُكشَف له عن اللوح المحفوظ حتى يراه، ويكفي بذلك ما أخبر به القرآن عن الخضر بناء على أنّه ولي وهو ما نقل عن جمهور العلماء وجميعِ العارفين وإن كان الأصحّ أنّه نبيّ، وما جاء عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنّه أخبر عن حمل امرأة أنّه ذكر وكان كذلك.

وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كشف له عن سارية وجيشه وهم بالعجم فقال على منبر المدينة وهو يخطب يوم الجمعة: يا سارية الجبلَ، يُحذّره الكَمِينَ الذي أراد استئصال المسلمين، وما صحّ أنّه صلّى الله تعالى

عليه وسلّم أنّه قال في حقّ عمر رضي الله تعالى عنه «**إِنَّهُ مِنَ الْمُحَدَّثِينَ**»[١]: الملهمين.

وفي «رسالة القشيري» و«عوارف السَهْرُوَرْدي» وغيرِهما من كتب القوم وغيرهم ما لا يحصى من القضايا التي فيها إخبار الأولياء بالمغيَّبات.

ثم ذكر جملة من ذلك إلى أن قال: «ولا ينافي [ما تقرّر من اطّلاع الأولياء على بعض الغيوب][٢] الآيتان المذكورتان في السؤال؛ لأنّ علم الأنبياء والأولياء إنّما هو بإعلام من الله تعالى لهم، وعِلْمنا بذلك إنَّما هو بإعلامهم لنا، وهذا غير علم الله الذي تفرّد به، وهو صفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة الأبدية المنزهة عن التغيير وسِمات الحدوث، والنقص والمشاركة والانقسام، بل هو علم واحد عَلِم به جميع المعلومات كليّاتها وجزئياتها ما كان منها وما يكون، ليس بضروريّ ولا كَسبيّ ولا حادث، بخلاف علم سائر الخلق.

إذا تقرّر ذلك فعلم الله تعالى المذكور هو الذي تمدح به، وأخبر في الآيتين المذكورتين بأنّه لا يشاركه فيه أحد فلا يعلم الغيبَ إلا هو، ومن سواه إن علموا جزئيات منه.. فهو بإعلامه وإطلاعه لهم، وحينئذ لا يطلق أنّهم يعلمون الغيب، إذ لا صفة لهم يَقتدرون بها على الاستقلالِ بعلمه.

وأيضاً هم ما عَلِمُوا وإنَّما عُلِّمُوا وأيضا ما علموا غيبًا مطلقًا؛ لأن مَنْ أُعْلِم بشيء منه يشاركه فيه الملائكة ونظراؤُه ممن اطَّلع.

[١] أخرجه البخاري عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه (٣٤٦٩) بلفظ: «**إِنَّه قدْ كانَ فِيما مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وإنَّه إنْ كانَ في أُمَّتي هذِه منهمْ فإنَّه عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ**».

[٢] ما بين معقوفين لا يوجد في الأصل.

ثم إعلامُ الله تعالى للأنبياء والأولياء ببعض الغيوب ممن لا يَستلزِم محالاً بوجهٍ، فإنكارُ وقوعه عِنادٌ، ومن البَدَاهة أنّه لا يؤدّي إلى مشاركتهم له تعالى، فيما تفرَّد به من العلم الذي تمدَّح به واتّصف به في الأزل وما لا يزال.

وما ذكرْناه في الآية صرَّح به النوويّ رحمه الله تعالى في «فتاواه» فقال: معناها لا يعلم ذلك استقلالًا وعِلمَ إحاطة بكلّ المعلومات إلا الله، وأما المعجزات والكرامات.. فبإعلام الله تعالى لهم عُلِمَتْ، وكذا ما علم بإجراء العادةِ) انتهى[١].

قلت: ومثل هذا ما ذكره العلامة المفتي أبو السعود أفندي[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[٣] حيث قال: «والفاء لترتيب عدمِ الإظهار على تفرّده تعالى بعلم الغيبِ على الإطلاق أي: فلا يَطَّلِع على غيبه اطِّلاعًا كاملًا ينكشف به جليّةُ الحال انكشافاً تامّاً موجباً لعين اليقينِ أحدٌ من خلقه ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ أي: إلا رسولاً ارتضاه؛ لإظهاره على بعض غيوبِه المتعلِّقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلّقا ما إما لكونه من مبادئ رسالته؛ بأن يكون معجزة دالّة على صحّتها، وإما لكونه من أركانها وأحكامها؛ كعامة التكاليف الشرعية التي

[١] «الفتاوى الحديثية» (ص٥٧٠-٥٧٤).

[٢] مفسرٌ، شاعر، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت ٩٨٢ هـ)، من علماء الترك المستعربين، وُلد بقرب القسطنطينية، ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة، فالقسطنطينية، فالروم، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سمّاه: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» ومن كتبه: «تحفة الطلاب» في المناظرة، و«رسالة في المسح على الخفين»، و«رسالة في مسائل الوقوف» وأخرى في «تسجيل الأوقاف» و«قصة هاروت وماروت». «الأعلام» (٧/ ٥٩).

[٣] سورة الجن، الآية: ٢٦.

أمر بها المكلّفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المرتّبة عليها في الآخرة وما تتوقّف هي عليه من أحوال الآخرة التي بيانها من وظائف الرسالة.

وأما ما لا يتعلّق بها على أحد الوجهين من الغيوب التي من جملتها: وقتُ قيام الساعة.. فلا يُظهر عليه أحدًا أبدًا، على أنَّ بيانَ وقته مُخِلٌّ بالحكمة التشريعية التي يدور عليها فلك الرسالة، وليس فيه ما يدلّ على نفي كرامات الأولياء المتعلّقة بالكشف، فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة من تلك المراتب لغيرهم أصلًا ولا يدّعي أحد من الأولياء ما في مرتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح) انتهى[١].

وحاصله: أنَّ الله سبحانه وتعالى متفرِّد بعلم الغيب المطلق المتعلِّق بجميع المعلومات وأنَّه إنَّما يُطْلِع رسلَه على بعض غيوبه المتعلّقة بالرسالة اطّلاعًا جليًّا واضحًا لا شكّ فيه بالوحي الصريح ولا ينافي ذلك أن يطّلع بعض أوليائه على بعض ذلك اطّلاعا دونه في الرتبة، فمن ادعى علم بعض الحوادث الغائبة بوحي من أهله أو بكشف من ذوي الكرامات.. فهو صادق ودعواه جائزة؛ لأنّ ما اختصّ به تعالى هو الغيب المطلق على أنّ ما يدّعيه العبد ليس غيبًا حقيقة؛ لأنَّه إنّما يكون بإعلام من الله تعالى؛ كما مرّ، وكذا لو ادّعاه أحد من آحاد الناس مستنداً في ذلك إلى أمارة نصبها تعالى على ذلك، فقد قال: الإمام المرغيناني[٢] صاحب «الهداية» في كتابه «مختارات النوازل»: (وأما علم

[١] «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» (٨/ ٢٤٠).

[٢] برهان الدين، أبو الحسن، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل، المَرْغِيناني (ت ٣٩٥هـ)، من أكابر فقهاء الحنفية نسبته إلى مرغينان (من نواحي فرغانة) كان حافظاً مفسّرا محقّقاً أديباً، من المجتهدين. من

النجوم.. فهو في نفسه حسن غير مذموم إذ هو قسمان: **حسابي**: وإنّه حقّ قد نطق به الكتاب قال تعال: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾[١] أي: سيرهما بحسبان، **واستدلالي**: بسير النجوم وحركة الأفلاك على الحوادث، بقضاء الله تعالى وقدره، وهو جائز؛ كاستدلال الطبيب بالنبض على الصحة والمرض، ولو لم يعتقد بقضاء الله تعالى، أو ادّعى علم الغيب لنفسه.. يكفر، ثم تعلّم علم النجوم مقدار ما يعرف به مواقيت الصلاة والقبلة لا بأس به) انتهى[٢].

ومفهومه: أنَّ تعلُّمَ الزائد على ذلك مما يستدلّ به على الحوادث فيه بأس؛ لأنه مكروه؛ لما فيه؛ من إيقاع العامة في الشكّ؛ لعدم علمهم بأنّه عَلِمَ ذلك بسبب عادة نصبه الله تعالى لذلك أو لما فيه من خوف الوقوع في اعتقاد تأثير النجوم في تلك الحوادث أو لما فيه من إظهار ما أحبّ الله خفاءه، فإنه لو أحبّ إظهارَه.. لنصب عليه علامة ظاهرة؛ كما في الأمور التي جعل الله تعالى لها أسباباً ظاهرةً يعلمها عامة الناس، فلم يُخفِ الله تعالى ما أخفاه منها إلا لحكم باهرة فالتوصّل إلى إظهاره والاطلاع عليه إخلال بتلك الحكم، والله تعالى أعلم.

وذكر في «الفتاوى الحديثية» عن ابن الحاج المالكي[٣] فيمن قال: النجوم

تصانيفه «بداية المبتدي » فقه، وشرحه «الهداية في شرح البداية » مجلّدان، و«منتقى الفروع» و«الفرائض» و«التجنيس والمزيد» في الفتاوى. «الأعلام» (٤/ ٢٦٦).

[١] سورة الرحمن، الآية: ٥.

[٢] «مختارات النوازل» (٣/ ٥٣-٥٤).

[٣] أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي، محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج (ت ٧٣٧ هـ)، تفقه في بلاده، وقدم مصر، وحجّ، وكفّ بصره في آخر عمره وأقعد، وتوفي بالقاهرة، عن نحو ٨٠ عاما، له: «مدخل الشرع الشريف» ثلاثة أجزاء، قال فيه ابن حجر: كثير الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس

تدلّ على كذا لكن بفعل الله تعالى يجري الأمر في خلقه: إنَّه بدعة من القول منهيّ عنها فيؤدَّب ولا يكفر إلا إن جعل للنجم تأثيراً فيقتل، قال: وظاهر كلام المارزي الجواز إلّا إذا نسب ذلك لعادة أجراها الله تعالى.

وقال ابن رَشَد-بفتح الراء والشين-: ليس قول الرجل: الشمس تكسف غداً بعلم الحساب كقول: فلان يقدم غدا في جميع الوجوه؛ لأنَّ دعوى الكسوف ليست من علم الغيب؛ لأنه يدرك بالحساب فلا ضلالَ فيه ولا كفرَ لكن يكره الاشتغال به؛ لأنّه مما لا يعني ولأنّ الجاهل إذا سمع به ظنّ أنّه من علم الغيب فيُزجَر فاعله ويُؤدَّب عليه.

ثم قال في «الفتاوى الحديثية»: (وحاصل مذهبنا يعني: مذهب الشافعية في ذلك أنَّه متى اعتقد أن لغير الله تعالى تأثيراً.. كفَر فيستتاب فإن تاب وإلا.. قتل سواء أسرّ ذلك أو أظهره، وكذا لو اعتقد أنه يعلم الغيبَ المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا﴾ [١] لأنه مكذّب للقرآن، فإن خلا عن اعتقاد هذيْنِ.. فلا كفر، بل ولا إثمَ إن قال: علمت ذلك بواسطة القرينة والعادة الإلهية أو نحو ذلك) انتهى[٢].

وكذا قال في كتابه «الزواجر»: (المنهيّ عنه من علم النجوم هو ما يدّعيه أهلُها من معرفة الحوادث الآتيةِ في مستقبل الزمان؛ كمجيئ المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح، وتغيّر الأسعار ونحو ذلك يزعُمُون أنهم يُدركون ذلك

ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر، وبعضها مما يحتمل، وله: «شموس الأنوار وكنوز الأسرار»، و«بلوغ القصد والمنى في خواص أسماء الله الحسنى». «الأعلام» (٧/ ٣٥).

[١] سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

[٢] «الفتاوى الحديثية» (ص ٥١٤-٥١٧).

بسير الكواكب لاقترانها وافتراقها، وظهورِها في بعض الأزمان، وهذا علم استأثر الله تعالى به لا يعلمُهُ أحدٌ غيرُهُ، فمن ادّعى [علمه] بذلك.. فهو فاسق، بل ربمّا يؤدي به ذلك إلى الكفر.

فأمّا من يقول: إنَّ الاقتران والافتراق هو كذا جعله الله علامةً بمقتضى ما اطّردت به العادة الإلهية على وقوع كذا وقد يتخلّف فإنّه لا إثم عليه بذلك وكذا الإخبار عما يُدرَك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف بها الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي من الوقت فإنَّه لا إثم فيه، بل هو فرض كفاية) انتهى[١].

وقد علمتَ مما قدّمناه عن «مختارات النوازل»: أنّ مذهبَ الحنفية في ذلك؛ كمذهب الشافعية، فقد اتّضح لك ما قرّرناه؛ من جواز الاطلاع على بعض الأمور الغيبية بمعجزة أو كرامة أو أمارة وعلامةٍ عادية بتقدير الله تعالى، أما لو ادعى ذلك من نفسه استقلالًا أو بطريق إخبار الجنّ له بذلك زاعمًا عِلمَهم الغيبَ أو بطريق الإسناد إلى تأثير الكواكب.. فهو كافرٌ، وأما إذا أطلق وقال: سيقع في اليوم الفلاني كذا وكذا.. فينبغي النظر في حال القائل، فإنْ كان من أهل الديانة والصَلاح والاستقامة.. يكون ذلك منه كرامةً؛ لأنّه لا يُخبر بذلك إلا عن صادقِ الإلهام أو عن كشفٍ تامٍّ أو عن رؤية منام، فقد وقع ذلك من أئمة الأعلام؛ كما مرّ عن الإمامين أبي بكر وعمر وغيرهما، وإن كان من آحاد الناس.. فقد مرّ عن «البزازية» من كتب الحنفية أنَّه لو قال: أعلمُ الأشياءَ المسروقة.. يكفر، وكذا ما مرّ عنهم مِنْ: لو ادّعى علم الغيب [بنفسه].. يكفر.

[١] «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢/ ١٧٨).

وأما عند الشافعية.. فقد علمتَ ما مَرَّ من تفصيل الإمام الرافعي، وينبغي إجراء هذا التفصيل عند الحنفية أيضًا، وحمل ما نقلناه عنهم على ما إذا ظهرت قرينة من حال ذلك القائل تدلّ على إرادة علمه ذلك من نفسه، أو من إخبار الجنّ أو الكهنة معتقدًا صدقَ ذلك.

ففي «جامع الفصولين»: روى الطحاوي[1] عن أصحابنا لا يخرج الرجلُ من الإيمان إلا جحود ما [أدخله] فيه، ثم ما تيقَّنَ أنَّه ردّة يحكم بها وما يشكّ أنّه ردّة لا يحكم بها إذ الإسلام الثابت لا يزول بشكّ مع أنّ الإسلام يعلو، وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يبادر [بتكفير] أهل الإسلام مع أنَّه يقضي بصحّة إسلام المكره. انتهى.

وفي «الفتاوى الصغرى»: (الكفر شيء عظيم فلا أَجعل المسلم كافراً متى وجدت رواية أنّه لا يكفر). انتهى.

وفي «الخلاصة» وغيرها: إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفيرَ ووجهٌ واحدٌ يمنع التكفير، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسيناً للظنّ بالمسلم، زاد في «البزازية»: إلا إذا صرَّح بإرادة موجب الكفر، فلا ينفعه التأويل حينئذ.

وفي «التاتارخانية»: لا يكفّر بالمحتمل، لأن الكفر نهاية في العقوبة، فيستدعي نهاية في الجناية، ومع الاحتمال لا نهاية. انتهى كذا في «البحر».

---

[١] أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ (ت ٣٢١ هـ) ، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقّه على مذهب الشافعيّ، ثم تحوّل حنفيّا. ورحل إلى الشام سنة (٢٦٨ هـ) فاتّصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصّته، وتوفّي بالقاهرة. وهو ابن أخت المزني، من تصانيفه: «شرح معاني الآثار»، و«بيان السنّة»، وكتاب «الشفعة» . «الأعلام» (١/ ٢٠٦).

وقال بعد ذلك: والذي تحرّرَ أنه لا يُفتِي بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على مَحمل حسن، أو كان في كفره اختلاف، ولو روايةً ضعيفةً، فعلى هذا فأكثرُ ألفاظ التكفيرِ المذكورةِ لا يفتى بالتكفير بها، ولقد ألزمت نفسي أن لا أفتي بشيء منها) انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وتمامُ ذلك في كتابنا «تنبيه الولاة والحُكّام على أحكام شاتمِ خيرِ الأنام أو أحدِ أصحابِه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام» فارجِعْ إليه، فإنّ فيه ما يشفي ويكفي المرام من جنس هذا الكلام.

تنبيه: قد ظهر لك وبان، ممّا قررناه في هذا الشأن أنَّ من كان من أهل العلم والعرفان وأخبر عن أمر حدَث أو سَيحدُث في الزمان مما اطَّلَعه عليه المَلِك المَنَّان، لا يحلّ لمسلمٍ ذي دينٍ وإيمانٍ أن يتّهمَه بأنّ ذلك عن إخبار الجانّ، وبأنّه ساحر وشيطان، وأن يحكم عليه بالكفر والزندقة والإلحاد بمجرّد داء الحسد والافتراء والعناد، فإنَّ سهامَه ترجع إليه ودعاويه تَعود عليه، ويظهر منه خُبْثُ العقيدة، وإنّ آرائه غيرُ سديدةٍ ويخشى عليه سُرعة الانتقام، وسوء الختام، والعياذ بالله تعالى.

[الإنكار على الأولياء]

ففي «الفتاوى الحديثية»: سُئل عن قومٍ من الفقهاء يُنكرون على الصوفية إجمالًا أو تفصيلًا فهل هم مَعذورون أم لا ؟

فأجاب بقوله: ينبغي لكلّ ذي عقل ودين أن لا يقع في وَرْطَة الإنكارِ على هؤلاء القوم فإنه السمُّ القاتل؛ كما شوهد ذلك قديماً وحديثاً، وقد قدّمنا صحّة قصّة ابن السقا المُنكر على وليّ الله تعالى فأشار له أنه يَموت

كافرًا، فشُوهِد عند موتِه بعد تنصُّره لِفِتنته بنصرانيّة أَبَت منه إلا أن يتنصّر مُستقبل الشرق، وكلَّما حُوِّل للقبلة يتحوَّل إلى الشرق حتى طلعتْ روحُه[١] وهو كذلك، وأنّه كان أوجهَ أهل زمانه عِلمًا وذكاءً وشهرةً وتقدمًا عند الخليفة فحقّت عليه الكلمة بواسطة إنكاره وقوله عن ذلك الولي لأسألنَّه مسألة لا يقدر على جوابها.

وجاء عن المشايخ العارفين والأئمة الوارثين أنَّهم قالوا: أَقلّ عقوبة المنكِر على الصالحين أن يُحرم بركتَهم، قالوا: ويخشى عليه سوء الخاتمة، نعوذ بالله من سوء القضاء.

وقال بعض العارفين: من رأيتموه يُؤذِي الأولياء ويُنكِر مواهبَ الأصفياء، فاعلموا أنّه محارب الله مبعودٌ مطرودٌ عن حقيقةِ قربِ اللهِ.

وقال الإمام المجمع على جلالته وإمامته أبو تراب النخشبي[٢] رضي الله تعالى عنه: إذا أَلِف القلب الإعراض عن الله تعالى صَحِبته الوقيعة في أولياء الله تعالى.

وقال الإمام العارف شاه أبو شجاع الكرماني[٣]: ما تعبّد متعبّد بأكثر من

[١] وعن أفضل الدين لو أن إنسانا أحسن الظنَّ بجميع أولياء الله تعالى إلا واحدًا منهم.. لم ينفعه الظنّ عند الله تعالى. (منه).

[٢] أبو تراب، عسكر بن الحصين، النخشبي (ت ٢٤٥ هـ)، شيخ عصره في الزهد والتصوّف، اشتهر بكنيته حتى لا يكاد يعرف إلا بها. وهومن أهل «نخشب» من بلاد ما وراء النهر، وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل. «الأعلام» (٤/ ٢٣٣).

[٣] أبُو الفوارس شاه بْن شجاع الكرماني كانَ من أولاد الملوك صحب أبا تراب النخشبي وأبا عُبَيْد البسري وأولئك الطبقة، وكانَ أحد الفتيان كبير الشأن مات قبل الثلاث مائة، وقالَ شاه: علامة التقوى الورع وعلامة الورع الوقوف عِنْدَ الشبهات وكانَ يَقُول لأَصْحابه: اجتنبوا الكذب والخيانة والغيبة ثُمَّ اصنعوا ما

التحبُّب إلى أولياء الله تعالى؛ لأنَّ محبتَهم دليل على محبّة الله عز وجل.

وقال أبو القاسم القشيري: قبول قلوب المشايخ للمريد أصدقُ شاهدٍ لسعادتِه، مَنْ ردَّهُ قلبُ شيخٍ من الشيوخ ..فلا محالة أنّه يرى غِبَّ ذلك ولو بعد حينٍ، ومن خذل بترك حُرمة الشيوخ.. فقد أظهرَ رَقْمَ شقاوتِه، وذلك لا يخطئ) انتهى[١].

ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في الحديث الصحيح «**مَنْ آذى لِي وِلِيًّا.. فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»[٢] أي: أعلمتُه أنّي محارب له، ومن حارب الله تعالى.. لا يفلح أبدًا.

وقد قال العلماء: لم يحارب الله عاصيًا إلا المُنكر على الأولياء، وآكل الربا وكل منهما يخشى عليه خشيةً قريبةً جدًّا من سوء الخاتمة إذ لا يحارب الله تعالى إلا [كافرا] انتهى[٣] ملخَّصًا وقد أطال في ذلك فراجعه إن شئت.

وفيما ذكرناه كفاية للمسترشدين، أعاذنا الله وإيّاهم أن نكون من المنكرين الجاحدين، وجعلنا من المحبّين الصادقين لعباده الصالحين وأوليائه العارفين، وحشرنا في زمرتهم يوم الدين انتهى كلام العارف بالله السيد محمد أمين الشهير بابن عابدين ملخَّصاً[٤].

بدالكم، سمعت الشيخ أبا عَبْد الرَّحْمَنِ السلمي يَقُول: سمعت جدي ابْن نجيد يَقُول: قالَ شاه الكرماني: من غض بصره عَنِ المحارم وأمسك نَفْسه عَنِ الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتّباع السنة وعود نَفْسه أكل الحلال لَمْ تخطئ لَهُ فراسة. «الرسالة القشيرية» (ص ١٧٢).

[١] «الرسالة القشيرية» (ص ٧٨١).

[٢] «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١/ ٤).

[٣] «الفتاوى الحديثية» (ص ٦٠٩-٦١٠).

[٤] «سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي» (ص ٤٥٦-٤٦٦).

ثم اعلم: أنّه قال المحقّق التفتازاني في «شرح المقاصد»: (الوليّ هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المُعرِض عن الانهماك في اللذات والشهوات وكرامته ظهور أمر خارق للعادة من قبله غير مقرون بدعوى النبوة.

وبهذا يمتاز عن المعجزة، وبمقارنة الاعتقاد والعمل الصالح والتزام متابعة النبي صلّى الله عليه وسلّم عن الاستدراج عن مؤكّدات تكذيب الكذابين؛ كما روي أنّ مسيلمة دعا لأعور أن تصير عينه العوراء صحيحة فصارت عينه الصحيحة عوراء، ويسمّى هذا إهانة، وقد تظهر الخوارق من قبل عوام المسلمين تخلّصا لهم من المحن والمكاره، وتسمّى معونة فلذا قالوا: إن الخوارق أنواع أربعة معجزة وكرامة ومعونة وإهانة).

كما مرّ في خاتمة رسالة علامة المحققين محمد أمين المكنى بـ«ابن عابدين» المسماة بـ«إجابة الغوث» فراجعها إن شئت، وذهب جمهور المتكلّمين إلى جواز كرامة الأولياء ومَنَعه أكثرُ المعتزلة والأستاذ أبو إسحاق يميل إلى قريب من مذاهبهم كذا قال إمام الحرمين.

ثم المُجوِّزون ذهب بعضهم إلى امتناع كون الكرامة بقصد واختيار من الوليّ؛ كما مرّ التصريح به نقلاً عما في «مكتوبات» الممدوح فراجعه.

وبعضهم إلى امتناع كونها على قضية الدعوى، حتى لو ادعى الولي الولاية واعتضد بخوارق العادات.. لم يجز ولم يقع، بل ربما سقط عن مرتبة الولاية.

وبعضهم إلى امتناع كونها من جنس ما وقع معجزة لنبي؛ كانفلاق البحر، وانقلاب العصا، وإحياء الموتى، قالوا: وبهذه الجهات تمتاز عن المعجزات، وقال الإمام[1] هذه الطرق ليست سديدة، والرضى عندنا تجويز جملة خوارق العادات في مَعرِض الكرامات، وإنما تمتاز عن المعجزات بخُلُوِّها عن دعوى النبوّة، حتى لو ادّعى الولي النبوة.. صار عدوَّ الله تعالى لا يستحقّ الكرامة، بل اللعنة والإهانة. انتهى كلام التفتازاني مع زيادة قليلة[2].

[كرامات العارف محمود أفندي قدّس سرّه]

الكرامات التي ظهرت عن الممدوح وتليت من طرفه في بعض مكتوباته [المرسلة] إلى خليفته الشيخ محمد ذاكر حضرة الچِسطاوِي قدّس الله أسرارهما هذه بعبارتها:

(ثم اعتبر بما ختمنا الكتاب به من أوّله إلى آخره مما شاهدنا في أنفسنا لعلّكم تعقلون أي: فتفرّون عن محبّة الأحوال، وتشكرون على ما فيكم من الإفضال بفضل الله المتعالي.

فاعلم: أنّي رأيت في ابتداء أحوالي يومًا من الأيام في حالة اليقظة، وأنا قاعدٌ متذكّرًا ومتفكّرًا ومتوجِّهًا إلى المطلوب جلَّ شأنه، شخصيْن كريمين؛ كالملائكة المقدّسة المُوَكّلة لنظام عالم الملك والملكوت، ولكنهما على هيئتيْ وعلى صورتي شخصين معروفين عندي، وأنا مُحسِن الظنّ عليهما أحدُهما قائم حذاء كتفي الأيمن والآخرُ داخلٌ في جوفي يجري ويسري من

[1] إمام الحرمين الجويني في «الإرشاد».

[2] «شرح المقاصد» (٥/ ٧٣).

لطيفةٍ إلى لطيفةٍ ومن جوفٍ إلى جوفٍ وعن عَظْم إلى عَظْم كذلك[١] في جميع أجزاء البدنِ لكنّه في بطني يريد[٢] التحليةَ والتصفية ويهيّء منزلاً أو مقامًا لنزول شخص كريم كلّما يأخذ من بَطْني شيئًا من الرذائل يُعطيه إلى القائم منهما الذي مرَّ ذكرُه حتى وصل إلى تحت الروحِ الذي يقابله الروحُ، ولكنَّه خارج عن دائرة لطيفة الرّوح، كأنّ فيها جوفًا معنويًا أو مقامًا ينتهي إلى العَصَبِ المتّصل إلى عَظْم الفَخذ الأيمن من مفاصلي الذي هو مَخزَن المقتضيات والشهوات فأخذ من ذلك المقام مكاتيب مفتوحة منتشرة وهو يَطْويها كطيّ السّجل الطويل.

ولمّا رأيت المكاتيبَ.. رأيت ما كُتب فيها، ولم أقدر على قراءته، بل لم أقدر أن أفرّق حرفًا من حرف، فجاء بها مِن بين الروح والقلب إلى فوق السّرّ، فأخرَجَها مطويّةً من جوفِ كتفي الأيسر الواقعِ بين العُنُق والكتفِ، فأعطاها إلى الشخص القائم ثم غابا عن النظرِ فوجدتُ في نفسي حالةً مغايرةً لأحوال البشر، كأني لا عاقل ولا مجنون ولا حيّ ولا ميّت ولا نائم ولا يَقظان، ولم أكن محتاجًا إلى ما يحتاج إليه البشر؛ كالأكل والشرب والنوم والراحة وغيرها، ولم يَصدُر منّي شيءٌ منها، ولم أباشر إليه[٣] ولم يقع بالاقتضاء والاعتناء إلى مدة سبعة أيام، وفي تلك الأيام وجدت صورتي مغايرة عن صورة البشر ومن صورتي الأصلية وأوضاعًا شتى وأوصافاً لا يُوصف بها البشر، كأنّ كلَّ الحوادث يحدث منِّي بإحداثي ويفنى مني بإفنائي ولكن لا بإرادتي ولا باختياري.

ثم بعد سبعة أيّام وجدتُ في نفسي بعضَ أوصاف البشر، وأيضًا وجدتُ

[١] أي: يسري. (منه).

[٢] أي: كأنه يريد... إلخ.

[٣] راجع إلى قوله: (ما يحتاج إليه).

فيها علومًا ومعانيَ ملأ سَعَة الخيال؛ كأنّها تتموَّجُ كالبحر، ولكن لا أَقدِر لإظهارِها وإخراجِها؛ كالصبيّ الذي يريد التكلّم ولا يَقدِر، وكمن بحت نطقه وهو يقتضي التكلّم ولا يقدر، ما لقيت في تلك الأوقات شيئًا حيًّا كان أو جمادًا مؤمنًا كان أو كافرًا إلا رأيته عزّ وجلّ معه ولكنّه بلا كيف، ولم يَطّلِع أحدٌ على حالي من الناس ولم أُظْهِره إلى أحد أيضاً، غيرَ أنَّ شخصًا[١] من المرخَّصين في هذه الطريقة مع أنّه مُتَّهم بين الناس ببعض الكبائر لمَّا رآني.. خاطَب إليّ وقال: لم لا تقول: أنا الحقّ وأنا كنتُ مغلوبًا بحالي لم أطلع عليه ولم أَجُل في ذلك الحال.

ثم فهمتُ أنَّه أدرَك منِّي شيئًا من الأحوال أو أنطقَه الله تعالى بالاتّفاق، ولم أجد في تلك الأوقات في نفسي وَجْداً ولا لذّةً سواء كان في السلوك والأحوال أو في الأعمال الظاهرة، ولكنّي عليها بالاستقامة بلا شوق ولا لذّة ولا مشقّة؛ كحركة الجماد أي: هكذا كنتُ إلى سَنَة، ثم بعد سنة أو أقلَّ منها، رجعت إلى أحوالنا القديمة بتمام صفات البشرية، ولوازمِها وزال عنِّي هذا الحالُ يعني ولم يستعلِ عليّ، ولكنَّه باقتداري وأنا استعليتُ عليه أي: كلّما لزم وطلبته.. وجدتُه بلَا تخلُّف يذكر اسم الحقّ ثلاث مرات، لكنْ لا بالاختيار، بل يُجري أوّلًا على قلبي ثم يظهر في لساني جهرًا بلا فاصلة، كأنّي صرتُ اثنيْن واحدٌ منّي بين الخلق وواحد في عالم بيضاء بلا شمسٍ ولا قمرٍ؛

[١] يقول الفقير رحمه القدير: (كنت في أوائل سلوكي يظهر لي ويرى منّي كما يظهر عليه بعض حالات من آثار الذِكر والفكر في هذا الطريق، منها: وصول رائحة البطيخ الجيد من عِرقي إلى مشامي في كلّ وقت وحين، ومنها: أنّي قد كنت أمرّ عن قريبي عبد الصمد يوز باش الزاخوري يوماً من الأيام، كان الوقت وقت الربيع ليس فيه شيء من الفواكه والبطيخات، وكان إذ ذاك رئيساً للقرية الزاخورية إذ قال: يا عثمان أفندي ما هذه الرائحة التي تمشي معك هل فيك بطيخا من البطيخات) انتهى. (منه.)

كأنّه عالم الهواء بسيطٌ من جهاته الستّ، ولكنّي قائم فيه على صورتي، غيرَ أنّها مَهيبَة بالهيبة الرحمانية المحبوبة للقلوب دون هيبة الرُعْبة، مع أنّي في الصورة[١] في قعر بيتي قاعدٌ وفي آن الميل إليها، وإلى المعنى في ذلك العَراء قائم وقاعد، والقاعد[٢] واحد يذكر اسم الحقّ فالقائم يجيء حال قيامه بلا حركةٍ، والقاعدُ يذهب حال قعوده بلا حركة؛ كأنّي أنا ذاهب إليّ وجاء إليّ حتى يتّحدَ.

والمسافة التي بيني وبين بيني المعنويّ؛ كبين السماء والأرض، لكنّها تُقطع بثلاث خَطَوَات وكلّ خَطْوة تقطع بذكر مرّة من ثلاث مرّات من ذكر اسم الحقّ، فلمّا اتّحد الأمران.. زالت الصورة الصُورِيَّة، فبقيت على صورتي القائمة في ذلك العالَم[٣] ووجدتُ حقائقَ[٤] الناس على صُوَرٍ شتّى، منهم ملك ومنهم إنسان ومنهم طيور بأصنافِها، ومنهم حَيَوَان كالقِرَدَة والخنازير والكلاب، لكنّهم في صورة البشر.

حتى إذا تمّ الحاجة من ذلك والإقبال إليه تعالى، وقُضي الأمر.. وجدتُ[٥] نفسي؛ كسائر الناس والناس على حالهم وصُوَرهم التي هو في الأعيان إلى مدّة ثلاث سنين.

[١] أي: في الواقع. (منه).

[٢] أي: والقائم كلاهما واحد... إلخ. (منه).

[٣] أي: عالم بيضاء... إلخ وإلخ. «م».

[٤] أي: بعين بصيرتي. (منه) .

[٥] أي: هكذا كنتُ إلى مدة ثلاث سنين، ثم وجدت نفسي كسائر الناس* والناس على حالهم... إلخ ثم وجدت فيّ تسليما... إلخ.(منه).

*أي: بعد ما قضى الله الأمر. (منه).

ثم وجدتُ فيّ تسليمًا وتفويضًا تامًّا إلى قضاء الله تعالى وقَدَرِه، ولكن كلّما خطرَ ببالي رجاء شيء.. انتزع منّي شخصٌ، وأنا بعينه هو أو هو عيني ليتهيَّأ ذلك المرجوّ وأسبابَه بلا قصدٍ ولا إرادةٍ منّي إليه ثم وثم وثم إلى هنا فالحمد لله على كلّ حال سوى الكفرِ والضلالِ.

ثم وجدتُ في نفسي ذِلَّةً واحتياجًا وفقرًا ودناءةً كأنّي أرذلُ كلّ شيء وأخبثُه وأكثرُهم[١] ذنبًا ومعصيةً وفسادًا كأنّي ممزوجٌ به، ولكن اعْلم أنه أقبح ولا نرغَب إليه؛ لعدم الرغبة مع أنَّه تعالى على كلّ شيء قديرٌ) انتهى كلامه اللطيف.

ثم قال قدّس سرّه أي: عقبه: (فاعتبر أيّها الأخ فالحالُ ركعةٌ مقبولةٌ مِن ذَوي الأوقات الخمسةِ أحبّ إليَّ من جميع ما ذكرْناه، إن يسّرنا الله تعالى إيّاها ولكنّها كالعنقاء ولم أجد غيرَ اسمِها نَظَرًا إلى ما عملناه، ولكنّ فضلَه تعالى رجاءُ كلِّ قانطٍ، وعمادُ كلّ ساقط، فإن تحرّكتِ الإناء المكسور المتجزّر بأجزاء شتّى الخالي عن جميع أنواع الخيراتِ ولو عَدَّه المُخلصون بحسن الظنِّ ينبوعَ الحسنات والكمالات.. يصوّت بصوت عجيب يُعجب السامعين ويتحسّر المخلصين الطالبين، ويَقْوَى إنكار المنكرين الضالّين وحسدُ الحاسدين المعانِدين، فنعوذ بالله تعالى منّي، ومن كلّ قلب لا يخشع) انتهى كلامه المنيف.

ثم قال قدّس سرّه غِبَّ ذا: (فاعلم: أنّك جديد العهد وصلتَ ما وصلتَ بلا طلب ولا رياضة قبل التصفيةِ والتخليةِ، وقبل الانشراح بتعاقب القبضِ

[١] أي: الناس. «م».

والبسطِ والابتلاء بلا تجربة ولا يقظة في مدة سنة أو أقلَّ بفضل الله المتعال، وأمثالنا بعد عشر سنين أو أكثر مع وجود جميع المذكورات.

ولا يخفى عليك أنَّ المقصود هو الله جلّ شأنه لا الكشف والوُجْدان واليقظة والواقعات والأحوال، ولو كنت من الواصلين إلى ما وصلتَ على اليقظة مع تلك الصفة المذكورة.. لهلكتَ؛ لعدم التحمّل ولَكنتَ مجنونا... إلخ والله على ما نقول وكيل وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين) انتهى كلامه الشريف.

وقال أيضا في «مكتوباته» في موضع آخرَ: (فاعلم أنّ مثل هذه الأمور ذوقيةٌ يَشْهده الذوقُ ويُقرِّبُه وإلا.. فتُنْكِره النفوسُ البشريةُ ما لم تتبدّل للعقول الملكيّة فإذا رأيتَ مثلَ هذه الأمور في الكتابة، أو سمعتَه من الأفواه لم تسأل عنه ولم تكنْ في طلبه، وسلّمْ أمرَك إلى الله تعالى، حتى تذوق في نفسك وإن لم تذقه، فاشكر الله تعالى لأنك صانك الله تعالى من ورائه جلّ شأنه.

ولهذا الفقير في هذا المقام يد يمكن أن يقول لها: يد بيضاء، ولكنها يَحرُقُها حضرةُ الذات بنار البرودة؛ كأنّها لم تكن، فالحمد لله على كلّ حال سوى الكفر والضلال، وصلّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين» انتهى كلامه ومقولاته ملخّصاً وملتقطةً من أطراف رسائله مع بعض زيادات وتصحيحات في خِلَال كلامه قدّس سرّه ظانّا منّي أنّ مواضعها وقعت غلطًا من قلم الناسخ لا منه، ومعه كنّا نصحّحه على خوف من جَنابه العلية رزقَنا الله تعالى ولجميع إخواننا شفاعتَه وشفاعة جميعِ خلفائِه أجمعين، آمين

اللهم آمين، فإن شئتَ نهاية البيان.. فعليك بالمراجعة إلى «مكتوباته» قدّس سرّه أو إلى رسالتي «تحفة الإخوان» من خاتمة الخاتمة.

ثم اعلم: أنّي لمّا وجدتُ من مقولات الممدوح قدّس سرّه ومُنْشَآته قصيدةً يائيّةً فارسيةً عجيبةً كائنةً في مقابلة قصيدة حضرة مَوْلَوِيّ جامي قدّس سرّه السّامي مكتوبةً في خطبتها بخطّه المبارك هذه العبارة بكلام منثور لمحرّره:

«در نظره مخمّس حضرة مولوى جامى عليه الرحمة كه شكوه ارعمرتلف شده و بى حاصلى اوقات ضايع كشته نموده شود اردت أن أنقل وجهها فى الكتاب تذكرةً منّى لاولى الالباب مطلعها هذا:

باچه شـورى أي دل مأنـوس هـى * خودپرستى صـورت طـاووس هى

در لـبـاس زهـد بـانـامـوسى هــى * شـهرۀ شـهرى چـو شيخ طـوس هى

طـوق كـــرده سـجـۀ قــدوس هـــي * بـت پرسـتي لـيك بـانـاقـوس هى

كـاروانــهـا رفـت تـو محبوس هــى * شيخ هـى شـياد هـي سـالـوس هى

عـالـم جـاهـل همـه خيـل بـشـر * فـرقـه فـرقـه بـرتـقـاضـاى دكـر

هـر يكـى بـر رأى خـود بسته كـمـر * كـل خـرب عنـد رأيــه مـسـتـقـر

صـوفـيـان انــدر صـفـادر كـرفـر * تـاجـوان در قـيـد كـسـب سيـم زر

بـگـذرد دوران همـه دارد گــذر * گنج هـى قـارون هـى منكوس هى

تـاج داران بـا هـمـه خيـل حـشـم * خـسـرو داراى كـيـكـاوس جم

از تقاضای طبیعت درالم * فیلقوس روم کسرای عجم
استراحة کرده برقصر عدم * ما نفعهم ندمهم عند النّدم
بشنو از صیت نفیرشان بهم * نقر هی ناقور هی از کوس هی
تا بکی ضایغ کنی أی بیخبر * تیشه الماس عقلب در حجر
زانکه از بقراط افلاطون ثمر * ز و بحلّ عقد یابی سیم زر
عقل أفلاطون درعقل عشر * و زسبك سیری شده زیر زبر
مسر بدو لاب قضا شد مختصر * عقل هی معقول هی محسوس هی
گر بعلم رسم باشی مولوی * مفتی هفتاد دوملت شوی
راه وحدت را ز برهان تقاطع میروی * نیست توحید آنچه گویی بشنوی
تا نسوزاني زروی معنوی * نفس فرعونی بنار موسوی
فرق وحدت کی کنی از مثنوی * مولوی هی مفتی هی پاپوس هی
عمر پهنجباه ساله ضایع شد شباب * عاقبت پیری زعنبر بوکلاب
زد بمشکین سنبلت سیمین خضاب * شد ز بیجا صرف کردن بیحساب
حقة لعلت تهی ازدرناب * زان دو حبشمت چار کردی از حجاب
بافرنگی شیشه ای خانه خراب * شیشه هی اندیشه هی افسوس هی
درخریف عمر أی پیر خجنده * بر هوای نفس أژدر دل مبند

زنده جادویست این یوها زند ❋ در مصافش پای اهر اسیب بند
گردن اسفندیار اندر کمند ❋ همچو سحراب نریمان چند چند
در طلسم قید تلبیس وبند ❋ سام هی بهرام هی محبوس هی
پیش سرمای طبیعت ایجوان ❋ تا نگیرد شاخ قوترا خزان
خویش را ازکام اژدر وارهان ❋ رو بجواز رستم دستان نشان
بندۀ پیر تهمتن شو ز جان ❋ زانکه ترسان گربه سان بی کمان
در نبرد کرم این شر ژیان ❋ دیوهی إبلیس هی کابوس هی
تا که باشد اژدر این دیوضال ❋ در شکنجه هچو موم امتثال
پس بهر صورت کشی بندد مثال ❋ به تراز قدسی پرد بی پرّ بال
از لجام استقامت کن عقال ❋ میکشد برقرب ربّ ذی الجلال
عین وحد ترا رساند بی مقال ❋ زاغ هی سیموغ هی طاووس هی
نظم جامی باعث سودا شود ❋ درملاحت زانکه بیهمتا شود
نظم از وی گرچه مستثنی شود ❋ امتثال بیش رود عوي شود
پیروان گر نیّر بیضا شود ❋ رسم تبعیت ازو پیدا شود
همچو محمود ست بی پردا شود ❋ دزد هی عیار هی جاسوس هی

انتهتْ.

وقال الممدوح قدّس سرّه في «مكتوباته» في موضع آخر: «إنّ صلوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم التي دَاومنا عليها وهي اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله، مما أَمَرَنا بها خضرُ عليه السلام شِفاهًا في اليقظة، وهي مفتاح جميع الخزائن، ولا يخفى أنّ تلك الصلاة إذا اشْتَدَّتْ محبّتُنا تجري على لساننا بما رزقنا الله تعالى به بلا اختيار أي: بلا إرادة بحُبِّ القربة.

ثم أَمَرَنا بكلمة التوحيد ثم بعد تلقين الشيخ -وقد مرّ بعده سِنون- أَنْعَمَ ومَنَّ علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالكلمة الطيّبة على رقعة.

ثم جرى نفسي ولساني بها بما أجراهما[١] اللهُ تعالى بها فيه، ومَنَّ علينا بها وبإجرائها في لساني بلا اختيار ولا إرادة، فكما وجدْتُ الحقائق واليقين بواسطة خضر عليه السلام وتربيتِهِ الخاصّ وجدتُهما من نبيِّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم فضلًا من الله تعالى وتقدّس، أي بواسطتِه وتربيته الخاصِّ، لكن بعد وِساطَة شيخِنا الحاج يونس أفندي قدّس سرّه حيًّا وميّتًا؛ لأنّه كان سبباً للفناء، ثم ربّاني مجدّد الألف الثاني ثم ابنه محمد المعصوم[٢] قدّس الله

[١] أي: بمدة إجرائهما الله بها فيها فـ«ما» في «بما أجراهما» مصدرية وظرفية فراجعه. (منه).

[٢] الشيخ الإمام العالم الكبير معصوم بن أحمد النقشبندي السرهندي، كان أحب أولاد أبيه وأشبههم سمتاً به، وأقربهم منزلةً إليه، وأتبعهم لسيرته، وأخصّهم بمعارفه، وأنفعهم لهم، ولد لإحدى عشرة خلون من شوال سنة سبع أو تسع بعد الألف، وقرأ بعض الكتب الدرسية على صِنْوِه الكبير الشيخ محمد صادق وأكثرها على والده وعلى الشيخ محمد طاهر اللاهوري، ولازم أباه وأخذ عنه الطريقة، وحفظ القرآن في ثلاثة أشهر، ولما توفي أبوه.. جلس على مسند الإرشاد، وسافر إلى الحرمين الشريفين فحجّ وزار، وأقام بالمدينة المنورة زماناً صالحاً، ثم رجع إلى الهند وصرف عمره في الدرس والإفادة، وكان أكثر أشغاله تدريساً بتفسير «البيضاوي» و«المشكاة» و«الهداية» و«العضدية» و«التلويح».

قال الشيخ مراد بن عبد الله القزاني في «ذيل الرشحات»، وصار ألوف من الرجال محرماً للأسرار الخفية، وتحقّقوا بالحالات السنية، بشرف صحبته العلية، حتى قيل: إنّ جميع من بايعه في الطريقة تسعمائة ألف، وعدد خلفائه سبعة آلاف، وللشيخ معصوم رسائل في ثلاثة مجلدات مثل رسائل والده متضمّنة لغوامض

أسرارهما العلية، ثم ربّاني الغوث الأعظم عبد القادر الكِيلاني قدّس سرّه، بعد تربية الله تعالى في زمان صُبُوَّتِي، ثم شيخُنا الغوث ذو الجناحين مجدّد المائة خالد شاه السُّليماني قدّس سرّه بعد تربيته في أول السلوك، ثم ربّاني غوث الواصلين بهاء الحق والدين البخاري قدّس سرّه بعد تربيته في أواسط السلوك، وكلُّها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فضلًا من الله تعالى؛ كما قيل:

وكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ * غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ[١]

تهجد أي: تيقظ يا محمد ذاكر أفندي ولا تغفُل من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم» انتهى كلامه مع زيادة.

فانظر واعتبر وما من شيء إلّا وفيه عبرة لأهلها أيّها العاشق المحِبّ للأولياء والواله الصادق للأصفياء إلى مقام القطب الرباني أبي الفضائل والمعالي الشيخ محمود أفندي الألمالي قدّس سرّه، فإنّ كثيرًا من الأقطاب فضلًا عن غيرهم لا يصلون إلى هذه التربية والمرتبة في النهايات،فكيف يصلون في البدايات؟ فهو المحمدي مقامًا ومشربًا في البدايات والنهايات، نسأل الله تعالى ولإخواننا ذلك المشرب مشربًا هنيئًا مريئًا، آمين.

ولأجل ذلك قال قدّس سرّه في مكتوب آخر المارّ وجهه في الكتاب عن

الأسرار واللطائف، أكثرها في حلّ مغلقات معارف والده المرحوم، توفي في اليوم التاسع من ربيع الأول سنة تسع وسبعين وألف (١٠٧٩ هـ) بمدينة سرهند فدفن بها، وقبره مشهور ظاهر يزار. «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (٥/ ٦٥٠).

[١] قطعة من القصيدة البوصرية.

قريب، ولهذا الفقير في هذا المقام يد يمكن أن يقول لها: يد بيضاء إلى آخر ما سبق فراجعه.

قال العارف عبد الوهاب الشعراني قدّس سرّه في «ميزانه الخضرية» ما لفظه هذا: (واعلم يا أخي: أنّ الخضر عليه الصلاة والسلام، لا يجتمع بأحد من الأمة إلّا مُعلِّمًا له ما لم يكن عنده علمٌ ولا يستفيد هو علمًا من أحد؛ لأنه غنيّ عن علم الاستنباط؛ لما أعطاه الحقّ سبحانه وتعالى من العلم اللّدني، ثم أنه لا يجتمع بأحد من المريدين يقظةً إنما يجتمع به في المنام لعجز المريدين عن الصبر على صحبته في اليقظة بخلاف كُمَّل العارفين يجتمع بهم في اليقظة، ويُعلِّمهم من العلم ما لم يكن عندهم، وأنا ممن اجتمع به في المنام حال تعليمه لي هذه الميزان، فاعلم ذلك فإنه نفيسٌ) انتهى[١].

فهذه حجةٌ بالغةٌ على كون الممدوح من أشرف أهل الأرض في زمانه، وأكمل أهل الدّهر في وقته، فلله الحمدُ على ذلك، إذ قد عُلم مما سبَق آنفًا نقلًا من مكتوباته للعارف الجسداوي قدّس سرّه، وسيعلم مما سيأتي قريبًا نقلًا من شيخِي التلاليِّ قدّس سرّه، ومن غيره من أنّه[٢] ممن اجتمع به الخضر[٣] عليه الصلاة والسلام في اليقظة وصاحَبَ معه؛ ليُعلّمه من العلم ما لم يكن عنده.

[١] «الميزان الخضرية» (ص ١٦).

[٢] راجع إلى الممدوح.

[٣] ومن العجائب أنَّ هذا خضر عليه السلام قد رأى موضع مدينة واحدة واجتاز عنها خمس مرّات وما بين كلّ خمس منها خمسمائة سنة. اعلم أنه اجتاز أوّلاً عن موضعها والحال أنّه مدينة كثيرة الأهل والعمارة ثم اجتاز عنها بعد خمسمائة سنة فلم ير في المدينة أثراً من الآثار، ثم مرّ عنها بعد خمسمائة عام فوجد بها بحراً ثمّ اجتاز بعد خمسمائة عام وقد يبس موضعُها، ثم اجتاز بعد خمسمائة عام فوجدها مدينة كثيرة الأهل والعمارة أحسن مما رآها أوّلا فسأل بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة؛ فقال: إنّها عمارة قديمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا أباؤنا كذا في «عجائب المخلوقات»، فراجعه. (منه).

[كرامات الشيخ العارف محمود أفندي نقلًا عن الشيخ التلاليِّ وغيره]

الكرامات التي للممدوح التي سمعتُها من شيخي التلالي قدّس سرّه ومن غيره ما أتلوها عليك من بعد، قال شيخي التلالي قدّس سرّه: «كان الممدوح قدّس سرّه صاحبَ كشفٍ ظاهر لا يخفى عليه شيءٌ من المُغيَّبات، وكان كشوفُه كلُّها معارفَ لا أحوالًا، ولذا لا يتطرق إليها المحو والإثبات بالتكلّم للإخوان على ما قيل: إنَّ المعارف لا تسلب وإنَّما تسلُب الأحوال؛ لسرعة استحالتها من حال إلى حالٍ، إذ هي كالثوب الذي يُخلَع ويُلبَس بخلاف المعارف، فإنّها كالذوات لا يدخل فيها محوٌ ولا إثبات، ولولا أنَّ أولياء الله يعلمون من كرمه وفضله تعالى أنه تعالى لا يسلُبُهم ما وَهَبَهم من المعارف والأخلاق.. ما وضعوها في كتابٍ ولا نَشَرُوها في المجالس؛ لأنّ أفعالَهم وأقوالَهم حينئذ تُكذِّب دعواهم» انتهى.

قال شيخنا: كان من عاداته قدّس الله سرّه، أن يُظهِر ما كُشِف له في المجلس من غيره من مريده ويَشرَع السؤال عنه، ويقول: ما رأيتَه في الحال وما ظهر لك؟ وهو في الواقع قد ظهر له قبل ظهوره؛ ليعلم الحاضرون العالمون وغيرُهم كمالَه وكمالَ مريده، وليَخرجوا عن إنكاره وإنكار العارفين غيرَه؛ إذ في إنكارهم سوءُ الخاتمة نعوذ بالله منه.

ومن بعض ما أظهره من غيره ما حكاني شيخي التلاليّ عنه حيث قال: إنّ حضرة مولانا ذا الشأن محمود أفندي وصديقَه الكريم الحاج بابا أفندي الحَنفي القاخِي قدّس الله أسرارَهما حَمَلاني مرةً إلى مقبرة قَاخ حين كَوْني

فيها، ثم أمَرَني محمود الفِعال، كريمُ الخصال أفندي قدّس سرّه بالقعود قُبالة قبرٍ واحدٍ في تلك المَقبرة وقال: اجلِسْ هناك ما ترى فيه، فَمَرَّا عنه، فجلستُ نحوَ ساعة أنظر القلبَ فانشقَّ القبرُ، فرأيتُ فيه صورة تَتَحَرَّكُ مثلَ صورة ولد الفرس، فحدّدتُ النظر فرأيت أنّها صورة خنزير تَتَحَرَّكُ وتَهَجَّمُ إليّ فأفقتُ مع خوف وأردتُ الفِرارَ عن مَقعدِي، ورأيتُ أنّهما ناظران إليّ من بُعْدٍ ضاحِكيْن منّي، ثم دعاني وأمَرَني بالجلوس عند قبرٍ آخرَ، فجلست فيه على قَدْر ذلك فرأيت صاحبه في صورتِه وفي حالٍ حسنٍ عند خالقه، رزقنا الله تعالى إيَّاه في دار القَرار بالنبيّ وآله الأطهار.

ثم دعاني وسألني عن أحوالهما وقال: كيف رأيتَ صاحبي القبريْن وحاليهما؟ قلت: إنّ صاحب القبر الأوّل رأيتُه كذا وكذا، فمن أجل ذلك كنت أَفِرُّ عنه فرارَ رُعْبٍ، وصاحبَ القبر الثاني رأيتُه في حال حسن رفع الله درجتَه وأفاض علينا من بركاته، وسائرُ أهل المقبرةِ رأيتُهم كذا وكذا كما في العرصات؛ إذ كنتُ نظرتُ عند ذلك جميعَ أحوال أهل المقبرة وإن لم يأمرْني بذلك وكَشَفَني تعالى أحوالَهم، إذًا رفع الممدوح قدّس سرّه يدَه اليمنى المباركة، وضَمَّ أصابعَها وقال: اُسْكُتْ ولا تُجِبْ إلا على ما سألتُه عنك، وإلاّ فأضرب هذه اللَطمة على وجهك، فمن ذلك ختمت على فَمِي خاتمَ الإمساكِ مما أبرزه الله تعالى من الأحوال والكشوفات.

ثمّ قال الممدوح قدّس سرّه: يا ولدي يتيم أحمد، إنّ صاحب القبر الأوّل كان يعمل في الدنيا الخبائثَ والقبائحَ من الزنا وشرب المسكِر والسَرِقَة وترك الصلاة، فذلك جزاؤه، وأما صاحب القبر الثاني.. فكان صاحبَ

عمل حسن وتقوى، ومن المعلوم: **لا ينفعُ الإنسان في قبره إلا التّقى والعملُ الصالح** فذلك حاله وجزاؤه عند ربِّه؛ لأنّ كلَّ أحد يحشر ويجزى في القبر وفي العَرَصات على حَسَب عمله في الدنيا إن خيرًا.. فخيرٌ وإن شرّا.. فشرٌّ انتهى حاصل كلامه واللفظ لي.

وأيضًا مما أظهَره عن غيره ما حكاني شيخي التلاليّ قدّس سرّه عنه حيث قال: إنّ الممدوح قدّس سرّه يومًا من الأيّام حَمَلَني وأصحابي إلى قرية قَنْدَرْغَه لإجابة دعوة رجل من تلك القرية وكان ممتحنًا لِولايته ومُنكِرًا عليها، وقد دعاه لأجله ونحن لا نَعرِف.

وأما الممدوح قدّس سرّه.. فكان يعرِفُه ويراه من حين قيامِه من مَنزله لحدة نَظَره قدّس سرّه، فلمّا وَصَلْنا منزلَه ودارَه.. تقدّم الممدوح ودخل البيت وخلفه أصحابي قد دخلوه وأنا كنتُ خلف كلّ منهم، إذ وقع بصري على سطح البيت فرأيت نارًا عظيمةً تخرُجُ عن ثُقْب في وسط السطح فَعَلَى خوفٍ منها وقفتُ عن الدخول إلى البيت على الباب، وعن زمانٍ قليل دعاني الممدوح قدّس سرّه وقال: يا ولَدِي يتيم أحمد ادخُل، قلت في نفسي: كيف أدخل إذ النار تخرج على هيئة عظيمةٍ، ثم دعاني ثانيا فدخلتُ سمعًا وطاعةً، ولكن على قَلَقٍ من النار، ثم قال قدّس سرّه وكان وقتئذ قائمًا مع جميع أهل المجلس: عجبًا منك لِمَ لا تدخل مَعَنا وتَقفُ على الباب؟ قلت: أيّها الشيخ إنّ من ثُقب السطح كان يخرج نار عظيمةٌ، وظننْتُ أنَّها قد مسّتْ إليكم فمِن أجل ذلك وقفتُ على الباب ولا أدخُلُ، ثم قال- وسأل عنّي بعد ما سأل عن أصحابي، ولم يَخرجْ منهم الجوابُ- الآن ما ترى هنا؟ وكنت أَرَى

بعد دخوله صورةَ جاموش أمام الشيخ بعينِ رأسي، قلت: أرى الآن أمامك صورة جاموش، صفتُه كذا وكذا.

ثم قال قدّس سرّه: أيّها الأولاد ارفَعوا هذا المفروشَ فرفَعوه والألواحَ التي على ثقب البئر الذي تحته، وكان تحته حُفْرَة وأخرجوا عنها رأس جاموش على صفته الموصوف ولحمه، وكان الداعي سارقا قد سَرَقَ الجاموشَ وذَبَحَه وألقاه إلى هذه الحُفرة لامتحان الوليّ المدعوّ الممدوح، ثم إنه نظر إلى الداعي وكان في المجلس حاضراً وقال: أيها الغلامُ تَمْتَحِنُنِي، وهل يليق لك مثل هذا الأمر الشنيع ألَا تخاف من الله الملك الجبّار؟! انتهى مراد ما قال والعبارة منّي.

قال شيخي التلاليُّ: إذًا وقع منه على أهل المجلس هيبة عظيمة وبكاءٌ كثيرة.

وأيضًا مما أبصره عن غيره ما حكاني شيخي التلاليُّ عنه، وذلك أن حضرة مولانا محمود أفندي قدّس سرّه كان جالساً في ليلة مع سيد أحمد أفندي الكوينيكيّ في بيته في أَلْمالُو، وكان يقول له: إنّي كنتُ جئتُ من قَزَان بإشارة خالد شاه السليماني؛ لإرشادِك ولحاجِ بابا أفندي القاخِيّ فقط، وأما الآن.. فأرى أنّ غيرَكُما يَسبِق عليكما في هذا الطريق، فوقع من ذلك القول في قلبه مَنْ يَسبقُنا فيه، قال لي: ولد في قرية قاخ ساكن في العُزلة، إن شئتَ.. أدعوه إلى ساعة فأُبصِرَه إليك، فدعاني بالحال إلى أَلْمالُو لديه قائلًا: أيّها الوَلَد أريدك تحضر على ساعة لديّ قال شيخي التلالي قدّس سرّه: كنتُ في قاخ في مَنْزِلي إذًا جاء صوت مولانا محمود أفندي قدّس سرّه يدعوني لَدَيْه

إلى ألمالو، وعرفتُ أنّه صوتُه، إذ وقتئذ كنتُ أتميَّز الدعوات الرحمانيةَ عن الشيطانيةِ، فالحمد لله على ذلك، فقمتُ على ساعته على قصد الإجابة.

وشرعْتُ الطريقَ ووصلْتُ الدهليزَ بعدما توضّأْتُ بوضوء أكبر على ماء فوق القريةِ، وقرعْتُ بابَه إذًا جاء الشيخ ففتح البابَ قائلاً: هل جئتَ يا ولدي يتيم أحمد قلت: جئتُ سمعاً وطاعةً فداك أبي وأمي فذهَب أمامي منزلَه فدخَل هو الخانَ ودخلتُ خلفَه فرأيتُ أنَّ سيد أحمد أفندي المذكور جالسٌ في بيت الشيخ بَيْدَ أنِّي على رُعْبٍ عن طرفِه ماذا يقول لفعلي هذا أي: لمجيئي ليلاً إذًا سأل الشيخ عن سيد أحمد أفندي انظر إلى ساعتك ما مضى فيها عن الزمان بعد ما وقع التحدّثُ عنه قال: مضتْ ساعةٌ واحدةٌ فعنه عرفتُ أنّه قد دعاني؛ لتقويةِ قولٍ وقَع في المجلس، فاطمأنَّ قلبي بذلك.

ثم وَقَفْنا فيه مقدارَ ما وقفْنا أي: إلى إذنه قدَّس الله سرّه العزيزَ، وعن زمان قمنا بإذنه للذهابِ، ثم سأل عنّي هل تَرْجِع في هذه الليلةِ بلا توقّف إلى منزلك قَاخْ قلتُ: إن أَذِنْتَ أريد الإيّابَ إليها بلا توقّفٍ فقال: اذهَبْ فخرجْنا مع سيد أحمد أفندي إلى الدهليز وعنده حين المصافحةِ للافتراقِ معه قال: «يا ملا أحمد أأنتَ جئتَ صدقاً في هذه الليلة من قَاخْ؟ قلتُ: عجباً منك أَوْقَعتني في ليلة ظلماء هذه على مشقّة ترى ومعه تُنْكِرني وتُكذِّبني ولا تعترف إليّ جزاك الله تعالى خيرَ الجزاءِ، فعليه افترقْنا ذهَب هو إلى جهة أَغَ مسجد الكائن في أَلْمَالُو وأنا إلى مَنْزِلي في قاخ، جَمَعَنا الله تعالى يوم الجمع مع جمع عظيم مُشْتَهَرٍ في مقعد صِدق عند مليك مقتدر، آمين اللهم آمين.

يقول الفقير: وأنا ذهبْتُ من لَكِيتِ إلى تَلَهْ في اليوم الموعودِ حين تجلّاني الله تعالى بتجلّي السمعِ لنداء شيخي التَّلَالِي من تَلَهْ إلى وَعدٍ؛ كما ذهَب هو إلى نداءِ شيخِه من قَاخِ إلى أَلْمَالُو وأعطَانِي وقتئذ نسخةَ مراقبةِ القلبِ بعدما توجّهني توجّهاً تامّاً ونصحَني نصحاً عامّاً، فالحمد لله على كلّ حال سوى الكفر والضلال.

وسمعتُ من فم شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه: أنّه قد أُذِن لحضرة مولانا ذي الشأن محمود أفندي قدّس سرّه أيضاً أي: كما أُذِن له ظاهراً من حاج يونس أفندي اللَّلَالِي قدّس سرّه أُذِن له من خضر عليه السّلام حين ملاقاتِه معه، وقد أمَر له وقتئذ في اليقظةِ شِفاهاً بالصلوات المعهودة بيننا وبكلمة التوحيدِ؛ كما مرّ التصريح به في آخر الكراماتِ التي كُتِبَت عن طرفه في «مكتوباته»، فراجعه. ومن روحانيات سائرِ المشايخ العظام قدّس الله أسرارَهم باطناً؛ كما مرّ في الكتابِ[١].

وأنَّه كان ذا يدٍ قويّةٍ وأنّه كان قطباً وغوثاً وأنَّه متى أراد المصافَحةَ مع نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام ومع خضر عليه السّلام ومع المجدِّد [محمد][٢] خالد شاه السُّلَيْمَاني قدّس سرّه كان يَقدِر على ذلك وعلى رؤيتِهم على اليقظة، رفَع الله درجتَه ورزَقنا من شفاعتِه، آمين، سمعتُ عنه ما ذُكِر ومعي وقتئذٍ في مجلسِه في بيتِه جمٌّ غفيرٌ من علماء أجلّاء صلحاء من قرية تَلَهْ ومن قرى متفرِّقةٍ.

---

[١] في (ص ٢٩٤).

[٢] والصحيح أنّه خالد بن أحمد بن حسين على ما أثبته العلامة عبد الكريم المدرّس رحمه الله، والزركلي وعمر رضا الكحالة وغيرهم. «مولانا خالد النقشبندي المجددي» (ص ٧٩).

وسمعتُ عن غيره من أهل المحبّة والله تعالى أعلم: أنّه كان يقول: إنِّي حين كنتُ في قَزَانْ أرى نبيّنا عليه الصلاة والسلام بعين الرأسِ في اليقظةِ، وأما بعد مجيئي إلى هذه الديار.. فلا أَقدِر أن أراه إلا بعينِ البصيرةِ، رفَع الله درجتَه وأعاد علينا من بركاته، آمين باسم مَن تبارك وتعالى حمداً له وصلاةً انتهى.

اعلم: أنّه كتَب في مناقب الممدوح أفضلُ خلفائه في وقته وأكملُ مرشديه في زمانه الشيخ حاج جبرائيل أفندي الزاخُورِيّ ثم اللَّكِيتِيّ قدّس سرّه ما لفظه هذا: «كان مولانا ضياء الدين حضرة ذو الشأن محمود أفندي قدّس سرّه يُصاحِب في كلّ وقت في يقظةٍ مع خضر عليه السّلام؛ كما هو مشهورٌ عندنا، لم يكن مثلُه بعد الصحابةِ[١] ومن يعرف أوصافه يقول هكذا» انتهى كلامه اللطيف.

ثم اعلم: أنّ ذلك القول منه في حقّه إما مبالغةٌ جائزةٌ وقعت من زيادة المحبّة عليه؛ كما وقعت تلك المبالغة من السّلفِ في حقّ مشايخهم كما لا يخفى لمن يُراجع مناقبَهم في رسائلهم، وإما واقعٌ في موقعه وموضعه ليس بمبالغة؛ لقوله عليه الصلاة السلام: «**مَثَلُهُمْ** أي: مثل الأولياء **كَمَثَلِ مَطَرٍ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ أَوْسَطُهُ أَمْ آخِرُهُ**»

[١] أقول: «لو قال قدّس سرّه بعد الصحابة والتابعين كالأئمة الأربعة.. لكان أولى وأظنّ أنَّ مرادَه يكون ذلك من ذلك، وإلا.. فلا يلائم لما سيأتي عن الإمام الرباني: ينبغي أن لا يفضّل شيخَه على قومٍ قد تقرّر أفضليّتُهم في الشرع، فإنّه إفراطٌ في المحبّةِ وهو مذمومٌ» انتهى ملخَّصاً على المرام. (منه).

الحديث[١] ولا يعارض به حديث: «**خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي**»[٢] إلى آخره؛ لأنّه عامّ مخصوصٌ بذلك[٣].

وكتب في نظير هذا المقام علامة العصر الأخير محمد مراد المَنْزَلِوي القَزَانِي في «ترجمة الرشحات» ما يؤيّد به ذلك، عبارته: (قال حضرة شيخنا قال مولانا ركن الدين الخافي: «بداية الشيخ بهاء الدين عمر نهاية الشيخ ركن الدين علاء الدولة» فنقلت عنه هذا الكلام عند الشيخ خواجه فَضل اللهِ أبي اللَّيْثِيّ فغضِب كثيراً واستبعد ذلك ولا دليلَ له على استحالة ذلك، بل قوله صلّى الله عليه وسلّم: «**مَثَلُ أُمّتي مثل المطرِ**» الحديث دليلٌ لجواز ذلك، وقد نقل عن الخواجه بهاء الدين النقشبندي قدّس سرّه أنه قال: «بداية بهاء الدين نهاية أبي يزيد البسطامي»).

ولا شكَّ أنَّ كلامَ حضرة الخواجه لا يكون بلا وجهٍ وبلا دليل، وإنَّما الباعث على استبعادِ بعضِ الناسِ ذلك المعنى هو حسنُ العقيدةِ في حقّ

[١] أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٨٦٩) بهذا اللفظ: «**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المَطَرِ لا يُدْرى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**».

[٢] أخرجه البخاري في «جامعه» (٢٥٦٢) بهذا اللفظ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**».

[٣] قال قطب العارفين وغوث الواصلين مولانا أبو سعيد الخادمي قدّس سرّه في شرحه على «الطريقة المحمدية»: وخرّج مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنّه، أي الشأن سأل رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلّم: أي الناس خيرٌ عند الله وأعلى مقامًا؟ قال: **الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِمْ**، وذلك قرن الصحابة الكرام (**ثُمَّ الْقَرْنُ الثَّانِي**) وهو قرن التابعين، والتابعي من لقي الصحابة، (**ثُمَّ**) القرن (**الثَّالِثُ**) تابع التابعين، وهذا تفضيل لمجموع القرن، فلا ينافي أنه قد يُوجد في بعض القرون من الأفراد من لا خيرَ فيه، ولحديث: «**أُمَّتِي كالمَطَرِ لا يُدْرى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**» انتهى ملخّصًا على المرام.

ثمّ اعلم: أني قد كنت كتبت في هذا المقام ما كتبته وشرحته فيه ما شرحته من قِبَلِي قبلَ أن أصادف إلى شرح هذا الفاضل في شرح هذا الحديث، ثمّ لمّا وُفِّقت رؤيته، ووجدت رأيه موافقاً لرأيي في شرح هذا المقام، حمدتُ الله تعالى حمدًا كثيرًا على موافقة رأيي على آراء أمثاله. (منه).

السلفِ لا غيرُ، فإنَّه بالنظرِ إلى الحديثِ المذكورِ ومشاهدة ظهور الكمالاتِ من أكابر المتأخِّرين لا وجهَ للاستبعادِ، وليس جميعُ السلفِ والمتقدِّمين مفضَّلٌ على جميعِ الخلقِ والمتأخّرين» انتهت[١].

وإن شئتَ نهايةَ البيان بعد العَيانِ.. فراجعه من مناقب مولانا السيّد حسن رحمة الله تعالى عليه.

[الرابطة إلى الشيخ أحمد التلالي]

ومن هذا المقامِ يُعلَم قَباحَةُ استعجابِ واستبعادِ بعضِ الناسِ أَمْرَنا للسالكينَ بنا بإقامةِ شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه في الرابطةِ أمامَ جبهتِهم دون محمود أفندي قدّس سرّه كما أَمَرَنا به قريبَ ارتحالِه، وفي يسار شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه حضرة مولانا محمود أفندي قدّس سرّه دون مولانا خالد قدّس سرّه عكس ما يُؤمَر به إلى الآن خلفاء محمود أفندي قدّس سرّه من أمرهم للسالكين بهم بإقامة محمود أفندي قدّس سرّه أمام جبهتِهم وفي يمينه حضرة سيد الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام وفي يسارهِ حضرة مولانا خالد قدّس سرّه على أنَّ هذا الأسلوبَ أسلوبٌ جاء ونشأ من محمود أفندي قدّس سرّه[٢] ومن بعده من خلفائه قدّس الله تعالى أسرارَهم لا مِن غيرِهم من المشايخ المتقدِّمين؛ كما دلّ عليه ما في رسائلهم من الأمرِ بأخذ السالكِ شيخَه في الرابطة فقط لا غيرُ.

[١] «رشحات عين الحياة» (ص ٤١٥).

[٢] أي: أمر بذلك مراعاةً لمصلحة إيقاع الهيبة والخشية في قلوب المحبّين، إذ لكلّ وليّ عرفًا يراه حسنًا، فراجع. (منه).

وقد بسطتُ الكلامَ عليه في رسالتِي من التصوّف «تحفة الإخوان» فراجعه، فليس ذلك الاستعجاب والاستبعاد من ذلك البعض في موضعه، فراجع وحرّر.

ومع هذا دليلي على أمرنا بذلك سوى السمع عن الشيخ الذوقُ والمشاهدةُ فلا أتعجّب ممن ليس له يدٌ وقوّةٌ في هذا الطريق؛ إذ لا عيبَ له فيما قاله وتكلّم به؛ لما قيل: «مَن لم يذق.. لم يعرف»، بل أتعجّب غايةَ تعجّبٍ عمّن له قوّةٌ في الطريقِ وقدرةٌ في السبيلِ، بل له إذنٌ من السّاداتِ ومع ذلك يتكلَّمُ؛ كمن ليس له أثرٌ من هذا العلمِ الباطنِ، ولا يَعتقدُ قول القائل: إنَّ الشيخ التَّلَالِيَّ قد أمَرني بأخذِه في الرابطةِ أمام الجبهةِ إلى آخرِ ما قاله، ويَنسِب الكذبَ إليه فيما قال ولا يعرف إلى أين يَرجعُ المآلُ، فالعياذُ بالله ثم العياذ بالله مِن سوء الظنِّ في الصالحينَ وفي إخوانِه المسلمين.

وكذا دليلي على أمري للسالكين بنا بإقامة شيخي التلالي قدّس سرّه في الرابطة أمام جبهتهم أنَّ الممدوح قدّس سرّه قد مدَح شيخِي التَّلَالِي قدّس سرّه عند معاصريه غايةَ المدح في مَجالسه، وأراهم قوّتَه في الطريقِ، وقال: لا فَرْقَ الآن بيني وبينه في المقام والدرجة ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ كما بيَّنتُ بعضَ ما قاله في حقه في أثناء رسالتي هذه[١].

وكذا قال في حقّه حين أَرسله الرّوس إلى سِبِرْ ما مراده هذا :إذا أرسل يتيم أحمد إلى سِبِر مَنْ بقي الآن في ولايتنا كُرْجِسْتان... إلى آخر ما قاله، فما

[١] على حسب ما يقتضيه المقام. (منه).

المانعُ من الأمر بإقامة شيخي[١] التَّلاكِي قدّس سرّه أمام جبهة[٢] السالكين وفي يمينه خاتَم الرُّسُل والأنبياء محمد عليه أكمل التحيّات وأشرفُ التسليمات وفي يساره جدّي[٣] غوثُ زمانه محمود أفندي قدّس سرّه، على أن لكلِّ ولي عُرف يراه حسناً؟!.

نعم: لا يجوز الرابطة في زمن المرحوم مولانا خالد[٤] إلى زمن محمود أفندي إلا إليه وفي زمن المرحوم مولانا محمود أفندي إلى زمن المجدد المائة الرابعة شيخي التَّلاكِي إلا إليه وفي هذا الآن لا يجوز الرابطة إلا لمولانا وشيخنا؛ لكونه شيخ الرابطة قدّس الله تعالى أسرارهم ونفعنا بميامن أنفاسهم، آمين اللهم آمين.

ومن المعلوم: أنه ليس في كتب السلف أمر يُخالِفُه ولا قولٌ لا يجوز العدولُ عنه إلى غيرِه، بل مأمور كتبهم ما سبق مِنْ أخذ السالك في الرابطة شيخَه[٥] فقط لا غير.

ولا دليل ظاهر على فضل أحدهم على الآخر، ولا يجوز الاعتماد على أقوال مريدي المشايخ في حقِّهم؛ لصدورِها عنهم من كثرة المحبَّة إليهم، فلا عيبَ لهم بذلك؛ لأنّهم معذورون في ذلك، وكذا لا يجوز الاعتماد على قلّة المناقب وكثرتها لأقاويل مختلفة، بل ولعدم إفادتها القطعَ بذلك، والله أعلم.

[١] أي: في ذهنه.

[٢] في الأصل: «جبهته».

[٣] أي: في طريقة النقشبندية الخالدية. (منه).

[٤] أي: لكونه شيخ الرابطة في زمنه وكذا الباقِيَيْن فراجعه. (منه).

[٥] أي: شيخ الرابطة لا مطلقًا. (منه).

ومما يؤيّد مقولي هذا أيَّ تأييد قولُ العلامة محمد مراد المنزلوي القزاني في تذييله للرشحات، عبارته: (وقال في بعض «مكتوباته» في جواب سائل سأله عن فضل الإمام الرباني على الغوث السبحاني الشيخ عبد القادر الجِيلَانِي قدّس سرّهما وعن عكسه: إنَّ الفضل على قسمين جزئيٍّ وكلّيٍّ، ومن الظاهر أن السؤال ليس من الفضل الجزئي، ومَناطُ الفضل الكلِّيٍّ زيادة القرب الإلهيّ، وذلك أمر باطنيّ لا مدخل للعقل في هذه الأمور.

والقدر الممكن سؤالُه قِلَّةُ المناقب وكثرتُها ويمكن إدراكُ المطلوب بذلك، لكن لا مجالَ للقطع والنقلُ عبارة عن الكتاب والسنة وإجماع الأمة في القرن السابق، ووجودُ هذين الشخصين متأخّرٌ من زمان ورود الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فالأصولُ الثلاثة الشرعية ساكتة عن هذا، والكشف محتمل للخطأ لا يكون حجّة على المخالف.

وأقوال المريدين لا تخلُو من غلوّ المحبّة لمشايخهم فهي ساقطة عن الاعتبار، وليس في نظرنا صاحبُ كشف يحيط بكمالاتهما ويحكم جزمًا بالفضل الكلّي لأحد الطرفين، فالطريقُ الأسلم تفويض هذا الأمر إلى العلم الإلهيّ والسكوت عن هذا الفضول، والإقرارُ بفضائلهما وعدم تحريك اللسان ملازما للأدب، فإن هذه المسألة ليست من ضروريات الدين حتى يكون التكلّم فيها ضروريا.

وقال أيضا في جواب من سأل عن ذلك جواباً شافياً: (إنَّ كلًّا منهما مرشدِي وهادي إلى الطريق وغمامي رحمةٍ إلهيةٍ يُمطِران على الفقير،

ويكفي لإرواء أحدهما ولا أدري أيّا منهما أقرب إلى السّماء) انتهى عبارة «التذييل لـلرشحات»[١].

قال الإمام الربّاني قدّس سرّه في ترجمة رسالة «المبدأ والمعاد» ما لفظه هذا: (ومنها نحن كنّا أربعة أشخاص في ملازمة شيخنا وكنّا ممتازين من بين الإخوان عند الناس، وكان لكلّ واحد منا بالنسبة إلى شيخنا اعتقاد على حدة ومعاملة خاصّة، وعلمُ الفقير يقيناً أن مثل هذه الصحبة والإجماع، وشبه هذه التربية والإرشاد لم يوجد بعد زمانه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أصلاً، وشَكَرْتُ الله سبحانه حقَّ شكره على هذه النعمة العظمى، حيث إنّي وإن لم أتشرّف بشرف صحبة خير البشر صلّى الله تعالى عليه وسلّم لكنّي لم أكن محروماً من سعادة هذه الصّحبة.

وقال حضرة شيخنا في كلّ واحد من هؤلاءِ الثلاثةِ: إن فلانًا يراني صاحبَ تكميلٍ ولا يراني صاحبَ إرشادٍ، وكان مرتبةُ الإرشاد عنده فوقَ مرتبة التكميل، وفلان ليس له شغل بنا، وقال في حقّ الآخر: إنّ له إنكاراً فينا ونال كلُّ واحد منّا نصيباً على قدر اعتقاده.

ينبغي أن يعلم أنَّ اعتقاد المريد أفضليةَ شيخه وأكمليتَه من ثمرات المحبّة ونتائج المناسَبة التي هي سبب الإفادة والاستفادة، ولكن ينبغي أن لا يُفضِّل سيخَه على قوم قد تقرّر أفضليّتُهم في الشرع، فإنه إفراط في المحبّة وهو مذمومٌ.

[١] «التذييل لـلرشحات عين الحياة» (ص ٥٦١).

وقد كانتْ خَرابِيَّة الشيعة وضلالتُهم من جهة إفراط في محبّة أهل البيت، واعتقد النصارى عيسى عليه السلام إلهًا من إفراطِ محبّتهم إيّاه ووَقَعُوا في الخسارة الأبديّة.

وأما إذا فضَّل شيخَه على من سواهم.. فهو جائزٌ بل هذا واجب في الطريقة، وهذا التفضيل ليس باختيار المريدِ، بل لو كان المريد مستعدًّا يظهر فيه هذا الاعتقادُ بلا اختيار منه فيكتسب كمالات الشيخ بواسطتِه، فلو كان هذا التفضيلُ باختيار المريد وبالتكلُّف.. فهو غيرُ جائزٍ ولا يُنتِج شيئًا) انتهى.

[الكرامات التي رويت عن غير شيخي التلاليّ]

ومما سمعتُه عن غير شيخي التّلالي ما نقلته من أفواه ثقات زمان الممدوح قدّس سرّه العزيز، وذلك أنّه رضي الله تعالى عنه وُلِدَ تخمينا في (١٢٢٥هـ) سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين في قرية أَلْمَالُو وهي قريةٌ على أسفل نهر كُورْمُوك الجاري من أودية إِيلِيسُو وسروباش[١]، كما مرّ بيانُها في أوّل الرسالة تحت قول الناظم: (اسمه محمود يؤيد فحوى)... إلخ، فراجعه[٢].

كان الممدوح قدّس سرّه في شبابه محرّر الدانيال سلطان وقريبه حاج أغا بيك الإيليسُويَّيْن، وكان ذا فطنٍ ومهارةٍ، وكان عالماً يعلم علم الكيمياء، ومع ذلك أخذ من يد شيخ الوقت في ديارنا الشيخ حاج يونس أفندي قدّس

[١] قرية صغيرة تقع في جنوب إيران.

[٢] في (ص ٣٥).

سرّه، ووصل منه الكمال في علم القلب غيرَ أنّه بقي عن المقام المقدَّر له في علم الله الأزلي بلا وصولٍ إليه؛ لعدم قوّة مرشده المذكور إلى إيصالِه لذلك.

ثم لمّا أرسله حاكمُ الوقت إلى سِبِر ووقع نصيبُ مائه في مِياه ديار قزان.. صادَفَه هناك شيخ عظيم وولي كريم أظنّه هاشم أفندي اليمشاني قدّس سرّه؛ كما قاله محمد أفندي بن عبد الله القزاني الَمنزلويّ، وبخدمتِه وَصَلَ إلى مقامِه المقدَّر له عند الله تعالى، ولقد بَلَغَ إلينا مُعَنْعَنًا من أفواه ثقات، أنَّ محمود أفندي قدّس سرّه لما آبَ وخَلَصَ من سِبِر، وجاء إلى وطنِه، قال لبعض أصحابه وتكلَّم لديه أنّه لمّا كان في ديار قَزان ..دعاه رجلٌ من أهل الله من تلك الديار المسمى بالشيخ هاشم أفندي اليمشاني للضيافة من مسافة بعيدةٍ، فأعزّه وأكرمه غايةَ إكرامٍ، ثم لما رأى هاشم أفندي منه ما رآه[١] من فطانتِه في علم القلبِ وحِدة نظرِه في معرفة الربِّ.. أَمَرَه وكَلَّفه دخولَه تحت تربيتِه.

وقال: لَوْ خَدَمْتَنا مدةً ودخلتَ تربتَنا عِدةً.. لاطّلعتَ فوقَ ما اطلعتَ عليه الآن بفضل الله المتعالي، من أسرار المُلك والَملكوت وسَرَى روحُك من عالم الجبروت إلى عالم اللّاهوتِ، فعند ذلك أَلبسَ اللهُ تعالى لروحك خِلْعة الإيمان الحقيقيّ، ورأيتَ حقائقَ الأشياء؛ كما هي عند ربّنا الأزلي، قلتُ: سمعًا وطاعةً حُبًّا وكرامةً، ثم ردّني إلى منزِلي وأعطاني أربعينَ تمرةً، وأَمَرَني الدخولَ في الخلوة للأربعينَ والأكلَ منها في كلِّ يومٍ واحدة حين الإفطارِ مع القراءة عليها الصلاة للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مائةَ مرةٍ فبعد تمامِ أربعين يومًا قال هاشيم أفندي قدّس سرّه: أحضُرُ إليكم إن شاء الله تعالى.

[١] في الأصل: «رأيه».

ثم دخلْتُ الخلوة طِبقَ أمره فبعدَ تمام المدّة المذكورة.. حضر وجاء الشيخ المذكور إلى خلوتي، وقال قبل التوجّه لو جاء إليك حالةٌ عظيمةٌ.. لا تخف ولا تفرّق عنّي وعن رسول الله صلّى الله... إلخ.

ثم توجّه إليّ توجهًا بليغاً؛ بحيث كنتُ فانياً في الله وغائباً عنِّي إذًا جاء صوتٌ عظيمٌ؛ كصوت الرعدِ مع زمرةِ الملائكةِ وفئةِ الروحانيةِ، فأخذوني وأجلسُوني على سريرٍ نُورانيّ أخضر، ورَفَعُوني إلى السّماء الدنيا.

ثم منها إلى الثانية ثم إلى الثالثة حتى انتهيْتُ بهم إلى السّماء السّابعة ثم رفعتُ بهم إلى العُلى حتى ارتقيتُ إلى سِدرة المنتهى، وخِفْتُ وسألتُ منهم الرجوعَ، فرجعُوا بي ووَضَعُوني على الموضع الذي كنت فيه قبل هذا، وأمّا الغرائبُ التي رأيتها في منازل سَيْر الروح لا يحصيها إلاّ الله، ولكن لم أَقْبَلْ ولم أنظُر إليها ولم يسكن في قلبي إلّا الله القادر المقتدر انتهى.

فبعدَ ذلك أَجازَه شيخه هاشم أفندي اليَمْشَانِي قدّس سرّه إجازةً تامّةً وأجلسَه على بساط الإرشادِ عامّةً مع غايةِ إكرامٍ له ونهايةِ احترامٍ.

وكان الممدوحُ قدّس سرّه بعد ذلك ذا تَصرّفٍ عظيمٍ وخَوْفٍ جسيمٍ من الله تعالى حتى إذا نظر بقوّته إلى أحدٍ مّا من المسلمين أو سلطان من الكافرين، كان يصير مطروحًا، وكلُّ أعضائه مجروحًا، وإذا تنفَّس على مَنْ ينكِرِه أو أحدٍ يكرهَه كان يُغشَى عليه؛ كأنّ الموت يرمي إليه، وإذا جَرَّ نَفَسَه إليه.. كان كلّ واحد منهما يَقعُد لديه؛ كالميّتِ القائمِ مِن قبره.

وظهورُ مثل هذه الكرامات وصدورها منه كثيرةٌ وتصرفاتُه عجيبةٌ شهيرةٌ وبه أخبرَنا كثيرٌ من الثقات من رجال قريتِه الرّوات، يقول الفقيرُ: ومن المُقرَّر

عند أهل القلوب أنَّ تصحيح البدايات تدلّ على تصحيح النهاياتِ، فانظُرْ وتدبَّرْ على جلالة قدر شيخنا وجدّنا غوث الأوان محمود أفندي الألْماليّ قدّس الله سرّه ونوّر ضريحه، وجَعَلنا الله تعالى من الشاربين من بحار حوضه والسابحين في أمواج فُيُوضه بمحض فضلِ الله تعالى وجوده وكرمه وسَعة رحمته، آمين اللهم آمين.

ثم بعد ذلك بفضل الله وكرمه، رجع قدّس سرّه من ولاية سِبِرْ من نواحي الرُّوس في سنة (١٢٧٩هـ) ألف ومائتين وتسع وسبعين إلى وطنه وقريته أَلمالية؛ كما مرّ التصريح برجوعه في شرح قول الناظم رحمه الله تعالى: (وتَمنّى إيابَه قد أجيبا)... إلخ، فراجعه[١].

وصارحينئذ قطبًا للإرشاد وكهفًا للاستمداد وتعلّق بِذَيله أُلوفٌ من الناس، وذهَب بسببه عنهم جميعُ الوسواس الخَنّاس، وظهرَ عنه الخوارق والكراماتُ، وكان صاحب تصرّف تامّ وتفرّس عامّ.

قال أخونا الكبيرُ والمرشدُ الشهير شعيب أفندي الأواريّ البَاكِنِيّ قدّس سرّه في «طبقاته»: (ومن أعجبِ كمال تصرّفات الممدوح قدّس سرّه فيما تواتَر إلينا من رجال قريتِه الحاضرين في مجلسِه، أنَّه إذا قصَد إلى مجلسِه مُنكِرٌ ورآه يحضُر من بعيدٍ، كان ينظُر إليه ويرمِي نفَسَه المبارك من أَنْفه، وكان ذلك المُنكر يسقُط حينئذ كالمَغْشِيّ عليه، وكان يتركه بقدر ساعةٍ على تلك الهيئة، ثم كان يجرّ نَفَسَه من أنفِه إلى الخلفِ فيقوم المَغْشِيّ عليه من غَشَيَانِه، ثم يحضرُه إلى مجلسِه ويُقعِده قبالتَه ويُخبِره بما كان في قلبه ويوبِّخه غايةَ

[١] في (ص ١٠٦).

توبيخٍ؛ كما مرّ في القصيدةِ عند قول الناظم رحمه الله تعالى: (رُبَّ سرٍّ تجاهَه بات جَهْراً)، فراجع مع شرحه[١].

فإنّه كان في غاية من الشَجاعَةِ ونهاية من القناعةِ، كان لا يهيب من الأمراء ولا يخضع للأغنياء، وكان لا يخاف في الأمر[٢] بالمعروف والنهي عن المنكر لومةَ لائمٍ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[٣].

ومنها: ما أخبرَنا به مريدُه الثقة المأمون الحافظ يوسف أفندي الأَلْمَالِيّ وغيرُه، أنَّ الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه كان إذا جاء إلى فمِه نخامةٌ يقفُ ساعةً بلا رميِها، وكنّا قد تعجَّبنَا من ذلك مع أنَّ ذلك عارٌ عظيمٌ عندهم ونقول: يا شيخ أفندي ما حكمةُ توقّفِك بعدم رَمْيِ نخامتِك؟ وكان قدّس سرّه يقول: «أيّها الإخوان إنّي لا أَجِد مكاناً لرميْها، ولذلك أتوقّف في طردِها؛ لأنّ قبالتي روحانية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وفي جهة يميني روحانية الشيخ خالد قدّس سرّه، وفي يساري رُوحانية الشيخ شاه نقشبند بهاء الحقّ والدّين محمد البُخَارِي قدّس سرّه وكذا في حولي جماعات روحانية الأولياء قدّس الله أسرارَهم» ثم بعد ذلك كان قدّس سرّه يرفع قدمَه اليسرَى قليلاً ويرمِي بانحنائه قُربَها تحتَها ويضع قدمَه على تلك النخامةِ.

وكان هذا دأبه قدّس اللهُ سرَّه عنه في كلّ وقتٍ، فبذلك الأدبِ وصَل إلى منصبِه، وبحفظِه ارتقى إلى حَسَبِه ونَسَبِه، رزَقنا الله تعالى حفظَ الأدبِ

---

[١] في (ص ١٢٣).

[٢] كما مرّ في بيت من القصيد: صنعه، الأمرُ النهي طولُ الدهور... إلخ، فراجع مع شرحه. (منه).

[٣] سورة الجمعة: ٤.

ووصولَ الحَسَب والنَسَب، آمين يا إله العالمين ويا أرحم الراحمين.

ومنها: ما أخبرَنا به الرجالُ الثقاتُ من حُضّار مجلسِه أنَّه قدَّس الله سرّه مع بعض أُمَنائِه دُعِي للضيافةِ إلى بلدةِ نُخُو، فلمّا قربُوا إليها.. نَزَلُوا في أيكةٍ قريبةٍ إليها، وكان بعض رُفقائه يجني ثَمَراً من شجر هناك يُسمَّى بلسان الترك «يمشان» فضحِك الشيخ منه راكباً على فرسِهِ وقال: يا هذا إنَّ ملا أحمد التَّلَالِي الكائنُ في قرية قَاخْ في سلوكِه يَضحك عنك ويقول: فانظُرْ إلى ترك تأدّب هذا الفلان بين يدي شيخِه يَجني الثَمَرَ ويأكلُه فتعجَّب ذلك الجَانِي وقال: يا شيخ أفندي هل يراني مُلَّا أحمد الآن وبيني وبينه مسافة ثلاثُ ساعاتٍ للفرس الجوادِ؟ وقال الشيخ: هل أري لك صدقَ هذا القولِ؟ قال: نعم؛ يا أفندي، قال: أعطني حَبّةً واحدةً من تلك الثَمَرَةِ فأعطى ثم رمَى الشيخُ تلك الحبّةَ وقال: يا ملا أحمد خذ ما رَميتُك» ثم قال الشيخ: «واللهِ وصَلتْ الحَبَّة أنف مُلّا أحمد واحمرّ موضعُ وصولِه، وقال بعض رفقائه: ثم لمّا رجَعْنا من تلك الضيافة وصِرْنا سائِرينَ في الطريق.. عَطَشْنا كلُّنا عَطَشاً، فوصلْنا إلى عين في الطريق فقال الشيخ: أليس عندكم إناء لأخذِ الماء من العين للشرب حالَ كونِنا راكبينَ بلا نزولٍ من الأفراس فقالوا: لا، فنظر إليهم فرأى مُنْخُلاً يُنْخَلُ به الدقيق مربوطاً خلفَ فرسٍ واحدٍ منهم، فقال: خذ يا هذا ماءً بهذا المُنخل واملأه فقال: يا أفندي هل يُمْسِكُ الْمُنْخُل ماءً فقال: يمسك إن شاء الله تعالى واملأه ببسم الله والبركة، فملأ صاحبُ المنخل ذلك المنخلَ بالماء من العين، ولم يقطر منه قَطْرةٌ، حتى رَوِيَ الجميع من الرفقاء مُبتدئاً من الشيخ، ولمّا تَمَّ النوبةُ وروَوْا.. انصَبَّ الماءُ بَغتةً وما بقي في المنخل لحظة ولو شيئًا قطرةً.

وكان صاحبُ تلك الحبّة المرمية إلى ملا أحمد عاشقاً إلى وصولِه؛ ليستخبره عن حقيقته وحقيّته فقال: لما رَجعْنا من الضيافةِ، وَصلْتُ إلى قرية قاخ فأسرعْتُ في الوصول إلى ملا أحمد، ثم لمّا اطّلعتُ عليه من كوّة حُجرتِه.. ناداني قبلَ أن أتكلَّم يا دَنِيَّ الهمّةِ يا مُنكِرَ المشايخِ ألا تعلمُ أنَّ كرامات الأولياء حقٌّ ؟! فنظرتُه فرأيتُ موضعَ وصول تلك الحَبّةِ من الأَنفِ محمرّاً، ووجدتُ تلك الحبّةَ محفوظاً في يده مستقرّاً وقال: «يا هذا إنّ الحَبَّةَ التي رماني الشيخ هذه الحبّة» فصرْتُ مَدهوشاً مُتحيِّراً، ومن كرامات الشيخ ومريدِه مَقهورًا ومتكسِّرًا، فرحمهما الله تعالى ورَزَقَنا من فيوضهما، آمين.

ومنها: أنَّ الشيخ قدّس سرّه كان لا ينقُصُ عنده في كثيرِ الأوقات من مائة سالكٍ ومريدٍ وكان دأبه في ساعات اللّيلِ والنّهارِ التوجّهُ إليهم، وكان إذا صلَّى صلاةَ العصرِ وله حاجةٌ لذَهابِه إلى البيتِ، يقول لمريديه جميعًا حِين كانوا في المسجد قاعداً هو في المحرابِ: «اقعدُوا بالحضورِ مع الله ورسوله وأوليائه وإنِّي أتوجَّه إليكم الآن بالنوبةِ»، وقال لنا مَن كان لديه كثيراً في المجالس: إنَّ كلّ مَن وَصَلَتْ إليه النوبةُ من المريدين يخرُجُ منه الصوتُ العظيمُ المزيد بعدم طاقتِه على توجّهه؛ لشدّته وقوّةِ تأثُّرِه وتصرّفه في لطائفه؛ كما مرّ في النظم من قصيدة الناظم رحمه الله تعالى:

لو رمى سهم الرمق تلقاء قلب ❁ حين انقاد مشرف في جناح

فراجعه مع شرحه تجد البيان شافيا إن شاء الله تعالى[1].

---

[1] في (ص ٧٠).

وكان يتوجّه في ساعة واحدةٍ أكثرَ من مائة مريدٍ ومُرادٍ فانظرْ إلى قوّته وشوكته وسُرعة خِبرتِه، وإنّ أشدّ شيء وآكده عند الأولياء التوجّه إلى المريد واستخبار حاله خاصّة، إذا كان المريد قليلَ المحبّة؛ كَدِير اللُّبّ[١].

ومنها أيضا: أنَّ الرجالَ الكثير والجمَّ الغفير من الإخوان الكرام والأصدقاء العظام أَخْبَرُونا أنَّ الشيخ قدّس سرّه لما توجّه في السَّنة التي ذهب فيها إلى حاج ترخان إلى زيارة الشيخ بابا عَرْتمه.. ذهَب معه ألف فارس ومئتا دارس سوى الرَّجّالةِ وقَرَؤُوا عنده في ليلة الجمعةِ الصلواتِ المعروفةَ.

ثم لمّا فَرَغُوا منها.. قال الشيخ - وكان كلّ أهالي الزيارة حلقةً في حوالي ضريح الشيخ بابا عرتمه - جملةً : «اسكُتُوا فإنّي أُريد التكلّم معه؛ لأجلكم فسكَتُوا كلّهم، ثم جرّ نفَسَه المبارك إلى الداخل والخارج، فخرج من داخل القبرِ صوتٌ عظيمٌ مثل كُوكُوكُو فصار نصف الناس الكائنين هناك مغشيِّين من الخوف والهيبة من هول تلك الصوتِ الخارج؛ كَمَيِّتِينَ، فبعد ساعة جرّ الشيخ محمود أفندي نفسَه كذلك فسكَت الصوت، فقام الناس كُلُّهم كنَفْسٍ واحدةٍ، ثم قال الشيخ: «إن باباعرتمه يقول لكلِّكم: مرحباً مرحباً أهلاً وسهلاً وإنَّه قد رضي عنكم وأخبرَني برضائه منكم».

ثم ذهب الشيخ إلى الحجر المشهور بأنَّه ممسوخٌ من الحيّةِ ثم لمّا وصَل لديه.. قال: «أَنْصِتوا حتى أسأل عن هذا الحجرِ حالَه وشأنَه وهل هو ممسوخٌ كما قيل أم مكذوب ؟ فضرَب عصاه عليه واستخبر عن باطنِه فتَحَرَّك حركةً عنيفةً هائلةً وخرج دُخانٌ عظيمٌ مع رائحةٍ كريهةٍ.

[١] في الأصل: «اللبّة»

ثم قال الشيخ قدّس سرّه: «إنَّ هذا الحجرَ يُخبِرُني أنّه كان حيّةً عظيمةً وكانت تأكل أغنامَ بابا عرتمه يقول لي وقتًا فوقتًا: «يا حيوانَ الله لا تأكلي أغنامي وإنَّ معيشتي منها وأنستي معها» ومع قوله لي هذه الأقوال الليّنة كنتُ لا أترك أغنامَه وأختلِسُ منها كلّ يوم واحدةً منها ففي يوم من الأيام كنتُ على هذا التلّ أترصَّد أغنَامَه للاختلاسِ، وكان في ذلك الوادي، ولكن لم أعلَمه ورماني قوسَه فوصَل إلى جنبي وخرَج من الجنبِ الآخرِ ثم جاء عندي وعلا عليّ بمكعبِه ودعا عليّ وقال: «كن حجراً بإذن الله تعالى» فصرتُ حجراً كما ترى انتهى.

فمثل هذه الحكايات الصادرة عنه كثيرةٌ، وكراماته غزيرةٌ عجيبةٌ لا يحصُرُها كتابٌ ولا يتكلّم بها لسانٌ وخطابٌ فرحمه الله تعالى رحمةً واسعةً ونوّره بالأنوار ساطعةً.

ثم لمّا وصل إلى هذه السنة (١٢٨٢هـ) ألف ومائتين واثنتين وثمانين.. اجتهد في توجّه المريدين وتسليك السّالكين، وإيصال الواصلين، وتكميل المرشدين، وكان في ذلك الشتاء يدور على خلفائه السّالكين في الخلواتِ في نصف الليالي والفلوات[١] ويقول: «يا بَنِي فلان، يا بني فلان اجتهد للوصول والتقرّب، فإنّه لم يَبق لي رزقٌ هنا إلا الأيام والتغرّبُ، قد قَرُب أجلي ووقت هِجرتي وارتحالي.

ثم لمّا لَبِسَ الربيعُ جِلْبابَها وخلَع الشتاءُ رداءَ بردِها.. أجاز ثمانيةَ خلفاء من هذه الديار، وأعطى ليد كلّ واحدٍ منهم كتابَ الإجازةِ لذهاب التُهمةِ، وإلا.. فلا حاجةَ له.

[١] «فلاة»: صحراء واسعة مقفرة لا ماء فيها، جمع : فلوات. «معجم الرائد».

أقول: هذا القول من البَاكِنِي في «طبقاته» منظورٌ فيه على ما سبق عنِّي في شرح بيت الناظم رحمه الله تعالى:

كم ورى من بضائع العلم والـرأي ❊ أطالـوا أكـفّ سؤلـي الـنجـاج

نقلاً عن «الرشحات» من مناقب مولانا محمد الرُوچِي قدّس سرّه فراجعه[١].

ثم توجّه إلى حاج ترخان هَرَباً من حبس الرّوسِ وكثرة النمامين منهم إليهم بالمنحوس، وأوصى لكلّ خليفةٍ مقاماً ومكاناً وقال لهم: «إذا أشكل عندكم أمرٌ من الأمور الدنيويةِ زماناً، فاذهبُوا لدى حاج بابا أفندي القَاخِي، وإذا أشكل عندكم أمر مّا من أمور الطريقةِ.. اذهبُوا لدى ملا أحمد التَّلَالِي فإنّي أقمتُه مقامي وأطلعتُه مرامي، فأيُّ شيءٍ أردتُم مني فتجدونَه عند مُلّا أحمد، قَدّس اللهُ أرواحَهم».

[خلفاء الشيخ محمود أفندي]

فأوّل الخلفاء وأكملهم: شيخنا وسيدنا سيد السادات الشيخ حاج أحمد أفندي التَّلَالِي قدّس سرّه، ولكن نُؤَخِّرُه لكثرة مناقبه وعدّة خلفائه.

[الشيخ جبرائيل أفندي الـزاخُورِي]

وثانيهم: الشيخ الإمام الكامل والفرد الهُمام الواصل، العالم العامل مربّي المريدين، وضياء السالكين الشيخ الحاج جبرائيل أفندي الـزاخُورِي

[١] «رشحات عين الحياة» (ص ٢٤٧-٢٤٨).

ثم اللَّكِيتِي قدّس سرّه، كان بسيطَ الوجهِ والكلام، نشيطَ النطق والمرام كلُّ مَنْ رآه يُحبّه ومن جميع الخبائثِ يَجُبُّه، كان جسيماً عظيماً وَقُوراً حليماً؛ كما هو دأب المشايخ؛ كالجبال الشوامخِ ذا كراماتٍ كثيرةٍ وخوارقَ عجيبةٍ، وكان يرحم لمريده كالأب الرحيم لأولاده، وكان أوّلاً مريداً للشيخ الأعظم والمرشد الأكرم الحاج يونس أفندي اللَّلَالِي قدّس سرّه، ثم خَدَمَ على روايةٍ لخليفتِه الشيخ الحاج أحمد أفندي الأَلْمالِي.

ثم لمّا جاء ورجع شيخ الزمان محمود أفندي الأَلْمَالِيّ قدّس سرّه إلى وطنِه الأَلْمَالِي من ولاية الرّوس.. تسلّم ذلك الشيخ وجميعُ مريديه، وكانوا نحو ثلاثمائة لمحمود أفندي قُدِّس سرّه وكان كأصغر مريدي محمود أفندي لديه مع كونه مأذوناً من شيخه الحاج يونس أفندي اللَّلَالِي قدّس سرّه كمحمود أفندي قدّس سرّه.

وكان محمود أفندي قدّس سرّه يحبّه حبّاً عظيماً ويحترمه احتراماً جسيماً، وكان يُثنِيه قُبالةَ الناس وكان من أعاجيب الزمان في تصغير أمور الدنيا وزينتِها والزهد فيها وفي ترك حُطامها، وقِصَصُه عجيبة وحكاياتُه شهيرةٌ.

ومن أعجبها: أنَّه قدّس سرّه كان يقول لمحبّيه؛ بأن تتركوا لي خدمةَ رفعِ نَعْلَيْ هذا الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه حين خَلْعِه بهما وخدمة وضعهما أمامَه وقتَ إرادتِه لُبْسَهما على أنَّ محمود أفندي لا يتركُه خلفَه في المشيِ والقعود، ويَخدِمه ويحترمه غايةَ احترام ويُكرِمُه نهايةَ إكرامٍ.

ومات[١] - أي: بوضع رأسه المبارك على حِجْر محمود أفندي قدّس سرّه في سنة (١٢٨١هـ) ألف ومائتين وإحدى وثمانين - قبل ارتحال محمود أفندي إلى حاج تَرْخَان، وسَلَّم روحَه إلى الرضوان لإيصالِه إلى أعلى غُرَف الجِنانِ، رزَقنا الله تعالى شفاعتَهما يوم القيامة عند الميزانِ بحرمة نبيٍّ بُعِث في آخر الزمانِ، آمين اللهم آمين، وقبرُه في أَلْمَالُو يُزار ويُتبرّك فرحمه الله تعالى، ورضي عنه وعنّا وعن جميع الإخوان والمسلمين.

ثم لما وقع الحاج جبرائيل أفندي في تربية محمود أفندي.. اجتهد اجتهاداً بليغاً وجاهَد للنفس والشيطان جهداً مَنيعاً في مدة سبعة أشهر مع رفقائه الخلفاءِ، فرفع حجاب البينِ ووصَل الأين إلى الأين وأُجيز إجازةً تامّةً وأذِن لإرشاد الخلقِ عامّةً، وكان رحمه الله تعالى من غريب آخر الزمانِ في جاسوس القلوب واطّلاع الأحوال والريوب انتهى كلامه في «الطبقات»[٢] مع زيادةٍ قليلةٍ وتغيير بعض عبارات بحسب اقتضاء المقام، هذا، والله أعلم.

يقول الفقير: (ومن جملة اطّلاعه عليها: ما أخبرنا به أخونا كُلْ محمد أفندي بن أبكر اللَّكيتيّ حيث قال ذلك المذكور: إنَّ مُلّا رمضان بن مُلّا عاشور السَّيْلَكُوتِي وأنا لمّا أردْنا الذهابَ لسُفْرةِ الغداء من الحُجرة إلى بيوتنا.. رأينا الشيخ الحاج جبرائيل أفندي في محلّته يُسْرِج فرسَه وعنده حليلة ابنه الكريم ملا عبدِ الرحمن قائمة.

[١] أي: أحمد الألماليّ.

[٢] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٣٨).

ثم لمّا وقَع بصرُنا إليها.. قلنا كما يسمعنا: «انظر لحليلة ملا عبد الرحمن» فما أتممْنا هذا القولَ؛ إذ رأينا أنَّ الشيخ قدّس سرّه قد اتّكأ وانكبّ على عماد لديه آخذًا بطنَه قائلًا: الأمانَ الأمانَ، ثم لمّا وصلنا إلى أمام دهليزِه.. قام الشيخ ونادانا أيها الغلمان ما تكلّمتم حين خرجتم عن الحُجرة والله قد أصابَ ما قلتم إلى هنا وخرج من هنا ثم استحللناه على ما خرج منّا من ترك أدب لديه وقلنا: يا أيها الشيخ قد زاد وازداد محبّتُنا عليك بهذا واعترفنا على ما فيك من الكرامة، فاجعلْنا في حلّك ولا تؤاخذنا على ما فرّطْنا في خدمتك فعَفَا عنا قدّس الله سرّه ونوّر ضريحَه، فالحمد لله على ذلك) انتهى.

ومن جملة اطّلاعه عليها: ما سمعته أيضا عن أخينا الدرويش الحاج إبراهيم أفندي اللَّكِيتِيّ إذ قال: إنِّي لمّا كنْتُ في إيلِيسو عند العالم شامل أفندي الإيلِيسُوِيّ رحمه الله تعالى.. كنتُ أنظرُ من كتب الحنفية كتاب «الجوهرة» وإنّ ذلك الشيخَ قدّس سرّه قد كان وقتئذ معتكفًا في المسجد عندي، وكان لي في الكتاب المذكور موضعٌ لا أفهمَه، ثم خطرَ لي خاطرٌ فقلتُ في ضميري لو سألتُ عن هذا الشيخ قدّس سرّه من هذا الموضع هل يعرِفه ويفهم معناه، فعن قليل زمانٍ قام عن موضع اعتكافه وحوّل وجهَه إليّ، وقال هات كتابَك لأنْ أَعلِّمك الموضعَ الذي لا تعلَمه من ذلك الكتاب، ثم وضعتُ الكتاب أمامَه وعلَّمني ذلك الموضعَ، رفع الله درجتَه وأنار مضجعَه، آمين اللهم آمين انتهى.

قال الباكني في «طبقاته»: (ومن جملة اطّلاعه عليها: ما وقَع لي معه حين كوني إماماً في قرية ژاخُور في سنة (١٣٠٧هـ) ألف وثلاثمائة وسبع جاء هو

والشيخ الحاج حمزة أفندي، وشيخنا الحاج قُصَيْ أفندي إلى قرية ژاخُور لزيارة ضريحِ الشيخ محمود المدفون هناك قبل الزمان، وكنتُ معهم أدورُ أينما دَارُوا وأذهب حيثما سارُوا، وكان جماعة ژاخُور يحترمونهم احتراماً عظيماً، وكانوا يضيّفونهم في يومٍ واحدٍ أكثر من خمس مرّاتٍ، وكانوا يُنادونني معهم للضيافة فَلِلْأرض من كأسِ الكرام نصيب.

وكان الحاج جبرائيل أفندي قدّس سرّه يُقْعِدُني عنده في خُوانٍ واحدٍ متّصلًا ركبتي بركبته، وكنتُ أجرُّ إلى الخلف خوفاً من ترك الحرمة، ولكن كان لا يتركني إلا مُتّصلًا، وكان شيخنا الحاج قُصَيْ أفندي الجنيغيّ ينظر إلينا ويتبسّم وكنتُ هكذا معهم دائراً؛ كالكلبِ المحبوبِ الدائر خلفَ صاحبه.

وفي اليوم السابع ناداه معي مخصُوصيْنِ خالُه الهرم بابا سعيد الـژاخُورِي للضيافة، وكنتُ معه سائراً مُستوياً ولا أَقدِر أن أفرّق بصري من وجهِه وإن كان ذلك من تركِ أدب؛ لشدّة مَحبّتي ورسوخِ مَوَدّتي له، ثم قال: «يا بُنَيّ شعيب أفندي إنِّي أريدُ أن أذهبَ غداً إلى قريتِي لَكِيتْ وأَسْتحِي من قرابتي وأهل قريتي في هذه القرية الـژاخُورِية؛ لكثرة حرمتهم إلينا وازدحامهم بها بنا، فوثَب في قلبي حينئذ هل أَرى هذا الشيخ بعد اليوم بعد مفارقتِه مِنَّا أم لا ؟ فَبِلَا مُهلةٍ عَكس ما في قلبي إلى قلبه، وضمَّني إليه وإلى صدرِه، وكنتُ في جهة يمينِه، فبكَى وبكيْتُ ثم قال: «يا بنيّ شعيب أفندي إنْ أعطى اللهُ تعالى لنا مُهلةً في الأجل نرَى إن شاءَ الله تعالى، وإلا.. فلا، وكنتُ أخافُ بعد ذلك في حقّه وفي فوتِه عن يديَّ؛ لكوني قاصداً قصداً مُصَمَّمًا لدخولي في تربيتِه، ولكن لا يكون إلا ما أراده الله تعالى، ولم أرَه بعدَ ذلك، ومات في الشّتاء في

شهر جمادى الأخير في يوم الإثنين الثاني عشر منه من سنة (١٣٠٧هـ) ألف وثلاثمائة وسبعة رحمه الله تعالى، آمين) انتهى[١].

ومن جملة اطّلاعه عليها: ما حَكَانِي عنه أخونا المخلص، ودَرْوِيشُهُ الصادق، صوفي قربان اللَّكِيتِي حيث قال: «أنا وشَيْخِي حاج جبرائيل أفندي كنا في بيته ليس معنا فيه أحدٌ، ثم أراد الشيخ أن يَنوم، فاضطجَع هو لأجله وأنا قاعدٌ متفكّراً ومتذكّراً؛ إذ خطر ببالي خاطرٌ بحيث قلتُ: هل يَطّلع المشايخ على قلوب مريدِيهم وقت نَوْمِهم أم لا؟! فَبِلَا مُهْلة قد فتح عينيه وقال: يا ولدي ويا قرّةَ عيني؛ هل تَحْسَبُني غافلاً عن الله تعالى وعنك وقتَ النوم؟! فاعلم: أنّي بإذن الله تعالى لستُ غافلاً عنه تعالى ولا عنكم ولو في النوم، فلا تَغْفُلْ عن الله لحظةً، ولا تُحَدِّثْ في قلبك هكذا بَعْدَ هذا؛ إذ المشايخ جوَاسيس القلوب» انتهى.

ومن جملة اطّلاعه عليها: ما سمعتُ عن طرفه ممن يَثق على قوله: «أن الشيخ قدّس سرّه لما مرض بِمَرَضِ الموت.. بقي عن اللسان ثلاثةَ أيامٍ، ثم لما جاء لِعِيَادته قريبُه وجَارُه القاضي محمد أفندي اللَّكِيتِي[٢] رحمه الله تعالى.. خَطَر ببالِه: أن الشيخ قد بقي عن اللسان في هذه الأيام، فلو لقّنتُ له كلمةَ الشهادة؛ كما يأمر به الشرعُ الشريفُ كيف يكون؛ إذ قد أشار الشيخ قدّس سرّه بأصبعِه الشهادة وقال بلسانه: يا هذا اللهُ واحدٌ، ثلاث مرّات» انتهى.

[١] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٤٠).

[٢] هو قريب محمود أفندي القاضي محمد أفندي اللَّكِيتِي. (منه).

ومن جملة اطّلاعه عليها: ما حَدَّثني عنه أستاذي العلامة مسلم أفندي العُرَادِي في تَعْزِية شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه وقتَ التكلّم عن مناقب المشايخ حيث قال: «إني كنت في سَنَةٍ مِن السِّنِين في لَكِيتْ في بيت حاج جبرائيل أفندي قدس سره المتّصِلِ على اصْطبْلِه في أسفل المحلّة أَقرأُ الدرسَ لابنه الكبير مَلّا عبد الرحمن أفندي ولسائر الطلبة من قرية إِيلِيسُو؛ إذ حَدَّثَتْنِي نفسي: أنّ مشايخ الطريقة النقشبندية يعلّمون أوّلاً لمريديهم ذكرَ الله تعالى بالجلالة، وهو ليس بكلام مفيدٍ يَصحّ السكوتُ عليه، فكيف يكون به الذوق والوَجْدُ لهم أم كيف يصلح ذلك؟! إذ فتح الشيخ قدّس سرّه بابَ داري التي كنتُ فيها جالساً وقال: ما حَدَّثَتْكَ نَفْسُك، فهلّا يَصلُح أن يكون مراد الذاكرين بالجلالة: الله واحد، الله أحد، الله صَمَد، فعرفتُ أنّه قد اطّلع على ما في ضميري، وقال ما قال» انتهى.

يقول الفقير: قلتُ لمسلم أفندي وقتئذٍ: قد أجاد الشيخ قدّس سرّه في الجواب، ولكنْ جوابي لك في مقابلة ما حَدَّثَتْك نفسُك.

نعم؛ إنَّ مشايخ الطريقة النقشبندية يعلّمُون لمريديهم أوّلاً ذكرَ الله بالجلالةِ؛ غيرَ أنَّهم يُوصُونَهم بتصوّر معناها في القلب بأنَّ «ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» فهذا كلام مُفيدٌ يصحّ السكوت عليه فما قولك؟ قال: لا قولَ ولا جوابَ لي، هذا.

وقال مسلم أفندي أيضاً: وغيرَ هذا قد رأيت كثيراً منه الاطّلاع والإخبار عما في ضمير العباد في المجالس، فأيُّ شيءٍ حَدث في القلب فيها.. كان يُخبِر عنه على ساعتِه، قدّس الله سرّه، وأعاد علينا وعلى جميع المسلمينَ من بركاته، آمين، اللهم آمين.

ثم اعلم: أنَّه آمَنَ وانقادَ له علماءُ زمانه، ولا كرامةَ أعظمُ عند أهل الله للوليّ من انقياد العلماء له، وإطاعتهم به، وأثنَوْا له في حال حياته وبَعْد مماته، ورثوا له بعد مماته، ومن جملتها: مَرثيّة العالم أُدُرَة أفندي الأَوَارِي[١]، ومرثيّة العلامة مسلم أفندي العُرَادِي، ومرثيّة أخينا المرشد شعيب أفندي حيث رَثَى له مرثية لائقةً لحاله، وثنّى عليه ثناءً موافقةً لشأنه، فمن أجل ذلك نقلتُ وجهَها في هذا الكتاب؛ لتكون تذكرة للمحبّين له، وموعظةً مُحْرِقَةً لقلوب العاشقين إليه، وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لَكَ الحَمْدُ يَا قَاضِي الأُمُورِ بِحُكْمِهِ * مُقَدِّرَ أَنْفَاسِ الخَلَائِقِ جُمْلَةَ
وَصَلِّ وَسَلِّمْ ثُمَّ بَارِكْ عَلَى خَيْرِ الْـ * أَنَامِ مُحَمَّدٍ وَآلٍ وَعِتْرَةٍ
وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ * وَوُرَّاثِهِ أَيْضاً وَأَهْلِ الوِلَايَةِ
وَبَعْدُ[٢] سَمِعْنَا مَوْتَ شَيْخِ الطَّرِيقَةِ * مُرَبٍّ لِأَبْنَاءِ السُّلُوكِ السَّنِيَّةِ
فِدَاءً لَهُ رُوحِي وَأَهْلِي وَأَوْلَادِي * وَنَفْسِي وَأَعْضَائِي وَقَلْبِي وَمُقْلَتِي
وَفَاةُ رَسُولِ اللهِ أَكْبَرُ عِبْرَةٍ * بِهَا يَتَسَلَّى المَرْءُ كُلَّ مُصِيبَةٍ
كَذَا الأَوْلِيَاءُ العَارِفُونَ وَشَيْخُنَا * سَمِيٌّ بِجَبْرَائِيلَ قُطْبِ الأَئِمَّةِ

[١] هو أُدُرَة أفندي بن حَنَفِ العُرَادِي. (منه).
[٢] تَرك الفاءَ في جواب الواو القائم مقام إمّا بناءً على جواز عدمه في جوابه، وإمّا بناءً على جواز حذفه في ضرورة الشعر، فراجعه. (منه).

فَقَدْ كَانَ كَالشَّمْسِ المُضِيئَةِ لِلْوَرَى * فَغَابَتْ وَصِرْنَا فِي ظَلامٍ وَضَغْطَةٍ
فَمَنْ ذَا الَّذِي نَأْتِي لَدَيْهِ لِنَعْشَتِي * بِإِصْلَاحِ أَمْرَاضِ القُلُوبِ العَوِيجَةِ
بَقِينَا كَأَيْتَامٍ صِغَارٍ وَلَا لَهُمْ * كَفِيلٌ وَكَالمَرْضَى وَهُمْ فِي المَفَازَةِ
وَمَا مَوْتُهُ لَنَا بِأَدْنَى مُصِيبَةٍ * وَلَكِنْ بِحُكْمِ اللهِ نَرْضَى بِطَاعَةٍ
وَنَحْنُ لَهُ كُلٌّ عَبِيدٌ وَنَرْجِعُ * إِلَيْهِ بِحُكْمِ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ آثَرَ اللهَ غَيْرَهُ * وَرَاحَ بِفَضْلِ اللهِ فَازَ بِرَحْمَةٍ
فَكَمْ صَامَ كَمْ أَحْيَى الظَّلَامَ وَكَمْ دَعَا * وَجَاهَدَ فِي إِرْشَادِنَا حَسْبَ طَاقَةٍ
خَوَارِقُ عَادَاتِ عَجِيبة جَرَتْ بِهِ * كَرَامَاتُهُ بَاهَتْ وَشَاعَتْ بِشُهْرَةٍ
إِمَامٌ لَهُ فَضْلٌ جَلِيلٌ وَرِفْعَةٌ * مُفِيضٌ عَلَيْنَا فِي حُضُورٍ وَغَيْبَةٍ
كَذَلِكَ فِي المَحْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ * فَطِبْ يَا أَخِي نَفْساً وَكُنْ[١] ذَا اسْتِفَاضَةٍ
وَكَمِ اكْتَسَى مِنْهُ المُرِيدُونَ رُتْبَةً * بِهَا النُّورُ يَبْدُو كَالبُدُورِ المُنِيرَةِ
وَكَانَ رَحِيماً بِالمُرِيدِينَ نَاصِحاً * حَرِيصاً عَلَى إِرْشَادِهِمْ كُلَّ سَاعَةٍ
جَزَى رَبُّهُ عَنَّا بِأَحْسَنِ مَا يُجْزَى * لَهُ الشَّيْخُ عَنْ إِرْشَادِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ

[١] وقد ذكر بعض الصالحين: أنَّ الوليّ بعد موته أشدُّ كرامةً منه في حال حياته؛ لانقطاع تَعلُّقِه بالمخلوق، وتجرُّدِ روحه للخالق، فيُكْرِمُه تعالى بقضاء حاجة المتوسّلين. «مشارق الأنوار». (منه).

وَلَا زَالَ قَبْرٌ فِيهِ عَاطِرُ جِسْمِهِ * نَدِيّاً بِغَيْثِ الرَّحْمَةِ كُلَّ لَحْظَةٍ

وَلَا بَرِحَتْ مِنْهُ الفُيُوضُ مُفِيضَةً * عَلَيْنَا تَقِينَا مِنْ خِصَالِ الذَّمِيمَةِ

وَأُعْطِيَ لَهُ فِي الحَشْرِ صُحْبَةَ أَحْمَد * وَأَسْكَنَهُ الفِرْدَوْسَ أَحْسَنَ جَنَّةٍ

وَبَلَّغَهُ مَأْمُولَهُ فِي الأَحِبَّةِ * وَشَفَّعَهُ فِينَا كُلَّ ضِيقٍ وَشِدَّةٍ

فَإِنَّا تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِجَاهِهِ * وَأَشْيَاخِهِ الأَخْيَارِ أَهْلِ الوِلَايَةِ

فَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَلْحِقْ مُحِبَّهُمْ * بِهِمْ نَسْأَلُ التَّقْرِيبَ مِنْكَ بِوُصْلَةٍ

وَوَفِّقْ لَنَا يَا رَبَّنَا لِاقْتِدَائِهِمْ * وَتَحْشُرْنَا مَعَ هَؤُلَاءِ الأَحِبَّةِ

بِخَالِصِ حُبِّ هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفِ * وَحُرْمَةِ سَادَاتِ البَقِيَّةِ جَمَّةٍ

إِلَهِي؛ فَقَابِلْ دَعْوَتِي وَأَعْطِ رَغْبَتِي * وَإِنِّي ذَلِيلٌ ذُو الخَطَايَا الكَثِيرَةِ

وَلَكِنَّهُ يَرْجُو مِنَ اللهِ رَحْمَةً * وَمِنْ سَائِرِ الإِخْوَانِ ذِكْراً بِدَعْوَةٍ

فَهَا أَنَا مَنْ يُدْعَى لَهُ بِأُدُورَةٍ * تَوَطَّنَ فِي رِيفٍ لَهُ فِي بَرِيَّةٍ

فَحَمْدِي عَلَى تَوْفِيقِهِ لِاخْتِتَامِهِ * مِنَ العَجْزِ بِالأَمْرَاضِ فِي كُلِّ حَالَةٍ

صَلَاتِي وَتَسْلِيمِي عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ * وَآلٍ وَأَصْحَابٍ وَأَهْلِ الطَّرِيقَةِ

تمت المرثيّة التي أنشدَها الحقير الفقير أُدُرَةُ بنُ حَنَفِ الهِدَلِيّ العُرَادِيّ –

عليهما رحمة الله تعالى وبركاته - حين ما بلغه وفاة شيخ المشايخ العالم الربّاني الحاج جبرائيل أفندي الزَّاخُورِي اللَّكِيتِي قدّس الله سرّه، ونوّر ضريحه، وأعاد علينا مِن بركات كُؤُوسِه وأقداح فيوضه، اقتداءً بما رَثت بها فاطمة - رضي الله تعالى عنها - حين ما أَخَذَتْ قبْضَةَ ترابٍ مِن الروضة المطهّرة بأن قالت:

مَـاذَا عَـلَى مَـنْ شَـمَّ تُـرْبَـةَ أَحْـمَـد * أَنْ لَا يَـشُـمَّ مَـدَى الـدُّهُـورِ غَـوَالِـيَا

صُـبَّـتْ عَـلَـيَّ مَـصَـائِـبُ لَـوْ أَنَّـهَـا * صُـبَّـتْ عَـلَى الأَيَّـامِ صِـرْنَ لَيَالِيَا

وبما أنشد الأعرابي حين ما زار الروضة:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظُمُهُ * وَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ وَالأَكَـمُ

نَفْسِي فِـدَاءٌ لِقَبْرٍ أَنْـتَ سَـاكِـنُـهُ * فِيهِ الـعَـفَـافُ وَفِـيـهِ الـجُـودُ وَالـكَـرَمُ

لِلَّهِ الحمد والمنّة، وعلى نبيّه الصلاة والسلام، في (٤) مِن شوّال لسنة (١٣٠٧) مِن هجرة مَن له أشرفُ المقام.

ثم اعلم: أنَّ الفاضل أُدُرَة أفندي الهِدَلِيّ العُرَادِي لمّا لم يَر شيخَ شيخِه الشيخَ حاج جبرائيل أفندي في حياته بالجسمانية، ولم يُقَبِّل يَدَهُ المباركة النورانية.. أنشأ ثانياً قصيدةً في بيان أحواله، وفترة فؤادِه مِن فَوْتِ رؤية شيخ شيخه عن يده، وسمّاها: «**قصيدةً هائية في بيان أحوال صاحب التائية**» عند وفاة قرّة عينه، وثمرةِ فؤاده، إمامِ الطريقة النقشبندية، الجامعِ بين الشريعة والحقيقة، العالم الربانيّ، والغوث الصمدانيّ، الحاج جبرائيل

أفندي الـزَّاخُورِيّ اللَّكِيتِيّ قدّس الله سرّه، ورُوحِي فِداه، وجَمَعَنَا الله تعالى معه في دار السلام، واحشرنا وإياه مع النبيّ المختار محمد عليه الصلاة والسلام، وقال:

وَصَاحِبُ هَذَا النَّظْمِ لَمْ يَلْقَ[١] شَيْخَهُ * وَلَـوْ مَـرَّةً فِي العُمُرِ حَتَّى يَمُوتَهُ
فَــوَا أَسَــفَـا بِـمَـا نَـعَـاهُ بِـمَـوْتِـهِ * وَآهــاً لَــهُ عَـمَّـا يَـفُـوتُ وَفَـاتَـهُ
وَقَدْ صَارَ مَعْكُوسَ الرَّجَا فِي مُـرَادِهِ * وَلَكِـنْ بِفَضْلِ اللهِ يَرْجُو لِقَاءَهُ[٢]
لِأَجْلِ ذُنُوبٍ اقْتَرَفَتْ وَشُومُهَا * أَخَافُ عَلَى أَنِّي مُنِعْتُ وِصَالَهُ
يَمُرُّ عَلَى قَلْبِي الحَزِينِ خِيَالُهُ * بِتَذْكَارِ وَقْتٍ قَدْ وَقَفْتُمْ أَمَامَهُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ قَدْ رَأَى وَجْهَ شَيْخِهِ * وَصَافَحَ مِنْهُ اليَدَ بَاشَرَ حَلْقَهُ
فَيَا لَيْتَنِي أَدْرَكْتُ رُؤْيَةَ وَجْهِهِ * بِهِ زَالَ عَنْ قَلْبٍ رَآهُ صِدَاءَهُ
وَيَا لَيْتَ لِي تَقْبِيلَ تُرْبَةَ أَرْضِهِ * ضَرِيحَ وَلِيِّ اللهِ فِيهَا عِظَامُهُ
فَمَا حِيلَتِي سِوَى دُعَاءٍ لِرُوحِهِ * وَإِهْدَاءِ مَا اسْتَطَعْتُ ذِكْراً وَنَحْوَهُ

[١] أي: إنّ صاحب هذه أُدُرَة العُرَدِي لم يَر شيخَ شيخه الحاج جبرائيل أفندي يقظةً، ولم يَلقه جسْماً، لكنه رأى منه مناماً بركةً عظيمةً، وتصرّفاً عجيبةً، وكرامةً ظاهرةً... إلخ. (منه).

[٢] فلا رَادَّ لفضله يصيب به مَن يشاء مِن عباده بإراءته بنبيّه أو وَليِّه في النوم، أو اليقظة، أو ... إلخ، كما يقع ذلك كثيراً من عباده. (منه).

فَيَا أَيُّهَا الإِخْـوانُ؛ فَـاتْلُوا كِتَابَهُ[١] ❋ تَعَالَى هِبُوا عَنْ رُوحِ شَيْخٍ ثَوَابَهُ

أَوِ اهْـدُوا سَبْعِينَ أَلْفَ ذِكْرٍ لِرُوحِهِ ❋ وَزِيـدُوا عَلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ لِحَاظَهُ[٢]

فَهَا أَنَـا أُوصِيكُـمْ بِمَا قَدْ ذَكَـرْتُـهُ ❋ فَمَـنْ صَانَهَا صَـانَ[٣] الإلـهُ عِقَابَهُ

ثم كتب في آخر هذه «القصيدة الهائية»: «ثم السلام الكثير، والدعاء الوفير على خواصّ خلفائه، وخلّانه خاصةً، وجميع أحبابه وإخوانه عامّةً.

أما بعد: فإنِّي أوصيكم ونفسي المذنبةَ الخاطئة أوّلاً بتقوى الله تعالى وطاعته، واقتداء سنة رسوله محمد خير خلقه، وبِمُراعاة آداب مرشدنا الحاج جبرائيل أفندي الذي هو من وُكلائِه وخلفائه بعد وفاته، وبحفظِ حرمته بعد موته كَحِفْظِها في حياتِه، كما رُوِي: أنَّ عمر رضي الله تعالى عنه منع امرأة مجزومة عن الخروج من بَيْتها إلى مماته، فإذا مات.. قال لها بعض الناس: اخْرُجِي من البيت، فإن عمر قد مات، فقالت: إذا كنتُ أُطِيعهُ في حياته.. أَفَأَعْصِيهِ بعد موته؟!

فهذا منها قولٌ سديدٌ، وأدب شديد يليق اهتمامه والاعتناء به؛ بأن لا يصْدر عن أحد بَعْده ما لا يرضى به لو كان في حياته بحضرته، ويُعْرَف ذلك بقرينة حاله؛ لأن لسان حاله أنطقُ من لسان مقاله، وأن بركة روحه، وتَصَرُّفَ روحانيته بعد موته.. أقوى وأعظم من تصرّفه مع جسمانيته؛ كما صرّحوا به:

---

[١] أي: قرآن الله تعالى. (منه).

[٢] لأن مَن لاَحَظَ وتوجّه من محلّه إلى روحانية الولي في قبره الشريف.. يَنْتَفِع به، ويَفِيض إليه؛ كما صرحوا به، وأشرتُ إليه في «القصيدة التائية». (منه).

[٣] أي: وصيّتي هذه. (منه).

أن الولي بعد موته كالسيف المسلول في تصرّفاته، فهذا. والسلام، وأوصيكم بالدعاء، ووفّقنا لما يحبّ ويَرْضى في عافية، وارزقنا حُسْنَ الخاتمة بحرمة الفاتحة» انتهى.

ثم قال: «ولعلّ ما في هذه الرسالة أن تكون لكم تذكرةً في الدعاء، فأوصيكم ثم أوصيكم ثم أوصيكم بالدعاء، فهذا، والسلام، وأنا الكاتب، تراب الأقدام أُدُرَة رحمة الله تعالى عليه» انتهى.

ثم اعلم: أنَّه قد كتب ذلك الفاضل أُدُرَة أفندي مع هذين القصيدتين «التائيّة» و«الهائية» كتابَ تعزية لأهل بيت الشيخ المرحوم قدّس سرّه، وإلى أقربائه، وإلى جميع أهل ولايته ونواحيه، فقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حقّ حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد، وآله وصحبه، إلى أولاد وأحفاد وأهل بيت مرشدنا ومولانا العالم الربّاني، والغوثِ الصمداني، الحاج جبرائيل أفندي، وإلى جميع أقاربه، وأحبابه، وإخوانه، وخلفائه، ومريديه، وأتباعه، ومحبّيه، وجيرانه، بل إلى جميع أهل ولايته ونواحيه: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ورضوان الله تعالى وغفرانُه، وأمدّكم الله تعالى بحفظه، وحمايته، وعصمته، وتوفيقه، آمين.

أما بعد: فلقد انتقل مرشد الخلائق، وقطبُ المشايخ، من دار الفناء إلى دار القرار، وذلك تقدير مَن بيدِه ملكوت كلِّ شيء، وهو الواحد القهّار

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[١]، إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلّ شيء عنده بأجل مسمّى، فأعظَمَ الله أجركم، وأحسن عزاءكم، وغفر لميتكم، فإنَّ أنفسَنا وأموالَنا وأهلينا وأولادَنا من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستَوْدِعَةِ، يمتّع بها إلى أجلٍ معدودٍ، ويقبضها لوقتٍ معلومٍ.

ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى، وكان هو من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة، متّعكم به في غِبْطة وسُرور، وقبَضَهُ منكم بأجر كثير، الصلاة والرحمة والهُدى إن احْتَسَبْتُم، فاصبروا ولا تُحْبِطُوا [بجزعِكُم] أَجْرَكم؛ فتَنْدمُوا، إنّ في الله عزاءً مِن كلّ مصيبةٍ، وخلفاً من كلّ فائت، فبالله فَثِقُوا، وإيّاه فارجعُوا، فإنَّ المحرومَ مَن حُرِم الثوابَ.

اللهم؛ اجعله لنا سلفاً، وذخراً وَعِظَةً واعتباراً، اللهم؛ لا تَحْرِمْنَا أجره، ولا تَفْتِنّا بعده، واغفِرْ لنا وله، وأجُرْ مُصِيبَتَنا، واخلُفْنا خيراً منها إنك على كلّ شيء قدير، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، فهذا، والسلام، وأصيكم بالدعاء.

وأنا الكاتب الفقير أُدْرَة بن حَنَف العُرادي» انتهى.

ثم اعلم: أنَّ ذلك العلامة أُدْرَة أفندي العُرادِي لما كان أرسل في حياة شيخ شيخه المرحوم المترجم له الشيخ حاج جبرائيل أفندي السلسلةَ المنظومة هديّةً إلى ذاته العَلِيَّةِ مع رسالةٍ لائقةٍ، ثم لما وجدتُه في يد ابنه الكريم عبدِ الرحمن أفندي.. نقَلتُ وجهَها إلى هذا المقام؛ ليَتبرّك بها مَن خلفنا إلى يوم القيام وبعد القيام، غيرَ أنّه لمّا فقِد فيها ترتيبُها مَن بَعْد الشيخ خالد قدّس

[١] سورة الملك، الآية: ٢.

سرّه إلى هذا الشيخ المترجم له.. إذ نبَّت إليها أبياتاً يُذْكر فيها أسماء سادات السلسلة على الترتيب الذي وصَل إلينا مِن شيخنا التلالي قدّس سرّه مِن بَعْد الشيخ خالد إلى هذا الشيخ المترجم له قدّس سرّه.

هذه صورة الرسالة التي جاءت مع هذه السلسلة بعبارتها:

«بسم الله خير الأسماء لا يَضرّ مع اسمه شيء في الأرض والسماء

إلى كنز الطالبين، وغوثِ العاشقين، ورُوح الطالبين، ونُور السالكين، وبدر الواصلين، وشمس الكاملين، شيخ مشايخ العالمين، ومرشد الخلائقِ أجمعين، العالم الربّاني، والغوث الصمداني، الحاج جبرائيل أفندي الـزَّآخُورِي اللَّكِيتِي، عليه رحمة الواحد الأبدي، وإلى أهل بيته، وأولاده، وأحفاده، وأحبابه، وإخوانه، وأعوانه، وأتباعه، وقومه، ورهطه، خاصّةً لخاصّتهم، وعامّة لعامّتهم.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ورضوان الله تعالى، وغفرانه، ونصرُه، وعونه، وعصمته، وتوفيقه، وحفظُه، وحمايته، إنه قريب مجيب، جواد كريم، رؤوف رحيم، آمين.

أما بعد: فإذا عَجَزْتُ إهداءَ ما يليق بمقامك من الهديّة، وكِتْبَةَ ما يَصْلح لحضرتك العلية من الرسالة الجيّدة والأقوال المرضيّة، وكان جميع مقاصدي وأحوالي لَدَيْكَ جَلِيَّةً غير خفيَّة، كافية عن الشرح والتطويل لدى حَضرتك السنيّة.. كتبتُ قصيدةً في سلسلة ساداتنا النقشبندية، وجعلتها إلى جنابك الرفيع وُصْلةً ووَسِيلَةً، وللدعاء تذكرةً وهديّة، جعلنا الله تعالى في سلسلة ساداتنا العليّة، ومتّعنا الله تعالى بميامن أنفاسهم الطاهرة الطيّبة،

وجعلنا في بركاتهم العلية، واحشرنا مع الذين أنعمْتَ عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين بحرمة سيّدنا محمد خير خلقه، وآله وصحبه أجمعين، فهذا، والسلام، وأوصيكم بالدعاء، وأنا الكاتب تراب الأقدام أُدُرَة العُرَدِي» انتهى.

ووجه السلسلة هذا من أوّله إلى آخره إلا بَعْض أبيات فُقِدَت عنه؛ كما أشرت إليه[١] عن قريبٍ في المقدّمة[٢]:

إِلَـهِي بِـحَـقِّ الـهَـاشِـمِيِّ مُـحَـمَّـدٍ * وَحُـــرْمَـةِ أَزْوَاجٍ وَآلٍ وَعِـــتْـرَةِ

وَبِـالـخُـلَـفَـاءِ الـمُــرْشِـدِيــنَ لِأُمَّـــةٍ * وَأَصْـحَـابِـهِ الأَبْـــرَارِ سُـرُجِ الـهِـدَايَـةِ

وَبِالأَنْبِيَاءِ[٣] وَالمُرْسَلِينَ جَمِيعِهِمْ * وَبِـالأَوْلِيَاءِ الصَّـابِـرِينَ بِبَلْـوَةٍ

وَبِـالـعُـلَـمَـاءِ الـعَـامِلِـينَ بِـعِـلْـمِـهِـمْ * وَبِـالـشُّـهَـدَاءِ الـبَـاذِلِـينَ لِـمُـهْـجَـةٍ[٤]

بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى وَأَوْصَـافِـكَ العُلَى * بِإِنْجِيلٍ زَابُـورٍ وَقُـــرْآنٍ تَـوْرَةٍ[٥]

بِـعَـرْشٍ وَكُـرْسِـيٍّ وَبِــالأَرْضِ وَالسَّمَا * وَمَـا فِيهِمَا مِـنْ أَهْـلِ بِـرٍّ وَطَـاعَـةٍ

بِـحُـرْمَـةِ أَمْــلَاكِ حَـوَامِـلِ عَـرْشِـهِ * وَلَـــوْحٍ وَأَقْـــلَامٍ وَصُـــورٍ وَنَـفْـخَـةٍ

[١] أي: فِقْدَانِ بعض الأبيات. (منه).

[٢] التي هي قبل هذه الرسالة. (منه).

[٣] يُقرأ بحذف همزة من آخره للوزن. (منه).

[٤] المُهْجَةُ: الرُّوح.

[٥] بحذف الياء، القراءة للوزن. (منه).

بِحُرْمَةِ جِبْرِيلَ الأَمِينِ وَكَرْمِهِ * وَصَاحِبِ صُورٍ[١] ثُمَّ خَازِنِ جَنَّةٍ[٢]

بِقَابِضِ[٣] أَرْوَاحِ الخَلَائِقِ كُلِّهِمْ * وَقَاسِمِ أَرْزَاقِ العِبَادِ بِجُمْلَةٍ

وَبِالمَسْجِدِ الأَقْصَى وَبِالصَّخْرَةِ التِي * عَلَيْهَا يُنَادِي يَوْمَ حَشْرِ الخَلِيقَةِ

وَبِالكَعْبَةِ البَيْتِ الحَرَامِ وَمَسْجِدِ * وَمَا فِيهِمَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَرِيفَةٍ

بِمَسْجِدِ إِبْرَاهِيمَ وَالمَسْجِدِ القُبَا * وَمَسْجِدِ خَيْرِ الخَلْقِ شَافِعِ أُمَّةٍ

بِحُرْمَةِ عَرَفَاتِ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ * وَمَا فِيهِمَا مِنْ كُلِّ نُسُكٍ جَلِيلَةٍ

بِطُورٍ وَغَارٍ ثُمَّ ثَوْرٍ[٤] وَمَكَّةَ * وَبِالأُحُدِ العَالِي وَيَثْرِبَ طَيْبَةٍ

بِأَهْلِ بَقِيعٍ ثُمَّ بَدْرٍ وَرَوْضَةٍ * وَمِنْبَرِهِ ثُمَّ القُبُورِ الثَّلَاثَةِ[٥]

بِحُرْمَةِ أَصْحَابِ الرَّقِيمِ وَكَهْفِهِمْ * وَحُرْمَةِ أَرْبَابِ الشَّرَائِعِ خَمْسَةٍ[٦]

خُصُوصاً بِصِدِّيقٍ وَسَلْمَانَ قَاسِمٍ * وَجَعْفَرَ طَيْفُورَ وُلَّاةُ الأَئِمَّةِ

[١] إسرافيل. (منه).

[٢] رِضوان. (منه).

[٣] عزرائيل.

[٤] أي: طُور سَيْناء، وغار حِراء، وغار ثَوْر. (منه).

[٥] أي: قبرِ النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما. (منه).

[٦] والمراد من أرباب الشرائع الخمسة: نوح، إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم. (منه).

أَبِـي حَسَن ثُـمَّ الإِمَـامُ أَبِـي عَـلِـي * بِـيُـوسُـفَ هَـمْـدَانِ هُـدَاةٍ لِأُمَّـةٍ

بِـمُـرْشِـدِ حَـقٍّ فَـائِـقٍ عَـبْـدِ خَـالِـق * بِـعَـارِف رِوْكَـيـرٍ عَـظِـيـمُ الـعِـنَـايَـةِ

بِمَحْمُودِ إِنْجِير بِقُطْبِ عَـزِيـزَانَ[١] * بِـبَـابَـا مُـحَـمَّـدٍ إِمَـامُ الأَئِـمَّـةِ

لِـصَـانِـعِ[٢] فَـخَّـارٍ وَمَـعْـدِنِ حِـكْـمَـةٍ * وَمَـهْـبَـطِ أَسْـرَارٍ وَنُـورِ الـوِلَايَـةِ

بِـحُـرْمَـةِ قُـطْـبِ الأَوْلِـيَـاءِ جَـمِـيـعِـهِـمْ * وَمَـنْـبَـعِ أَنْـوَارِ إِمَـامِ الـطَّـرِيـقَـةِ

بِـحُـرْمَـةِ عَـطَّـارٍ وَحُـرْمَـةِ يَـعْـقُـوبٍ * عُـبَـيْـدِكَ أَحْـرَارٍ حُـمَـاةٍ لِـسُـنَّـةِ

بِـحُـرْمَـةِ قُـطْـبِ الـزَّاهِـدِيـنَ مُـحَـمَّـد * وَحُـرْمَـةِ دَرْوِيـش شَـهِـيـرِ الـوِلَايَـةِ

بِـخَـاجَـاكَـنَـا ثُـمَّ الإِمَـامِ مُـحَـمَّـد * حَلِيمٍ كَـرِيـمٍ كَـامِـلٍ فِـي الحَبِيكَةِ[٣]

بِـحُـرْمَـةِ قُـطْـبِ الـعَـارِفِـيـنَ مُـجَـدِّد * لِـدِيـنِ شَـفِـيـعِ الـخَـلْـقِ يَـوْمِ الـقِـيَـامَـةِ[٤]

بِحُرْمَةِ مَعْصُومٍ[٥] نَجَا جَاءَ مُحْسِنٍ * بِسِبْطِ رَسُولِ اللهِ خَيْرِ الخَلِيقَةِ

بِـحَـقِّ حَـبِـيـبِ اللهِ حَـامِـي حُـدُودِهِ * وَحُـرْمَـةِ عَـبْـدِ اللهِ عَـيْـنِ الـعِـنَـايَـةِ

[١] هذا لقب علي رَامِتْنِي، وقد اشتهر عنه المشايخ بقطب عَزِيزَان، وكان نَسّاجاً. (منه).

[٢] والمراد: السيد أمير الكُلاَلِي، وكان يَصنع الفَخَّار. (منه).

[٣] والمراد منه: الشيخ بهاء الدين محمد البخاري النقشبندي، إمام هذه الطريقة قدس سره. (منه).

[٤] وهو الشيخ أحمد السرْهندي، مجدّد الألف الثاني ... إلخ. (منه).

[٥] والعُرْوَة الوُثْقى لقبهُ، وهو ابن المجدد... إلخ. (منه).

بِحُرْمَةِ سَيْفِ اللهِ[١] سَابِقِ حِـزْبِـهِ * وَحَضْرة إِسْمَاعِيل طَرِيقِ الطَّرِيقَةِ

بِـحُـرْمَـةِ صَـالِـحِ أَفَـنْـدِي لَـهُ أَتَـى * بِـحَاجِ بِكِي يَـحْيَـى[٢] وَنُـورِ الـوِلَايَـةِ

بِحَضْرَتِنَا يُونُسَ أَفَنْدِي لَهُ وِرْدٌ * إِمَامِ بِشَيْخِ مَحْمُود قُطْبِ الأَئِمَّةِ

وَحُـرْمَـةِ مَنْ جَاءَ فِي آخِرِ الـمَرَا * تِـبِ الـحَاجِّ جَبْرَائِيل إِمَامِ الطَّرِيقَةِ

فَـمَـرْجُـوٌّ مَـنْ جَـادَا بِـنَيْـلٍ لَـهُ كَـذَا * دُعَـاءٌ مِـنْ إِخْـوَانٍ هُـدَاةٍ لِأُمَّـةِ

وَرَاقَـمَ هَـذَا الطَّرْسَ عُثْمَانُ فَاعْلَمُوا * تُـرَابٌ[٣] مِنْ أَقْـدَامِ الكِـرَامِ بِبَهْجَةِ

وَلَا رَيْـبَ أَنَّ اللهَ يَـقْـضِـي عِـبَـادَهُ * بِمَا شَـا[٤] فَمَنْ شَـاءَ يَجِيءُ بِالهِدَايَةِ

بِـأَحْـبَـابِـنَـا أَشْـيَـاخِ كُـلِّ الـطَّـرَائِـقِ * وَإِخْـوَانِـنَـا أَهْـلِ الـتَّـصَـوُّفِ جُمْلَةً

وَحُـرْمَـةِ سَـادَاتِ البَـقِـيَّـةِ كُـلِّـهِـمْ * وَغَـوْثٍ وَأَقْـطَـابٍ وَأَبْـدَالِ جُمَّةِ

وَسَائِرِ أَهْلِ العِلْمِ وَالحِلْمِ وَالتُّقَى * وَمَـنْ عِـنْـدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

تَـوَسَّـلْـتُ يَـا رَبِّـي إِلَـيْـكَ بِـجَـاهِـهِـمْ * وَأَسْـأَلُـكَ الـتَّـقْـرِيـبَ مِـنْـكَ بِـوُصْـلَـةٍ

وَأَنْ تَـعْـفُـوا عَـنِّـي وَتَـغْـفِـرَ ذِلَّـتِـي * وَتُـنْـجِـيَـنِـي مِـنْ هَـوْلِ يَـوْمِ القِيَامَةِ

[١] وهو لقب الشيخ خالد السُّلَيْماني.

[٢] أي: حاج يحيى بيك، ففيه قلب للنظم. (منه).

[٣] أي: هو بقيّة تراب من أقدام... إلخ. (منه).

[٤] بحذف همزة مِن «شاء» الأول، وبمدّها من «شاء» الثاني؛ للوزن. (منه).

وَتُرْضِيَ خَصْمَائِي وَتُقْبلَ تَوْبَتِي * وَتُقْضِيَ حَاجَاتِي وَتُجْبرَ كَسْرَتِي
وَتُنْقِذَنِـي نَـارَ الجَحِيمِ وَحَـرَّهَـا * وَتُـدْخِـلَنِي دَارَ النَّعِيمِ وَجَـنَّـةٍ
وَأَنْ تَـدْفَـعَ عَنِّي الـمَصَـائِبَ كُـلَّـهَا * وَتَـحْـفَـظَنِي مِـنْ شَـرِّ إِنْـسٍ وَجِـنَّـةٍ
كَـذَلِـكَ إِخْـوَانِـي وَأَخَـوَاتِـيَ الـتِـي * لَـهُـنَّ رَجَـاءٌ فِـي اسْـتِـجَابَـةِ دَعْـوَتِـي
وَمَـنْ كَـانَ أَوْصَـانِي بِصَالِحِ دَعْـوَةٍ * وَأُمِّـي وَأَوْلَادِي وَأَهْـلِي وَعِتْرَتِي
وَمَـنْ كَـانَ بِـاللهِ الـمُـهَـيْـمِنِ مُـؤْمِـنـاً * وَأَهْـلِ قَـرَابَـاتٍ وَجَـمْـعِ أَحِـبَّـتِـي
وَصَـلِّ عَـلَى خَـيْرِ الأَنَـامِ مُـحَمَّـد * وَآلٍ وَأَصْـحَـابِ وَسَـائِـرِ أُمَّـةٍ

تمّت القصيدة بيد الراجي عفو ربّه الهادي أُدُرَة بن حَنَف الهِدَلِي العُرَادِي في (١٨) من شعبان لسنة (١٣٠٦)، فرحم الله امرأ شاركني في دعائه، وذكرني في مناجاتِه، فهذا، والسلام» انتهى مع زيادة قليلة.

ثم كتب رحمه الله تعالى في ذيل هذه الرسالة بيوتاً خمسةً من عِنْدِيَّاتِه، وهي هذه:

«يَـا نَـاظِـراً لِـكِـتَـابٍ كَـانَ كَـاتِـبُـهُ * لَا يَـطْـلُـبُ الأَجْـرَ فِـيمَا كَـانَ يَكْـتُـبُهُ
سِـوَى ثَـوَابٍ مِـنَ الرَّحْمَنِ يَلْـحَقُهُ * كَـذَا دُعَـاءٌ مِـنَ الإِخْـوَانِ يَعْقُبُهُ
سَـلِ الإِلَـهَ لَـهُ مَـا كُـنْـتَ تُـحْسِـنُـهُ * مِـنَ الـدُّعَـا وَاهْـدِ مَـا قَـدْ كُنْتَ تَـقْـدِرُهُ
وَإِنَّ أُدُرَةَ يَـدْعُـو اللهَ يَـسْـأَلُـهُ * لِـكُـلِّ مَـنْ كَـانَ يَـرْجُـوهُ وَيَـأْمَـلُـهُ

يَا رَبِّ ارْحَـمْ عَلَى مَنْ كَانَ يَلْحَظُهُ ❁ وَلَـيْسَ يَنْسَاهُ بَـلْ يَـدْعُـو وَيَـذْكُـرُهُ

فهذا، والسلام، وأوصيكم بالدعاء» انتهى.

فهذه التي ذكرناها نبذة من أحواله، وخلاصة من كراماته قدّس الله سرّه العزيز.

وأما الوصول إلى نهايتها والبلوغ إلى غايتها.. فَبَعِيدٌ عن عقول العُقلاء وعن أذهان الكُملاء.

وبقي منه خليفة يقال له: الحاجُّ عبد الرحمن أفندي العَسَوِيّ مِن ولاية هِيدْ مِن نواحي الشيخ شامل أفندي قدس سره[١]، وهو بعد وفاة شيخه المترجم له على تربية المريدين، وتسليك السالكين، وإفاضة المستفيضين، وإفادة المسترشدين إلى سنة ألف وثلاثمائة، وأربع وعشرين، ففي هذه السنة انتقل رحمه الله تعالى من الدنيا إلى الآخرة في طريق الحجّ في بلدة جِدَّة، بعد الرجوع عن مكة، ودفن في مقبرتِها عند جدّتنا حَوّاء.

[الشيخ الحاج حمزة أفندي الـزاخُورِي]

وثالثهم: كعبةُ أرباب الفواضل، قبلة الفحول الأماثل، العالم الفاضل الأجَلُّ، والواصل الكامل الأوّل[٢]، الحاج حمزة أفندي الـزَّاخُورِيّ ثم الإيلِيسُوِيّ قدّس سرّه.

---

[١] هو العالم المجاهد شمويل بن محمد بن علي الگِمْرَاوِي الأواريّ الداغستاني. ولد سنة (١٢١٢ هـ) في قرية گِمْرَاه مِن كُورة قُويْسُو، وتوفي في يوم الأربعاء، الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة (١٢٨٧ هـ)، ودفن قدس الله سرّه وراء قبّة عباس وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما في البَقيع.

[٢] في «طبقات الخواجكان النقشبندية»: (الأدلّ).

ولد قدّس سرّه في قرية ژَاخُور في سنة (١٢٤٧) ألف ومائتين، وسبع وأربعين، ونشأ فيها نشأة كاملة.

وكان في براعة النطق والبيان، وفصاحة الكلام واللسان، من أعاجيب الزمان، وكان آثارُ السعادة والهداية، وأنوارُ الرشد والولاية ظاهرةً من بين عينيه حين صِغَرِه وفي أيام كِبَرِه، تعلّم العلوم والفنونَ، ولازَم العلماء الكرام والمأمون، وتضلّع بالعلوم العقلية والنقليّة، وشبع بمكارم الأخلاق الحَسَنة[١].

وكان متوطّناً في قريته ژَاخُور أولاً حتى جاء الفتنةُ الكبرى، والبليّة العظمى بإحراق قرى ولاية سَمْبُور بيد الروس في زمن ولاية الإمام شامل أفندي قدّس سرّه في داغستان، وكان أهالي ولاية سَمْبُورْ قد تفرَّقوا وقتئذ إلى سائر القرى مِن ولاية چَارْ أي: إلى إِيلِيسُو، وسَرُوبَاشْ، وَلَكِيتْ، وزَرْنَهْ وغيرِها، وحينئذ كان مسكنُه ومقرّه في قرية إِيلِيسُو.

ثم لمّا استولى سلطان الرُّوس ولاية الشيخ شامل.. بقي الشيخ المترجم له قدّس سرّه مع أهله وبعض أقربائه في قرية إِيلِيسُو متوطّناً، ولم يرجع إلى قريته ژَاخُورْ؛ لكونها مكاناً في غاية المشقّة، وموضعاً ضيّقاً في المعيشة.

وكان أوّلاً مريداً للشيخ الحاج أحمد أفندي الأَلْمَالِيّ، ثم لما جاء محمود أفندي قدّس سرّه من سِبِرْ إلى قريته أَلْمَالُو.. جاء لديه بإذن شيخه الأوّل، واجتهد اجتهاداً بليغاً، ودخل في تربية هذا الشيخ بتحمّل أوامره الشاقّة في تربية نفسه الأمارة، فوصل بفضل الله تعالى إلى مطلوبه، ونال إلى مرغوبه،

[١] في «طبقات الخواجكان النقشبندية»: (الحسنية).

وأجازه الشيخ إجازةً كاملةً، وأجلسه على بساط الإرشاد وافرة.

وكان قدّس سرّه؛ كما رأيتَه على غاية في حسن خُلقِه، وعجيزة خَلْقِه؛ لأنه كانت كِلتا قدميه مَعِيبَة، وكان جوّاداً كريماً، حليماً شجاعاً في إدارة أمور الدنيا[١]، وفي استقامة الدين.

وكان قدّس سرّه طليق الوجه، بسيط اليد، وكان صاحبَ علم الكيمياء، وكان أرْزاقُه مع ضيق قريته واسعةً، ولم يكن في السخاء نظير له، وخَلّف مقامه خليفةً له حاج مماي أفندي الإيلِيسُوِيّ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة (١٣٠٨) ألف وثلاثمائة وثمان، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، آمين.

وكان ذا كراماتٍ غريبة، وخوارقَ عجيبةٍ.

قال البَاكِنِيّ رحمه الله تعالى في «طبقاته»: (منها ما سمعناه من أفواه الثقات: أنّه قد أخبر بموت محمد الطويل البَاكِنِي الذي كان ساكناً في قرية إيلِيسُو قبلَ أربعين يوماً - مع أنه لم يكن وقت الإخبار - مريضاً، وقال: «إنّي أَرَى خطَّ وفاته وموته لائحةً في جبهته).

ومنها ما وقع معنا: إنّي لما ذهبْتُ إلى تَعْزِية الشيخ الحاج جبرائيل أفندي قدس سره لدى ابنه ملا عبد الرحمن وإخوته إلى قرية لَكِيتْ، ورجعت من هناك مع رفقائي.. بِتْنَا في قرية إيلِيسُو، وفي صباح تلك الليلة ناداني مع جميع رفقائي - وكانوا نحوَ: عشرين رجلاً مع التلاميذ - وذَبح لنا شاة، واحترم لنا، ودارَ على رؤوسنا بنفسه بالخدمة؛ كما هو شأنُ الصالحين، وسيرةُ الكاملين.

[١] في «طبقات الخواجكان النقشبندية»: (الدين).

وكان ينظر إلينا في ذلك المجلس سرّاً وجَهْراً، ويَتأمّلُ في حقّنا، وكنت أطّلع على حاله في النظر والتفكر، ولكنْ لم أعلم لأيّ شيءٍ يَتفكّرُ.

ثم لمّا خرجنا من عنده.. تَخلّف عنده مريده وقتئذ صديقُنا الحاج عبد القادر الـزّاخُورِيّ، ثم لما لحق بنا.. ضَحِك، فقلت: أَضْحَكَكَ اللهُ تعالى يا صوفي، لِمَ تضحك ؟» فقال: «كنت أقول لشيخي الحاج حمزة أفندي قدس سره: هَلّا يمكن لكم أن تعلّقوا قِلادةَ الذكر في عنق شعيب أفندي ؟ فقال: يا ولدي عبد القادر إنّه ليس في عنق شعيب أفندي قلادة ذِكْرِنا»، وإني قد كنت أتفكّر في المجلس في حقّ ذلك، ولكن لا أَرَى قلادتي فيه، ولكن في عنقه قلادةُ غَيْرِي، فليس لي نَصِيبٌ منه، ولأجل ذلك تركتُه)[١] انتهى مع زيادة وتغيير.

يقول الفقير: «ومنها: ما وَصل إلينا من الرجال الثِّقَات: أن الشيخ المترجم له لما بات في سنة من السنين في إمنجان في بيت حاج زِطَوْ بِيكْ - المعروف في زمانه - في أواخر فصل الشتاء.. تداعبَ وتزاحَفَ مع أهل المجلس كما هو عادته في أكثر الأوقات، وقال لهم: لو أتيتُ الآن بكم بفاكهة الصيف مثل دُوسْتِ جَان.. ما تقولون؟ قال أهل المجلس: أيها الشيخ؛ ليس هذا الوقتُ وقتَ الفواكه، فكيف تأتي بها؟ قال: وكيف لا ؟! فليذهب واحد منكم إلى صندوقٍ كذا في بيتٍ كذا مِن بُيُوت هذا الأمير، ولينظر في كلّ زاوية من زَواياه، فإنّ فيه ما قلتُ وذكرتُ لكم من الفواكه أي: دُوسْتِ جَانْ «وليخرجَه وليَأت بها إلى المجلس حتى نَذْبَحَها ونأكلَها شكراً على ما أنعم الله به علينا.

[١] راجع «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٤٩).

ثم ذهب من أهل المجلس واحد إلى بيتٍ أشار الشيخُ المترجم له بالذهاب إليه، والحالُ أن صاحب البيت ينكر حاله، ويقول: «أيها الشيخ؛ ليس فيه شيء مَّا، فلا تُرْسِله»، ونظر إلى زوايا الصندوق المشار إليه، وأخرج منه تلك الفاكهةَ؛ كأنّها وضعها بيده اليوم، وأتى بها إلى المجلس، فتعجّب أهل المجلس من هذا الأمر العجيب تعجّباً كثيراً، فآمن مَن آمن، وأنكر من أنكر، وأظهر الشيخُ المترجَم له للناس في المجلس مِثْلَه بالكرامة - أي: مثل دُوسْتِ جَانْ وهو: التفاح في إمنجان أيضاً - في بيت حاج الله وِيرْدِي، فآمَنَ مَن آمَن، وأنكر مَن أنكر، فنعوذ بالله من سوء الاعتقاد في الصالحين والإنكار عليهم».

ومنها: ما رأيته منه قدّس سرّه على تُرْبَتِهِ المباركة حين كنّا ذاهبين في عالَم الأرواح مع جَمٍّ غَفيرٍ من الصلحاء، وجمعٍ كثيرٍ من الكرماء مِن قريتنا ژَاخُور إلى قريته المدفونِ هو فيها لأجل الزيارة، ومعنا وقتئذ من مُخْلِصِيه من قرية ژَاخُور أخينا الكبير الحاج عبد القادر، ومن قرية إِيلِيسُو خَلِيلُنا العارف القائم في مقامه حاج مَمَّايْ أفندي، وهو[١]: أنّه لما ذهبْنا إلى زيارته في ذلك العالم الرّوحاني، ووصلنا على مشهده المبارك.. جلسنا كلًّا للقراءة عليه، ثم قام[٢] واحدٌ منهم من أثنائنا، وكان هو الحاج عبد القادر المذكور، وقال: «الآن يَقدر أن يذهب منكم من يريد الذَّهَاب»، فذهب حينئذ كُلُّهُم إلا الحاجَّ عبدَ القادر وحاج مَمَّاي أفندي وهذا الفقير، جلسَا بعد ذهابهم في داخل الروضة قبالةَ القبر وأنا عند بابها، إذاً رأيت أن قبره الكريمَ قد انشقّ، وقام الشيخ المترجَمُ له عن قبره يَرْمي التراب عن رأسه، وكان وقتئذٍ عند حجر رأسه ملا

---

[١] أي: ما رأيته. (منه).

[٢] أي: بعد ختم القرآن والدعاء خلفه. (منه).

رُسْتَام أخُ عبدِ الوهاب أفندي الـزَّاخُورِيّ جالساً يَسْتسلم وجهَه على الحجر للتبرّك، فأخذه بيده ومنعه عن الاستسلام، فظننْتُ أَنَّ قلب الشيخ قدّس سرّه قد مَلّ وتأذّى من فعله هذا، لما فيه من ترك الأدب ولذا منعه عنه، ثم قام من طرف رجليه غلاما جميلا أي: كأنه قائم من القبر؛ كالشيخ إذ ذاك حضر هنالك فرسان فارهان أَجْمَلان مُسَرَّجان [بسروج] فائقةٍ لائقةٍ، فركب الشيخ ثم ركب الغلام كلّ واحد بواحد منهما، ثم خرجا من الروضة وذهبا جهة دار الشيخ من طريقه الكائن من أعلى مسجد جامع إِيلِيسُو، ثم سألتُ من الحاضرين هناك إلى أين يذهب هذا الشيخ؟ فأجابوني بأنَّه يذهب إلى بيته ليسأل عن حال أهله، وليعرف ما لهم وما عليهم.

ثم سألت أيضًا عنهم هَلَّا يرجع ذلك الجَناب، فقالوا عن قريب: لعلّه يرجع ويجيء، ثم دخلت ثانياً روضته المباركة ووقفْتُ عند بابها منتظرا لقدومه إذًا رأيت أنّ الروضة قد بدلت عما كانت عليه أوّلا ووسّعت، ووضع في وسطها خوان عظيم مثل خوان الكبراء، وفي حواليه من جميع الجهات على الكراسي علماء أجلّاء وكُرَماء جالسون، أمام كلّ واحد منهم كتاب ينظر إلى ما في أمامه ساكتين كنت أنظرهم وأعتبر منهم غاية العبرة ونهاية النظرة، ولكن ليسوا ممن أعرفهم إلّا من جلس في صدر المجلس، كان ممن أعرفه بالحسب والنسب وبالاسم أي: كان هو محمد أفندي بن الحاج أفندي اللَّكِيتِي كان رحمه الله تعالى يجلس على رأس المجلس بالهيبة والوقار وعليه ألبسة فائقة لائقة لشأنه.

فإذا قد جاء الشيخ المترجم له وخلفه الغلام المذكور ودخل الروضة وقام عند الباب لديّ حيث لم يشعُرْ مجيئَه أهل المجلس إذ هم على كتبهم

ناظرون ناكسي رؤوسهم إذًا وقع بصر محمد أفندي عليه، فقام هو وأهل المجلس أجمعون في قومة قائلين: وا أسفا ! قد جاء الشيخ، فكيف لم نر مجيئَه حين جاء إذا قد فتح من وسط المجلس جادة عظيمة وقد رفع الخوان المذكور عن وسطه، فمرّ قدّس سرّه عنها إلى الصدر، وقام صدر المجلس مُواجِهًا إليه ومُرسِلًا يديه أيّها الإخوان الآن أريد أن أستريحَ، فخرجت عن الباب إذ كنت وقفت لديه أوّلاً ولم أعرف ما بعده من الإخوان، فأفقت عن الغيبة، وجئتُ إلى عالم الشهادة ورأيت أنّي في بيتي في لَكِيت رفَع الله درجاتِه وأعاد علينا وعلى أمثالنا من بركاته ومن بركات أمثاله، آمين اللهم آمين.

[الشيخ حضرة أفندي الـزّاخُورِي]

ورابعهم: مِصباح الظَلام ومَلاذ الكرام سيدي ووالدي الشيخ حضرة أفندي بن الحاج عثمان الـزّاخُورِي قدّس سرّه كانت ولادته في سنة (١٢٢٥هـ) ألف ومائتين وخمس وعشرين تقريباً لا تحديداً.

صفته رحمه الله تعالى: معتدلُ القامة لطيفُ الجسم نظيفُ الجرم، أجمل الناس وجهًا وخَلقًا وخُلُقًا، بياضُ اللون يضرب إلى الحمرة، كَثُّ اللحية السوداء، لكن قد تبيضُ من شعورِ لحيةِ الملائكة قليلًا، وكان منقطعاً عن الناس مؤنساً بالله ومُؤتَلِفًا بزيارة القبور والمشاهر، ومُشتغلًا بالرياضة بعد الإنابة من شيخه الأوّل الحاج أحمد أفندي الأَلْمالِي قدّس سرّه بعد مجيئه من سِبرِ إلى وطنه أَلْمالُو ثم جَدَّ واجتهد حتى وجد الله، وظهر صلاحه وخيره وطار في الفضائل طَيْرُه، وحُمِّد في الطريق سُراه وسَيْرُه.

ثم قدم قريته الـزاخورية بعد كونه مأذونًا فاضلا ومرشدًا كاملا منه، ولازَم العبادة والرياضة وسكَن في أكثر الأوقاتِ في المسجد الذي عند ضريح الشيخ محمود الذي هو في ژاَخُور، وازداد رياضتُه يومًا فيومًا حتى مات على تلك الحال.

وأرشد الناسَ ولم يُفارقْهم عن تربيتهم وتزكيتهم، ولم يأكل مما في أيديهم من أوساخهم - أي: الزكاة – أصلاً، وكان مُعظَم مخلصيه أكابر علماء زمانه، يقول الفقير: سمعْتُ من أفواه ثقات أنّ والدَنا المرحوم قدّس سرّه لما مات وانتقل من الدنيا ووصَل الخبرُ بموته إلى مرشد الغوث الفاضل والقطب الكامل ذي الشأن محمود أفندي قدّس سرّه في حاج تَرْخان.. قال بعد الدعاء عليه وبعد إهداء مثل ثواب الفاتحة على روحه: «الحمد لله مات ولدي المرحوم وانتقل من الدنيا على حال حسن إذ لم يلتفت إلى الدنيا وما فيها طرفة عين؛ كما هو حاله عند الافتراق عنّا، فمات على تلك الحال، بل على أحسن منها» انتهى.

وكان قدّس سرّه عالماً يعلَم من العلوم ما يكفيه، ومن الفنون ما يلزَمه، وكان ذا كراماتٍ كثيرةٍ؛ **فمن كراماته:** أنّه لما بلغه الخبر من حكّام الروس بتضييقه وحبسه وإرساله إلى سِبِرْ.. قال لأهل بيته بل لأمّه القانتة: فإن شاء الله تعالى لا يصل من أيديهم إليَّ ضررٌ؛ لأنّي أرى بحقّ أن طِينَتِي من طينة قطب العارفين الشيخ محمود أفندي المدفون في ژاخور، وأن تُرْبَتِي بإذن الله تعالى تكون لديه وكانت؛ كما قال.

ومن كراماته أيضاً: أنّه كان يعلم من جاء لخدمته من الزائرين بلا التفاتٍ إليه ويدعوهم بأسمائهم بلا إشارة منهم، وكان قد علم أيضاً وقت موته وأخبر لواحد من مخلصيه ومات في سنة (١٢٨٤هـ) ألف ومائتين وأربع وثمانين في اليوم الأوّل من شهر ذي القعدة الحرام، فمدّة عمره ستّ وخمسون سنة.

وكان مدّةُ حياته قليلا بعد كونه مأذونًا، ومع ذلك أظهَر لمخلصيه من عجائب وغرائب وبقي منه آثارٌ كثيرةٌ وكرامات عظيمة لم أذكر جميعها خوفًا من طول الكتاب ومَلالة الخطاب، فرحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا وعن جميع الإخوان والمخلصين آمين يا أرحم الراحمين.

ومن كراماته: أنّه قدّس سرّه العزيز اغتسل له قبل يوم أو يومين من موتِه على اختلاف في الرواية بنفسه، وأشار بموتِه في ليلةٍ كذا قبل إدراكِ صلاة الصبح ومات قدّس سرّه في تلك الليلة؛ كما وَعَدَ على وضوء ولم يبق من اللسان إلى أن مات، أخبرتْني بما ذكرناه قبلُ أمّي المرحومة المغفورة رحمة الله عليها وعلى جميعِ أمهات المؤمنينَ، آمين اللهم آمين.

وحكي أنّ «يس» الشريف كان يقرأ بنفسه، فالحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال.

ومن كراماته أيضاً: ما نقله غيرُ واحد من أهل بيته: أنه لمّا مرض بمرض الوفاة.. لم يبقَ من الصلاة، ولا من ذكر الله أصلاً، ولا من تربية السالكين أيضاً؛ كما مرّ

مـوردُ الـحـمـد لـم يـزل يـذكـر الله ❁ كـمـا اعـتـيـد قـبـلَـه بـانـشـراح

في بيان مناقب شيخِه محمود أفندي، فراجعها حتى أخبرَتْني والدتي أنه

صلّى صلاةَ العشاء إماماً لمن جاؤوا لعيادته في الليلة التي مات هو فيها على أنّه لم يأكل الطعام قَطُّ منذ خمسة عشر يوماً؛ لعدم قدرته على بلعه لمرض في الحلقومِ.

وكان يضع لقمة في فمه بنيّة الأكلِ حين كلّفتْه أمّه أو أهله حفظاً لخاطرهما، ويُخرجها ويقول رضي الله عنه وأرضاه عنّا آمين لأمّه وأهله: يا أُمّاه ويا أهلاه إذا لم يكن من طرف ربّي إذن على بلعِه فكيف أبلعُهُ؟ رضيتُ على قدر ربّي، وأنتما إن شاء الله تعالى ترضيان عليه؛ لوعيد على من لم يرضَ على قدرِ الله تعالى حيث قال في حديثه القدسي: «**مَنْ لَمْ يَرْضَ لِقَضَائِي وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي.. فَلْيَخْرُجْ مِنْ تَحْتِ سَمائِي وليطلُبْ رَبًّا سِوَائِي**»[1] الحديث، ولم يُدرِك قدّس سرّه صلاة الصبح، بل مات قبل نصف ساعة منها على وضوءٍ يقول لمن أقامه أن ينظُر إلى طلوع الفجر الصادق: هل طلع الفجرُ هل طَلَع الفجرُ، جزاك الله خير الجزاء، وكان المُقام رجلا جاء إلى دين الإسلام بترك دينه المجوسيّ اسمُه سليمان استند إلى الشيخ المترجَم له قدّس سرّه بعد ما جاء إلى الإسلام خوفاً من قتل أقربائه وفتنتِهم عليه، وكان قريبَ العهد منه يحفظه في بيته حفظًا من أيديهم ويعلّمه الصلاة والقرآن.

ثم لمّا مات والدي قدّس سرّه.. قالت والدتي: ذَهَب مُهاجِرًا إلى إِسْلَامْ بُول، فمات فيها مظلوماً، قصّته عجيبة لا يسعها المَقام فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه في بُحبوحة[2] الجنان، آمين.

---

[1] راجع «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» للنيسابوري (٢/ ٤٠٦).

[2] وَسَط الشَّيء وخيارُه. «معجم اللغة العربية المعاصرة».

وحُكِي: أنّه لم يعلم من عندهم من الأقارب وقت موته لسهلة سكراته وبقوا مدّة مديدة في حَيْرَة بأنّه هل مات أم هو ساكة بنعاس؟ نفعنا[١] الله تعالى بصالح دعواته، ورزقنا ولجميع إخواننا من شفاعته ومن شفاعة معاصريه بالنبي وآله، آمين ورفع الله درجته إلى أعلى غرف جنانه بفضله وكرمه، آمين اللهم آمين.

وكذا أخبرتْني والدتي: أنَّه أمر لرئيس مخلصيه ومريديه وكانوا قد اجتمعوا لعيادته بإقامتهم في مسجد تقليب[٢] وهو مسجدُه ينظرونني إلى الصباح ماذا يفعل الربُّ في شأني، ولكن أنت تجيء في ساعة بعد ساعة لأن أوصى إليك ما نسيتُه الآن، فممّا أوصاه بعدم إبقائه في أثناء الناس والإناث على عادة قرية زَاخور، وكذا أوصى له بغسله وتكفينه عقب خروج روحه بلا توقّف لحظةٍ في ساتر عظيم يستر جميعَ بدنِه غير سقف البيت، ودفنه عند سلطان الأولياء سلطان شيخ محمود قدّس سرّه قائلاً بلسانه له ولغيره: إنَّ تربة ذلك الولي؛ كشجر عظيم أغصانُه مبسوطة على كلّ الجهاتِ فظلّه يكون عظيماً فمن كان في ظِلِّه.. لعلّ اللهَ تعالى يغفر ببركته وشفاعته، وهكذا قال مِراراً.

موعظة: اعلموا أيّها الإخوان: أنّ ذلك من هضم نفسه وتحقيرها كذا وكذا وأيضاً فيه إشارة ووصيةٌ لمن ينتفع بها ويتّعظ عنها من مريديه ومُخلصيه أنّ الأنانيةَ والكبرَ شيئان يَخْذُلان الإنسانَ، وأنَّ التواضع وتحقير النفس نعمتان عظيمتان من نعم الله تعالى، يرفع بهما الإنسان وإن كان هو من أهل العصيان،

[١] ولو كانت بعد موته؛ إذ لهم دعوات لمحبّيهم بعد الموت؛ كما هو مقرّر في محلّه. (منه).

[٢] اسم مسجد في وسط قرية زاخور يقال له: مسجد حاج أفندي. (منه).

وأنَّه مع وِلايته إذا أَحْقر وأَذَلَّ نفسَه، فما كان لأمثالنا المغرورين لا نخرج من خدمة النفس والأنانية... إلخ وإلخ.

ومن المعلوم: أنَّ كلمات الأولياء لا تخلو أصلاً من إشارة؛ لما بُيِّن في محلّه.

ومن كراماته: أنه حين راح تارةً إلى زيارة «الصفرة» التي كانت على رأس جبل ژاخور المسمّى بكشال مَدَّ قدّس سرّه بعصاه على موضع تُربته، وخطَّ به عليه، وقال لمن معه من الإخوان، وفيهم أخوه الشقيق الحاج عبد الله أفندي رحمه الله تعالى ناظم هذه القصيدة المحمودية وهو مُخبرنا بذلك: ابنوا على هذا الخطّ أحجارًا؛ لتكون علامةً لمن خلفنَا؛ لأن هذا موضع تربة هذا الولي قدّس سرّه، ولم يكن قبلَه من أحد يعلَم موضعَ زيارته على التعيينِ وبعده إلى الآن، يزار عليه ويتبرّك الناس منه، وفيه ماء يخرج في كلّ سنةٍ حين مضى من الربيع أربعون يومًا، ويفور إذا مضى من الخريف أربعون يومًا إلا سنة مرور الكفّار عنها، وتارك الصلاة، وفاعل المحرّمات، ففيها لا يخرج أصلا وهو من علامة ولايته، يحمله الناس إلى منازلهم؛ ليتبركوا عنه ويشرَبوا منه، لأجل الشفاء، ووقت خروجه يكثر الزائرون إليه من القرى، وينحرون الضحايا عَليه، نفعنا الله من بركاته، آمين.

ومن كراماته: أيضا ما نقَله أخونا الأعزّ عبد الوهاب أفندي الـژاخوري ثم اللّكيتي أنّه لما أتى لديه رحمه الله العالم الألمعي والفاضل الأوحدي أمير علي أفندي الجنيغي لإنابة منه والتمسّك عن يده.. قال عليه في شيخ محمود: مَن هذا الرجلُ الذي جاء معك ريحُه، لحيته سوداء، وصفته وفيضه

كذا وكذا؟ قال أمير علي أفندي: لا أعرفه حقيقتَه غيرَ أنّه لعلّه أن يكون هو ولي الله العارف ذا الجناحين قطب زمانه محمد أفندي اليَراغِي[١] قدّس سرّه وأعاد علينا من بركاته.

قال الشيخ المترجَم له: فما سببه؟ قلتُ: أزور تربتَه في كلّ يوم الخميس وقت قراءتي هنالك أي: في قريته المدفون هو فيها، وهي قرية ثغراك[٢] قال الشيخ المترجَم له: فمن أجل ذلك وُجِد فيك أثرٌ من آثاره إذ لشيء إذا قَرُب لشيء.. أخذَ حُكمَه، وخاصةٌ من خواصّه، نفعنا الله من بركاته وأمدّنا من إمداداته، آمين اللهم آمين.

ومن كراماته أيضًا: ما نقله أخونا الفاضل عبد الوهاب أفندي الثاخوري: أنه لمّا أتى إلى خدمتِه أعلى علماء الزمان وأولى فضلاء الأوانِ الحاج بالحرمين المحترمين حاج عثمان أفندي المُسْلاغِي[٣] للتوجّه عليه.. قال والدكم أستاذنا الشيخ حضرة أفندي قدّس سرّه: من هذه المرأة التي جاءت معك، صفتها كذا وكذا؟ قال: هي زوجة ضيفي فلان السّيلكوتي صادفتني في الطريق، قال الشيخ:

[١] هو الشيخ الحافظ محمد أفندي ابن مَلاًّ إسماعيل اليَرَاغِي الكُرَالِي الداغستاني، ولد في سنة: (١١٨٦ هـ) تخميناً، كان أوّلاً مدرِّساً في العلوم الظاهرة، وكان فيما بين تلامِيذه خاص محمد الشِّرْوانِي الذي اشْتَغل بعد الرُّجوع مِن عندِه على تَلقّنِ الطريقة النقشَبندية من الشيخ إسماعيل الكُورْدَمِيري، فرجع بعد أن صار مُجازاً منه في نشرها إلى يَرَاغْ لدى محمد أفندي، ولقّنَه الطريقة وسنُّهُ: إحدى وخمسون. ثم توجّه اليراغي إلى كُورْدَمِيرْ، وشرّفَه بالإجازة الشيخ إسماعيل. ثم هاجر إلى صُغْرَلْ، وتوفّي قدس سِرُّه بها في أثناءِ الوضوء، وقت عصر يوم الإثنين، (١٣) من جمادى الآخرة سنة: (١٢٥٤ هـ)، ودُفِن في مقبرتهم ضحوة يوم الثلاثاء. ويوجد له آثارٌ وقصائد، وتائيّاتُه الكبرى والصغرى في المدحيّات والسِّيَر. «آثار الشيخ اليراغي» (ص ١٤١-١٤٣)، «ديوان الممنون» (ص ٣-٥)، «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٣٥٥-٣٥٨).

[٢] قرية في منطقة غُونِبْ (Gunib) في داغستان.

[٣] قرية في منطقة رُوتُلْ (Rutul) في داغستان.

أنت[١] عالم هل يجوز في الشريعة أن يتكلّم أجنبيٌّ مع أجنبيّة ولو بالنِّقاب ؟ ثم أخذ عثمان أفندي في العذر، قال الشيخ: قف فما تقول تكلّمَكم بمحبّة القلب، لو سلَّمنا غيره.. أليس الله تعالى بصيرًا بعباده وناظراً[٢] على قلوبهم ومطّلعا على ما فيها، قال الشيخ: مضى ما مضى، فمن بعد هذا تكون إن شاء الله تعالى مع الله تعالى في السرّ والعلانية وعلى خوف من جَنابه في كلّ وقتٍ ولا تفعل مثل هذه الأفعال، وفّقك الله تعالى توفيقاً حَسنًا في هذا الطريق، وجزاك الله تعالى خير الجزاء، آمين.

ومن كراماته: ما نقَله عنه أخونا الأعزّ الحاج عبد القادر الـزّاخوري وغيره من مريديه: «أنَّه لمّا ركب على وجهه فوقَ قرية سُكُوت[٣] وقت رجوعه من زيارة سلطان الأولياء وقطب الأصفياء سلطان شيخ أمير المدفون في قرية مِشْلِش[٤] مع جمع كثير من السالكين وجرح أنفه وفجر دمه.. أَوْمَأ بوفاته وبقرب أجله، وذلك قبلَ ثلاثة أشهر أو أكثرَ من موته وقال بلسانه حين وقع الفزع الأكبر بذلك والبكاء الأعظم على ذلك بين السالكين: «لا تفزَعوا ولا تبكوا، وقد حصل لي بهذه العَثْرَة[٥] نفعٌ كثيرٌ عند الله تعالى» انتهى.

ثم اعلم: أنّ في ذلك الموضع الآن علامةُ دعاء وثناء الناس عليه فأقول: لعَلّ ذلك النفع أن يكون ثناءُ هؤلاء المارّين ودعائهم على روحه المبارك

[١] أي: ما لم يكن عذر شرعي. (منه).
[٢] في الأصل: «بصير» و «نظير».
[٣] قرية في منطقة رُوتُلْ في داغستان. المدرجة في مستوطنة ژاخُور الريفية.
[٤] قرية في منطقة رُوتُلْ في داغستان.
[٥] أي: الزلّة.

مدى الزمان إلى انقراضه، بذكر اسمه الجميل وإحيائه، فعليه اطلعه الله تعالى بفضله.

ثم قال ما قال: فأيّ نفع أجمل وأكثر فائدة من هذا، وأيّ كرامة أعظم شهامة منه رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه عنّا بفضله ورزقنا من بركاته ومن بركات سائر المشايخ العظام والأولياء الكرام بالنبي وأصحابه الفِخام، آمين اللهم آمين؟!

ومن كراماته: ما أخبرني به واحد من مريديه حاج محمد الجنيغي حيث قال: «إنّي لما أردت السفرَ مع الرُّعاة إلى شِكِي.. جئتُ لزيارة والدكم الكريم وشيخي العميم، بل ولطلب الإذن منه على الذهاب إلى شِكِي.

فوقتئذ وجدتُه رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته في جامع ژاخور متوجِّهَ القبلة، وكان بابُه مفتوحاً فنظرتُ منه، ثم لمّا رأيته على ما رأيت عليه.. انصرفتُ أدباً منه إذًا دعاني باسمي بلا التفات إليّ، ثم ذهبتُ لديه فَزَعًا مرعوبًا قائلًا في نفسي ما يقول ناداني مثل غضبان، وقُمْتُ في خدمته متذلّلا؛ كأسير مسلوبِ الاختيارِ.

ثم سأل هل جئت زائرًا أم لمطلب؟ قلت: جئت زائرًا مع مطلب قال: ما هو ؟ قلت عن قلب خائف منه: أريد الإذنَ منكم لأجل كذا وكذا أي: للذهاب إلى شِكِي، فأذِن لي به فالحمدُ لله على ذلك بيد أنّه أوصاني بوصايا كبيرة بعد السؤال منّي كم من يومٍ تنصرف وتَرجِع إلى هنا وبعد أن قلتُ لا أبطئ من ستة أو سبعة أيام إن شاء الله تعالى قال: إن شاء الله تعالى تقولُ: سلامي أوّلًا إلى أولاد قطب الأقطاب أستاذنا ومولانا الشيخ محمود أفندي

الألمالي، ثم الحاج تَرْخَانِي قدّس سرّه العالي، وروحي فَداه وأفاض علينا من فيوضاته وإمداداته، وتَعلم صحّتَهم وسلامتهم وتخبرُ بذلك إليّ ليطمئنّ به قلبي، وثانياً تقرأ دعائي إلى أخينا مُخلِصنا حاج جبرائيل أفندي وإلى خليلنا ومحبّنا أخينا لله حاج حمزة أفندي أدام الله تعالى أَفَنْدِيتَهما وتجيء بإخبارات جديرة من طرفهم ينشرح بها قلبي أيضاً سالمًا كذا وكذا، فعند ذلك وقع في قلبي يا ليتنِي قلتُ لشيخي هذا مدة رجوعي عن هذا السفر فوق ما قلتُ له قبل؛ لئلا أكون لديه كاذباً إن لم أقدر الإيابَ عنه مع إتمام وصاياه المذكورة في الأيام التي وعدتُه إياي بعد تمامها ومضيّها؛ إذ في تلك الأيام فقط أَدور في القرى؛ لِإيصال ذي حقّ حقَّه فتنقرض الأيامُ به ففي أيّ وقت وساعة أرى كسبي ومَطالبي قمتُ هكذا أتفكَّرُ ساعةً أو أقلّ، فقال: لا تقف واذهب إنَّما الأمور مرهونة بأوقاتها بإذن الله تعالى ترجعُ مع إيفاء المطالبِ والمقاصدِ كلِّها، كن متوكِّلا خاشعًا.

ثم رجعتُ من عنده بإذنه متوكِّلًا ومعتقدًا على إتمام جميع ما أمرني به مع مقاصدي في الأيّام المزبورة، وقد تمّ بعون الله الحمد لله، وسافرتُ مع الرعاةِ صبيحة يوم الرجوع من خدمته، ووصلتُ المنزل سالماً ورأيتُ جميع من أوصاني برؤيتهم من الأشخاص الكرام والأولياء العظام صبيحة يوم الوصول في أرض قرية كُلُّوك ببركته، ولم أعبُر منها ولو بقدمٍ.

ثم اشتغلْتُ لكسبي وإيفاء مطالبي على الراحة إلى أن قَرُب تمام الوعد، ولكن ذهبت ليلة الإثنين من ليالي تلك الأيّام مع ضيفي فلان الكُلُّوكي إلى قراءة صلوات الشريف لدى حاج شرين أفندي الكُلُّوكي قدّس سرّه، ثم إنّه

لمّا دعاه داعٍ للضيافة.. سلّم قراءتها إليّ، فقرأتُها على من اجتمعوا معي من المريدينَ، ثم لما كان الأمر كيت وكيت.. قدمتُ لدى شيخي بعد الرجوع عن المنازل، فبينما أنا واقف على باب داره إذ قال: كيف رأيت صنع ربّك جل وعلا؟ وقال: كنتَ متوكّلًا قاطعاً إلى الله تعالى فكان هو حسبك ونعم الوكيل؛ إذ أتممتَ مجموع وصاياي في مدةٍ قليلةٍ من يوم واحدٍ؛ لأن الله تعالى ميسّر كلّ عسير، ولكن مضيّفك الكُلُّوكي رجل حاسدٌ، فلا تذهب إلى بيته من بعد؛ لأنّه قد حسد لك على تسليم حاج شرين أفندي عليك قراءةَ الصلوات في الدائرة الكُلُّوكية على رجال كُلُّوك... إلخ وإلخ» انتهى كلامه.

فتعجَّبتُ مما أعطى الله تعالى من فضله على عباده المخلصين من الاطّلاع على غرائب مصنوعاتِه ومُغَيَّباتِه، ثم إذا عاينني هذا الأمر منه ازداد اعترافي عليه وعلى سائر الأولياء رضوان الله تعالى عليهم وعلينا أجمعين.

وقلتُ في نفسي: نعوذ بالله من سوء الاعتقاد في الصالحين، والإنكار على أوليائه العارفين، نفعنا الله تعالى ببركاته وأمدّنا من إمداداته، آمين اللهم آمين» انتهى ما نقله عنه ملا حاج محمّد الجِنِيغي رحمه الله تعالى.

ومن كراماته: ما أخبَرني به حاج محمود ولد حاج أمير الـزّاخوري حيث قال: «إنّ امرأة من أهالي قرية زاخور لمّا أفقدها أهلُها ولا يعلم موضعَها - أي: لا موتها ولا حياتها - فيطلبونها مذ يومين ولا يجدونها.. جئت لدى والدكم إلى مسجده وكان واقفًا للعبادة في شيخ محمود، وقصصتُ عليه القصة، ثم قال قدّس سرّه: يا هذا إنّي لما كنت اليوم جالسًا للمراقبة والتوجه كان يجيء أمامي جنازة امرأة ولا أقدر أن أنظر إليها؛ لكونها مكشوفة، فلعلّها

أن تكون جنازة تلك المرأة، ولعلّها توجد في هذه الجهة ميتًا، ثم رجعت من عنده وقلت لأقربائها ما قاله لي، ثم طلبوها من تلك الجهة، فوجدوها ميتاً».

فالحمد لله على ذلك وغيرها، يمكن أن يبقى ويوجد من آثاره وكراماته ولكن اختصرتُ على ما في الكتاب خوفاً عن الإطالة والملال فهذه كراماته التي برزت عنه في حياته.

وأما كراماته التي ظهرت منه لبعض الناس بعد وفاته.. فما أتلوها من بعد

الكرامة الأولى: ما نقله غير واحد أنّه سُمِع من قبره ليلة موته لحفاظه حين طلوع الفجر الصادق صوتُ آذانه من القبر، وشاهد عليهم من كلماته كلمة لا إله إلا الله، فعند ذلك هاجُوا وآمنوا بكرامته؛ كما آمنوا قبل ذلك، بل زاد إيمانهم الآن.

ومن جملتهم أخونا العابد عبد الوهاب أفندي وهو المُخبِر بنا بذلك، فالحمد لله الذي جمعنا في زمان واحد حيث سمعْنا هذا الخبرَ من لسانه، اللهم ارزقنا حُبَّك وحُبَّ من يقرّبني إليك واجعَلْ آخرَ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الكرامة الثانية: ما أخبَرنا به وشهِد لدينا حسبةً لله أخونا العاقل حاج محمود ولد حاج أمير الزاخُوري حيث قال: إنِّي قمتُ ليلة من ليالي الشتاء الماضي لسنة ألف وثلاثمائة وخمس عشرة قريبًا إلى الفجر إذا رأيتُ من كُوّة إيواننا ضوءًا وقع على جدار بيتنا فعلى عجب من ذلك فتّشته بأنه من أيّ موضع، فوقع بصري على قبّةٍ والدكم الكريم الشيخ حضرة أفندي قدّس سرّه، ورأيت أنّه

يقع منها إذ أرى وقتئذ سراجًا موضوعًا على طاقها يتلألؤ ومن ضوئه وقع الضوء على جدارنا، ثم كرّرت النظرَ ثانياً؛ كيلا يخطئ بصري فرأيته؛ كما كان وحقَّقت أنّه من قبّة ذلك الوليّ لا شَكَّ[١].

وكذا أخبرني بذلك – أي: برؤية سراج مضيء من كوتها – ابن عمّه حاج عبد الله ولد العالم التقيّ النقيّ الحاج إسماعيل أفندي في ليلةٍ من ليالي الربيع لسنة ألف وثلاثمائة وست عشرة قريباً إلى وقت العشاءِ.

وأيضاً أخبرتني زوجتُه آمنة بنت العالم ملا إسماعيل الـزاخوري حيث قالت: رأيته كذا وكذا، ثم أبصرْتُ زوجي حاج عبد الله المذكور إنّي أرى من قبّة ذلك الوليّ حضرة أفندي قدّس سرّه ضَوْءًا كذا، فأنظره ما الذي أراه فنظر وقال: أرى ما ترى، وحكايةُ ذلك طويلةٌ ولكن اقتصرتُ على ما فُهم مما سبق، اللهم اجعلنا واجعلْهم ببركتِه من الذين يَستمعون القولَ ويتبعون أحسنَه، آمين اللهم آمين.

الكرامة الثالثة: ما شاهدني منه بعد ما رأيتُه في النوم وبعد ما نصَح لي فيه في حقّ الدخان المعروف وهو عدمُ وجدان طعم الدخان المعروف ولو شربتُ من أعلاه، وكنتُ بعد ذلك أطلب وأشتري أحسنَه بثمنٍ غالٍ ولكنّه يكون غيرَ حسنٍ وغيرَ حلوٍ بسبب نظره المبارك ولعدم اتّعاظي من وعظِه ونصحِه مع أنّي قارئ من بين أبنائه الستة مضى حالي هكذا إلى أن لقَّن لي شيخي التلالي الذكرَ إلى لطيفة ثم وثم إلى لطيفة السرّ، فعند ذلك كنتُ لا

[١] ثم اعلم: أنّ أكثر الناس من القرية كانوا يتكلّمون أنّ ذلك لضوء يرى من قبّته في كلّ يوم الإثنين والخميس. (منه).

أقدر أن أشربَه فمتى شربتُه.. أخذني القيء، ثم ببركتهما ومددِهما قدّس اللهُ أسرارَهما تركتُ وتبتُ عنه، فالحمد لله حمدًا كثيرًا وأشكره شكرًا وفيرًا، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

الكرامة الرابعة: ما رأيتُه منه بعد التطلّب إذ مذ ما وصلْتُ إلى الرشد ومنذ ما سمعتُ أنَّ والدي كان من خلفاء قطب الزمان وحيد عصره وفريد دهره الشيخ محمود أفندي الألماليّ الحاج ترخاني قدّس سرّه العالي وروحي فَداه، وَقَع ودار في خَلَدي أنّه في مقام من معاصريه أي: من إخوانه في عصره من الخلفاء الثمانية؛ ليطمئنَّ قلبي، فبعدما كنتُ راسخًا وواجدًا بملكة في هذا الطريق توسّلتُ بسيد المَلَوَيْن[١] والشافع في الكونين محمد المبعوث إلى الثقلَيْن مراقباً، فغبتُ بفضل الله عنّي فرأيتُ أنّي في بيت مزيَّنٍ ومرصَّع بلا حدّ حال كوني وحيدًا؛ إذ دخل من باب ذلك البيت رجلان أجملان واحداً بعد واحدٍ، فقام الأوّل على يميني متوجّه القبلة والآخرُ على يساري مستدبرَ القبلة مواجهةً، ثم جلَس من قام على اليمين، فنظرت أنّه والدي المرحوم قدّس سرّه ولكنّ مَن على اليسار قد كان قائمًا على وجه الأدب بين يديه وناظرًا إلى إذنه في الجلوس وهو من معاصريه عرفتُه ولم أبيّن اسمه في الكتاب؛ لئلا يملّ القلوب، فمنه أخذتُ الحصّة واطمأننتُ اطمئناناً بليغاً، فالحمد لله على ذلك، والله يعلم ما هنالك.

[الشيخ حاج إسماعيل السِوَاكْلي]

وخامسهم: إمام الهدى وتارك الردى مخزن العلوم الإلهية ومصدر

[١] المَلَوَانِ: اللَّيلُ والنهار، أو طَرَفا النهار. «المعجم الرائد» (ص ٧٦٨).

الفيوض الربانية العالم في الظاهر والباطن شيخنا الشيخ حاج إسماعيل أفندي السِواكْليّ قدّس سرّه ونوّر قبره، آمين.

قال الباكِنِي في «طبقاته» نقلًا عن الثقات: (أنّه قدّس سرّه كان أوّلاً مع أقربائه مهاجرين إلى ديار داغستان في زمن الشيخ شامل أفندي وتحت سياسته وفي تربية الشيخ الجليل والغوث الجميل شيخ المشايخ الشيخ جمال الدين أفندي الغُمُوقِي قدّس سرّه ونور قبره.

فبعد دخوله في ضمن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [١] وبلوغه ما بلغ من مقامات الأولياء ودرجات الأصفياء.. أجازه الشيخ جمال الدين أفندي بالإجازة الكاملة وأجلسه على بساط إرشاد الخلق الراضية[٢] المرضية.

ثم لما وقع الفتنة الكبرى والبلية العظمى بحبس الإمام شمويل أفندي وبوقوع ديار داغستان في يد الكفّار خذلهم الله الخليل الجبّار، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، وسرّه حتى عن الأنبياء والملائكة مستورًا فارق من شيخه جمال الدين أفندي؛ لأنه مع العيال ذهب مع شمويل أفندي إلى ولاية الروس والشيخ المترجَم له رجع إلى وطنِه الأصليّ إلى قرية سِواكْل.

وسببُ كونه ودخوله في تربية الشيخ محمود أفندي مع كونه مأذوناً من شيخهِ المذكور؛ كما أخبرنا به خليفتُه وشيخُنا الشيخ الحاج قُصَي أفندي

[١] سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

[٢] أي: وأجلسه على بساط إرشاد الخلق حال كونه مالكا مقام النفس الراضية المرضية، فتبصر. (منه).

الجنيغي نقلاً عن فمه أنَّه قال: لما عرضتْ علي مفارقتي من شيخي جمال الدين أفندي في آخر الأمر.. قال: «يا بني ملا إسماعيل أنا القطب الآخر في ديار داغستان فلا يكون بعدي قطب إلى آخر الزمان وإن وصلت لمرشد وصل إلى مقام القطبية الكبرى يمكن لك الذهاب لديه للاستفادة، وإلا.. لا حاجة لك للإياب إلى غيره»، فرسخ مقالتُه في قلبي وتمكّن في لُبّي وكنتُ في بيتي وفي قريتي في زمان.

ثم سمعتُ بعد مدّة مديدة وأزمنة عديدة أنّ في قرية ألْمالُو رجلٌ عظيمٌ يدّعي المشيخَة بالشيخ محمود أفندي وكنت لا ألتفتُ إلى أقوال الناس بالنظر إلى قول شيخي الأوّل، وكنت تيقّنْتُ أنّه لا يكون أحد ما في ديارنا أكبرَ من الشيخ جمال الدين أفندي، فيومًا جاءت رسالةٌ إليّ من الشيخ محمود أفندي مضمونُها حضوريّ عندَه فلم ألتفت ثم بعد مدّة جاءت ثانية هكذا فلم أنظرْ أيضًا، ثم جاءت ثالثة إن كنت تجيء تعال، وإلا.. أجيء عندك، فإنّي لا أستنكفُ عن زيارتك وإن استنكفْتَ عن زيارتي، فتأثّر هذا القول في قلبي فقلت: فما يفعل إن ذهبتُ لديه فهل لا يحصُل لي أجرُ زيارة الكرام والأولياء العظام وإن لم يفد لي بشيء؟!

ثم ركبتُ الفرسَ الأبيض وارتحلتُ إلى قرية ألْمالُو فوجدت عنده جماعةً كثيرةً ناكسين رؤوسهم من رهبته ساكتين من هيبة؛ كأنَّ على رؤوسهم الطير، ثم لمّا اطلعتُ على زمرته الكريمة.. رفع رأسَه المبارك من أعلى ركبتيه وقال: اقعد يا أخِي بجمال طلعتِه فلما قعدتُ في حلقته ودخلتُ في حجاب محبته.. قال: يا ولدي حاج إسماعيل أفندي إنّ قول شيخك جمال الدين

أفندي الغموقي: أنا آخر القطب في الداغستان» حقٌّ عندنا وصادق لدينا، ولكن نحن الأوّل منه في القطبانية والأفضل في الجيلانية.

ثم لمّا خرج هذا القولُ منه.. صرتُ مَغشيًّا عليّ باستيلاء حاله لديّ ولم أقدر لدفعه ولم أملك لمنعِه فحين كوني في الحال عَلّقني أو أدلاني من إبهام قدميّ بلا مجالٍ مربوطًا بهما من أعلى شاهق كبيرٍ عالٍ لا يُدرَك قعرُه بالفكر والمقال، فوقف الشيخ محمود أفندي على رأسي ناظرًا إلى ضيق حالي وشدّة بأسي فخفتُ فناديتُ شيخي جمال الدين فجاء كالبرق الخاطف ووقف عن بعيدٍ منّي وناديتُه ثانيًا وثالثًا واستغثْتُ له بإخلاصٍ مما وقعتُ فيه فلم يقدر ولم يحضُر لديّ من هيبة الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه، فعلمتُ أنّ الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه أعلى منه فناديته واستغثتُ به فمدّ يده إليّ وخلّصني، فبعد ذلك ذهب عنّي الحال ووجدتني كالطير المذبوح المرميّ بين بدي الحلقة ووجدتُ جميعَ أعضائي متألّمة متمزّقةً فقعدتُ على هيئتي وأدبي فقال الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه: «يا حاج إسماعيل أفندي ما أصابك يا ولدي قد وقعتَ في حرجٍ عظيمٍ وضيقٍ جسيمٍ فقلت: لا قول لي ولا جوابَ وأنت تعلَمُ كلّه يا باب الأبواب ويا مفتاح القلوب لذوي الألباب.

ثم قال: يا بنيّ قد وجَب عليك دخولُك في تربيتنا ولا نكلّفك في خدمتنا، فلقّنني ذكر القلب وما معه من الآداب والمعرفة، فأرسلني إلى بيتي وكلّما حضرتُ لديه.. كان يُجدّد درسي ويكثر ذكري، ثم في آخر الأمر أجاز لي وأذن لي وبالوصول بشّر لي» انتهى.

وكان رحمه الله تعالى عالمًا عاملًا وفاضلًا كاملًا لا يحمل منّةَ أحد

حتى إذا ذهب إلى زيارة مريديه وأحبّائه كان يحمل معه شعير فرسه وكان غنيًا بالمال؛ كما هو غنيّ بالقلب، وكان لا يستقيم له أمورُ الدنيا ويعلى عليه البلايا الكبرى، وكان يصبر كلمّا ابتُلي، ويشكر كلما أنعم؛ كما هو شأن الأولياء الكُمّل والأصفياء الفُضَّل، فلله درّه وإلى النعيم ردّه.

وكان يجتهد في إرشاد الخلق إلى طريق الحقّ ويلازم على الجمعة والجماعة، ويحمل آفات الخلق لرضاء الحقّ، وكان كثيراً ما يقول لمخلصيه: «ليس الشجاعة والرجولية في العبادة في الخلوة، وإنّما الرجل من يحفظ نفسه في الجلوة، ويحضر مع الله تعالى في ملأ الناس ويطرد قلبه من الوسواس.

وكمالاته كثيرة وكراماتُه وفيرةٌ ولو كتبنا كلّها.. لحصَل كتاب ضخم رحمه الله تعالى وإيانا) انتهى[١] ملخّصا على المرام.

ثم اعلم: أنه لم يبق من الشيخ المترجم له خليفة مّا، وأما ما في «طبقات» أخينا الكبير شعيب أفندي الباكني قدّس سرّه من: «أنه قد أجاز إجازةً تامةً لشيخه الحاج قصي أفندي الجينغي رضي الله تعالى عنه».. فغيرُ مقبولٍ عندي؛ لأنّي قد رأيتُ كتابًا على اسم شيخه حاج قُصَيْ أفندي من طرف أخ الشيخ المترجم له على أنّ أخاه حاج عبد الله أفندي السِواكْلي وكذا حاج أفندي القرقاويّ ليسا بمأذونين من أحدٍ لا من هذا الشيخ المترجم له ولا من شيخه محمود أفندي[٢] قدّس سرّه، فكيف أجاز أخوه حاج عبد الله أفندي

[١] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٤١-٥٤٤).

[٢] لأنّي سمعت من شيخنا التّلالي يقول: إنّ محمود أفندي لم يجز في ديارنا لغير الثمانية المذكورين في الكتاب، والله أعلم بالصواب. (منه).

لشيخه، وعلى أنَّ شيخه المذكور كان يدّعي في حياته أنّه مأذونٌ من هذا الشيخ المترجم له فلم يكن له كتاب من طرفه؛ كما هو عادة مشايخ الديار وهو المأثور عن السلف هم خيارُ الخيار، فهذا هو الحقّ الحقيق لا شبهةَ فيه على التحقيق[١].

ومع هذا اعلم: أنّي لستُ منكرًا لشيخه حاج قُصَي أفندي قدّس سرّه لتخلقه بالأخلاق الحسنة وتجنّبه عن الأوصاف السيئة، فمن أجله كنتُ أقول[٢] في حقّه؛ كما قال الباكِنِي قدّس سرّه في «طبقاته»: (إنَّه كان مجذوباً سالكًا وسالكًا مجذوباً، وكان من أعاجيب الزمان في الخوف من الله تعالى ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[٣] إنّي كلّما حضرتُ لزيارته.. كنتُ أجده يبكي ولم أبصر عينيه في وقت ما جامدًا من الدموع إلا نادرًا كان عالمًا فصيحاً ناصحاً، وكان قدوسي آخر الزمان في إنشاد الشعر العربي والتركي والديوان وكان شجاعاً مهاباً وللدعاء مجاباً، وكان لا يترك القول الحقّ إلا يقوله، ولكن كان إنكار الناس عليه كثيراً؛ لكون أولاده غير مطيعين لله ولرسوله وعاقّين لقوله وإن كان واحدهم الكبيرُ عالماً ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾[٤]

[١] ولكن يقول الشيخ شعيب أفندي في كتابه «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٨٨) عن شيخه قصي أفندي: (وكما كان مأذونًا ومجازًا من شيخه الحاج إسماعيل أفندي كان مجازًا من شيخه وأبي حليلته الشيخ حاج خليل أفندي الجِنِيغِي الذي هو مأذون الشيخ جمال الدين أفندي الغُمُوقي قدّس الله تعالى أسرارهم العليّة).

[٢] أي: وقت حياته ووقت رؤيته في المجالس ولو كنت حينئذ من الراجِلين في علم التصوّف... إلخ وإلخ. (منه).

[٣] سورة الواقعة، الآية: ٧٥.

[٤] سورة الكهف، الآية: ١٧

وكان التضيّق عليه بسببهم كثيراً وكان سكناه في قرية كُدْبَرَكْ وهي قرية من ولاية چار - كثيراً وإن كان وطنُه الأصليّ قرية جَنِيغ، وكذا كان وفاته فيها، ودفن في المقبرة الكائنة قبالة بيته وعلى قبره علامة للزيارة الآن يُزار ويتبرّك في شهر جمادى الأخير في سنة (١٣١٤هـ) فرحم الله تعالى وإيّانا ورضي عنه وعنا، آمين) انتهى[١] ملخّصًا.

ومن مكتوبات الشيخ المترجم له لمريده الشيخ الحاج قصي أفندي قدّس الله أسرارهما:

بسم الله خير الأسماء حمداً لمن غرس نخيل الوداد في رياض قلوب من شاء من العباد من عبد الله ذي الجلال الداعي الحقير الحاج إسماعيل إلى حضرة العالم العليم والأخ الأعزّ الحليم ملا قصي سلام تامّ يعطر؛ كالعنبرين، ودعاء عامّ يتضوأ؛ كالقمرين، عليكم وأهلكم وأحبّائكم قاطبة، آمين.

أما بعد: خلف إهداء التحية والسلام [لغت] جنابكم الميمونة أوّلاً أن تكون سابحين في أمان الله تعالى دائماً، وثانياً إعلام لكم عدم النسيان والهجران عن فؤادنا بطول الفراق وترك الاختلاط بيننا وبينكم، ولأجل ذلك ألتمس منك وأوصيك بالاستقامة في الشريعة المحمدية، ومحاسبة النفس في كلّ حين، وترك المعارضة لأهل الزمان، وترك صحبة الجهلاء خصوصاً صحبة المنكرين وموافقة الصالحين، وترك حبّ الدنيا؛ لأنّها رأس كلّ خطيئة، وفي ذمّ الدنيا من الآيات والأحاديث مشهورة.

وعلاجُ ترك حبّ الدنيا تذكّرُ الموتِ وكثرةُ ذكر الله تعالى، وقال الله

[١] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٤٤-٥٤٧) بتصرّف.

تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[١]، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٢].

وقال ذو النون المصري رضي الله تعالى عنه: «لكلّ شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر والمحبة الوافرة».

قال الشيخ سَرِيٌّ السقطي[٣] رضي الله تعالى عنه: «لا تصحّ المودّة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر ما أنا إلا أنت وإن محبّة الشيخ كافية في الوصول إلى الله تعالى، والسلام، هذا فكان» انتهى من خطّ خطه رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته، آمين اللهم آمين.

ثم اعلم: أنّي وجدت في «مكتوبات» حضرة مولانا ذي الشأن محمود أفندي قدّس سرّه ما يناسب نقله لهذا المقام وإن كان ما فيه من مزالق الأقدام، فعليك له بالاهتمام عبارته:

«والحقّ الأحقّ يجب لطالب الحقّ ترك حبّ الدنيا إن كانت موجودةً عنده، وإن لم تكن موجودة.. فالقناعةُ واجبة وإن كانت موجودة ولم يقدر على ترك حبّها.. فالواجب ترك نفس[٤] الدنيا، وإن لم يقدر عليه.. فترك طلب الكمال بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ

[١] سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

[٢] سورة الرعد، الآية: ٢٨.

[٣] كبار العارفين بالله، أبو الحسن، سري بن المغلس السقطي (٢٥٣ هـ)، وهو أوّل من تكلّم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته، وهو خال الجنيد، وأستاذه. قال الجنيد: «ما رأيت أعبد من السريّ». «الأعلام» (٣/ ٨٢).

[٤] أي: عينها. «م».

مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[١] الآية ولقد مرّ نقلاً عن الممدوح؛ بحيث يليق المراجعة إليه لطالب الحقّ في هذا الباب في شرح بيتي الناظم رحمه الله تعالى ورضي عنه:

ومتَى سلّمت مفاسدُ حقّا * جاز جزئيّها هُدًى للصلاح

مع ما فيها مُوجِبا نزل اليو * م وذا ناويا بها لِكِفاحِ»

فراجعه[٢].

[الشيخ الحاج محمد الرُوچِي الداغستاني]

وسادسهم: العالم العامل والفاضل الكامل الشيخ الحاج محمد أفندي الرُوچِي الداغستاني قدّس سرّه ونوّر قبره، وقد مرّ عن الشيخ التلالي قدّس سرّه: أنّ شيخه قطب حينه وغوث أنَّه الشيخ محمود أفندي الألمالي قدّس الله تعالى أسرارهم أخبَره أنّه قال: «إن أخانا العالم الحاج محمد أفندي الرُوچِي قد اجتهدَ اجتهادا كثيراً وراض نفسَه وفيراً، وكذا نحن قد تحمَّلنا التعبَ في حقّه، ولكن لم يفتح له القلب ولم يرزق له ذلك، ولا أعلم سرَّ الله تعالى ولكن لا شكّ في كونه وليا وولدًا من أولاد الأولياء راضياً مرضيّاً وليكونَنَّ له فتحٌ قبل سكراته أو في بيت برزخه» انتهى.

ومما وصل إلينا من أخبارِه: أنّ شيخه محمود أفندي لما سلّم له الدعاء في خلق كثير وجمّ غفير في الميدان الذي أمام آغ مسجد في أَلْمالُو ووقت

[١] سورة المعارج، الآيات: ١٩-٢٣.

[٢] في (ص ١٥٤).

خروجهم للمصافحة مع الحجّاج الذاهبين إلى بيتِ الله تعالى وإلى زيارة رسول الله ودعا الشيخ المترجم له دعاءً لائقًا للحجاج وللمصافحين معهم.. قال: «الحمد لله ثم الحمد لله قد فتح الله تعالى أبوابَ سماواته لإجابة دعاء ولدي محمد أفندي الرُوچِي وقبله».

ومما وصل إلينا أيضا من أخباره بألسنةٍ ثقاتٍ: «أن الشيخ المترجم له لما كان مع شيخه قدّس سرّه في سنة من السنين في ضيافة محمد أفندي اللَّكيتي في لكيت ومعه سائر إخوانه الخلفاء، وأراد أن ينام قليلاً قبل نوم شيخه.. نام على عرش في إيوان ضيفه؛ ليأخذ حصّة ما بقي من النوم في الليالي السابقة؛ لأنّه كان بلا نوم فيها في خدمة الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه، فبلا مضي زمن كثير من نومه؛ إذ قصد الشيخ الخروج للوضوءِ وهو نائمٌ في الإيوان، فأراد إخوانُه الخلفاء أن يُوقظوه فلم يرض الشيخ لإيقاظه فقال:بارك الله ثلاث مرات أي: لولدي محمد أفندي الرُوچِي كيف يتحرّك جسدُه بذكر الله تعالى وكيف يذكر ربّه وإن نام هو» انتهى. رفع الله درجتَه وأعاد علينا من بركاته وبركات أمثاله، آمين اللهم آمين.

ومات[١] قدّس سرّه في ولاية چار في قرية شَتَوار ودفن قبالة مسجدهم الجامع في سنة (١٣٣٠هـ) تخميناً رحمه الله تعالى وإيّانا، آمين.

[الشيخ الحاج بابه أفندي القاخي الحنفي]

وسابعهم: هو الشيخ الإمام والفاضل الهُمام والضيف الضِرغام،

[١] أي: ليصل درجة الشهيد؛ كما ورد: «من مات في الغربة مات شهيداً». (منه).

والعاقل الشجاع الصمصام الحاج بابه أفندي القاخي الحنفي قدّس سرّه كان رحمه الله أولا من أجلة أصحاب مولانا الحاج يونس أفندي اللّلاليّ ومريديه ومخلصيه، وكان مع شيخه الثاني محمود أفندي قدّس سرّه يذهب لديه كثيراً ويخدمه دهرا دهيراً.

ثم لما انتقل إلى رحمة الله تعالى.. أخذ من يد خليفته وصاحبه الأوّل محمود أفندي قدّس سرّه، وراض نفسَه رياضةً تامّةً، واجتهد اجتهاداً بليغاً، فنال إلى مطلوبه وأجاز له في إرشاد العباد، وكان قدّس سرّه كما قال شعيب أفندي الباكني قدّس سرّه في «طبقاته»: «كريما حليماً صبوراً في جميع الأمور عاقلا وفيرا وقورا كان رحمه الله تعالى حِبَّ[1] شيخه وضَيف روحه وكان قد انتهى إليه رياسة الأمور الدنياوية وخاقان الأحوال الأخراوية وكان مضيافاً لأهل الله وخادماً لخدام شيخه؛ لأجل الله ومأوى الكرام، وكريم العظام.

وكان قد حقّ فيه قولُهم: «كريم القوم خادمُهم» وناهيك لجلالته وعلوّ منقبته أنّه كان كثير التواضع ووضيعَ الترافع فللّه درّه وللنعيم ردّه، وجاهد في الله حقّ جهاده، وراضَ نفسه حقّ رياضته، فوصل إلى مراده وأجاد في مَفاده وناصَح في الله حقّ نصيحته، وكان للناس كالأب المُشفِق لأولاده، ولم أَعلَم تاريخ ولادته، ولكن مات وانتقل إلى رحمته تعالى في سنة (١٣٠٤هـ) ألف وثلاث مائة وأربع، ودُفن في مقبرة قريته يُزار عليه ويتبرّك منه رحمه الله تعالى وإيانا، آمين» انتهى[2].

---

[١] أي: المحِب.

[٢] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٥١).

[الشيخ نور الله أفندي اللّيسغيّ]

وثامنهم: الشيخ الشهير والنجم الزاهر المنير الشيخ نور الله أفندي اللّيسغيّ رحمه الله تعالى كان قدّس سرّه كما قال الباكنيّ قدّس سرّه: «كان مرشدًا للخلق ناصحاً للحقّ، وقد أخبرني أخونا الحافظ يوسف أفندي الألمالي: أنَّ الشيخ محمود أفندي الألمالي قدّس سرّه لم يكن قد أذِن لنور الله أفندي حين يذهب إلى الحاج ترخان، ولكن هو وأقاربه قد فَعَلوا له[١] المنّة في بلدة نُخُو بالإجازة له لرؤيتهم عارًا بالإجازة لرفقائه دونه؛ فأجازه[٢] في بلدة نخو بشرطِ ذهابه إلى خدمة الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي حتى يكمُلَ، ولكن لم يذهب إليه ولم يكمل وكان مع ذلك يعطي لإنابة ويُرشِد الطالبين، ولذلك لم يكمل به أحد، ولم يستفد منه واحدٌ مع زيادة عيشه بعد ذلك» انتهى والله أعلم.

اللهم احفظنا من شرور أنفسنا ومن سيّئات قبائح أعمالنا، ومات في قريته في سنة (١٣١٥هـ) ألف وثلاثمائة وخمس عشرة، فرحم الله تعالى وعفا عن عثراته وعنّا، آمين[٣].

ثم اعلم: أنَّ للشيخ الممدوح محمود أفندي مكتوبات كثيرة ومراسلات عظيمة إلى إخوانه في الطريقة والوعظِ والنصيحةِ، ولا يمكن أن يحصر جميعها في الكتاب، ولكن نكتُبُ جزءًا منها الذي وجدته في ذيل المراسلة

[١] الضمير عائد إلى «نور الله أفندي».

[٢] الضمير في الفعل الماضي عائد إلى «محمود أفندي».

[٣] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٥٢).

المكتوبة لخليفته حاج بابا أفندي القَاخِي قدّس سرّه منقولاً من خطّ خطّه للتبرّك به والانتفاع عنه.

[مكتوب الشيخ محمود أفندي إلى خليفته حاج باب القاخي]

وهو هذا بعبارته: «اعلم أيها الأخ الأعزّ: فإنَّ الصحبة والإرادة والإنابة والمحبّة الرحمانية لا تنعقد بين العباد إلا بثلاث مراتب أدناها: أنّ المريد والمحبّ والصديق شيخه وحبيبه وصديقه في مرتبة عبده وحقّ العبد على المولى معلومٌ، وأوسطها: أن يعدّه أخًا لنفسه، وحقّ الأخ أيضاً معلومٌ، وأعلاها: أن يعدّه مولاه ونفسه[1] عبدًا له، وحقّ المولى على العبد أيضاً معلومٌ، والثالث والثاني معدومٌ؛ كعنقاء والأوّل في هذا الزمان يكاد أن يكون معدومًا ولو وجد.. ليجد لآحاد الألوفِ.

ثم المترقَّبُ منكم أن تُقرِؤوا السلامَ مِنّا إلى الإخوان كُلّا وطُرّا قربًا وبعدًا خواصًا وعوامًا أميرًا ومأمورًا من عباد الله الرحمن انتهى في أواسط ربيع الثاني في سنة ١٢٨٢ في حاج ترخان محمود معلوم ألمالي، في حاج ترخان» انتهى من خط خطه رحمه الله تعالى باختصار على المرام.

اللهم ارزقنا بركته وبركات أمثاله، وأَفِضْ علينا وعلى جميع إخواننا من فيوضاته، واحفظنا بحرمة الأنبياء والأولياء من مكر الأعداءِ وشرّ الأضداد والأنداد ورَدّ عليهم بحرمتهم كيد نحورهم، آمين يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام.

[١] أي: وأن يعدّ نفسه عبداً له. (منه).

[كرامات ومناقب الشيخ محمود أفندي قدس الله سرّه]

وبيانُ كرامات محمود أفندي قدّس سرّه لا يُحيطه متون الأوراق ولا يضبِطه بحورُ الأشواق، وفضائله جميلة ومناقبه كثيرةٌ جليلةٌ يقول الفقير أوصله القدير: «ومن أعجب وأغرب كراماته: أنّه لمّا كان في حاج ترخان ودعاه واحدٌ من رؤساء الروس للضيافة على طريق الاحترام والتعظيم بعد ما سمع اسمه الكريم.. مرّ في هذا السفر على جماعة اجتمعوا؛ لأجل الزيارة على موضع كذا».

وقال: ما خطبكم حيث اجتمعتُم على هنا ؟ فقال قائل منهم: إنا اجتمعنا لزيارة من في هذا المقام من الولي المسمّى بفلان على عادتنا القديمة قال جيئُوا خلفي؛ لأنْ أبصّركم موضع تربته وليس هنا تربته فذهبوا معه وانقادوا على قوله كرامة من عند الله تعالى، ثم بعد ذهابهم به بمراحل.. أمرَ بحفر موضع من المقبرة فظهر منه جنازةُ امرأةٍ رحمه الله عليها وعلينا أجمعين؛ كأنّها مدفونةُ اليوم.

ثم قال قدّس سرّه: «هذه وليّكم المزور إليه أنتم على عادتكم القديمة» وقد كان ذلك الرئيسُ الداعي من الكفرة معهم حين نَبشُوا بأمره تُربتَها وعند ذلك تعجّب الناس كلُّهم وأمنُوا بكرامته وأرسلوه مُكرَّما مُعظَّما وأنعمُوا عليه إنعاما كثيرة، فنعوذ بالله من الاعتراض على الأولياء العارفين ومن سوء الاعتقاد في الصالحين، اللهم أَفِض علينا من فيوضاته يا فيّاض وأمدّنا بإمداداته يا واسعَ الرحمة والجودِ، آمين اللهم آمين.

ومثلُها من الكرامة وقعت عنه في ديارنا في زيارة بابا عَرْتمه حيث قال

لمن معه من الإخوان: «أيها الإخوان إنَّ هذا القبر الذي عليه القبّة ليس قبر الشيخ المزور إليه بابا عرتمه بل قبره هذا» انتهى أي: أبصِّر لهم موضع قبر الشيخ بابا عرتمه وعَيّنَه في تَلٍّ قريب قبالة القبة، وزار هو إلى ذلك الموضع وأمر الناس الذين كانوا معه بزيارتهم إليه وأخذ التوتيا لمن شاء أخذه منه لا من غيره.

وهذا الفقير قد اطّلع في الموضع الذي عيّن الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه حين ذهَب إلى زيارته أي: زيارة بابا عرتمه متوسّلاً ومستمدّاً من روحانيته ومن روحانيات سائر المشايخ الكرام، ووجد فيه غاية بركة، رفع الله درجته.

ومع هذا سألت من شيخي التلالي قدّس سرّه بعد الرجوع عن زيارة بابا عرتمه، فقال: يا ولدي عثمان أفندي كان مولانا محمود أفندي يزور إلى الموضع الذي قبالة القبّة في تلّ قريب إليها وأنا أظنّ أنَّ قبره في ذلك الموضع، فالحمد لله على ذلك.

وهذا الفقير ذهب قبل كِتبة هذا الكتاب إلى زيارة بابا عرتمه[١] مرّتين وكان معه في الزيارة الأخيرة ابن الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه ملّا عبد الله رحمه الله تعالى رحمة واسعة وعَفَا عن عثراته بحرمة والده، آمين اللهم آمين.

ومن كراماته: ما نقله إلينا أخونا الأعزّ مراد أفندي وأعمامه وسائر أكابر قرية قمور أنه قدّس سرّه يوماً لمّا سافر إلى منزله ووصل إلى مفازة متّصلة إلى تلك القرية أي: قرية قمور في جهة المغرب.. قال الشيخ قدّس سرّه لمن

[١] وسيأتي مناقبه في آخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى فراجعه. (منه).

معه من أهل القرية وغيرهم: هل يجيء إليكم رائحة الحنطة المشوية؟ قالوا عن لسان: لا تجيء، قال: كان ينزل من عند الله بلاء لأهل هذه القرية بما فعلُوا من الذنوب والمعاصي؛ إذ قدم أرواح المشايخ الكائنة في هذه البقعة أمامَه طالبين من الله تعالى ردّه، فلما قاموا أمامه.. أنزله الله إلى هذه المفازة لحرمتهم وقال: لا ينبت فيها من بعد إلى ثلاث سنين شيء ما، فبعد ما قاله زرع بعض المنكرين زرعاً فلم ينبت كم زرع وما زرعه.

ومن كراماته: ما حدَّثني به محمد أفندي ولد حاج أفندي اللّكيتيّ حيث قال: إنّه لما دعوناه قدّس سرّه للضيافة.. كان معه جميع خلفائه غيرَ أبيكم المرحوم حضرة أفندي قدّس سرّه، وكنت أتحسّر في ضميري على عدم كونه معهم في المجلس فأقول: فيا ليته كان معهم فيه فعن زمانٍ قليلٍ قال محمود أفندي قدّس سرّه: يا ولدي محمد أفندي إنّي لأجد رِيحًا وفيضَ ولدي حضرة أفندي الزّاخوريّ لعلَّه يكون في الطريق، فبعدَ مُضِيّ مدةٍ قليلةٍ إذ جاء والدكم الكريم، فَوَقَع به في قلبي السرورُ مع جميع أهل المجلس وفرِحُوا بذلك فرحًا شديدًا وكان ذلك اليوم يومَ عيد لهم، فالحمد لله على ذلك.

ولقد خلَّف بعد ذَهابه إلى حاج ترخان هناك مقامَه على سجادة الإرشاد عبد الوهاب أفندي الحاج الترخانيّ ومحمد ذاكر أفندي الجستاويّ؛ كما مرّ التصريح به في شرح القصيدة فراجعه[١] وقد انتهى إليهما رياسة ديار قَزان وحاج ترخان وماحوا إليهما في الأمور الدينية والدنياوية،

[١] في (ص ١١٦،١١٣).

وفضائلهما جمّة شهيرة؛ كاشتهار الشمس حالة الضحى وفي ديارهما[١] متواترة عديدة.

ولمّا لم نعلم تفاصيلَها.. لم نكتبها في الكتاب ولم نحرّرها في الخطاب هذا والسلام إلى يوم القيام وبعد القيامِ.

وقد كتَب العلامة للعصر الأخير حسن أفندي[٢] الكُورِي الألقداريّ[٣] وقت إرساله الروسُ إلى سبر ومَرّ طريقه عن بلد حاج ترخان ومكث فيها أيّاماً إلى ابنه عبد الرحمن أفندي الحاج الترخانيّ، هذه الأبيات التي فيها حصّة من مدح هذا الشيخ عبد الوهاب أفندي قدّس سرّه، فنقلتُها إلى هنا لمناسبة مّا، والأبياتُ هذه:

يا كريمَ ابن الكريم ابن الكريم ❊ عابد الرحمن ذا القلب السليم

صانكم في حفظه الله العظيم ❊ مع أبيكم حضرة الشيخ العليم

والذي يُنْمَى إليكم من حميم

إنَّني يا نور عينيّ الأغرّ ❊ من أحاتني[٤] ملمّات القدر

[١] أي: فضائلهما في ديارهما. (منه).

[٢] العالم الكبير المؤرّخ، الشاعر حسن بن عبد الله الألقداري، ولد في ١٥ أكتوبر (١٨٣٤م) في قرية بَلَخَنِ، أخذ عن: ميرزا علي الأختي وغيره، كان له باع كبير في مختلف العلوم: النحو، والمنطق، والقرآن، والحديث، ومن مؤلّفاته: «ديوان الممنون»، و«جراب الممنون» وغيرهما، توفي (١٩١٠م).

[٣] قرية في منطقة سليمان سْتالْسْكِي في داغستان، وسط مستوطنة أَلْقَدَار الريفية.

[٤] لعلّ: أحاطني، والله أعلم.

حـاج تـرخـان انجلى عني الـخـطـر * بـاتـخـاذي في حـمـاكـم لـي المقر
بـيـن جـمـع في الـمـعـالـي مـسـتـقـيـم
يـا حـمـاة الـديـن يـا أهـلَ الـوَقـار * أشـرقـت مـن نـوركـم هَـدي الـديـار
فابـتـغـيـتُ الـجـرّ فـيـكـم بـالـجِـوار * لـلـمـزايـا مـن زوايـا الاسـتـتـار
مـن عـقـيـق الـنـثـر أو دُرٍّ نـظـيـم
قـد حكى لـي هاهنا بعض الـكـرام * أنّ فـيـكـم طـبـعَ إنـشـاء الـنـظـام
فـاسـتـراح الـقـلـبُ مـنّـي بـالـتـمـام * منه إذ لـي حـصّـة مـا في الـكـلام
فـابـتـدأتُ الـنـظـمَ بـالله الـرحـيـم
كـم أسـيـرٍ جـاءكـم مـن أرضِـنـا * مُـبـتـلًـى بـالـبـعـض مـن أمـراضـنـا
فـاجـتـهـدتُـم في تـداويـه هـنـا * فـانـتـهـت لـي نـوبـةٌ فـيـهـا أنـا
ارتـجـى مـنـكـم رُقـى قـلـبـي الـكـلـيـمِ
ليس عـرضـي يـا أخـي شِـعـري لـكـم * واقـعـا لـلـمـدح فـي ذكـري لكم
أو لـرفـعِـي بينكم سِـعْـري لـكـم * بـل مُـرادي منه تـقـريـري لكم
إنّـنـي مـن خـادمـي شِـعْـرِ الـحـكـيـم
أرّخ الـمـكـتـوبَ مـمـنـونٌ حـقـيـرٌ * رابـع الـشـعـبـان مـن عـام صغير

صان خَـلَّاقُ الـبريـات الـقـديـر ❋ عـابـدَ الـوهـاب مـولانـا الشهير

مــع بــنــيــه والــحــواشــي في الــنــعــيــم

ومن مكتوبه المرسل إلى أعزّ مريديه الحاج شرين أفندي الكُلُّوكي من حاج ترخان تنبيهًا له بذلك على أنّ أرواح المشايخ لا تغفُل عن الاطّلاع إلى أحوال مُخلصيهم ولو كانوا بُعَداء عن منازلهم ومساكنِهم أجسامًا وأصوارًا؛ لأنّ المربّي في الحقيقة الروح، وللروح البُعدُ والقُربُ في التربية مساويان، لكن بشرط دخول المريد تحت محبّةِ الشيخ وآدابِه.

فعبارتُه المنثورة التركية:

هرچند إيفاء حقوق إخوان وأحبابده صورة تعطيل أو لسرده معنى أحبابدن بردمده غافل دكلمز ديسك ممكن.

وعبارتُه المنظومة التركية:

كوكل ياد أيله هرساعة أنوتمه يار إخواني
محبة يولنه دائم فداقيل باشله جاني
محبنك جاني محبونبك خيالي فكر ذكر يدر
بلورمي أول كسنك جاني أنوده جاني جاناني
محبة عشق أزلده وصف روح أولمش تخلف سيز
نچه أرواح باقيدر وباقي حب روحاني
بوذوقي أولميان عاشيق أسير دين دنيا دور
نه بلسون ذوق عرفاني سون دنييله دونياني

منم بر نقطه حبم جفا دوراني دوريندە

دولانمش دورمي دوران آلوب عكسمله سوداني

ويا محمود مذمومم ملامت سنكيار أيله

عجب حصن حصيمد ور بلاوغم برشاني

انتهى كلامه اللطيف.

تتمة: بقي أنّ حضرة مولانا وأولانا ذا الشأن محمود أفندي قدّس سرّه كان يشرب الدخان المشهور في شبابه وعند ذهابه لدى الشيخ الحاج يونس أفندي اللّلاليّ، وكان يشرَب عند النهر القريب إلى قرية لَلَالي، ويترك القَصَبَةَ وصندوق التَّتُون في الطريق لأخذهما حين الإياب عن خدمته، ثم يذهب لديْه مع رفيقه الكريم الحاج بابا أفندي القاخِي قدّس سرّه، وهذا قد كان يتوضأ بوضوء أكبر عند ذلك النهرِ، ثم يذهب معه، ذَهبا لديه على هذه الكيفية مِرارًا، ثم لما استكره نفسه وملَّ الشيخ[١] بفضل الله المتعال عن شربِه قال لرفيقه المذكور: قل للشيخ فَلْيَدْعُ لي في حقّ هذا فإنّي أستكره شربَه قال: أقول بالرأس والعين.

ثم قال الرفيق للشيخ مرة: يا سَندي ويا سيّدي إن ملا محمود رفيقي يطلب من جنابكم الدعاء للتوفيق على ترك شرب الدخان المعتاد له المعلوم شربُه إيّاه لديكم، قال الشيخ: يا وَلَدِي ملا بابا أحسنت أنت وأحسن هو فليوفّق الله تبارك وتقدّس له توفيقًا حسنًا، ولكن لا حاجة له لدعائي؛ إذ كلّما نظرتُ وتوجّهتُ إلى الله تعالى أراه في سرّي وسيري أعلى مِنّي درجات بارك

[١] أي: محمود أفندي. (منه).

الله له فيما فيه وفيما بعده وأوصله فوقاً عن فوق إلى مقامه المقدّر له عند الله تعالى، آمين وكذا قال: يا وَلَدِي ملا بابا أنّ ملا محمد رفيقك في مقام لا نرى مقامَه بسبب علوّه فاحترمه واتركْه على حاله فإنه وإن كان في تربيتي ظاهرًا ونحن في تربيته باطنًا»، وكان الأمرُ كما قال قدّس الله أسرارَهما.

ثم لما رجَعا عن منزلِه المبارك.. قال الرفيق يا ملا محمود قد قلت للشيخ: ما التمستَ منّي فقال في جواب قولي كذا وكذا، فأخذ القصبة وصندوق التتون عن الموضع الذي وضَعهما وقتَ الذهاب فكسَرهما وقال: «إنّي تبتُ إلى الله تعالى عن شربه توبةَ نصوح»، فقُبل توبته وجعله من المكرمين كذا سمعتُه من فم رفيقه المذكور الحاج بابا أفندي القاخيّ في بيته في قاخ حين ذهبتُ مع عمّي الحاج عبد الله أفندي إلى زيارته، اللهم ارزقنا من بركاتهما ومن بركات أمثالهما، آمين اللهم آمين.

وهذا عبد الله العاصي قد كان يمدّ ويشرب الدخان المشهور في شبابه إلى أن أخذ الإنابة عن شيخه التلالي قدّس سرّه ووصَل[١] منه إلى لطيفة السرّ ذكراً، وكان يترك؛ كما يترك الممدوح قَصَبَتَه وصندوقه في الطريق لدى «قراول تيه» وقت ذهابه إلى زيارة شيخه التلالي ثم يَذْهَب وكان رفيقه العابد عبد الوهاب أفندي الزاخوري وغيره يعير له في حقّ ذلك وينصح وهو مع ذلك لا يترك ويتعذَّر.

ثم لما وقعَ الأمرُ بقدرة الله تعالى في وقته وتحرّك الشرطُ بفضل اللهِ المتعال عند ساعته.. جعلني الله تعالى وألهمني منه ملالاً واستكراهًا وقيئاً

[١] أي: وإلى أن وصل... إلخ. (منه).

بما سبق به البيانُ في بيان كراماتِ والدي المرحوم حضرة أفندي قدّس سرّه فراجعه، فبه تبتُ منه إلى الله تعالى وفي الحال عليه، فالحمد لله على ذلك.

[مناقب الشيخ أحمد التلالي قدّس سرّه]

وأما مناقبُ أستاذنا وشيخنا شيخ الزمان وشمس الأئمة الذين يهتدي بهم الناس في كلّ ساعة وزمان شيخ مشايخ الديار المسمَّى باسم النبي المختار الشيخ حاج أحمد أفندي بن مصطفى التّلالي قدّس سرّه.. فكثيرةٌ شهيرةٌ وكراماته جميلةٌ وَفِيرةٌ.

فأقول: «بسم الله وبحمدِه والصّلاتان على نبيّه وعلى آله أجمعين وبعد فأذكرُ لكم أيها الإخوان من البداية إلى النّهاية كلَّ ما تكلّم عندِي مشافهةً سيّدي المذكور من الوقائعِ والأخبارِ الواقعة عليه من وقتِ الصبا إلى الآن؛ إذ سمعتُ منه كُلَّ ما جاء على رأسه من الخير والشرِّ والنفعِ والضرِّ وهو أنّ ذلك الشيخ قدّس سرّه حدَّثني وقال: «كنت في أوان شبابي شابًّا لا يعلم غيرَ القرآن، وكان أبي فقيرا جاهلًا، اسمه مصطفى وكان يأمرُني ويُرسلني لأمر من أمور الدنيا لفقره، فكلّما أرسلني إليه ما كُنت أرجع سالماً بلا ضررٍ ولا أتيتُ بخير أينما توجّهتُ.

ومن جملة ما وقع عليه من الوقائع أنه قال: إنّي يومًا من الأيّام، كنتُ في بيتي ومعي أختي المنكوحة لفلان التّلاليّ، وكانت هاربةً عنه إذ جاء زوجها وقال: قُومِي للذهاب معي إلى البيت» وقالت: «لا أذهب، فوقع المخاصمة بينهما – أي: هو يجرّها وهي لا تذهب – فعليه قمتُ من جلوسي مُعيِّرا،

فأخذته وضربتُه على الأرض فرأيتُه وهو تحتي يَسُلُّ خَنجرَه؛ ليَضْربَني فأخذتُ خنجرَه، فإذا إن إصبعي الشهادة قد قُطع وتَقاطرَ عنه الدمُ، فأطلقته وقمتُ عن فوقِه مع إخراج خنجره عن يده وضربتُه على الحجر مراتٍ حتى يَكِلّ.

ومن جملتها: أنه وقَع لنا نوبة القرية للذهاب إلى رعي البقور، فذهبتُ لنوبة رعيها، وكان معي فأسٌ حتى أتيتُ بها إلى الأيكة في مفازة تَلَهْ، وأردتُ أن أقطع شجراً من تلك الأيكة، ولمّا قطعته.. رأيتُ أنَّه وقع على بقرة من البقور فماتتْ، ثم جئتُ إلى البيت لدى والدي وقصصْتُ عليه القصّةَ فملّ به قلبُه وقال: اذهب يا ولدي أينما تريد فأينما[1] توجّهت من أمور الدنيا لا تأت بخير فلعلّ فيه حكمة ربّي، فدعاني خير دعاء، فمنه شددتُ الرَّحل للذهاب إلى تعلّم العلم، وقد كنتُ قبل هذا أَتَمَنَّى من الله تعالى أن يرزقني الذهابَ لتعلّمه برضاء والديّ فقبِل دعائي، فالحمد لله على ذلك.

ثم ذهبتُ إلى قرية سِوَاكْلِ عند العالم ملا حتم أفندي وكان مدرّس الوقت فيها وقمتُ لديه نحو سنة، ثم انتقلت عنه وذهبت إلى قرية إيليسو لدى العالم القاضي سعيد أفندي وكان مدرّس الزمان فيها وكنت في الوقت أطلب أستاذاً[2] من الطريقة يُرشدني لزيادة شوقي إليها إذ عادتي قد كانت من وقت الصبا أن أفعل ما يفعله المريدون وإن لم أكن مريداً من الاستغفار والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والسنن والذكر وغيرها، فبينما كنتُ على هذا الخيال إذ صادَفَني رجلٌ اسمُه ملا حمزة الثَّاخُورِي فقلت

[١] الفاء للتعليل. (منه).

[٢] للتبرّك والتوفيق على عملي هذا. (منه).

له ما في خيالي فقال لي: «لو كان في خيالك ما قلتَ..أذهب في هذه الأيام إلى خدمة شيخي حاجي أحمد أفندي الأَلمالي قدّس سرّه فمتى أَذهبُ.. أُخبرُك جيء معي أحملك وأوصلك إليه، وقد كان معلّم الطريقة في الساعة ومشهوراً بها في هذه الديار.

ثم أخبرني ودعاني بالذهاب إلى ألْمالُو فقمتُ وتهيّأتُ به ووقعتُ في الطريق للذّهاب فما وصلتُ إلى الوكورلي إذ قابلنا في الطريق رجلاً صوفياً طويل اللحية، فتكلّم مع رفيقي ملا حمزة بلسانه، وكان يقول له: لا ترفع صوتك؛ لئلا يفهم ولا يسمع هذا تكلّما من طرف ذلك الشيخ ثم نظر إلىّ ملا حمزة المذكور وقال: يقول هذا أن الشيخ قد جاء إلى قرية أغجاي[١] ويجيء غداً إلى إيلوسو فلنرجع ونراه في إيلوسو فإن لم يجيء.. ففي الغد نذهب لديه، فَمِنْ ذلك ظننتُ له أن قد وسوس عليه الشيطان في حقّي فحسدني ولم يُرِد حملي إلى ذلك الفاضل، والله أعلم حقيقة الأمر إنّه علام الغيوب ومُطّلع لما في الصدور.

ثم ذهبتُ لدى ملا حمزة قريب العصر من ذلك اليوم لمّا لم يستقرّ قلبي إلى الغد بأن نشاور معه لوقت الذهاب وسألتُه من بيتِهِ.. فأجابَني أحدٌ من أهل البيت بأنه ذهب الآن إلى أغجاي فرجعتُ حزيناً مستنداً إلى الله تعالى قائلا في ضميري: لا أطلب بعد الآن دليلا في سبيل الله أكبر دليلي وسندي إلى حجرتي فبِتُّ فيها غير أنّي ذهبتُ إذا مضى من الليل نصفُه إلى زيارة قبر

[١] القرية التي تقع في الوادي، وهو الرافد الأيمن لنهر كُرْمُوخ ، في سفوح منطقة قاخ.

العالم المرحوم محمد الضرير أفندي الغُمُوقِي[1] وذلك بإلهام ربي عليّ فللّه الحمد، وقمت فيه مدة وحين جُلوسي على زيارته فيه جاء من خَلفي صوتٌ تحرّك الحشيشَ النابتَ على القبور بجاءٍ، فلم يقع بذلك في قلبي رُعْبٌ، وما تحرّكت به جلست فيه؛ كما جلستُ ما أردتُ ثم بعد زمان يسيرٍ جئتُ الحجرة فنمْتُ إلى الصباح.

ثم بعد صلاة الصبح ذهبتُ إلى أستاذي القاضي سعيد أفندي الإِيلِيسُوِيّ لأسأل منه في حقّ هذا الأمر وأطلب الإذن منه لذهابي لدى ذلك الفاضل فما وصلته لديه إذ رأيتُه من الكوّة في يده تَنباك كان عادته شربَه، ولكنه يُضْمرني شربَه فقط من بين الطلبةِ ولو كنتُ تلميذه.. فصحتُ من وراء حجاب؛ ليُضمِره ولئلَّا يَخْجَل عنّي إذ خرج واحدٌ من أهله، فطلبتُ الإذنَ للدخول لديه وأجازني ودخلتُ لديه فسألني قبل أن أسأل عنه وقال: يا ولدي من قال لك: إنّ ذلك القبرَ قبر العالم المرحوم محمد ضرير أفندي الغُمُوقي قلت: سمعتُ من ثقاتٍ أنَّه عالم ذو بركة... إلخ وإلخ.

ثم قال: هل علمت أنّي قد جئت لزيارته في البارحة؟ ولكن رأيتُ فيها أنّك تجلس في زيارته فما أشعرتَ مجيئي إليك رجعت إلى منزلي قلت: لم أعلم علم اليقين لا مجيئك ولا غيرك، بل كان يجيئ من خلفي صوت عبور شيء من الأشياء، ثمّ نصحني في حقّ زيارته نصحًا وفيرًا، وقال: «يا ولدي تذهَب في كلّ وقتٍ لزيارتِه إنّه عالم فاضلٌ ذو بركة».

[١] هو العالم العلامة المحقق والفاضل المدقق وكان موجودًا في عصر (سُورْخايْ خان الثاني) وله سعة في العربية والشعر. « نزهة الأذهان في تراجم علماء داغستان» (ص ٥٤).

ثم قال: يا ولدي لم جئتَ؟.. قلت: لمطلب قال: ما مطلبك؟ قلت: مطلبي أوّلاً سلامتك وثانياً أطلب الإذنَ منك لذهاب إلى خدمة الشيخ المسمّى بحاج أحمد أفندي الألمالي قدّس سرّه قال: إذني لكلّ أحدٍ في كلّ خير يكونُ ولكنّك تبقى من العلم لو دخلتَ في سلسلةٍ إذ ليس الوقتُ وقتَك.. فالصبرُ أجملُ اجلِس عندي أعطي الكتب كم تريد منها والحجرة، أرى في وجهك أثراً من آثار العلمِ قلت له: يا سيّدي صدقتَ ولكن وَقعَ عشقي على الذهاب لديه دعني أريد أن أذهبَ وآخذ من يده المباركة تبرّكاً وتيمّناً وتوفيقاً للعلم الظاهر، ثم أَقرأُ هذا العلمَ إن شاء الله تعالى.

ثم قال: يا ولدي لا يكون في هذا الزمان شيخٌ كاملٌ فلو كان.. ليكون هو محمود أفندي الألماليّ؛ لأنّه رجلٌ ذكي متورّع اذهب لديه سمعتُ أنّه قد جاء من سبر، قلتُ: فأْذَنْ لي أَذهبُ، ولم أقلْ له: أذهبُ لدى هذا ولا ذاك، فأذِنَ لي وقال: راشداً مهديّاً.

فرجعتُ الحجرةَ من عندِه ثم شرعتُ الطريقَ حتى وصلتُ إلى أمام الدهليز الأعلى من سوق قاخ إذًا جاء أمامي رجل أبيض اللحية وقال: يا ولدي أين تذهَب؟ قلت له: صدقًا لا كذبًا أذهب إلى أَلْمالُو لدى الشيخ في أَلْمالُو ولم أَكذِب.

قال: إذ ما كنتَ كاذباً من وقت الصبا إلى الآن ولو في قولٍ من الأقوال، فالحمد لله على ذلك قال: يا ولدي الآن في هذه القرية شيخ يسمّى بمحمود أفندي في بيت حاج بر محمد القاخي فاذْهَبْ لديه أوّلًا.

ثم إن شئتَ تذهَب لدى ذلك إلى أَلْمالُو قال: فاذهَبْ أنتَ من أثناء هذا

السوق إلى الدهليز الأسفلِ وأنا أَجيئ إليه من هذا الطريقِ وأَحمِلك لديه، فذهَب من طريقِه وأنا من وسط السوقِ كنت أسرعُ وأقول في ضميري: ليته لم يُصادِفني بعد حتى أَمُرَّ إلى ألْمالُو متخلّصا من يدِه» فما وصلتُ إلى الدهليزِ الأسفل على هذا الفكرِ والخيال إذ صادفني ولقيني ذلك الشيخُ أيضًا في الموضع الموعود فقال: جِئْ خَلْفِي، فذهبْتُ معه ولم أَقدر أن أُخالفه حياءً من نورِ وجهِه حتى وصلت معه أمام باب ضيفِ الشيخ فأبصَرني بابَه وقال: هناك تذهَب وفيه تجد الشيخَ، قال هكذا.

ثم ولَّى عنّي وغاب فذهبتُ على الباب ودخلتُ عنه ورأيتُ في إيوان خان الخدماء صوفيًا جالسًا مطرقًا رأسَه ينظرُ القلبَ، ثم ذهبتُ لديه وقلتُ في ضميري: إن هذا يكون لي واسطةً على رؤية جمال الشيخ الجميل، فلم أجد موضعًا لي في الإيوان للجلوسِ؛ لأنّه جلس في وسطه وكان صغيرًا لم أحرّكه ولم أكلّمه، بل دخلت الخانَ وجلستُ فيه أمامَ الكوّة أنظُر إلى باب البيت النازل فيه الشيخ المذكور متى يخرج إذ كانا متقابلين متواجهيْن فما عَبَرَ عنه إلا زمانٌ يسيرٌ إذ رأيتُ أنّه يخرُج من البيت وعقبه غلامٌ مع إبريق فترك الغلام مع الإبريق في المحلّة وتوجَّه إلى جهتنا قلت: إنه يجيء ليُصافِح مع الرجل الصوفي الجالس في الإيوان؛ إذ رأيتُ أنّه دخل عندي قبل المصافحة مع ذلك الرجل بلا التفاتٍ إليه فقمتُ وقَبَّلْتُ يده المباركة.

ثم خرج وصافَح مع الصوفي ثم قال لي وللرجل الصوفي: «تذهبان إلى المسجد وفيه رجال وأنا بعد الوضوء وصلاة الضحى أحضُر لديكم أمري معه قد كان كيت وكيت» ولكن انكدر قلب الصوفي من مصافَحة الشيخ معي

قبلَه وأحاطه الظلمةُ وقام فوق رأسِه غمام أسود إذ كنتُ أعرف مثل تلك الأحوالِ وقتئذ وتعكس لي لفرط محبّتي مع أهل القلوب.

ثم ذهبتُ معه[١] إلى المسجد، فرأيتُ فيه رجالاً كثيرةً فعَن زمانٍ قليلٍ جاء الشيخُ إلى المسجد ودعا الناسَ لديه للتوجه مناوبةً.

ثم لما وصَل النوبةُ إليّ وَقف مريده المرسَل من الإرسالِ وحسب أنّي لسْتُ ممن يريد أن يرى الشيخُ ولا لائقًا للإرسالِ إليه، فسأل الشيخُ عنه أليس غير هذا قال: لا، قال الشيخ: اذهب وانظر ثانيا على زوايا المسجد» فذهَب ونظَر ولم يجد غيرِي أحدًا فرجع قائلًا: ليس إلاّ غلام جالس في زاوية المسجد صفتُه كذا وكذا قال: اذهب واحمله لديَّ، فجاء المرسل وقال: إن الشيخ يدعوك على هذه الساعة، فقمت وذهبت لديه وجلستُ عنده مُطرقاً رأسي على وجه الأبِ.

فسأل الشيخ عنّي أيها الغلام أين تذهبُ؟ قلت: إلى ألْمالُو لدى الشيخ المسمّى بحاج أفندي الألمالي قال: لم؟ قلت: لأتمسك من يده الميمونة قال: أليس لك شيخ، قلت: لا، قال: يا ولدي لِمَ تقول كذلك إنّي أحفظك من ثَلاث سنين إلى الآنَ إذًا قد فتحتُ بصري ونظرتُ إليه ورأيتُ أنّه رجل رأيتُه في النوم مرارًا ينصَحُنِي، قم بارك الله في عمرك واعبُد ربَّك وطهِّر قلبك بعد ما رأيته[٢] قبل هذا نحو ثلاث سنين فوق قرية قاخ حين جاء مع رفيقه الفاضل الحاج بابا أفندي القاخِي من قرية إيليسو، وأنا مع رفيقي مُلا نَوْرُوزْ

---

[١] أي: مع الرّجل الصّوفي. (منه).

[٢] بعين الرأس. (منه).

الـزاخوريّ، أذهب إليها كنت لا أعرفهما ولكن رفيقي المذكور كان يعرفهما واسمهما فقال لي: يا أخي مُلا أحمد إنّ هذا محمود أفندي الألمالي قدّس سرّه وهذا حاج بابا أفندي القاخي رحمه الله تعالى.

ثم جاوَزْنا عنهما وتجاوزا عنّا، فعن زمانٍ قليلٍ إذ نظرتُ خلفي فرأيتُ محمود أفندي المزبور ينظرني راجعًا إلى الخلف عن الفرس؛ كما ينظر الوالد إلى الولد حين افترقَا إذا انصرف محبّتي من حاج أحمد أفندي الأَلْماليّ قُدّس سرّه إليه وزادت له وأحاطني فيوضُ المودَّة وأَغْرَقَتْني، فلله الحمد ثم الحمد على ذلك.

ثم قال: هل علمت من أرشدك وأرسلك إليّ؟ قلت: لا، قال: الذي أرشدك لعله أن يكون خضر عليه الصلاة والسلام.

ثم أجلسني على بساط التوجّه ولقّنني الذكرَ في القلب بالجلالة نحو خمسة آلاف وقال: بعد مضي نصف شهر تجيء، ثم ذهبت لديه في الوعد الموعود ثانيًا فلَقَّنني ذكرَ الجلالة أيضاً إلى خمسة مواضع للروح، والسرّ، والخفي، والأخفى، والناطقة دَفعةً واحدةً.

ثم قال لحاج بابا أفندي: هذا الذي قلتُ لك قبلُ في حقّه مرارًا: إنّ لي على هذا الوادي[1] يجيء واحد خير.

ثم سأل قدّس سرّه عن حاج بابا أفندي قدّس سرّه في حقّي وقال: لا يمكن أن يسكن هذا في زاوية حجرة، قال: يمكن إسكانُه فيها ولكن

[1] أي: على وادي إيليسو الجاري عنه نهر كرموك. (منه).

من يطعمه وينظر إليه؟ قال: الله جلّ سلطانه ينظر إليه ويطعمه، فأمرني بالجلوس في زاوية من زواياها على حسب العزلة للملازمة والمداومة فجلست فيها وبقيت جوعاً نحو أربعة أيام لم يطعمني أحد إذ ليس حينئذ في قرية قاخ من يعرفني حتى يطعمني، فيوماً من الأيام إذ نظر الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه من كوّة حجرتي[١] حين إيابه عن المسجد وقال: يا يتيم[٢] أحمد هل فيك من الجوع؟ قلت: لا، إذ صبيحة ذلك اليوم قد أعطاني حاج حمزة أخبازاً، وكان جالساً في الخلوة في حجرة من حجرات مسجد قاخ بأمر شيخه حاج أحمد أفندي الألمالي أي: أنّه قد أتى لديّ من خلوته، وقال: يا هذا خذ هذه الأخبازَ إني أذهب إلى البيت قد أتاني رسولٌ ومخبرٌ بموت خالتي، قلت له: لا تذهب إنّك في الخلوة ولا يليق لمن فيها أن يذهب بلا إذنٍ من شيخه لعلّه أي: الجائي أن يكون شيطاناً يوسوس لك ويمنعك من الخير»، قال: ليس الأمر كما قلت قد جاءني فلان ابن فلان يدعوني.

ثم ذهب ملا حمزة ولم يقبَل قولي ثم لما وصَل إلى نهر قرية أغچاي.. صادفه رجل يجيء من القرية، فسأل منه عن القرية وعن خالته فأجابه بأنّها صحيحة وليس في القرية خبرٌ سوى السلامة... إلخ و إلخ، فنَدِمَ على فعله ولم ينفع الندم إذا زلّ القدم.

ثم بَقِيْتُ فيها ملازمةً ومداومةً على ذكري ووردي وعلى إتمام أمر

[١] لأنّه قد كان وقتئذ في قرية قاخ يسكن فيها مع بعض أهله لأجل الاستراحة. (منه).

[٢] وكان قدّس سرّه يقول: إنّ شيخي كان يدعوني ولو كان لي أب بيتيم أحمد وذلك؛ كما دعى أهل مكة على نبينا عليه الصلاة والسلام بيتيم أبي طالب. (منه).

شيخي أزماناً، فما عبر زماني عن ستة أشهر في خدمة الشيخ في هذا الطريق إذ قد أجازني شيخي وأعطاني كتاب الإذن بعد الأخذ منّي امتحانات كثيرة:

منها: إلباسه علي عَبائَه نحو ثلاثة أيام.

ومنها: دعوتي بالحال إلى مدّة ساعة من ألْمالُو في ساعة من اللّيل مع إجابتي عليه من قاخ بالذهاب إلى خدمته في ليلة ظلماء منفرداً على مدّة ساعة.

ومنها: حملي معه ومع رفيقه الكريم حاج بابا أفندي إلى مقبرة قاخ وإقعادي على قبر ثمّ قبر آخر، وسؤاله عنّي من أحوال القبريْن مع إجاباتي له بما كَشَفَ الله تعالى عليّ من أحوالهما.

ومنها: حملي معه إلى قرية «قندرغه» وسؤاله عنّي عن أحوال الواقعة في بيت الداعي بعد سؤاله عن باقي الإخوة لم يأت له الجواب عنهم مع قولي له: ما بدى عندي هنالك من كونها كيت وكيت؟ كما مرّ التفصيل والتصريح به في مناقب شيخه حكاية عنه، فراجعه[١].

ثم بأمره ذهبتُ إلى قريتي تَلَهْ إذ قبله كنتُ في جميع مدّتي في وقت رياضتي في قرية قاخ وحصل لي كلّ ما حصل من الفضل والفائدة بواسطة شيخي هنالك، ومن ثمّ كنتُ معروفًا عند أهالي قرية قاخ وسكنتُ فيها أياماً ملازِماً على شغلي؛ كما أَمَرني به شيخي فما عبَر عنه إلاّ زمان قليل قد أخذني النچانيك النّاحية وحبسني في قلعة چار بلسان عنّي من ليس فيهم إنصاف،

[١] في (ص ٢٧٩).

ثمّ لمّا كنتُ فيها.. أظهر الله تعالى عن يدي بعض كرامات منها: أن أقفال محبسي لا تقوم حين شدّدُوها بَلْ تسقط على الأرضِ بوقوع نظري إليها على قصد امتحانِ قدرة الله تعالى، فذهب هذا الخبر إلى النچانيك ثمّ دعاني وقال: ما هذا الخبر؟

قلت: لا أعلَم حقيقتَه غيرَ إنّي أظنّ أنَّ الله تعالى يُظهر قدرته في يد عبدِه ولا أفعل شيئا مّا في حقِّها بل أراها حين وقَع نظري عليها في الأرض، وكذا قلت: أيّها الأمير أنا رجلٌ فقيرٌ لستُ ممّن يخالف أمرَ الأمراءِ ولا أَفرّ ولو أُبقي المَحبَس بلا قفلٍ ولكنَّ خدّامَكم يقفلون الأبوابَ ولا يفتحونها للخروجِ على الطهارةِ والصلاةِ بل يؤذونني فالمتوقَّع منك أن تأمرَهم كي يفتحوا الأبواب حين اللزوم بلا إيذاءٍ.

قال الأمير: أيها الشيخ، فاصبر إلى عشرة أيام إنّي كتبْتُ في حقّك إلى السردار الأعظم خيراً فلعلّه يكتب في حقّك خيرا، قال: فادع لأجلي ولأولادي إلى الله بالخير؛ إذ لا تقصير فيّ»، فرمى أمامي مكاتيب النمامين عن طرفي إليه، ثم أدخلني إلى المحبس أيضاً وأقفل على بابه وأمر الخدامَ بالإخراج للطهارة في وقتها.

ثم في صبيحة يوم من الأيام أردتُ أن أغسل وأخرُج بكرة قبل الاصفرار، فتوجَّهْتُ الكوزَ ونظرْتُ الباب إذ رأيت أنّه قد فُتح فحسبت أنّهم أي: البوّابين والخدماء لما عَلِموا إرادتِي الخروجَ للطهارة.. فتَحوه، فخرجتُ عنه والخدّام الذين على الباب ناظرون عليَّ شاخصين أبصارَهم ومررتُ عنهم وذهبتُ خلفَ المحبس لأغسل وأتوضّأ فما شرعتُ في الغسل إذ تحرَّك الأصواتُ في

القلعة يتكلّم الكفارُ عنّي أنّه خَرَجَ من المحبس وفَرّ فما نجيب إلى النچانيك؟ فبينما الأمرُ على هذا إذ وَقَع بصرهم عليّ وعَلِمُوا أنّي لم أفرّ فوقفُوا في موضعِهم، فتعجّبوا من أمري هذا وأَوْصَلُوا هذا الخَبَرَ إلى النچانيك أيضاً، ثم جاء النچانيك فسأل عنّي من الخبر والقصة قلتُ كذا وكذا، فعن زمانٍ يسيرٍ أطلقوني وخلّصوني عن المَحْبِس، فالحمد لله على ذلك.

ثم بعد مضي زمان يسير وَفّقَني الله تعالى الزّيارةَ إلى بيت الله الحرام فحججتُ واعتمرتُ وطفتُ وسرت بين الصّفا والمروة، فالحمد لله، ثم رجعت إلى المدينة المنوَّرة ووصلتُ قبر النبي عليه الصلاة والسلام وزرتُ له ولأصحابه الكرام.

ثم رجعتُ إلى الوطن ووصلتُ إليه مريضاً فبعد مضيّ أيام قلائل أخذ النچانيك وحبسني وأرسلني إلى سِبِرْ بلا صحّة عن المرض وأوصلني إلى تفليس ومنه إلى بلدة من بلاد الرّوس بقيت فيها ثلاث سنين في بيت يرنال[١] يُطعمني ويُسقيني بعد امتحاني بأمور:

منها: أنّه لمّا أجلسني في بيته.. دعاني إلى منزله يومًا لشرب الچاي، ثم سألني بَغتةً: ما تقول في حقّ الأديان هل ديننا حقّ أم دينكم؟ قلت: ديننا حقّ وباقي الأديان باطلة، فغضب فقام وقال: الآن أَذهبُ إلى الرّهبان أحملُه إلى هنا وأسألُ عنه ننظر هل دينكم حقّ أم دينُنا ذهب الملعون لدى الرّهبان وبقيتُ على موضعي متفكّراً مستنداً إلى الله تعالى وكانت معي زوجتُه قالت: لِمَ رميت قولاً بلا تفكّر ولا تدبّر الآن يجيء يرنال مع رهبانه فما تُجيب

[١] أي: جِنِرَالٌ.

لديه؟ قلت: أجيب له بما أجبت به ليرنال قبل، فشرعتُ في القراءة وبدأت بـ«يس» فما أتممتُه إذ جاء يرنال مع الراهب الأعظم من رهبانهم، فدعاني لديه فذهبتُ عنده ثم حيَّاني وأجلسَني على كرسيّه ثم أوقَع يرنال الكلامَ في حقّ الأديان، وقال: إنّ الشيخ يقول دينُه حقٌّ ودينُنا باطلٌ، هل هو صادق في قوله أم باطل؟ قال الرهبان: بلا اختيار دينُه حقٌّ وديننا باطلٌ فهو صادق في القول، وقد أنطقَه الله تعالى بذلك الذي أنطق كلَّ شيء، فالحمد لله على ذلك، ثم قال: ولكن منعنا عن قبول دين نبيّه أمران: فوت الرّياسة عنّا لو قبلنا دينه، والخوف عن عقوبة السلطان الأعظم.

ومنها: أنّه لمّا رأى مِنّي أن المرضَى وأهالي الأسْقام يتوجّهون إليَّ حين كوني هنالك من كلّ ديار يطلبون الشفاءَ عن الله تعالى بواسطتي وأنا أقول لهم: ما خطر ببالي مُستشفيًا من الله بهم فما كنتُ أقول لهم قولًا، إلّا وقد شفى الله به لهم.. وقعَ اعتقادُه إليّ وحملني إلى منزلِه وحفظَني في بيته إلى خلاصي من سِبِر، وكان ينصح لي ويقول: اقبض يدك عن هذا الفعل ولا تبالغ؛ إذ لو سمع سلطان الرّوس منك هذا الخبر لا يطلقك ولا يرسلك إلى الوطن ولو تمّت مدّتك، بل يحفظك لمصلحة أهالي هذا القُطْرِ.

ثم قال: لما كنتُ في سِبِر.. رأيتُ ليلة في المنام كأنّي على شاطئ البحر وفي البحر سفينة تجيء على طرفي وفيها ثلاثةُ رجال يتلألأ في وجوهِهم نورٌ، فلما قربت عليّ.. نظرتُ وعرفتُ أن أحد أولئك الرجال الثلاثة أستاذنا غوثَ عصرِه وقطب دهره مولانا ذو الشأن محمود أفندي الألماليّ قدّس سرّه العالي، والآخَرين منهم ليسَا من المعروفين عندي.

ثم دعاني شيخي المذكور وأمرني بركوب السفينة كأنّه يقول: إنّما جئناك لنحمِلك من بين هؤلاء الكفرة الفجرة وقلت: أيها الشيخ كيف أركَب وفي البين ماء، إذاً مدَّ الشيخُ يدَه اليمنى المباركةَ وأخذني ووضعني عندهم في السفينة ثم انطلقت السفينةُ معنا إلى انتهاء البحر وسألتُ بعد زمانٍ مِن روحانيته مَنْ هؤلاء؟ قال: يا وَلَدي أحدهما خضر والآخر إلياس على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام.

فلما استيقظتُ عن النومِ.. طبتُ نفسًا وألهمني ربّي بالخلاص عن أيدي الكفّار يعني سِبِرْ وفي صبيحة تلك الليلة - الله ورسوله أعلم- جاءني بشيرٌ بذلك وكنتُ خلاصاً عنه، فالحمد لله أوّلًا وآخراً.

ثم اعلم: أنّه قال: إنّي لم أحلق رأسي مذ ما كنتُ في سِبر إلى الخلاص، وكان عليه شعر كثير فحلقتُ رأسي حين وصولي إلى بَلَكَان[١]، فالحمد لله ثم الحمد لله على ذلك.

وقال: ثم بعد ذلك تزوّجْتُ أوّل تزوّج فبعد مضيّ مدّة مديدة قصدتُ ثانيًا إلى بيت الله الحرام، فذهبتُ ثم لمّا رجعتُ عنه بقيت هناك - أي: في إسلام بول وحواليه - نحو ثمان سنين وتزوّجتُ مرّتين هنالك، ثم رأيتُ مولانا ذا الشأن محمود أفندي قدّس سرّه في النوم يأمُرُني بالذّهاب والرجوع إلى الوطن وانتقالي إليه، وإلّا كان في مرادي السكون فيها مع حمل أهل بيتي حاج خانم إليها إذ شبعت من دياري وأهلها.

[١] هي مدينة وعاصمة مقاطعة بالاكَنْ في أذربيجان.

ثم لمّا كنت في تهيّء أسبابي للانتقال؛ إذ صادَفَني غازي محمد باشا بن الشيخ الكريم الشيخ شامل أفندي الدّاغستاني مولداً والمدني مدفنا قدّس سرّه العزيز ثم قال: خرج لي من طرف الدولة حكمٌ بالذهاب مع الجيش إلى طرف كذا فما شأنُك وما خطبُك جيء معي نذهب للقتال؟ قلت: أنظر قال: فانظر، فنظرتُ في البارجة القلبَ، فرأيت أنّ جيشَه رجع وآب مغلوباً منهزماً، فكتبتُ إليه الكتاب بما مرادُه هذه الألفاظ: أيّها الأمير إنّي لا أذهب للقتال وأنت لا تذهبْ إذ رأيتُ - الله ورسوله أعلم- أنّ حكمَ الله تعالى في هذه الكرّة سبق الجيشَ بانهزامِه، فلا خير في الذهاب، فالصّبر أجمل، هذا والسلام يقودكم دار السّلام.

ثم وصل إليه الكتاب وقرأه من الأوّل إلى آخر الخطاب، وفَهِم ما فيه من الجوابِ سمعتُ أنّه قد شقّ الكتابَ وطرحَه على الأرض وذهَب للقتالِ فما عبر عنه إلّا زمانٌ يسيرٌ سمعتُ أنّه رجعَ مغلوباً منهزماً، ثم صادفني في الطريق بعد رجوعه من القتال وأتاني عذرًا؛ لعدم قبوله قولي وقال: ما قبلتُ قولَك بل ذهبتُ وكنتُ في هذا السفر مغلوبًا كذا وكذا.

ثم قال: الآن ما خطبُك وكان يُريد عدم إيّابي إلى الوطن من هنالك لما رأى منّي ما رأَى، قلت: خطبي - إن شاء الله تعالى- تهيّئ أسبابي للانتقال إلى الوطن قال: لا تذهبْ إلى وطنك من بعد يؤذيك الكفرة لأنّك قد مكثتَ في هذا القُطر سنينَ، فمتى ذهبتَ يوصل خبرُك إلى الروس فيؤذونك، بل يُرسلونَك إلى سِبِر أيضاً، قلتُ: اعتماداً على ما رأيتُ في النّومِ من طرف الشيخِ لا يؤذونني ولا يَحبسونَني إن شاء الله تعالى، قال: انظر قلتُ: فأنظر.

فعليه أتيتُ الوطن وقد اتّفق يومُ دخولي إليه على يوم قتل النچانيك الناحية في بَلَكان، فلم يبق عندهم المجالُ لتفحّص الخبرِ عن طرفي، فمنه إلى الآن كنتُ في أرغد عيش وأطيب معيشةٍ ومع ذلك قد كان يأتي الناسُ والإخوان إلى بابي من كلّ فجّ عَميقٍ ووصل الكمالَ بيدي منهم أشخاصٌ مذكورةٌ في محلّه[١] بلا حرجٍ ولا ضيقٍ لنا ولهم في التربية والتزكيةِ، فالحمد لله على ذلك.

ثم ذهبتُ ثالثًا إلى الحجّ مع أهلي حاج خانم فرجعتُ معها بعد إتمامِ مناسكِ الحجّ إلى المدينة المنوّرة، ثم صافحتُ فيها مع غاز محمد باشا فسألني عن حالي ودَوَرَاني مع الكفّار قلت: لا تسأل منّي سلْ عن أصحابي فقالوا عن لسان واحد: إنّه في راحةٍ وعافيةٍ من كلّ الجهاتِ، فمنه أتيتُ الوطَن مع أهلي حاج خانم سالمين، فالحمد لله.

ثم ذهبت رابعًا إلى الحجّ فأتممتُه ثم رجعت إلى المدينة وزرت النبيّ عليه الصلاة والسلام ولأصحابه الكرامِ رضوان الله تعالى عليهم وعلينا أجمعينَ ثم بعد إتمام الزيارتين، قدمتُ الوطنَ مع أصحابي سالمين غانمينَ فحجّ قدّس سرّه العزيز أربعَ حجاتٍ، فالحمد لله على ذلك اللهمّ ارزقنا[٢] بحرمته[٣] زيارة بيت الله الحرام، وزيارة قبر النبيّ عليه الصلاة والسلام، وزيارة باقي الأصحاب الكرام رضوان الله تعالى عليهم وعلينا أجمعينَ، آمين، آمين.

[١] أي: في محلّ بيان أسماء الرّجال المأذونين. (منه).

[٢] وقد رزقني الله تعالى زيارته وزيارة قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وزيارة قبور سائر الأصحاب الكرام بعد سنة من تحرير هذا المقام، فالحمد لله ثم الحمد لله. (منه).

[٣] أي: بحرمة شيخي التلالي. (منه).

قال شيخي التلاليّ قدّس سرّه: «كان شيخنا ومولانا محمود أفندي قدّس سرّه يُوصي لي ولسائر إخوتي بوصايا ويكتُبها إلى الإخوانِ في جميع الدّيارِ، ومن بعض وصاياه في مكتوباته: أنه كان يقول لإخوانه عليكم بتفويض أمورِكم كلّها إلى الله تعالى في جميعِ الأوقاتِ وبترويج سنن السادات السنية والعملِ على ما كان عليه السلفُ الصالحونَ هذه وصيتي إليكم أوّلًا وآخراً سرّاً وظاهراً بعد البعد وراء الوراءِ.

ثمّ الاستقامة فالاستقامة والمحاسَبة بالنفسِ في النفس واتّباع السنة وملازمة الوقت والفرصة وترك البدعة واتّقاء الرّخصة[١]؛ إذْ الرخصة للعوامّ في جميع الأحكام، وللخواصّ ليس لهم فيها نصيبٌ، ولا يخفى أنّ مراتبَ الأمر والنهي؛ كما في كتب الأصولِ أخصُّ للخواصّ دون العوّامِ في **مذهبنا الصوفية مثلًا للسنة حكمُ الوجوب وللمكروه حكم الحرمة، وهذا من قبيل: حسنات الأبرار من سيّئات المقرّبين**، اللهم اجعلْنا من خواصِ وأخصِّ خواص عباد الله الصالحين.

والرأفة لخلق الله تعالى لرضائه والترحّم عليهم ما أمكنَ وتحمّل الأذى منهم ما قدر، وترك المخالَطة معهم في الباطن والتجرُّد فيه جُلّ شأنه ولو كنتم في الكثرةِ صورةً.. كونوا في الوحدة معنًى وحقيقةً، فاجتهدوا بما أمرتُكم أَمَرَكم الله تعالى بالإرشادِ والهداية ولو بلسان عبدِه، فإنّ ألْسنة العباد أقلامُ الحقّ وبها يحقّ الحقّ ويبطل الباطل،

[١] أقول ولهذا جُعلتْ الرّخص كالمحرّم عند الصوفية فيجتنبون عما قيل فيه: لا بأس؛ كما عن الحرام القطعيّ ويلتزمون ما إتيانه أولى وأفضل كالواجب القطعي كذا في «بريقة محموديّة في شرح طريقة محمودية» فراجعها. (منه).

وإذا جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا، فلا تغرنّكم الحياةُ الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور» انتهى. محمود معلومٌ معلولٌ في حاج ترخان.

ومن بعض وصاياه لإخوانه في «مكتوباته» أيضا أنّه قدّس سرّه: «كان يقول: يلزم لكم أن تكتبوا أحوالاتِكم ووقائعَكم إلينا أيّاماً كان بالترتيب وبأوضح العبارةِ وأجلى الخطّ؛ ليكون أسهلَ للقراءته وأسرعَ إلى الفهمِ، ويلزم أيضًا أن تجاهدوا بالنصيحةِ والموعظةِ والتأديبِ والتعليمِ لسائر إخوانكم التائبين لتهذيبِ أخلاقِهم والمداومَة على الذكرِ والاتّباعِ على السنة والاجتناب عن البدعة وعن سائرِ الكبائرِ الشائعة بين أهل زماننا؛ كالغِيبة والنَميمة والافتراءِ وسوء الظنّ خاصّة في ضبط البصر عن النساء المحرّمات؛ لأنّ النظرَ عليهنّ فضلًا عن سائرِ المعاصي مورّث القساوة ومُوجب الحرمان في البصرِ والبصيرةِ عن العبرةِ والاعتبارِ وسبب الغشاوة للقلب المجلّى والمصقّل[١] دون القلبِ[٢] المحجوب، عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيّئات قبائح أعمالنا وأقوالنا، ورزقنا الله تعالى ورزَقَكم الاجتناب عن المناهي والمكارِه بفضله وكرمه، وأسأل اللهَ تعالى لنا ولكم الاتّباعَ على السنة السنيّة المحمدية والشريعة الأحمدية والانتفاع بها في ديننا ودُنيانا بجاه محمد عليه الصلاة والسلام محمود الفعال في حاج ترحان.

[١] في الأصل: «المصيقل».

[٢] أي: فضلاً عن القلب. (منه).

فائدة: بسم الله خير الأسماء و.و.و ولا يعرِف مقامَ الوليّ إلاّ وليٌّ في مقامه، كان شيخي التّلالي قدّس سرّه دائمَ الحضور والاستغراق، عظيمَ الفكر، حافظَ الأنفاس محبّ المريدين، ومربيَّهم من باطن إلى باطن لا يعظمهم ولا يكرمهم ولا يحترمهم ظاهراً خوفًا من وقوعِ الغرور والسرور على قلوبهم فيهلكون؛ إذ يقال تعظيم الأستاذ سمّ قاتل وكان شيخي التلالي يربّي المريد تارة بالجمال وتارة بالجلال ويقول قد أمرنا شيخنا محمود أفندي قدّس سرّه هكذا وأنا آمر إليكم كذلك، ويترك المريد القابل فوق ما يتركه غيره أي: ويرميه في الظاهر خلفَ جبل قاف وفي الباطنِ يكون معه لا ينفكّ عنه بالروحانية ويُربّيه أكثرَ من غيرِه؛ كما هو عادة السلف والخلفِ من الأولياء الكرام والمشايخ العظام.

وكان قدّس سرّه ذا هيبةٍ عظيمةٍ كثيرَ البركة لا يشبَع أحدٌ من ألفاظه القدسية ومن الجلوس في مجلسه؛ كما لا يشبع من مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن أقواله، وقام في القرية التّلاليةِ وفي بعضِ النواحي البعيدة على بساط الإرشاد ومراتب الإمداد بعد تمام فطامه عن شيخه محمود أفندي على عادة الله تعالى، وإلا.. فلا فطامَ أصلاً.

وكان قدّس سرّه يُبعد خواصّ مريديه وخلفاءه ويرسلهم إلى عامّةِ الأقطار يَنشرون أزهارَ أنوارِ الطريقةِ العليّةِ النقشبنديّة على الصّغار والكبار حتّى أقام في كلّ ناحيةٍ من نواحيها خليفةً يربيّ المريدينَ ويُرشد السّالكينَ على ما كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه وأتباعُه بلا تطرّق خللٍ وضللٍ كما كان في سائر الطرق غيره من الفِرق، مبتدأً

من چچان، وچركص، وغازي غموق، وأوار، وكوره، وخيداق[١]، وأَخْتِي[٢]، وشِكِي[٣]، وشِرْوانْ[٤]، وكذا في ديار چار، فرحمه الله تعالى رحمة عامّة، ووصل إلينا فيوضه وجزاه الله تعالى أفضل ما جُوزي به مُرشد عن مريديه وشيخ عن سالكيه.

وكلّ ذلك كان له بسببِ دعاء شيخه الألماليّ له بطول بقائه ورجوع جميع إخوان الزمان إلى بابه وجعله قبلة الحاجات وكعبةَ المرادات ومأوى الساداتِ وسيد القادات فللّه درّه وإلى النّعيم ردّه.

وكان قدّس سرّه كما قال أخونا الكبير العالم العامل والفاضل الكامل المرشد الأديب والشيخ ذو النسيب شعَيْب أفندي الأواري الباكني رحمه الله تعالى: من عجائب الزّمان و غرائب الأوان في إرشاد المرشد، وعلمِ كيفية استفادة المستفيد، وكان يربّي كلّ أحد بتربيته الخاصة ورحمته العامة وكان يكلّم النّاس بقدر عقولهم ويؤانسهم بحساب فُهُومِهم ووُصولهم، ويعاشر الخلائق بالمعروف ويُداريهم ولو مع الكفّار بالحسن والكفوف، وكان بابه كباب السّلطان الأعظم والخليفة الأرحم في ازدحامِ الناس إلى بابِه، وكان دأبُه في الأوقاتِ كلّها توجّهَ المريد وإفاضة المستفيدِ، وكان على

---

[١] «خَيْدَاق» (Kaytag): كُورَةٌ فِي الجزءِ الجنوبيّ الشرقيّ من داغِستان، كان دار إمارة أمرائها الملقّبينَ بأزمي قرية قلعة قريش، أكثر قراها يتكلّمونَ بلسان چغَتَاي تُرْك، وَالبَاقُونَ بِدرْگه.

[٢] «أَخْتِي» (Akhty): قرية كبيرة فِي وادي نهر سَامُور على جنوب داغستان، سكّانها اللَّزْگِيُّون.

[٣] مدينة قديمة فِي شِمَالِ أذربيجانَ، وتعرف الآن بمدينة: «شِكِي» (Shaki)، منها إلى حدِّ داغستان مسافة نحو: عشرين كِم.

[٤] «شِرْوَان» منطقة واسعة في أذربيجان، تقع على ساحل بحر قزوين (الخرز)، ما بين باكو جنوبا ودربند (باب الأبواب) شمالا.

مقام يُضرَب به المَثَلُ بين الناسِ في الحلمِ والعفّة والنجابة والنقابة ذا كراماتٍ عجيبة وخوارق غريبة.

وكنّا إذا حضرنا عنده وخطر في خطورِنا شيء مّا يأخُذ في يده المباركة كتابَه «مفتاح القلوب» ويُخبرنا بما في قلوبنا بالنظر إليه ويقول: يا ولدي قد صعب علينا الإخبارُ لكم من فمنا؛ لعدم وثوقكم إلاّ بما في الكتب أتظنُّون أنّه يخرُج من أفواهِنا زور كلامٍ، كلّا والله ولولا قلّة المحبّة والإخلاص في قلوب العلماء لَأَوْصلتُهم إلى مقاماتِهم ولو في أربعين يومًا إن لم يحصل في أقلّ من ذلك انتهى مع زيادة وكان طبيباً حاذقًا يُعالج الأمراضَ الظاهرة؛ كما يعالج الأمراضَ الباطنةَ، ويجيء لديه من أقطار الأرض المرضى يوم الإثنين والخميس ويعودون يجدون الشفاء فالآن أي: بعد انتقاله قدّس سرّه من الدنيا؛ كما في حياته كان يجيء المرضى على تربته للزيارة من القُرى في كلِّ يوم، بل في كلِّ الإثنين والخميس، رفع الله درجته وأنار مرقدَه وأعاد علينا وعلى جميع المسلمين والمسلمات من بركاته، آمين.

كان قدّس سرّه ذا هيبة نصيحاً حليماً وَقُوراً صبورًا جسيماً بَسيماً وَسيماً وعن الأخلاق الذميمة كلّها بعيدًا وكان يتحمّل أذى الناس ولا يسبَّهم، بل لا يُبغض على من أذاه من قومه ويدعو لهم بالخير ويقول: اللهم اهْدِ قَومي فإنَّهم لا يعلمون؛ كما دعا النبي عليه الصلاة والسلام لقومِه قريش بذلك حيث قال حين كسروا سِنَّه في غزوة أُحد بالحجر: «اللهم اهد قومي فإنَّهم لا يعلمون»؛ إذ عادة الأنبياء وكذا الأولياء أن لا يدعوا [على] الناس إلا بالخير، وأن لا يَبغَضوا عليهم إلّا في أمر الدين، لأنّ صاحب البغض والعداوةِ لا يكون صاحبَ

إنصافٍ فكيف يكون نبيَّ الله تعالى ووليَّه، وكان يعظ لقولِه في كلّ وقت ويقول: إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يا عبادي أنا كنتُ معكم وأنتم بمن كُنتم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ الآيةَ[١] لأنّ الشيخَ في قومِه؛ كالنبي في أمته، فراجعه.

وكان صحيح النية لا يطلب من أحد شيئًا مّا، بل لا يخطُر بباله ذلك فلعدمِ وجودِ هذه الأوصافِ نجد بعضَ مشايخ الزمان لا يقدرون إيصالَ محبّيهم إلى الكمالِ إلا قليلًا ولو كانوا علماء أجلّاء كُرَماء.

وكان أحسن الناس وجهًا وخُلُقاً وخَلْقاً، وكان لا يشرَب الچاي[٢] مع السّكر وكلّ أحد من الناسِ يُعلّل لفعله هذا بعِلّة على حسب فهمِه وسمعِه، وهذا الفقير كنتُ أقول لسائل عن هذا السبب: إنّ عدم شربه الچاي مع السكر؛ كما هو عادة الناسِ وجودُ طعم السكر في فمه دائمًا فلا حاجةَ لاستعماله.

وكان لا يحمل القادمين لديه للإنابةِ إلّا بالاستخارةِ إلا قليلًا، وكان لا يغسل أحد يديه على ماء يديه، وبقي ذلك بعدَه وِراثة على خلفائه في بعض القرى، ويحفظ ماؤهما للاستشفاء، وكان لا يُرفَع الأصواتُ في مجلسِه ولا يَفوت شيءٌ في محضرِه أيّ شيء طُلب.. وُجد؛ كما لا يُرفع الأصواتُ في مجلس النبي صلّى الله عليه وسلّم ولا يفوت شيء في محضره؛ كما قيل لله درّه وإلى النعيم ردُّه

[١] سورة الحديد، الآية: ٤.

[٢] أي: شَايٌّ.

مَجْلِسِنْدَهْ رَفعِ صَوْتْ اوُلمزْايِدِي * مَحْضَرِنْدَهْ نَسْنَه فَوْتَ اوُلْمَزايِدِي

عِلمِلَه فَتْوى اِيـدي اَنْـدَهْ كَـلاَمْ * خِلمِلَهْ تَقْوى اِيـدِي اَنْـدَهْ نِظَامْ

إذ الأصوات التي وصلت فوق الغاية ليستْ من الأدب في مجلس المشايخ، وكذا التصفيق باليد وضربُ الدفّ والرقص وضربُ الصنج في حال الذكر ليس بمطلوبٍ لاسيّما حال القراءة إلا إن غلبه الحال وخرج عن الاختيار فلا لومَ عليه، وعليه مشايخ الطريقة النقشبندية.

ونقل ابن حجر عن الطَرْطُوشِيّ[١] ما حاصله: «أن مذهب السادة الصوفية أن الرقص وضرب الدف والشباب، بَطالَةٌ وضلالة وما الإسلام إلاّ كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم» انتهى.

فهذا مطلبٌ صعبٌ لعوام، بل لخواصّ ديارنا، فإنَّهم يحضرون مع أهلها ويُعِينون على باطِلِهم ولا يُنكرون عليهم مع علمِهم أنّ ما هم عليه بطالةٌ وضلالةٌ، فهل هذا إلاّ رضاءً منهم على المنكر فإذًا إلى أين يرجع الأمرُ، وقد سَبق أنّ الإسلامَ ليس إلا كتابُ الله وسنةُ رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فنعوذُ بالله من شرور أنفسنا وقبائح أعمالنا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وأوّل من أحدث الرقصَ والتواجد أصحاب السامري حين [اتّخَذَوا] العجلَ إلهًا فقاموا يرقصون ويتواجدون.

وإنَّما كان مجلس رسول الله صلى الله عليهم مع أصحابه كأنّ [على]

[١] محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى الفهرى الأندلسي، أبو بكر الطرطوشى (٤٥١ -٥٢٠ هـ)، أديب، من فقهاء المالكية، الحفاظ. من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس. تفقه ببلاده، فتولى التدريس واستمرّ فيها إلى أن توفي، من كتبه: «سراج الملوك» وغيرها. «الأعلام» (٧/ ١٣٣).

رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونُوّابه أن يمنعَهم من الحضور في المساجد وغيرِها ولا يحلّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يُعينهم على باطلهم، هذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين؛ كما بيّن في الفروع، فإن شئتَ نهاية البيان والتحقيق بعد العيان.. فراجع إلى «بغية المسترشدين» من (كتاب الشهادة) تجدها إن شاء الله تعالى، هذا.

[كرامات الشيخ التلاليّ قُدّس سرّه]

كان شيخنا التلاليّ قدّس سرّه ذا كرامة كثيرةٍ وخوارق عليّة، فمن كراماته: ما أخبرنا به غيرُ واحد من أنّه قال: «لمّا كنتُ في إسلام بول يومًا من الأيّام غبْتُ بفضل الله وكرمِه عنّي، وقمْتُ فيها ثمانيةَ أيّام ولياليها، فلمّا أفقتُ.. استخبرْتُ من أصحابي عن حالي فأخبروني عنه كذا وكذا ففرحْتُ عليه فرحَ شكرٍ فبينما حالي هذا إذ نمتُ نوم استراحة، فرأيتُ فيه شيخي محمود أفندي الألمالي قدّس سرّه يقول لي: يا ولدي ويا قرّة عيني هل استعجبتَ من حالك هذا؟ فاذهب بجامع كذا ففيه عبد من عباد الله وانظر إليه فإنّه يتنفّس في سنة واحدة مرّتين فلما كان يوم الغد.. طلبتُ الجامعَ وذهبتُ إليه فوجدتُ الرّجل المذكورَ في زاوية منه، عليه رقيبان من طرف السّلطان ولم يُشعِر من حضوري وإيابي، وسألت عنهما من حاله فأجابا أنّه لا يتنفّسُ في السنة إلاّ مرّتين.

وحكى الراوي: إذا قال الشيخ هكذا.. تَحَدَّثَ في نفسي وخَطَر ببالي أنَّ أمثاله يكونون أعظمَ درجةٍ من هؤلاء المشايخ فنظر الشيخُ إليّ وقال: ما حدثْتك نفسك وما خطر ببالك قلت كذا وكذا قال: يا ولدي ليس الأمر؛

كما خطر ببالك لأنّهم يرعون أنفسهم فقط وهؤلاء يرعون أنفسهم مع رعاية جميع العوالم فهم أعظمُ درجةً وكمالاً منهم» انتهى كلامه اللّطيف.

ويؤيّده ما قاله الباز الأشهب محي الدين عبد القادر الجيلانيّ رضي الله عنه حين قيل بين يديه يوماً: «ما أحسن المُوَلَّهينَ [فقال رضي الله عنه]: عقلاءُ الله تعالى أحسن؛ لأنّ الُموله سُلِب عقلُه بنظرة أو بخطوة، والعاقل تهب عليه نسمات الله تعالى، فلا تحرّك من شعر لحيته طاقة يحمل بها على محامل النبوة»[١].

وقال الشيخ أبو سليمان داود المنبجي: «كنتُ يوماً عند الشيخ عقيل فقيل له: قد اشتهر ببغداد امرؤ شابّ عجميّ شريف اسمه عبد القادر، فقال: الشيخ عقيل وإنّ أمرَه في السّماء أشهر منه في الأرض، ذلك الفتى الرفيع المدعوّ في الملكوت بالباز الأشهب، وسينفرد في وقته وسيردّ إليه الأمر ويصدر عنه، والشيخ عقيل رضي الله عنه أوّلُ مَن لقّب شيخنا وسيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه بالباز الأشهب فيما ذكر رضي الله عنهما» انتهى[٢].

ومن كراماته: ما سمعتُه عن مولاي: أنَّه لمّا كان في قرية أَلْمالي عند شيخِه محمود أفندي قدّس سرّه.. رأى في النومِ كأنَّه على جبل عالٍ أسفلُه وادٍ مُظلم عميقٌ لا يمكن الوصولُ إلى قعرِه، ولكن فيه رجالٌ كثيرةٌ، فحينئذ أعطي إلى يدِي حبلٌ طويلٌ نُورانيٌّ، وأُشير إليَّ بإخراجِهم بالحبلِ، وأخرجتُهم به واحداً بعد واحدٍ إلى أنْ لم يبق منهم فيه أحد، فاستيقظتُ ورأيتُ أنّي في ألمالي في

[١] «سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج اليه الأبرار» (ص ٣٠٨).

[٢] «سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج اليه الأبرار» (ص ٣٠٨).

بيت ضَيْفي فالآن أي: في سنة (١٣٢٥هـ) شاهدتُ أنّ أولئك الرّجال الذين رأيتُهم في قعرِ الوادي رجالٌ أخَذُوا الآن من يدي، ووصَلُوا بفضل الله تعالى وبواسِطَتِي إلى درجة الكمال، فالرّؤيا إشارةٌ إلى هذه القِصّة.

ومن كراماته: ما سمعتُه عن مولاي أيضاً: أنّ الشيخ عبد الرحيم أفندي الدمدراني قدّس سرّه جاء لديَّ وقال: رأيت في النوم أنّ الإسلام قائمٌ على منكبي ومنكبك فأُلهمْتُ بأنّي أكون أحدَ القطبين وأنتَ الأخر، فقلت له: إنّ القطبيةَ أعطيت وأخذت ولم تبق لك ولا لي، ولكن أنا وأنت نحجّ في سنةٍ واحدة، فتبقى هناك بقصدِ الإقامةِ، وأنا أرجعُ بعد الحجِّ، فلمّا رأيتُ في وجهِهِ أثرَ عدم قبول تعبيري.. قلتُ له: أيّها الشيخ آخِذٌ من يدك إن شاء الله في طريق الحجّ، ثم بعدَ سنين قصدْتُ الحجّ فصادفتُه في السفينة وأخذتُه وقلت له: ما قلتُه في منزلي فبعدَ الحجّ رجعْتُ، وبقيَ هناك في المدينة المنوَّرة، وكان الأمر؛ كما قلت، فالحمد لله على ذلك.

ومن كراماته: سماعُ نداءِ شيخه له من مسافةٍ بعيدة، وإجابة دعوته من منزله في ليلة ظلماء، وتفصيلُ الكلام مرّ في (مبحث كرامات شيخِهِ الألمالي قدّس سرّه)، فراجِعْه[١].

وممّا أخبرَنا به ابنُه العزيز حاج محمد أفندي عن فم أبيه شيخ الزمان الشيخ حاج أحمد أفندي: أنّه إذا رأَى ليلةَ القدر حين كونِهِ طالبًا.. سأل عن الله تعالى ثلاثة: رضائَه عنه، والعلم النافع، ورؤية ليلة القدر متى أراد رؤيتها، وبعد ذلك كان يقول: رأيتُها خمس عشرة سنة متوالية.

[١] في (ص ٢٨١).

ومما سمع الفقير أيضاً من أخينا الكبير شعيب أفندي الباكني قدّس سرّه حيث قال: «إنِّي لما كنتُ في حجرته عنده وعندنا رجال كثيرون.. قال لي: يا ولدي هل يكون ليلة القدر في شهر رمضان إلا في العشر الأواخر؟ فقلت له: أنّي رأيتُ في بعض الكتب وأنت أعلم به أنّها يكون في الليلة الخامسةَ عشرَ نادراً وقليلًا، فتبسّم رحمه الله تعالى وقال: إنِّي رأيتُها فيها مرّة واحدة وأيقظني في تلك الليلة لرؤيتها محمود أفندي قدّس سرّه، فلولا إيقاظه إياي.. لكانت فاتت عن يدي، فالحمد لله ربّ العالمين» انتهى.

ومما أخبرنا به ابنه أيضاً: أنَّ أبانا كان يقول: كنتُ لا أعلم ليلة البراءة وقدرها، ففي سنةٍ رأيتُ في ليلة ظلماء نوراً ساطعاً إلى السماء من جهة القبلة، فعرفتُ منه أنَّها ليلة البراءة في نصف شعبان وكانت نصفه.

ومما أخبرنا به ابنه أيضاً: «أنّ والدي قدّس سرّه كان يقول: لم أخدم لشيخي محمود أفندي قدّس سرّه إلاّ ستة أشهر، وكان ذا توفيقٍ للوصول بعنايته» انتهى. ثم سمعتُه من فمه أيضًا بعد ذلك، فالحمد لله على ذلك؛ كما مرّ، فراجعه.

كان شيخنا التّلالي قدّس سرّه مولودًا في قرية تَلَه، وكان فقيراً مسكيناً لم يكن في ملكه واختياره شيء مّا، ومعه في شباب زمانِه خدم العلوم وأهلها واكتسب منها ما يكفيه لدينه الفرضي والكفائي، وكان تلميذاً في كثيرٍ من الأوقاتِ في قرية إِيليسو عند العالم سعيد أفندي، ولكن محبّته الكثيرة ومودّته كانت للعلم الباطن، وأهله وَفْقًا لما كُتب له في العلم الأزليّ وكان طلبُه واستمدادُه في طلبِ المرشدِ الكامل؛ ليُوصِله إلى مطلوبه.

ثم لمّا وجَد المرشد وتمسَّك يدَه وترك الدنيا وما فيها وسلّم له نفسَه وخدم له خدمةً تامةً ووصَل إلى مقامِه المقدَّر عنده تعالى؛ كما مرّ تفصيلُ المقامِ وشرح ما تَراكَمَ عليه من الأحوال بالكلام.. أظهَرَ الله تعالى على يده كرامات كثيرة وخوارق واستقامات وفيرة، فلو أخذْنا في تَعْداد جميعِها.. لاحتجنا إلى كِتبة كتابٍ كبيرٍ، فتركْنا تعداد جميعِها خوفًا عن الإطالة.

فمِن أكملِها التي لم يقع نظيرُها لمرشدٍ كاملٍ غيره ولو شيخَه غوثَ الزمان محمود أفندي قدّس سرّه؛ كما قال أخونا الكبير الكامل والمرشد الفاضل شعيب أفندي الأواري الباكني قدّس سرّه: «طاعة العلماءِ الأعلام وانقيادُ الأنام وإخلاص جميع الخلائق له في جميع أقطار الأرض التي في حَوالَيْنا حتى تبعه كلّهم، وأخلصوه وكان مريدوه وخلفاؤه في جميع نواحي قَفْقَاز وديار السّلطنة السّنية إسلام بول؛ كما مرّ بيانُ مواضع الخلفاء عن قريبٍ تفصيلًا»، فراجعه[١].

وكان قدّس سرّه جسيماً حليماً صبوراً رحيماً عاقلاً كاملاً؛ بحيث يرجع إليه ذَوُو العقول في مشاوراتهم وذَوُو الأفهام في تدبيراتهم حتى كفّار الديار خذَلهم الله تعالى في مُحاوراتهم دُستوراً، غفوراً لعيوب مريديه ومُلازِماً في تربية أولاده وسالكيه حتّى قال: واتّفق فضلاءُ الزمان وكرماءُ الأوان أنّه لم نر وليّا مّا أكمل منه في تربية المريدين، وإحاطةِ مراد السالكين.

وكان يُربِّيهم كلّ واحد واحد على حسب ما في نفسه مما يتّفق له طبيعته، ويوافِق له مزاجه ومروّته.

---

[١] في (ص ٣٩٠).

وكان يقول لي في حجرته حين كنتُ معه ولا غيرُ معنا؛ كما قال به الباكني أيضاً: «يا بُنَيّ إنّ هذا الزمان آخرُ الزمان، فكونُنا على يقظةٍ فيه واجبٌ، وعلى حفظِ مرادات الناس ما لم يخرُج عن الشرع بالمداراتِ حتمٌ لازمٌ، ولولا ذلك.. لكنتُ أُرِي كلّ مريد لي هيئتَه وصورتَه الرّوحانيةَ بعضهم على صورة الإنسان، وبعضُهم على صورةِ الكلبِ والخنزيرِ أو الثعلب أو الأسد على ما يوافق أخلاقه الذميمة، ولكن لمّا كان الزمانُ وأحوال أهاليه في يد الكفّار، وكان الناسُ نمّامين حتّى السالكين.. تركنا تلك الإراءةَ وفوّضْنا جميعَ أمورِنا وأمورَهم إلى الله تعالى.

وكان يقول كثيرا مّا يا بنيّ لو حضَر عندي للتربية عالمٌ كاملٌ بالإخلاص والمحبّة، وأعطى الاختيارَ لي وقام عندي؛ كالميّت عند الغاسل.. لأوصلتُه إلى المقام المعلوم عند الله تعالى، وحضرة الوصول إليه تعالى في أقلّ من أربعين يوماً ولا يزيد المدة عنه البتة، ولكن أنتم معاشر العلماء ليس فيكم كمالُ الإخلاص وتمامُ المحبّة والإيناس».

وكان رُصّع جواهر معاني الأسماء التسعة والتسعين في قلبِه وشكلِه مقرَّراً وجميعَ الأخلاق الحميدة محمودة بكونها في جسمه محرَّراً، فسبحان الله الفَعّال لما يريد والحاكم بـ«كن» فيكون.

وكان قدّ سرّه ذا كراماتٍ ومناقب، ومن أكملِها؛ كما مرّ: انقيادُ كافّة العلماءِ له، ووصولُ كثيرِهم إلى مرادِهم ومَفادهم؛ كما قَرَّرُوه في كتبِهم بتوجّهاته وتصرّفاته، وقام على تلك الكيفية العلية والمقامات السنية دائماً على بساط الإرشاد، ومُفيضاً بالفيوضات على قلوب السالكين وعلى طريق

الإمداد تسعاً وثلاثين سنة أبًا طبيبًا للقلوب المرضى، ومرشدًا للخلائق بطلب الرضى، ولم نعرِف مرشدًا فيما سمعنا قائماً على بساط الإرشاد في تلك المدّة الطويلة والسنين المزيدة.

ومن خوارق عاداته أيضاً الصّادرة منه قبل وفاته بشهر: أنّه كان يصلّي في حجرة بيته إماماً لبعض الإخوان لصلاة الظهرِ، فأقام في الركعة الثالثة قيامًا طويلًا بقدر نصف ساعة، وأتمّ الصلاةَ واسْتَحْيَ من إخوان المأمومين بطول قيامِه، ثم لما تفرَّغُوا وتفرّقُوا.. قالتْ حليلتُه أمّنا وأمّ مؤمني زماننا الحاجة عاشوراء: فيا صاحب فراشي أفندي ما أَطْوَلَ صلاتَك هذه ما الذي أقدمك إليه جزاك الله تعالى عنّا بما هو لائقُك؟ قال: يا صاحبة فراشي حاج خانم السَّبَبُ عليه إنّ بعض السّفن السائرين على بحر قره دنيز[١] بين القسطنطينية والجدّة قد قرُب إلى الغرق واستغاثُوا بي فأغثتُهم وأَنْجيتُهم وبقيتُ قائماً بشغل ذلك الأمر الهائل وانتظار سؤال السائل» انتهى، فرحمه الله تعالى وأفاض علينا من فيوضاته.

فالحاصل من مقاماته الحاصلة لنا والمعلومة لدينا: أنَّه كان رئيس الأبدال السبعة وواحد الأوتاد الأربعة، وإنْ أخذنا في تَعْداد شمائله الشاملة، وطبائعه الحسنة الكاملة، وكراماته البريعة الفائقة.. لاحْتجنا إلى كتبة الكتاب الضخم وتسويدها بالكتابة؛ كالفحم، ولكن تركناها خوفَ الإطالة وتحرّزاً عن المَلالة.

وبقية أهل بيته وقت وفاته ابنان وأربع بنات غير الحاجة المذكورة أحدهما: الأديب الكريم ابن الكريم العالم الطالب الرشيد محمد أفندي،

[١] البحر الأسود عرف قديمًا ببحر البنطس.

والآخر ابنه الفائق على الأقران والبارع على الإخوان ملا عبد الله، وأمّا البنات.. فثنتان منها متزوّجتانِ واثنتان صغيرتان أطال الله تعالى عمرَهم وجعلهم تذكرةً لنا من الأستاذ وسبباً للفيوض والاستمداد، آمين.

ومن معاصريه[١] مولانا المعدود من آل الرّسول: الشيخ حاج أحمد أفندي البَقّاليّ ثم الشايَلُوطِي قدّس سرّه وأفاض علينا من فيوضه كان رحمه الله تعالى رجلًا مجذوبًا سخيّاً، وفي خُلقه مَرضيًّا وفي خَلقه عليّا. وهذا الفقير رآه مرّةً في زيارتِه في بيته حالَ حياته كان طليقَ الوجه والجنانِ، فصيحَ الكلام واللّسان نصيحَ الإنسان، يُكرم الناس ويُقري الضيفان، كان قدّس سرّه ذا كرامات سنية ومناقب عليّة مات رحمه الله تعالى في سنة (١٣١٥هـ) وسلّم روحه إلى الرضوانِ، ودُفن في قريته شايلوط قريبَ داره، يزار عليه ويتبرّك منه.

[خلفاء الشيخ أحمد التلالي]

وله خلفاء[٢] أجلاّء، علماء كرماء:

[الحاج شرين الكُلُّوكِيّ]

الأوّل: منهم أخونا الكبير الشيخ الهرم الشهير الحاج شِرين أفندي الكُلُّوكِيّ قدّس سرّه، قال الباكني قدّس سرّه في «طبقاته»: «﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾[٣] إنّه كان شديدَ المحبّة وكثيرَ المودّة لله تعالى أوّلاً ولرسولِه

[١] أي: معاصري شيخي التّلالي قدّس سرّه. (منه).
[٢] أي: الشيخ التلالي قدّس سرّه. (منه).
[٣] سورة التكوين، الآيتان: ١٥-١٦.

ثانيًا ولأوليائه ثالثًا، فإنّه رأى كثيرَ المشايخ وزار عديد الأولياء الشوامخ، فإنّه قال لنا: إنّه رأى وزار الشيخَ جمال الدّين أفندي الغُمُوقي قدّس سرّه وكثيرَ خلفائه، وكان أوّلًا مريدًا للشيخ الحاج أحمد أفندي الأَلمالِيّ.

ثمّ لمّا وَصَل قطبُ العارفين محمود أفندي الألمالي قدّس سرّه إلى بيته.. خدِم له سنين، ثمّ لمّا هاجر إلى ولاية حاج ترخان.. صار مريداً للشيخ المرشد وخليفة الممدّ الشيخ الحاج جبرائل أفندي الـزّاخوري ثمّ اللّكيتيّ قدّس سرّه.

ثمّ لمّا وقع بينهما بعضُ فتراتٍ.. تحوّل بلا إذن منه إلى خدمة شيخنا فبسببِه وقعَ بينه وبين شيخنا التّلالي قدّس سرّه فترات، ولكن سمعْنا من الثقاة أنّه وقعَ بينهما الصّلحُ بمَنّه وكرمه مرّات وكرّات بذهاب شيخِنا إلى بابه وزيارتِه تلقاء وجهِه للوصول إلى الحظّ الأوفى والقدحِ المعلّى.

ومات في بلدةِ جدّة في طريق الحجّ في سنة ألف وثلاثمائة وثمان عشر»، انتهى مع زيادةٍ.

ولقد حكى إلينا شيخنا التلالي قدّس سرّه في بيته وقت التحدّث: «أنَّ أخانا حاج جبرائيل أفندي قدّس سرّه قد ملّ وتأذّى عنّي من قبولي مريده حاج شرين أفندي حين جاء لديّ بلا إذنه والحال أنّي والله لم أقبَله أوّلاً، بل رددتُه كلّ كرّات حتّى أبقى وسلّم أمرَه إلى الله تعالى، فلم أقدر أن أَمُرّ عنه جلّ شأنه ولا إله غيره» انتهى كلامه اللطيف.

يقول الفقير: إنّه كان من أقرب أصحاب شيخي التلالي قدّس سرّه إليه جِسماً وروحاً وأجلُّهم منزلةً، وهذا الفقير لمّا رأى منه ما رأى بالرّوحانية..

اشتدّ محبّتُه واعتقادُه إليه، فمن جملة ما رآه بحسب الجسمانية والمشافهة أنّه قال في مجلس صلوات النبيّ صلى الله تعالى عليهم، وشيخي التلالي قاعدٌ عن يمينه: إنّ الإمام الربّاني قد أخرج واحدًا من أهل المجلس عن هذا المجلس فما هذه البرودة، وقد مرّ تفصيله في شرح القصيدة فراجعه[١].

ومن جملة ما رآه منه بحسب الرّوحانية: إنّه قال لهذا الفقير ليلًا في المنام: إنَّ هذا شيخك يقول لك تحضُر إلى خدمتِه قبل يومٍ من عيد الأضحى وكان شيخي حاضرًا معه عند ذلك، ثم حضرتُه في اليوم الموعودِ ووجدتُه؛ كما قال ثمّ توجَّه إليّ توجّهاً بليغاً وأعطاني وقتئذ مراقبةَ القلب ودعاني خيرَ دعاء، رفع الله درجتهما وأعاد علينا من بركتهما، آمين اللهمّ آمين.

ومرّ إليه الإشارة أيضاً في مناقب محمود أفندي قدّس سرّه.

ومن جملة ما رآه عنه: أنّه قال له في رحلته الصّيفية عقب وصوله إلى قرية ژاخور حين غلبه الغيبة الحيرةَ خطابًا للشيخ التلالي قدّس سرّه، وكان حاضرًا بالرّوحانية معه هُنالك: انظر لهذا عثمان أفندي ماذا وقع عليه وسيجيء تفصيل هذا المقام في مناقبي إن شاء الله تعالى، فراجعه[٢].

ومن جملة ما رآه عنه أنّه قال له ليلًا في المنام لمّا رآه في الفيطون مع شيخه التلاليّ، وأراد الركوبَ معهما بعثمان أفندي نحن مثنّى والمثنّى لا يُجمع هكذا قال الشيخ المترجم له ثمّ ذهب في الفيطون مع شيخي التلاليّ وبقيتُ في المنزل متحيّراً، فعن زمان قليل مات شيخي التلالي، ثمّ بقينا كأيتام صغار

[١] في (ص ٦٦).

[٢] في (ص ٤٣٢).

وكان عاقبة[١] واقعتي هذا، وسيأتي أيضاً بيان هذا المقام في آخر الرسالة إن شاء الله تعالى، فراجعه[٢].

ومن أجل ذلك كنتُ كثيراً مّا أتكلّم بين إخواني من طرف الشيخ المترجم له وأنصح لهم لأجلِه وأقول لهم: إنّي رأيتُ منه ما رأيت فلا تتكلّموا عنه إلا بحسن ظنٍّ وخيرٍ هذا والله تعالى أعلم.

[الشيخ عبد الرحمن الغازي غموقي]

والثاني منهم: سلطان العلماء المدرِّسين، وإمام الأئمة المكمّلين، عالم الزمان، وفقيه الأوان، سيّدي الشيخ الحاج عبد الرحمان أفندي الغازي غموقي قدّس سرّه.

قال الباكني قدّس سرّه في «طبقاته»: (وكان عالماً جليلاً، ومُناظراً جميلًا، فصيح اللسان، نصيح الإنسان، فائقَ الأقران عجيب البيان؛ بحيث كان مأذوناً للتّدريسِ في كلّ العلوم من جهة السّلطنة والدّولة السنيّة بيضة الإسلام والمسلمين ظَلَّ الله على أرضِه وخليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في دينه وأمره ونهيه، السلطانُ الغازي عبد الحميد خان الثاني بن الغازي المجدّد المجاهد عبد المجيد رحمه الله تعالى وأطال بقاءه وأدام دولَته وأعزّ شوكتَه وشدّ شكيمتَه، وأذلّ عدوَّه، وأرذل حسودَه، آمين بحرمة سيّد المرسلين محمد صلّى الله عليه وسلّم.

[١] وقد رأيتها بعد وفاة الشيخ المترجم له ورؤية شيخي معه قد ملّتني لما قيل: إنَّ رؤية ذهاب الحيّ مع الميّت في المنام نحّس هذا. (منه).

[٢] في (ص ٤٧٩).

ثمّ إنّه لما رجع إلى دياره، وأقام في داره سنين.. أرسله الروس[١] إلى سِبِر مع أهله وعياله، ثم لمّا رجع بفضلِ الله ومرحمته عنه.. اشتاق الله تعالى وكمل استعدادُه مع أحبّاء الله تعالى، وصار أوّلًا مريداً للشيخ الحاج جبرائيل أفندي الـزاخُوري ثمّ اللَّكيتيّ قدّس سرّه، ثم لما لم يَنل منه إلى مقامِه، ولم يصل إلى مطلوبه.. حضَر لدى شيخنا ووصل إلى مقصوده، وترقّى إلى مقاماتِه؛ بحيث تجاوز فناؤه من سدرة المنتهى، عندها جنّةُ المأوى.

وله كراماتٌ كثيرة، وخوارق عديدةٌ لا يُحصيها الكتاب ولا ينطِق بها الخطاب فرحمه الله تعالى، وأفاض علينا من فيوضه، ثمّ انتقلَ إلى رحمة الله تعالى في السنة التاسعة بعد ألف وثلاثمائة رحمه الله تعالى، ودُفن في مقبرة قرية تَلَهْ عند الطريق الكبير، وعلى قبرِه من الجلالة ما يليق بحاله يزار ويتبرّك[٢]) انتهى مع زيادة.

[الشيخ عمر الإقْراوِيّ الكُوريّ]

والثالث منهم: أعلم علماء دياره، وأكملُ كاملي أعصاره، أخونا الكبير عمر أفندي الإقْراوِيّ الكُوريّ قدّس سرّه.

قال الباكني قدّس سرّه في «طبقاته»: (فَوَالله أنَّه كان كما سمعنا من رجال قراه بسيطَ اليد وكثيرَ العطاء، وكان دأبُه في كلّ وقت أكل الخبز مع الملح، وكان لا يترك عنده شيئًا مّا من الإدام والفواكه إلّا لأجل الأضياف وإكرام

[١] أي: في وقت إمام المسلمين إمامنا الثغوري الحاج عبد الرحمان رحمه المنان. (منه).

[٢] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٧٩).

أهل الإضعاف[١]، وكان له مريدون، وكان رحمه الله تعالى يجلس دائماً على بساطِ الإرشاد لا يفتر عنه لحظة ولا يغفل عنه فلتةً، ووصل بسببه بركاتٌ كثيرة إلى الرجالِ والنساء، ففي أثنائه انتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة ألفٍ وثلاثمائة وخمس عشرة رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأناله إلى مقاصده تامّة، آمين) انتهى[٢].

[الشيخ مصطفى الغدبري]

والرابع منهم: العالم الألمعيّ والفاضل اللَّوْذَعيّ رئيس العلماء، وسلطان الفقهاء، عجيب الزّمان غريب الأوان الحاج مصطفى الغُدُبِرِيّ الداغستانيّ قدّس سرّه فإنّه كما قال الباكني في «طبقاته»: (قد برع في العلوم العقلية والنقلية، وفاق في الفنون الإلهية.

ثم لمّا كان الواجب على كلّ عالم وإن بلغ الغاية القصوى أخذَ يد المرشد الكامل لخروجه من الوحشة إلى الأنسة ومن الأنسة إلى الوحشة وتبديل الأخلاق السيّئة بالأخلاق الحميدة.. سلك في يد شيخنا الفاضل وقام بين يديه؛ كالميّت بين يد الغاسل، فأوصله إلى ربّه وأناله إِربَه بفضل الله تعالى وشفاعة رسوله وبركة أوليائه.

ثمّ أجاز له بالإجازة التامّة، وأقامه على بساط الإرشاد العامة وهو الآن على إرشاد المريدين وتسليك السالكين وتربية الهالكين وإهداء الضّالّين المضلّين، وفّقَه الله تعالى لما يحبّ ويرضى وحجّ رحمه الله تعالى ستّ

[١] هم الذين يستحقّون مضاعفة الأجر. «المقتطف من عيون التفاسير» (٤/ ٢٠٩).

[٢] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٨٣).

حجات متواليات، وَفَاقَ على إخوانه بستّ درجات فللّه درّه، وإلى النعيم ردّه) انتهى[١].

[الشيخ شعيب أفندي الباكني]

والخامس منهم: العالم الأوحدي والمرشد الباطنيّ إمامُ المتقين وشيخ السّالكين الشيخ الحاج شعيب أفندي الباكني الأواريّ قدّس سرّه، فلقد ولد رحمه الله تعالى كما قال في «طبقاته» في سنة أربع وسبيعين بعد ألف ومِائَتين، فلمّا وصَل ثماني سنين.. قرأ القرآن بفضل الله المتعال وبعنايته تعالى لم يحتج لمعلّم فوق سورة الإخلاصِ.

ثمّ لَازَمَ العلومَ النقلية حتى قرأ كتاب «الحدائق» على والده العالم إدريس أفندي رحمه الله تعالى فلمّا وصل إلى سبع عشر سنة.. مات أبوه المذكور بقي يتيماً.

ثمّ برحمة الله تعالى سخّر له بعض أقاربه للنظر إلى حوائج بيته إلى أن تمّ له العلوم النقلية والعقلية وأصول الفقه والتوحيد وفروع الفقه وذلك في ثمان وعشرين سنة من عمره؛ كما كان في عادة ديارنا الدّاغستانية، ثمّ في تلك السنة حفظ القرآن المجيد بفضل الله الكريم.

ثمّ لّما كان سجادة الإمامةِ في قرية ژاخور.. حضَر إليها المشايخُ الثلاثةُ حاج جبريل أفندي والشيخ حاج حمزة أفندي الـژاخورِيَّيْن الساكنين في قرية لَكيت وإيليسو وشيخنا الحاج قُصَي أفندي

[١] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٨٠).

الجنيغيّ قدّس الله تعالى أسرارهم العلية وضرائحهم السنية، وكان في مجلسِهم نحو أسبوع توقّد في قلبه نيران المحبّة لهم واشتاق إلى ربّه وتاق إلى أربه.

ثمّ حين كان قاضيًا في قرية جَنيغ اشتدّ الاشتياقُ لرؤية الأولياءِ وخدمتِهم بالتّلاقي واستخار في طلب الأستاذ ووصوله للممدود والاستمداد فجاء في المنام شيخُنا التّلالي في ثلاث ليال إلى مجمع النهريْن وكنت أخرج إليه من المسجد حافياً وأقبّله مجمع الحاجبيْن.

ثمّ لمّا قصدتُ في نصف الربيع للحضور إلى جنابه والوصول إلى خيامه لقيني في الطريق الشيخ قُصَيْ أفندي الجنيغي قدّس سرّه وسدّ طريقي وضلّ رفيقي وحَمَلني إلى مسجد كوزبراخ ولقّنني ألف استغفار وألف صلاة وخمسة آلاف ذكر جلاليّ خفيّ، وبشّرني بأنّ أكابر الأولياء قد اتّخذوني ولداً وصاروا إلى كلّ واحد والداً.

ثمّ لمّا انتقل إلى رحمة الله.. صرْتُ يتيماً في ثلاث سنين فبعدَه بالقدرة الإلهية والقضية الربّانية رجع إلى المحبّة المنقطعة من شيخنا شيخ المشايخ التّلاليّ قدّس سرّه، فذهبتُ عنده للخدمة، وحضرتُ لديه للتربية فَلَامَنِي ببعض الأفعال وعابَني بالأقوال وصرْتُ بها مقرًّا بكوني عليها مصرًّا فعفى عنّي، عفى الله عنه وجعَلَني من مريديه وأسلكَني تحت خدمة سالكيه وجعلني وإن لم أكن أهلًا من إخوانه وأحبّائه وعلى رأس ثلاث سنين في سنة ألف وثلاثمائة وثمان عشرة من تربيته.. أجازني وأعطى بيدي كاغذ الإجازة وأوصَى لي بما وجَب عليَّ وأَمَرَني بالتقوى

والاستقامة في كلّ حال انتهى كلامه ملخّصاً على المرام مع تقديمٍ وتأخيرٍ ومع زيادة وتغيير[١].

[الشيخ عبد السلام الخجمازي]

والسادس منهم: أخونا الكريم المطاع الفاضل الشجاع شيخ الدّيار الحاج عبد السلام أفندي الخُجْمازِي رحمَه الله تعالى ورزَقنا من بركاته آمين، فلقد لازم لخدمة شيخنا، فبه وَصل إلى ربّنا بانكشاف كلّ المراتب والمقاماتِ له وانقطاع جميع المنازل والدرجات عليه، ولقد رآه هذا الفقير مرّة في قاخ في بيت أخِينا الحاج إسكندر القاخِي وقتَ رجوعه من تعزية شيخنا التّلالي قدّس سرّه كان كبيراً سنّاً منّا، ولكنّه كان ضعيف الجسم شريف الاسم وقال لي: «يا أخي عثمان أفندي قد أحاطني الهرمُ والشيبةُ كما ترى فمن بعد الآن لا أَقدِر أن أجتهد في تسليك السالكينَ وإرشاد الطالبينَ، وأمّا أنت.. فرجل شابّ فتلازم على إرشادهم إن شاء الله تعالى، وتداوَم على أن لا تبقى سجادةُ الشيخ المرحوم خاليةً» انتهى ما قاله فرحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

[الشيخ مصطفى الملاخي]

والسابع منهم: أخونا الأديب وصاحب الأريب أفضل أهل عصره وأمثل دهره في مصره الحاج مصطفى أفندي المَلَاخِيّ قدّس سرّه، كان أوّلاً من أجلّة أصحاب الشيخ المرشد الكامل الممدّ الشيخ الحاج جبرائيل أفندي الـزّاخوري قدّس سرّه.

[١] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٨٦-٥٨٨).

ثم لمّا انتقل إلى رحمة الله تعالى.. تحوّل إلى خدمة مولانا وأولانا شيخنا التلالي، ثمّ لما خدم له عدّة سنين وتحمّل مشاقّ الطريقة في أرضين؛ بحيث لا يتحمّله أحد إلا هو، ولا يَصبره واحد إلا هو، وصار على النفس والشيطان غالباً ورآه شيخنا التلاليّ أهلًا للإرشاد ولائقًا للاستمداد.. أجازه إجازةً تامةً وأجلسَه على بساط الإرشاد عامّة ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾[١]، لقد وجدتُه كلَّما رأيتُه متواضعاً مُنكسِراً في الأخلاق والعقود، فيكفي هذا للسّلوك والارتقاء إلى ملك الملوك جعله الله تعالى معنا من أهل الوصال ومن القربة والنوال، أمين اللهمّ آمين، وقد حجّ قدّس سرّه ثلاث حجّات وبه نال ثلاثَ درجات.

[الشيخ حاج بكر المشلشي]

والثامن منهم: أخونا الكبير العالم الشيخ الهَرِم النِّحرير حاج بكر أفندي المِشْلِشِي السَمْبُورِي، فلقد لازم أوّلاً للعلوم الظاهرية نقلًا وعقلًا فلمّا أكملها.. أخَذ ذيلَ الشيخ الشهير الوالد لهذا الفقير الشيخ حضرة أفندي الزّاخوري قدّس سرّه.

ثمّ لّما انتقل من الدنيا إلى العقبى.. أخَذ ذيل الشيخ الفاضل والمرشد الكامل الشيخ الحاج حمزة أفندي الزّاخوري، ثم لمّا انتقل من العاجل إلى الآجل.. أخَذ ذيل شيخنا التلالي وأجازه وجعله من خلفائه، حفظه الله تعالى وإيّانا من المكوّرات، ورزقنا وله من الفتوحاتِ بحرمة سيّد السّادات.

[١] سورة البروج، الآيتان: ١-٢.

[الشيخ عبد الرحمن الأُنْحادِيّ]

والتاسع منهم: أخونا العالم الكامل الفاضل الواصل عبد الرحمن أفندي الأُنْحادِيّ قدّس سرّه فإنّه لمن أحسن الناس أخلاقا وأجودِهم إرزاقًا وأكمل ديارهم اتّفاقًا، وفّقه الله تعالى وإيّانا لإخراج محبّة الدّنيا عن القلبِ وتركِ ما سوى المولى بالغيب، آمين.

يقول الفقير أوصله القدير إلى مرضاته: إنّه في السّنة التي مات فيه كان جالساً في حجرة شيخنا التلالي قدّس سرّه يعلّم العلم لابنه الكبير حاج محمد أفندي، وكان يزور لشيخه وشيخنا التلالي قدّس سرّه في كلّ يوم مرة أو مرّتين إلى أن مات، فلما مات.. صالح ابنه المذكور حاج محمد أفندي مع أمّه وأمّ جميع المؤمنين حاج نَنَهْ أن يدفنَه في روضة أبيه وقال لها: يا أمّي إنّي قد رأيتُ قبل هذا بيوم في الرّؤيا في حجرة والدي التي عند التربية حين اضطجعت فيها بغلبة النوم إن هذا العالم قد مات، وأنّه في روضة ذات بهجة من رياض الجنّة ينادي المنادي هذه روضةُ فلان ابن فلان ففيه بشارةٌ له، وإشارةٌ لنا من طرف أبينا إلى رضائه بدفنه عنده، دعني أن أدفنه فيها، فأذنت له ودفنه في روضة شيخه وشيخنا التّلالي في زاوية من جهة رجليه قدّس الله سرّهما ونوّر قبرهما، آمين.

[الشيخ عبد الوهاب الزّاخوري]

والعاشر منهم: أخونا الكبير الأكرم الدّرويش الأفخم عبد الوهاب أفندي بن ملا إسماعيل الزّاخوري، فإنّه كان أوّلاً في خدمة والد هذا الفقير الشيخ

حضرة أفندي الـزَّاخُورِي قدّس سرّه، ثمّ لمّا انتقل إلى المولى.. رجَع إلى الدنيا وكان من أهلها أزماناً، ثمّ لمّا وصل إليه توفيق الله وهدايته.. تحوّل إلى خدمة قرية العالم العابد الشيخ حمزة أفندي الـزّاخوري قدّس سرّه ثمّ لمّا انتقل إلى رحمة الله تعالى.. تحوّل إلى خدمة مولانا وشيخنا التّلاليّ قدّس سرّه، فلمّا خدم له عدّة سنين وتحمّل مشاقّ المعيشة في أرضين بحيث لا يطوق به أحد إلّا هو، ولا يصبره ولا يشكره ولو واحد من إخوننا وخُلاننا إلّا هو إذ مناقبه لا يحصيها حدٌّ ولا يضبطها عدٌّ، وصار هو على النفس والشيطان غالباً وحقّ عليها قوله تعالى: ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩﴾[١] ورآه شيخنا أهلًا للإرشاد ولائقًا للاستمداد.. أجازه ومن جميع المكاره أعاذه، أعاذنا الله تعالى من فتنة النفس والشيطان، وحفظنا من كيدهما ومكرهما الرحيم الرحمان ولا حول ولا قوة إلا بالله الموفِّق المنّان.

فمن جملة مناقبه: أنّه كثيرا مّا يبقى جوعاً مع أهله وعياله لشدة فقره ولضيقِ دهره عليه ومع ذلك لا يترُك درسَه ووِردَه ولا ذهابه لخدمة شيخه ولا إيّابه عن خدمتِه مع غايةِ المحبّةِ والإخلاصِ والأدب، شكر الله سعيَه ورزَقنا ورزَقه اللّقاءَ بحرمته الأنجاب، آمين اللهم أمين.

[الشيخ الحاج مماي الإيلِيسُوِيّ]

والحادي عشر منهم: أخونا الكبير وصديقنا الوفير المرشد الكامل والدرويش الواصل الحاج مَماي أفندي الإيلِيسُويّ قدّس سرّه فإنّه كان أوّلا

[١] سورة الأعراف، الآية: ١١٩.

في تربية مولانا سيدنا الحاج حمزة أفندي الزّاخوري ثم الإيلِيسُوِي قدّس سرّه ولازَم على خدمته نحو اثنتي عشرة سنة وأجازَه وأقامَه على مقامه.

ثمّ لما ارتحل من الدنيا إلى العقبى وأراد الكمالَ فوق الكمال؛ لأنّ المقاماتِ لا تتناهى، خَدَمَ ثانيًا لشيخنا التلاليّ قدّس سرّه ولازمَ على تربية والد روحنا في الله حقّ جهاده، وراضَ نفسَه حقّ رياضته، وأجازه شيخنا التلاليّ قدّس سرّه أيضاً وجعله من خلفائه، وفّقه الله تعالى وإيّانا للسّداد وللاستقامة في الدين، والرشدِ والإرشاد، آمين.

[الشيخ جنيد القُوباليّ]

والثاني عشر منهم: الشيخ المنير والعالم النحرير جنيد أفندي القُوباليّ قدّس سرّه فإنّه من إخواننا البعيدة في المسافة ولم أعلَم حقيقتَه في العبودية والكرامةِ، فيكفيه رؤيةُ شيخنا التلالي قدّس سرّه وخدمة سيّدنا الربّاني، وفّق الله تعالى لنا وله على الاستقامةِ، ثم الاستقامة لأنّها أفضلُ من الكرامة؛ كما اتّفق عليه أهل الله، وهم أهل السعادة، فسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

[الشيخ تمرخان القرچاوي والچركاسي]

والثالث عشر منهم: الشيخ الغريب والكامل القريب أخونا وخليلنا تمرخان أفندي القرچاوي والچركاسي قدّس سرّه، ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾[١] إنّه لمن أعلاها وفي الأنوار أغلاها، فللّه درّه حيث تحمّل

[١] سورة الشمس، الآيتان: ١-٢.

المشاق في الوصول إلى المرشد بالميثاق من مسافةٍ بعيدةٍ ومنازل عديدة، فلمّا لازم خدمتَه في شهر من الأشهر، واجتهد في رياضة نفسه بشراب تسعة أبحر.. أجازه، ومن العقبات أعاده، اللّهم احفظنا من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا.

[الشيخ حاج موسى دبر القرني]

والرابع عشر منهم: أخونا الصغير الفاضل البَطَل المنير حاج موسى دبر القرني بن العالم عمر دبر القَرَاني القِنصِرُخِيّ رحمهما الله تعالى وإيّانا، فلقد كان أوّلًا في عنفوان شبابه مع أقرانِه وطلابه من أهل العشق المجازي ثم لمّا صادفَ شيخَنا التلاليّ قدّس سرّه ولازمَ خدمة أستاذنا الأوحدي.. صار من أهل العشق الحقيقيّ، وفّقه الله تعالى ولنا لملازمة الأوامر وترك المناهي، وأخرجنا من تسويلات النفس والشيطان، ومن محبّة الرياسة والطغيان، بمنّه وكرمه يا منّان.

[الشيخ حاج كل محمد أفندي المثويّ]

والخامس عشر منهم: الفاضل العابد زين المنابر والمساجد أخونا حاج كل محمد أفندي المثويّ مولداً والمهاجر العثماني مسكنًا، وفّقه الله تعالى وإيّانا لفعل الخيرات وترك المنكرات وإهداء أهل الضّلالات، آمين.

[الشيخ حَسَنْ دِبِرْ التّاشي الداغستاني]

والسادس عشر منهم: الشيخ العالم والعابد الفاهم أَشْجعُ الإخوان وأبرّ الخلّان أكمل الأوان أخونا الكبير وصديقنا الوفير الشيخ حَسَنْ دِبِرْ التّاشي

الداغستاني. قال الباكني قدّس سرّه في«طبقاته»: (فلقد كان صادق الموعود، ووافي العهود وكثير نجوى يوم الموعود، ورفيق أهل الوفود مع كونه شيخاً هرِماً كان ملازم الذكر والأوراد، وفائقاً في العبادة على أهل البلاد وورعًا تقيّاً نقيّاً وكاملًا راضياً مرضياً، أحسن الله تعالى أحوالَنا وأحواله، وجعل خواتمنا خيراً ووقانا ضيراً آمين)[١].

[الشيخ ابن حجر العَكاخِيّ]

والسابع عشر منهم: الشيخ المسمّى باسم العلامة ووصف الفهّامة ابن حجر العَكاخِيّ حَفظه الله تعالى وإيّانا في حق الأعمال عن التراخي، ووفّقنا للوصول له تعالى ولأولياء الله بالتواخي[٢] فإنّه تعالى هو الموفّق الوهّاب والمُهدي مَن يشاء إلى طريق الصّواب.

[الشيخ أُنْدَلْ حاجِ الهِدَليّ العُرادِيّ]

والثامن عشر منهم: الشيخ الأمينُ والحبر المبينُ الشيخ أُنْدَلْ حاجِ الهِدَليّ العُرادِيّ فإنّه الآن كما أخبرني به رجالهم على الخلوة وعلى الحفظ عن المخالطة لغيره تعالى والأنسة به، وفّقه الله تعالى وإيّانا للخلوات في الجلوات، والحضور في الفَلَوات، آمين.

[١] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٨٣).

[٢] الوَخْيُ: الطريق المعتمد؛ وقيل: الطريق القاصد. «تاج العروس».

[الشيخ شاميل أفندي الباتُوِي]

والتاسع عشر منهم: العالم الكامل والفاهم الفاضل أخونا الصغير والبدر المنير شاميل أفندي الباتُوِي قدّس سرّه ورحمه الله تعالى وإيّانا، فلقد اجتهد في حقّ الله تعالى حقّ جهاده، وجاهد نفسه جهاد عبادِهِ وصار أوّلًا حين كان في الخلوة مجنونًا وغَرّوه اغترارًا عجيباً بحيث انقطع عنه الرّجاء بفضل الله ذي الكبرياء وشفاعة سيّد الأنبياء وبركة الأولياء وكمالة أستاذه سيّد الأصفياء رجع عنه وطاب ووصل وبفضل الله تعالى ورحمته نال وفّقه الله تعالى ولنا الوقوفَ على الشريعةِ الغرّاء والاستقامة البيضاء، آمين.

[الشيخ موسى أفندي الكونيكي السكوي]

والعشرون منهم: العالم الفاهم والحاذق القائم كريم الكرام موسى أفندي الكونيكي السكوي قدّس سرّه كان صاحب الآداب والمعرفة وذا السخاوات والمغفرة، وفّقه الله تعالى وإيّانا لمحبّة الله وملازَمة سنّةِ رسول الله ومتابعةِ طريقة أهل الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وسمعتُ أنّه قد مات في ربيع الآخر من سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرين ودُفِن في بلده رحمه الله تعالى رحمة واسعة، آمين.

[الشيخ عثمان الزّاخوري]

والحادي والعشرون منهم: المؤلّف الفقير والكاتب الحقير غريب الغرباء خادم نعال الكرماء ولقد ولدتني أمّي في قرية إيليسو في سنة (١٢٨٠هـ) لمّا

أحرق الكفّار قرى واد ژاخور، وتفرّق وانتقل أهاليها إلى قرى محال إيليسو لكن قريب الاسترداد منها إلى أوطانهم والاسترجاع إلى ديارهم، بل قالت لي أمّي: إنَّك كنت في حِجري حين الإيّاب والرجوع عنها إلى أوطانِنا.

ثم لما انتقل[١] أبي قدّس سرّه، بقيتُ يتيمًا وابنًا لأربع سنين تخمينًا، تنظرني أمّي القانتة، ثم قرأتُ القرآنَ عنها على سبع سنين، ثم سلّمتْني على تعلّم العلم للناظم عمّي رحمه الله تعالى، فعلّمني وجَهَّدَني في تعليمه غايةَ الجهد، وخوّفَني لأجله نهايةَ تخويف؛ إذ كنت في صُبُوَّتي وشبابي يتيمًا لا يعقل، وصبيًّا لا يقبَل قول الحقّ، ولا يعرف قدرَ العلم فكنت أدور وأجول في القرية أُنشأ وأُنشد القصائد الجاهلية والدّواوين المجازية منهيّ عُمُري وأيّامي هكذا زماناً فيه، فالحمد لله العليّ الكبير المتعالي تحصّلتُ من العلم ما يكفي لنا واكتسبت منه ما يلزَم علينا، فلذلك ما صلَّيْتُ صلاةَ فرضٍ أو نفلٍ إلّا استغفرت للناظم رحمه الله في الدعاء خلفها مع والدي، ولكلّ من قرأت عليه.

وبعد ما أنشأت هذه القصيدة اللاميّة في توبيخ نفسي في حرصِها لجمع مال الدنيا وزخارفها.. ألهمني ربّي إلهاماً تامّا وعلّمني تعليماً عامّاً بأنّ التمسّك من يد شيخ كامل مكمّل لطلب معرفة الله جلّ جلاله وعزّ سلطانُه، بل لمعرفة النفس واجبٌ وجوبَ العين... إلخ إلخ، فذهبتُ إلى شيخ الزمان ومرشد السّعاة مجدّد المائة الرابعة شيخي وسَنَدِي الشيخ حاج أحمد أفندي قدّس سرّه، وتمسّكت بيده المباركة ودخلتُ سلسلته بالإخلاص ومحافظة الآداب معه من جميع الوجوه.

[١] أي: مات.

فما أَتممْتُ ثلاث سنين من الدّخول تحت تربيته.. فقد أجازني إجازة تامة ووافقني على بساط الإرشاد عامّةً مع إراءة إليّ جميَع أنوار اللطائف وإمضائِه بي عن كلّ المنازل والعقبات، ومع تحصيله إلى نتائج كلّ المقامات بعناية خالق الأرض والسّماوات؛ كما هو مشاهَد عندي ولدى أُولي المكاشفات.

وكنت مبشَّراً بالإجازة أوّلًا في عالم الرّوحاني بإشارات غريبة وحالات عجيبة؛ كما مرّ التفصيل في شرح القصيدة المحمودية، فراجعه[١].

ثم شاهدني ما رأيتُه في عالم الشهادة بعد أيّام قلائل وكذا قد بشّرني شيخي بذلك في الأوائل، فالحمد لله ثم الحمد لله على ذلك، وقد كتبتُ بعضها في أثناء مؤلَّفاتي متفرّقة لمواضع على ما يقتضيه المقام يجدها في أثنائِها مَن يُراجعها، وسأكتبُ بعضَها عن قريبٍ إن شاء الله تعالى.

وفي أثناءِ هذه السنين قريب وقت الإجازة جاءني أمر من النچانيك الناحية بقبول قضاء النّاحية الأَختية فلم أقبَلْه ولم ألتزِم بذلك فالحمد لله على ذلك؛ إذ أكثرُ الأئمة من السّلف كأبي حنيفة والشافعي وغيرهما مع تورّعهم وكثرة علمهم وقوّتهم فيه قد هَرَبُوا عن قبوله لخطرِ أمره، فما كان لأمثالنا الضعفاء نَقبلُه.

[١] في (ص ٦٠).

قال مكحول[١] رضي الله عنه: «لو خُيِّرتُ بين القضاء وبين ضرب عنقِي.. لاخترتُ ضربَ عنقي على القضاء»، فالأفضل تركه وأنّه أصلح دينًا ودنيًا وإن دخل فيه قوم صالحون عملًا بالرّخصة وطمعًا في إقامة العدلِ، قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم « **عَدْلُ ساعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سَنَةٍ** »[٢].

وعن مسروق[٣]: «لأن أَقضى يوماً واحدًا بالحقّ والعدل أحبُّ إليّ من سنة أَغزوها في سبيل الله».

وامتنع عنه قوم صالحون عملا بالعزيمة وهو الأَقوى واحترازاً لأنفسهم عن الهلاك لعظم أمرِ القضاء، قال المناوي[٤]: «إنَّ مرتبة القضاء شريفة

[١] مكحول بن أبي مُسْلِم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله، (ت ١١٢ هـ)، الهذلي بالولاء: فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث، أصله من فارس، ومولده بكابل، ترعرع بها وسبي، وصار مولى لامرأة بمصر، من هذيل، فنسب إليها، وأعتق وتفقّه، ورحل في طلب الحديث إلى العراق، فالمدينة، وطاف كثيرا من البلدان، واستقرّ في دمشق، وتوفي بها. «الأعلام» (٧/ ٢٨٤).

[٢] روى الديلمي عن أبي هريرة بلفظ: «**عدلُ يومٍ واحدٍ أفضلُ من عبادةِ ستّين سنةٍ**»، وأسنده من طريق أبي نعيم بلفظ: «عدل حكم ساعة خير من عبادة سبعين سنة». راجع «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» (٢٠/ ٥٨).

قال الزيلعي في نصب الراية (٤/ ٦٧): قال عليه السلام: «**عدلُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة سنةٍ**»، قلت: غريب بهذا اللفظ، وروى إسحاق بن راهويه في «مسنده» أخبرنا جعفر بن عون الحريثي حدثنا عفان بن جبير عن عكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يومٌ من إمام عادلٍ، أفضلُ من عبادة ستين سنةٍ، وحدّ يُقام في الأرضِ بحقّه أزكى فيها من مطر أربعين يوماً**» انتهى. وكذلك رواه الطبراني في «معجمه الأوسط»، ورواه في «الكبير» عن عفان بن جبير الطائي عن أبي حريز الأزدي عن عكرمة به.

[٣] مسروق بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الوادعي، أبو عائشة: تابعي ثقة، من أهل اليمن، قدم المدينة في أيام أبي بكر، وسكن الكوفة. وشهد حروب عليّ. وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء. «الأعلام» (٧/ ٢١٥).

[٤] زين الدين، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (٩٥٢-١٠٣١ هـ)، له نحو ثمانين مصنّفا، منها الكبير والصغير والتامّ والناقص. «الأعلام» (٦/ ٢٠٤).

ومنزلته رفيعة لمن اتّبع الحقّ وحكم على علم بغير هوى ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[١]»[٢].

وفيه أيضاً: «**قاضيانِ في النارِ وقاضٍ في الجنّةِ، قاض عرَف الحقَّ فقضَى به فهو في الجنّة، وقاضٍ عرَف الحقَّ فجارَ متعمِّداً أو قضَى بغير علمٍ فهُمَا في النارِ**»[٣].

والقصيدةُ التي أَلهمت بعد إنشائها بفضل الله ومرحمتِه الذهاب إلى ذلك الشيخ قدّس سرّه هذه، ولا يخفى أنّها وردتْ من بحر الخفيف، وعبارتُها:

«بِسْمِ رَبِّي أَقُولُ هَذَا خَلِيلِي * وَبِحَمْدِ لَهُ صَلَاةٍ جَزِيلِ
كَيْفَ يَا نَفْسِ لِي تَكُونِينَ حِرْصاً * غَفْلَةً عَنْ إِيَابِ رَبٍّ جَلِيلِ
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَبَنُونٌ * قَدْ أَتَى فِي الْكِتَابِ بِالتَّعْلِيلِ
أَنْتِ يَوْماً لَتَعْزُمِينَ إِلَى مَنْـ * ـزِلٍ طَوِيلٍ طَالَ بِالتَّطْوِيلِ
وَلَعَمْرِي مِنْهُ الرُّجُوعَ فَلَا تَقْـ * ـدِرِينَ بَلْ أَقُولُ قَولاً بِقِيلِ
فَبِ كَافّاً عَنْ جَمْعِ مَالٍ لِهَذِي * وَهْيَ دَارٌ مُزَيَّنٌ لِقَلِيلِ
لَمْ يَغُزْ مَنْ أَتَى بِحِرْصٍ عَلَيْهَا * صَاحِ إِيَّاكَ نَفْسَكَ عَنْ ذَلِيلٍ
فَغَداً قَدْ تَزُولُ تِلْكَ زَوَالاً * ثُمَّ صَارَتْ وصَاحِباً ذَا عَلِيلِ

[١] سورة ص، الآية: ٢٤.
[٢] «فيض القدير» (٤/ ٥٣٧).
[٣] «فيض القدير» (٤/ ٤٦٨).

رَبِّ نَادٍ إِلَيْكَ هَذَا الْمُنَادِي * ظَلَّ ظَلاًّ فِي يَوْمِكَ التَّظْلِيلِ
آتِ يَا رَبِّ دَفْتَرِي لِحِسَابٍ * مِنْ يَدِ اليُمْنَى لَهُ لَا مِنْ شِمالٍ
لا أَمِيناً مِنَ الْعَذَابِ وَلَا أَقْـ * طَعُ رَجْواً مِنْ رَحِمِكَ بِالْجَمِيلِ
فَإِذا فارحَمِ العَبيدَ فَيا أَرْ * حَمَ العِبادِ خاصَةً بالجَزيلِ
لِعَبْدِكَ الّذِي أَتِي بِذُنُوبٍ * كالْجِبَالِ العُلَى إِذْ عَفْوُ الضَّلِيلِ
لَيْسَ إِلَّا مِن بَحْرِ فَضْلِكَ يَا رَبْـ * ـبِ جاءَ فِي قُرْآنِكَ التَّبْجِيلِ
رَبِّ لَوْ خَلَّصْتَنِي مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْـ * ـرِ وَمَا بَعْدَهُ لَعَلَّ جَمِيلٍ
قِ ا يَا رَبِّ شَاعِراً مِنْ عَذَابٍ * هُوَ عُثْمَانُ الْمُذْنِبُ ذُو كَلِيلٍ

ثمَّ أوصاني بعدم المفارقة عن مشاهدة الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة والاستقامة ثمَّ الاستقامة وترك البدعة والمباح الفضول وإحياء السّنة، فالمشاهدة أن تحضُرَ الله تعالى معك في كلّ نَفَس، وأن ترى الله تعالى في كلِّ شيء رأيته قبل أن تراه، والاستقامة: أن لا تترك الحسناتِ حسبما أمكن، فلو فات منك واحدة منها فابعثْ خلفَها حزنَك العظيمَ مع الله على فوتها وعدم إمكان دركها، فإنّه يقوم إن شاء الله تعالى مقام فعلها عند الله؛ كما هو مشاهد ومجرَّبٌ عندي، وأن تكون عبداً فقيراً رحيماً مسكيناً حليماً صبوراً مستقيماً على قدر المقدور جواداً شكوراً أديباً حفيظاً مقيماً عليماً متعلّماً ممّن فوقك ومعلّمًا لمن دونك متحمّلًا أذى النّاس متسلّماً مفوّضاً

أمورَك كلّها إلى الله تعالى، فانيًا إرادتك في إرادة الله تعالى ذاكرًا ومذكوراً حتّى يتجلّى الله لك بالجلال والجمال.

ثمَّ تكون عبداً جليلاً وجميلاً وفّقك الله تعالى توفيقا جميلًا عاملًا بكتابِ الله تعالى بلا اعوجاجٍ في الشريعة، فإنّها باب الطريقة، فمَنْ لا شريعةَ له لا طريقةَ له ومن لا طريقةَ له لا حقيقيةَ له، ومن لا حقيقة له لا معرفةَ له، ومن لا معرفةَ له فقد ضلّ ويُضِلّ كثيراً، نعوذ بالله من شرّه؛ إذ لا يتميّز العدوُّ عن الحبيب، ومعرفةُ الله تعالى مربوطةٌ على معرفة النفس، فمنْ لم يعرف نفسه.. لم يعرف ربَّه، ولمعرفة النفس شروطٌ مبيّنة: أعظمها أخذ يد شيخ كامل مكمِّل وهو عزيز الوجود، بل هو أعزّ من الكبريت الأحمر، ومعرفته عزيز إلا لأهله.

فمتى ظفرتَ ذلك.. فاعرِفْ قدرَه، واخدُمْ له بترك إرادتك في إرادته، وضَعْ في سبيله جميع ما تحبّ وتريد؛ لتكون من المخلصين، اللهمّ اجعلنا واجعل جميع إخواننا من المخلصين» انتهى كلامه اللطيف.

ثمّ قال في آخر الوصيّة: «فاعلم أنّه لا نهاية[١] للسيرِ إلى الله تعالى؛ إذ لا كمالَ إلاّ وفوقَه كمالٌ إلى ما لا نهاية له، وبقاء العبد بالله على قدر فنائه فيه؛ إذ لا بقاء إلا بعد الفناء، وفناء العباد السّالكين، وكذا بقاؤهم متفاوت، وكذا مشاهداتهم متفاوتةٌ وعلى قدر استعداداتِهم تكون مشاربهم» انتهى.

وقال أيضاً: «تيقظ ولا تغفُل عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم» انتهى.

[١] فقولهم: إنَّ فلانا وصل إلى الغاية والنهاية إضافية؛ لأنّه لا غاية لمعرفة الله تعالى، ولن ينتهي منتهاه فيها ليس في الدنيا فقط، بل في الآخرة والجنّة أيضاً، فراجع وحرّر. (منه).

وأوصاني أيضاً بالاستقامة، وبكوني آمرًا للخلائقِ بالشريعة والإقامة، وبتعليم العوّام أصولَ الدين وشرائع الإسلام، وكان رحمه الله تعالى كثيرًا مّا يقول: يا ولَدي كما قال شعيب أفندي الباكني قدّس سرّه في «طبقاته» حاكيًا عنه: (إنّ لله تعالى ملائكة على وجه الأرض مسخرون لسوق الخلق إلى الأولياء للإنابة والتربية، بيد واحد منهم سلسلة من نور، وبيد واحد حَرْبَةٌ من نور، وبيد واحد سوط من نورٍ، وكذا يعطى بيد كلّ مرشد كامل وسالك، وأصلُ تلك الثلاثة لاصطياد عوّام الناس، وإيصالهم إلى المحبّة والاستئناس - كما مرّ التصريح به في شرح بيت الناظم رحمه الله تعالى:

كم ورى من بضائع العلم والرأي ❋ أطالوا أكفّ سؤال النجاح

فراجعه[١]- فإن كنتَ رجلًا من رجال الله ووليّا من أولياءِ الله.. لا تلتفِتْ سوى الله واترك الدّنيا وأهلها؛ لرضاءِ الله، ويُعطيك الله الثلاثةَ ويُعطيك جميع الخلق بإذن الله، فلا تقل لأحد مّا: خذ منّي ذكرَ الله إلّا إذا صار مَسوقا ومُصطاداً بأمر الله، فإذا بلغتَ مبلغ الرّجال وصرتَ من أهل الكمال والإكمال.. يدور خلفَك جميعُ خلق الله وإن هَرَبت منهم لا يَتركونك محبةً في الله وشوقًا إلى الله وموّدةً في رسول الله، وإن لم تحفظْ وصيّتي هذا.. تبعُدُ من حضرة الله، وتخرجُ من زمرة أولياء الله، وتطرد منّي ومن آبائي بطرد الله، وكن للناس؛ كالأب النبيل، وفي حقّ الدّنيا؛ كعابري سبيل انتهى.

اللهم احفظني عن الالتفات إلى غيرك، والمحبّة لسواك، وأَخرِجْ عن قلبي حبَّ الدّنيا وحبّ ما فيها بفضلك وكرمك، آمين اللهمّ آمين.

---

[١] في (ص ٥٥).

ومن وصاياه لنا ولجميع إخواننا أيضاً: أن لا نذهبَ[١] إلى مكان مّا لم ندع إليه، وأيّ مكان دُعينا إليه أن نتفحّص من أحوالِه، وأن نُجيب إليه بقراءة الصّلوات الشريفة، وأن نَفعل المداراة مع الناس، وأن نُؤثِر رضاء الله تعالى على رضاءِ الخلق، وأن نكون على الحضورِ والمشاهدةِ حين كنّا بين الناس موافقاً؛ لما قالوا: «كن بين الناسِ لا بالاستئناس»، وأن لا نُوافق الخلق في مجالسهم بكثرة كلامهم وضحكِهم؛ لذهاب هيبتِك حينئذ عن قلوبِهم وغفلتك عن ربّك وربّهم، وأن لا تنطق بكلام مّا بينهم إلا بما يُطابق الكتابَ والسنةَ أو كلامَ أهل الله.

فمتى أردت أن تتكلّم.. فَأْتِ آيةً من آيات الله أو حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو كلاماً من كلمات أهل الله ، على حسب ما يقتضيه المقامُ والمقالُ لأجل الله، ثمّ تكلّم عليه ناصحاً لهم وواعظاً عليهم؛ كما هو دأبُ فرقة الله، وأن تعلّم كلاماً فيه مصلحة للناس، وكلّمهم به فيما فيه نفعُ الدّنيا والآخرةِ، وأن نستُر نساءنا عن غير محارمِهنّ حسبَ طاقتِنا وإن كان أصعبَ الأمور في ديارنا وزماننا، وأن نعلَم أنّ هذه الأخلاقَ أخلاقُ الأولياء ونحبّ الاشتغال بها والعضّ بالنواجذ عليها، وأن لا نفعَل شيئًا مّا يسقط به مروّتُنا؛ لئلّا يذهب أثرُنا على الناس، والواجبُ علينا كونُنا ذا هيبةٍ عليهم، بحيث إذا رَأَوْنا يقع في قلوبهم هيبتنا انتهى.

وإن سلكنا لكتبة ما صدر من فمه الكريم وما تخلّق به من خلقه العظيم..

[١] إذ قالوا: إنَّ دوران القرى والبلدان بلا دعوة ولا غرض شرعيّ من عادة المتشيخين، وذهاب القرى والبلدان لإجابة الإخوان الصالحين من دَيْدان الكاملين. (منه).

يطول الكلام، ويقلّ حِبر الأقلام، فلأجله اكتفينا على ما حرّرناه، فعليكم السلام من الله الكبير العلّام) انتهى مع زيادة قليلة[١].

[بعض حالات مما لاح لي في هذا الطّريق]

ثم اعلم: أنّي أذكر لكم بعضَ حالات مما لاح لي في هذا الطريق، وجملة من النعم والأخلاق الّتي تفضّل الحقّ تعالى بها عليّ في أوائل دخولي في محبّة طريق القوم رضي الله عنهم وعنّا أجمعين.

كان الباعث على تأليفها ورَقمِها في هذه الطروس أُموراً كما قال بها صاحب «لطائف المنن» رحمة الله عليه وعلينا أجمعين:

(أحدها: ليقتدي بي إخواني فيها فيتخلّقوا بها ويشكروا الله تعالى على ذلك، فلولا ذلك.. لربّما كان الكتمانُ لها أولى؛ كما لا يخفى عند أهلها أو لولا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٢] ولم يسبق عنّي مَنْ حدّث بنعمة لم أكتبها هنا، واللهُ تعالى شاهدٌ على ما نقول.

ثانيها: قصدي بذلك دوام الشكر لله تعالى بعد موتي مدّة بقاء الكتاب، فإنّ شكرَ اللسان ينقضي بموت العبد، وشكر الله في الكتاب قد يتأخّر أثره بعده، فيكون؛ كالنائب في الشكر عن المؤلّف، فكأنّ ذلك الشاكر لم يمُتْ.

فإيّاك يا أخي أن تُبادِرَ إلى الإنكارِ على أولئك القوم الّذين اقتيدْتُ بهم أو عليّ في ذكر مناقبي وأخلاقي التي تفضَّل الله تعالى بها عليّ في هذا الكتاب

---

[١] «طبقات الخواجكان النقشبندية» (ص ٥٨٨).

[٢] سورة الضحى، الآية: ١١.

وغيره وتقول: إنّه ليس من الأدب أن يذكر العبدُ مناقبه في كتابه، فإنّ ذلك جهلٌ وسوءُ ظنّ بالعلماء والعارفين الذين ذكرناهم، بل الواجب عليك أن تحمل القومَ على المحامل الحسنة؛ كنحو أنَّهم ما ذكروا لإخوانهم شيئًا من مناقبهم وأحوالهم إلّا ليقتدُوا بهم فيهَا هذا هو اللائق بمقام العلماءِ)[١].

ألا ترى أنّ السّلفَ إلى هذا العصرِ الأخير ما وضعُوا ما خطرَ ببالِهم، وما خَرج من أفواههم، بل من أفواه مشايخهم من الكلمات القدسيّة والكمالات العجيبة من أن يقع على الأرض، بل أخذوها من أفواههم وكتبوها في رسائلهم؛ ليتبرّك بها مَن خلفهم من المريدين والمخلصين؛ كما قيل: إنَّ كلمات الأولياء تجذِب الطالبين إلى أوكارهم[٢] القديمة على أنّ في كلامهم بركةً وإعجازا لمخلصيهم مع غيرهم؛ كما في كلام رسوله إعجاز وبركة لعامّة الخلق.

قال العلّامة محمد مراد المَنزَلَوِيّ القزانيّ في ترجمته لـ«الرشحات» ما لفظه هذا قال: (إنّ كلمات أولياء الله تعالى مقتبسة من مشكاة الحقيقة المحمّديّة صلى الله تعالى عليه وسلّم، فكما أنّ تعظيم القرآن والحديث النَبويّ واجبٌ على عامة الأمة كذلك تعظيمُ كلام أولياء الله لازمٌ أيضاً، فينبغي أن يعامِل كلامَهم بالأدب والحرمة حتى يجد في نفسه التعظيم والاحترام) انتهى[٣].

ثمّ اعلم: يا أخي أنَّ ممّا جَرَّأني على ذكر مناقبي وأخلاقي في هذا الكتاب

[١] «لطائف المنن» (١/ ٥٦).

[٢] الوَكْرُ: عُشُّ الطائر، وإن لم يكن فيه. جمعه: أَوْكارٌ. «القاموس المحيط» (ص ٤٩٤).

[٣] «رشحات عين الحياة» (ص ٢٠٧).

مع علمي بالمحو والإثبات حسن ظنّي بالله عزّ وجلّ، وأنّه لا يسلُب منّي ما وهبه لي على عادة الكرام وهو تعالى أكرمُ الأكرمين أي: إن كانت من الأحوال، فإنَّ المعارفَ لا تُسلَب وإنَّما تسلب الأحوال لسرعة استحالتها من حالٍ إلى حالٍ؛ كما مرّ التّصريحُ به في ذكر مناقب حضرة مولانا محمود أفندي قدّس سرّه، فراجعه[١].

باسم الله وبحمده وصلاة وسلام على رسوله محمد وآله وصحبه، **أما بعد:** فلقد كنتُ في أوائل سلوكي أبكي بالعين من خشية الله جلّ سُلطانه عند استماع كلام الله المجيد، ولا أَقدِر أن أحفظني عند سَماعه وعند ورود الواردات والتجلّيات من ربّ الأرضين والسّماوات، فالآن قد وقَف وجمد العين من البكاء، بل انتقل ذلك البكاء إلى الفؤاد، فالفؤاد يَبكِي في كلّ وقت من خشية الله تعالى و أسمع صوت بكائه ويَحترق بل يذوب في بعض الأحيان؛ كالملح إذا اشتدّ احتراقُه؛ كما يشاهده أهل الذّوق، فالحمد لله ثمّ الحمد لله على ذلك، ولو اطّلع الفقهاء المعاصرون بنا على ما مَنَّ الله تعالى به علينا في توجّهاتي في خَلواتي وجَلَواتي من تجلياتِه العجيبة وَوارِداتِه الغريبة مع أنِّي عبد عاص ذليلٌ من عباده.. لَخَرجوا عن الإنكار في الصّوفيةِ الحاصل من داء الحسد ولتمنَّوا أن يكونوا من داخلي[٢] سبيلِهم وشاربي رحيقهم، وبَكَوْا على مُضيّ أعمارهم بالغفلة

[١] في (ص ٢٧٧).

[٢] وعن الشيخ الشاذلي قدّس سرّه: من مات ولم يتوغَّل في علمنا هذا.. مات مصرّا على الكبائر انتهى، وبالجملة: لا يسوغ إهمال علم التصوّف عند اشتغال أيّ علم كان وجوباً أو استحباباً؛ كما هو مبيّن في موضعه لحديث: «**مَن ازداد علمًا ولم يزداد زهدا.. فإنّما ازداد من الله بعداً**». (منه).

بكاءً شديداً، بل نَدِمُوا على فعلهم الشنيع هذا، وإلا.. فسيعلمون مَن أصحاب الصراط السّوي ومن اهتدى.

وقد مرّ عن «الفتاوى الحديثية» ما لفظه هذا: (سُئل عن قوم من الفقهاء ينكرون على الصّوفية إجمالًا أو تفصيلًا، فهل هم مَعذورون أم لا؟ فأجاب بقوله: ينبغي لكلّ ذي عقل ودين أن لا يقع في ورطةِ الإنكار على هؤلاء القوم فإنّه السَمّ القاتلُ؛ كما شوهد ذلك قديماً وحديثاً) انتهى ملخّصاً على المرام فراجعه[١]، فإنّ فيه زيادةَ بسط في المقام وكمال إيضاح بالتمام.

وعن الشيخ ابن العربي: «ولم أزل أبداً والحمد لله أُجاهد الفقهاء في حقّ الفقراء السّادة حقَّ الجهاد وأَذُبُّ عنهم وأحمي ولهذا فُتح لي، ومن ذمّهم فإنّه لا خفاءَ في جهله ولا يُفلِح[٢] أبداً[٣]» انتهى كلام الشيخ ابن عربي قدّس سرّه، فهذا من جملة ما أنعم الله به عليّ.

ومن بعض ما لاح لي في هذا الطريقِ من الحالات

ومنها: ما رأيته في أوائل سلوكي في طريق القوم حين كوني في الخلوة أُراقب فأخذَتني الغيبةُ من كوني في بيت عليه طاقان وألواحُهما من الزّجاج، ومعي أُمّي وهي تُريد أن تصلّي، فسألتْني قبلةَ ذلك البيتِ، وأشرتُ إليها

[١] «الفتاوى الحديثية» (ص ٥٦٥).

[٢] وعن خواجه عبد الخالق الغُجْدُوانِيّ قدّس سرّه: «إيّاك وأن تطعن في أولياء الله تعالى والمشايخ، فإن طاعِنَهم لا يفلح أبداً»، وعن بعضهم: أنّ معاداة المشايخ والعلماء العاملين كفرٌ. (منه).

[٣] «روح القدس في محاسبة النفس» (ص ١١٤).

بيدي بأنّ قبلةَ هكذا أي: أشرت إلى جهة المغربِ من نقطة الجنوبِ قليلًا، وذا قبلةُ ديارنا الداغستانية على ما عليه علماء أهل الميقات، فراجعه.

ومنها: ما رأيته أيضاً في أوائلي وقت الغيبة من قَلْبَيْن مُدليَيْن في الهواء، ولكن أحدهما صافٍ بلا نهايةٍ، وثانيهما ليس بمثله في الصّقالة، ويجيء وقتًا فوقتًا نداءٌ إلى سمعي إنّه قلبك، وأنا أسأل بلسان الحال لِمَ لَمْ يكن قلبي في مثابة ذلك في الصّقالة؟ قال قائل: سبب ذلك أنّه لم يغسل بالشراب الطهور، ولم يسق الله تعالى له ذلك الشراب؛ كما سقاه للقلب الأوّل، فلأجل ذلك لم يصل مثابته.

ومن بعد الآن إن شاء الله يغسل هذا قلبك بذلك الشراب، وسقاه الله منه أيضاً فبينما الحال؛ إذ قد مرّ من جهةِ رُوحي إلى جهة القلبِ نور أبيض مَبْسُوطاً عليه، فالحمد لله على ذلك.

ومنها: ما رأيته حين غاب عنّي الإحساسُ من أنّه اجتمع حَوْلي ناسٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ من الأولياء الكرام والمشايخِ العظام حتى أَحاطوني يقولون: إنَّ في هذا لَشوكًا عظيماً غَرِز عليه يلزمنا أن نأخذ عنه؛ ليستريح، فأخذوا عنّي شيئًا مثل عُود الزَّنْدِ[١]، وقد رأيتُه بعين بصيرتي، وأنا أنين بأنين المريض بالمرض الشديدِ حين إخراجِهم به، وأقول لهم بلسان الحال: الأمان الأمان، فلمّا تمَّ الأخذ منهم.. جاء صوتٌ من الهاتف وسمعته: الآن تكون في راحةٍ من أمراضِ القلب إن شاء الله تعالى، فالحمد لله على ذلك.

وبعد ذلك كنت أرى في غيبتي عن الإدراك كثيراً مّا أنّي أطرحُ وأخرج

[١] العود الأعلى الذي تقدح به النار.

منّي وأدفَع ما عليّ من الخبائثِ، وكثيراً مّا أرى أنّي أغسل يدي بالماء البارد، وكثيراً مّا أرى أيضاً أنّي أقرأ بآي القرآن، وأدعيّة الرّسول وأخباره مثل: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾[١] وآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٢] ومثل إنّ حسناتي بعطائك، وسيّئاتي بقضائك، فجُدْ بما أعطيتَ... إلخ وغيرها.

وكثيراً مّا أرى في الفناء أن الأشياء تَهبط من فوقي على أمامي بعضها أبيضَ وبعضها أسود وبعضها أصغر، ثمّ رأيت كاغذًا قد أعطاه إلى يَدي واحدٌ من الناس المجتمعين في عالم الغيب وفيه خُطوطٌ، ثم أَسمَعُ نداءَ منادٍ من طرف الهاتفِ يُنادي هذه خطبةٌ بليغةٌ غيرَ أنّي لم أَقدِر أن أقرأَ ولو حرفًا منها، ثم كنتُ في جامعٍ كبيرٍ وبيدي قِبْلَه نَما[٣] أنظُر عنه إلى محاربِ ذلك الجامع هل هو مستقيمٌ أم لا؟ فوقتئذٍ جاء من الهاتف نداء أنّ محرابَ هذا الجامع مستقيمٌ ليس فيه اعوجاج ولا انحراف، وفيه ناس كثير كلُّهم ينظرون إلى الصّلاة معي، وعقب هذا تحوَّل حالُنا إلى حال رؤيةِ كون المجلس مجلس تقسيم الشراب الطهور.

ثم رأيتُ فيه وقوعَ الكواغذ النورانية الإلهامية من فوق رأسي أَمامي، وسمعتُ صوتَها حين نزولها ثم أَفقتُ عن الغيبة، ورأيتُ أنّي في راحة عن بعض أمراض القلب؛ كما قالوا فالحمد لله وقبله بيسيرٍ كنتُ كثيراً مّا إذا غلب عليّ الوجد والشّوق غائبًا عنّي وأقولُ: سبحان ما أعظم شأني أي: ويجري على لِساني هذه القولَة؛ كما جرت على لسان أبي يزيد رضي الله

[١] سورة فاطر، الآية: ١٠.

[٢] سورة الزمر، الآية: ٣٠.

[٣] جهازٌ تعيّن به الجهات.

عنه، ثم مَررتُ عن هذا المقام ببركة أولئك المشايخِ وببركة شيخي التَلاليّ قدّس الله أسرارهم العليّة، فالحمد لله على ذلك.

ومنها: ما رأيته حين مرضْتُ بمرض الحمّى في ژاخور، ويئسْتُ من البُرْء عنه، وحين كنت أتمنَّى من الله عزّ وجلّ أنْ يرزقَني قبري أمام قبر والدي المرحوم قدّس سرّه لو كان فيه مَوضعٌ يَسَعُنِي وأنا قاعدٌ مستندًا مستقبلَ القبلة على هذا الفكر ونائمٌ نومَ نعاسٍ من أنّ شيخي سلطان الأولياء وسندُالأتقياء الشيخ حاج أحمد أفندي الچَارِي التّلاليّ قدّس الله سرّه، وأعاد علينا من بركاته رأيتُه قد جاء لديّ وقام أمامي مُتبسِّمًا يُشير إليّ ويقول: «يَسَعُكَ ذلك الموضع، ويمكن فيه قبرُك» انتهى ما قال.

فلعلّ الله يُحدث بعد ذلك أمراً ويعقُبُه خيراً لا ضيراً، فَرَحِمَ الله تعالى امرأً نظر هذا المكتوب من عندي عبرةً بما فيه لو عاش من بعدي هذا مما لاح لي في الغيبة والكشف.

ومن المعلوم: أنّ الكشفَ قد يُصيب وقد يُخطئ؛ كما أن الاجتهاد قد يصيب وقد يُخطئ.

ومنها: إنّي لمّا كنت في الخلوة الثانية.. قمتُ في الرابطة، وجعلتُ النبيَّ عليه الصلاة والسلام وسيلةً، فأخذني الغيبة وغبتُ عنّي فرأيتُ حينئذ ميزاباً مملُوّا بالماء وهو يَسيل من طرف قلب النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى طرف قلبي، فالحمد لله على ذلك وغير ذلك.

وكنتُ أرى فيه عيونًا كثيرة تسيلُ، وماء طَستٍ أشرَب منه على اسم الخلّ، وكأسًا دِهاقاً أشرب وأقرأ حين شربه دعاءً: اللهم اسقْنا من زُلال وِصالك في

الدنيا ومن سِجال لقائك يوم الآخرة، وعِنَباً آكُلُ منه وأنا على شجره، فحينئذ أسمَعُ قراءةَ قارئ بهذه الآية: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1] وأستمعُ عليها وغيرَ ذلك.

كنت آكل في كلّ وقت من الفواكه والرّمانات المعنويّة، ومن اللحوم المختلفة، والأُدُم المتنوعّة أي: من جنانِه تعالى المعنوية.

ومنها: ما أنعم الله تعالى به عليّ من إقداري على مشاهَدة الكعبة على ما كانت عليه بعين بصيرتي، فلعلّ الله تعالى يرزقني رؤيتها بعين الرأس عن قريب قبل مجيء الأجل، وبعد مضيّ نحو ستّ سنين عن مشاهدة الكعبة بعين بصيرتي ذهبتُ إليها وزرتُ بها، ورزقني الله تعالى رؤيةً بعين الرأس؛ كما رزقني رؤيةً بعين البصيرة، فالحمد لله على ذلك.

ثم اعلم: أنّه كان ابتداءُ دخولي في هذا الطريق في سنة ألفِ وثلاثمائة وخمس عشرة، واقتداري على رؤية الكعبةِ بعين البصيرة على ما كانت عليها في سنة ألف وثلاثمائة وسبع عشرة، وذهابي إليها وتوفيقي على رؤيتِها بعين الرأس في سنة ألف في ثلاثمائة وأربع وعشرين، فالحمد لله على ذلك.

ومما مَنّ الله به عليَّ: أن تيسر لي حين أحجّ أَوّلًا أن أذهبَ إلى زيارة [أبي] أيوب الأنصاري رضي الله عنه وعنّا أجمعين في إسلام بول، ثمّ لمّا زرتُ قبره الكريم.. وجدتُ في زيارته مكتوبًا على جدار هذا البيت:

---

[١] سورة السجدة، الآية: ١٩.

يَتْشِمَزْمِي بُوشَهرْ نْيكْ خَلْقِنَه بُو نِعْمَتِي بَارِي
مِهْمَانْدَارِ رَسُولِ اللهِ أَبَا أَيُّوبِ أَنْصَارِي

فأخذت القلم ونقلت وجهه وكتبت في ذيله هذه الأبيات تذكرة للإخوان

بِحَمْدِ الله كِدُوبْ كُورْدُنْ كِرْدَارِ الرَوْضَدَه آنِي
زِيَارَةْ اَبْلِيُوبْ بِلدُق اَنِيكِ رُحُورْ سَارِي
نِچُونْ سَيْرْ اِتْمِسَوُنْ رُوحِي كِه غَالِ الْقَدْرِنِي كُورْمِشْ
بُوس اتمش اُول مُبَارَكْ يَدِنِي چُوق قِلْدِي بُوكَارِي
مَدِينَةَ إلخلِنُونْ اَشْراف كَلُوبْ اِتْمَكْ اِيلَهْ اِكْرَامْ
تِيازْ اِتْمَكْ اِيلَهْ بِربِرْ نُزُولْ اُولْمَكْ وَقَادَارِي
جَوَابْ وِنْرمَادِي چِيْفَنْبَرْ اِخْتِيَارِيم يُوقْ
بُونَاقَمْ نَارَدَه دُرْسَه اُودُرْمِهْمانْ دِدِي بَارِي
خُلَاصَهْ اُول رَسُول اللهِ بِنَاتْ تَاقَردِ زِي چُوكْدِي
بُو اَيُّوبِ الصَّحَابِي مُحْتَرَمْ قُلُونْ حَذَادَارِي
تَعَجُّبْ اِيتْدِيلَرْ جُمْلَه مَدِينَه إلخلِنُونْ اَخيارْ
نِچُونْ دُورمَزْ بُو حَيْوَانْ دِيدِ لَرْ قِيلَرَ جفَا كَارِي
بُوبَيْ چَارَهْ فَقِيرْ عُثْمَانْ اِيدَرْ هَرْوَقْتْ نِيازِي چُوقْ
كِه يَارَبْ اِتْمَهْ مَحْرُومْ بُوقُولْنِكْ هَمْ اوُلَمْسُونْ عَارِي

وكذا وجدتُ في روضتِهِ في طاق حجرًا وطئ رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قدمَه عليه، وقد حملَه إلى إسلام بول السّلطان سليم خان الأوّل رحمه الله تعالى عليه، ووضعه في تلك الرّوضة تبرّكًا وتيمّنًا، ثمّ أنشد في حقّه واحدٌ من الشعراء هذين البيتين:

صَاقِينْ طَاشْ صَانْمَهَ يَالخو كَوْهَرِ عَالَمْ بَهَادُرْ بُو
كَلْ اَيْ بَيْچَارَهْ يُوزْ سُور نَقْشِ باي مُصْطفَى دُورْبُو
سزاعَرْشِ مُعَلّى زِينَتِي آرَايْ مَقَامْ اُولْسَه
زَهِـي جَايِ مُعَظَمْ مَوْقَعِي حَـاجَةْ دَاوَادُور بُو

وكذا حمل ذلك السلطان سليم خرقةَ السعادة، والنَعليْن المباركيْن، واللحيةَ الشريفة للنبيّ صلى الله عليه وسلّم وَقْتَ أخذِه ديارَ الحجاز عن يد ملك العرب بالْمحاربةِ، وحَفِظَها في إسلام بول أيضاً تبرّكًا وتيمّنًا من فم حاج محمود أفندي المدني المهاجري مسكنًا والمكي أصلاً، والله أعلم حقيقة الأمر، إنه علّام الغيوب.

ومن جملة ما أنعم الله به عليّ: اقتداري في كلّ وقت وحين على الجلوس بالرّوحانية والنسبة العلية متوجّهاً إلى حضرة لله تعالى في حرم البيت كأنّي جالسٌ فيه ما بين المنبر ومقام إبراهيم عليه السلام أمام الركن الحجر الأسود من البيت، وبابُه مواجهاً إلى البيت أو في حرم المدينة كأنّي جالس فيه أمام شبكة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذًا بها بيَديّ، وأنا بالجسمانية في لَكِيت أو في ژَاخُور أو أين ما كنتُ، فالحمد لله على ذلك.

وأيضا مما منّ الله تعالى به عليّ: من سماع أصوات أذكار اللطائفِ كلِّها عن الصّدر ومجيئها عنه في كلّ وقت بلا انصرام، ومتى شدّدت المراقبة والحضور.. أكّدتْ أصواتُها، وتجيء أيضاً رائحةُ أذكارها عن النفس وليتَ كروائح المروِّحات، بل رائحة خاصّة بذكر الله تعالى؛ كما يعرفه أهل الذوق والوجدان.

وأيضاً مما أنعم الله تعالى لي: من إيجاد رائحةِ التصلية على النبيّ عليه الصّلاة والسّلام في فمي مع احتراقِ شَفتي في كلّ وقت بلا انقطاع، ووقوع لطائفِي حين الذكر مع الاشتياق في الجذبة والعشق في طرفة عين حين غمض عينيّ، ومجيءُ صوت غليان المِرجل عن الصدر، ومجيء رائحة اللحم المشويِّ من نفسي، لي ولمن ذاق وشرِب من ذلك المشرَب، وليس هذا من تعريف النفس وعدِّها، بل تحديثُ ما منّ الله تعالى عليّ؛ لقوله تبارك وتعالى وتقدّس: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.[١]

ولو اطلع علماءُنا المعاصرون بنا على حالنا وما لنا من عطاياه تعالى حين توجّهنا إليه جلّ سلطانه وحين ترادف تجلياته وارداته إلى هذا الفقير والْتِذاذه بذلك.. لبكَوْا على أعمارهم الماضية على الغفلة، ولَتَمَنَّوْا أن يكونوا من سالكي هذا الطريق وداخلي هذا السبيل ولو بواسطة الناقص المأذون له من شيخه فضلًا عن الكامل؛ لئلّا يُحرموا عن مكالمته تعالى في تجليّاته وواردته، وعن أن يكونوا من محارمِه وجلسائه هذا، فَلْيُعمق النظرَ في هذا الكلام والمقامِ من مثقال ذرّةٍ من

[١] سورة الضحى، الآية:١١.

دركِ معرفة خالق الأنام، وإلّا.. فعليه، وَداعِي بالسلام لا أريد بعد ذلك معه الكلام.

تتمة: قد صرّح العارفون وكتبُوا في رسائِلهم: «أنَّه يجوز للمرشد أن يأذنَ للناقص لمصلحةٍ مّا»، فإذا ثبَت له إذنٌ صريحٌ من مرشدِه الكاملِ في اليقظة لا في المنامِ.. يصلُحُ أن يجلس على سجادةٍ والإرشادِ؛ لأنَّ يده يدُ الكاملِ.

قال الإمام الرّباني قدّس سرّه في ترجمة رسالة «المبدأ والمعاد» ما لفظه هذا: (ومنها: أنَّ كاملاً يُجيزُ ناقصاً بتعليم الطريقةِ بعد حصولِ مرتبة استعدادٍ، فلم تكن الإجازةُ موقوفةً على الكاملِ المطلقِ، ينبغي أن يعلمَ أنَّ النقصَ وإن كان منافياً للإجازةِ، ولكن لمّا أناب الكاملُ المكمِّلُ الناقصَ مَنابَ نفسِه يعدّ يده كيدِه فلا يتعدّى ضررُه، والله أعلم بحقائق الأمور كلّها) انتهى باختصار على المرام[1].

وفي «مكتوبات» الإمام معصوم، وكذا في «مكتوبات» محمود أفندي قدّس الله سرّهما ما لا بدّ فيه من المراجَعةِ إليه من هنا، فراجعهما.

وأيضاً مما منّ الله تعالى به عليّ: أن لا يحجبني الخلقُ عن الحقِّ، بل يترقّى روحي في الكثرةِ أكثرُ مما في الوحدةِ؛ كما هو مجرّبٌ عندي، واللهُ على ما نقول به شهيدٌ.

ومما منّ الله به عليّ: اقتدارِي في سفر الحجِّ على رؤية الأماكنِ قبل القبلِ، ولذلك قلتُ حينئذ: الحمد لله الذي شاهَدَني في سفري للحجّ قصورَ إسلام

[1] «رسالة المبدأ والمعاد» (ص ٣٩).

بول يومَ خروجِي من بَاطُوم[١] - يعني: ليلتَه - وأنا على البحر، ورفَع عنِّي حجابَ البينِ وبه على بلامين، وكذا أراني قصورَ بلد الجدّةِ بعد يومينِ أو ثلاثةِ أيامٍ من الخروجِ من إسلام بول وأنا على البحر أيضاً، وهكذا شاهَدَني ربِّي في ذلك السفرِ سائرَ المواضع والديّارِ قبل القبلِ أي: قبل الوصولِ إليها، فالحمدُ لله على ذلك.

فالآن كم مرّاتٍ وكرّاتٍ رأيت وأرى ذهابِي وإيّابي ووقوفِي في العرفة للوقفةِ ومشيِي في مكّة وسِككِها، فلا أعلمُ هل أقدر الذّهابَ مِن بعدُ أم لا.

وأمّا اعتقادي لربِّي فصحيحٌ.. فلعلّه[٢] يَرزقني ثانياً زيارةَ بيتِه الكريمِ ولقد بشَّرتني بذلك أمِّي في النوم حين رأتني كأنِّي أتداركُ للذّهابِ إلى الحجِّ مرّتين، فيكفيك ذلك انتهى ما قالتْه.

فأظنُّ إنَّ اللهَ تعالى يحقّق قولتَها هذه لما قيل وما قاله الأبوانِ في النومِ حيّاً كانا أو ميّتاً، فالحمد لله أوّلاً وآخراً.

وكانت والدَتي رحِمها الله تعالى ذات بركةٍ، وكانت تُصلِّي بأمرِ والدِي قدّس سرّه لها في كلِّ يومٍ على النبيِّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ألفاً من

[١] هي مدينة في جورجيا.

[٢] وقد حقّق الله تعالى رجائي ورزَقني زيارةَ بيته ثانياً في سنة ثمانٍ وعشرينَ وثلاثمائةٍ وألفٍ، فالحمد لله على ذلك، ثمّ إنِّي لما زرتُ إلى بيتِه تعالى ثانياً في تلك السنةِ.. جِئْتُ بعد الزيارة إلى رسولِ الله صلَّى الله تعالى عليه وسلّم في المدينة على طريق الشامِ بالبارُوت ووصلتُ بالشام وزرتُ فيها جميعَ ضرائح الصحابةِ رضوانُ اللهِ تعالى عليهم أجمعين حتى زرتَ إلى مَرقد الشيخ محيي الدين وإلى مرقد الشيخ ياينوخ بابه، وإلى مرقد جدِّي غوث الزمان الشيخ شاه محمد خالد السليماني قدّس الله أسرارَهم في خارج دمشق الشام يعني: في الصالحية، ثم لما كان طريق بيروت مسدوداً بسبب كثير الثلج فيها.. رجعت على البابور إلى طريق حيف، فزرتُ فيه على مولد خضر على نبيّنا وعليه الصلاة والسّلام؛ إذ موضع مولده هناك، فالحمد لله تعالى على ما أنعمنا به على أنّا من عباده المذنبين. (منه).

الصلواتِ المعهودةِ، وتَستغفرُ من الذنوبِ ألفاً، وكان لها إنابةٌ من والدي، ومن الشيخِ حاج حمزة أفندي بعدَه، ومن شيخِي التَّلَالِي قدَّس اللهُ أسرارَهم بعدَهما.

وقال شيخي التَّلَالِي إليّ في توجّهِ إليها أوّلَ توجّهٍ وأنا معها وقتئذ: «كيف كان يُصلِّي أمُّك للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم كثيراً ؟!» انتهى ما قاله.

أقول: قال ما قال لما جاء له مِن روحانية النبيِّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بركةٌ عظيمةٌ في ذلك ولمشاهدتِه منها المكاثَرةَ في الصّلواتِ من قديمِ الزمانِ، وكانتْ أيضاً ذاتَ كشفٍ تامٍّ وفضلٍ عامٍّ، وذلك أنَّها لمّا كانت ذاتَ يومٍ تُصلِّي معي في خلوتِي صلاةَ ظهرٍ بالجماعةِ، وكنتُ أدعو خلفَها وأتضرّع إليه جلّ سلطانُه، وألحّ فيه غايةَ الإلحاحِ، وكان قد طال دعائِي إليه تعالى في ذلك، وهي برفع يديها فيه صارتْ تنوم نومَ نُعاسٍ.. كشَفَ[1] اللهُ تعالى من عالَم غيبِه كونَ البقرةِ في الإصطبلِ قد نتَجتْ، وكونَها تدعو للبيتِ وتُخبِر أهلَه بولادتِها كذا وكذا.

ثم بعد تمامِ الدّعاء أَثنتْ إلي وقالتْ: يا ولدي ما أطولَ دعاءكَ هذا وما أحسنَ تضرّعك وثناءك إليه تعالى! أنالَك اللهُ مَنالكَ وأوصَلك مقصِدَك حيث كنتُ فيه أنوم نومَ نعاسٍ لطوله، وأرَى فيه أنَّ بقرتَنا في الإصطبلِ قد نتَجتْ وكنتُ أدعو البيتَ وأُخبِر أهلَه بولادتِها أي: أقول: انظرُوا كيف البَقرةُ نتَجتْ كذا وكذا فما كادتْ في قصّة ما كشَف لها إلى الآخرِ وما قامَتْ عن مُصلَّاها؛ إذ جاء نداءُ أخينا الصغير محمود أفندي عن الإصطِبلِ بإخبار ولادة

[١] جواب لما.

البقرةِ، فتعجّبتُ عن صدقِ كشفِها وقلت لنفسي: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

فمن جزئيّات ذلك كشفُه تعالى لها وِلادةَ هذه البقرةِ في الإصطبلِ في تلك الساعةِ غفَر الله لنا ولها ولجميع المؤمنين والمؤمنات بحرمة خيرِ خلقِه محمّد عليه أفضل التحيّاتِ.

ومما منّ الله به عليّ بعدما أَلهَمني ربِّي: تَمسُّكِي عن يد شيخي التَّلَالِي توفيقِي زيارتَه كرّاتٍ بلا إملالٍ ولا مَلالٍ وتقبيلِ يدِه مراتٍ مع التسليمِ التامِّ والأدبِ على الكمالِ، ومع إطالة الناسِ ألسنتَهم إليّ في حقّ ذلك، وقولهم قولاً زوراً من طرف الشيخِ قائلين: إنَّ الشيخَ يقول لك يا عثمان كذا وكذا وأسبقهم إليّ في هذا الإسنادِ والإطالةِ مُلا مرتضى علي أفندي التَّلَالِي رحمه الله تعالى.

ويقول لك أيضاً: ليستِ المشيخةُ بكثرة الذهابِ والإياب إلى أبوابِ أهل الكمالِ، بل هي موهبة الإلهية.

ويقول لك أيضاً: قولُوا له: فليقعُد في بيتِه ولا يكن مِكثاراً في الذهاب والإيابِ، هكذا كنت أمشِي قي كلِّ وقتٍ لديه وأزورُ إلى عتبةِ بابه قدّس الله سرّه وثراه، بل إنِّي كنتُ أترُك طريقاً من أثناء قرية كُلُّوكَ وأمرُّ من طريق المفازةِ؛ لئلا يَعيبُوا إليَّ من جهة كثرةِ المرورِ، ولئلا يَمنعني مِن أهلِهم مَن يَعرِفني عن طريقي ومقصودي مثل شريف يُوزبَاش الكُلُّوكِي رحمه الله

[١] سورة إبراهيم، الآية: ٢٠.

[٢] سورة، البقرة، الآية: ٢٠.

تعالى، فإنَّه رحمه الله تعالى كان يقول لي: «لِمَ تهرَبُ عنِّي ولا تجيء إلى بيتِي ولو مرةً في شهريْن ولا [تبيت] عندي، فإنِّي أريد خاطرَك وأحفَظُ حرمتَك؟

ثم أقول له في الجواب: إنَّما أهرَب منك؛ لأنَّك تتكلّمُ خلفَ المشايخِ وخلفَ العلماءِ وخلف شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه خاصّةً، وتغتابُ عنهم، وتَسْلَبُ اختيارِي، فمِن ذلك تنقبض لَطائِفِي وتتغيّر حَالِي أي: فلأجل ذلك أهرَب منك وأَفِرُّ عنك، وإلا.. فأنتَ رجلٌ سخيٌّ كذا وكذا.

ثم واعَدنِي بأن لا يترُك مجيئَك عنّا فقط في كلّ شهرٍ مرّةً، فوالله لا أتكلّم بعد هذا خلفَهم ولا أسلَبُ اختيارَك، ومتى أردتَ الذهابَ.. أُبْقِيكَ، قال هكذا مراراً، ومع هذا لم أذهَب لديه إلا قليلاً لعلمِي أنّ الخيرَ في الفرارِ عنه أكثرُ، هذا والله أعلم وعلمه أتمّ وأحكم.

ومما منّ الله عليّ: توفيقي على محافظةِ الأدبِ في كلّ وقتٍ مع شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه؛ بحيث كنتُ لا أَجلِسُ في مجلسِه أكثرَ؛ لئلّا يزولَ هيبتُه عنِّي وليبقى القلبُ متعشّقاً عليه، ولا أدخلُ عليه وقت زيارتِه إلا بإذنِه الصريحِ، بل لا أذهَب إلى زيارتِه إلا بالإشارةِ عن روحانيتِه قدّس الله سرّه العزيز؛ إذ كنت أزور إليه في كلّ شهر مرّةً أو مرّتيْنِ لا من قِبَلي، بل بإشارةٍ إليّ من روحانيتِه بذلك، وكان النّاس يتكلّم عنّي في حقّ ذلك، ولا أبالي عن تكلُّمِهم بسبب ذلك رفَع الله درجتَه، كان قدّس سرّه يُريدني ويُعظِّمني ويحبّني روحاً أكثرَ من غيرِي، ولا يَعظُني ظاهراً خوفَ الغرورِ وذا دأب الكمّلِ في كلّ العصورِ إلى أن أجدَ وأصلَ نسبةَ الله تعالى، فبعدَ ذلك يُعظِّمني ويحبُّني ظاهراً وباطناً ويَحمِلنِي إلى

المجالسِ في القُرى، ويَأمرُني[١] بالإمامةِ والدّعاءِ في مجلسِه، بل حمَلني معه في محملٍ إلى القريةِ كُلُّوك وإلى غيرِها لضيافةِ حاج عبد الله أفندي ولد الشيخ الحاجّ شرين أفندي الكُلُّوكِي قدّس سرّه.

ومما منّ الله به عليّ: مسابقتِي عن المعاصرينَ بنا على الدخول في تربية شيخي التَّلَالِي ودخولُ سائرِ العلماءِ مِن ديارِنا بعدي تحتَ تربيتِه فوجاً فوجاً؛ كما قال الله تبارك وتعالى وتقدّس: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ الآية[٢].

وقوله وقتئذ لرفيقه العزيز حاج شرين أفندي المذكور: إنَّ العوامَ والخواصَّ مِن تلك الدّيار كانوا ينظرون لمجيء هذا ولدنا عثمان أفندي الزَّاخُورِي، وتسليمِه إليَّ حين رأى مجيئَهم خَلْفِي أفواجاً؛ إذ قبلَه ليس في ديارنا[٣] مَن يذهب لديه قدّس الله سرّه إلا قليلًا وبعدَه كثرُوا منَّا، بل ومن غيرِنا يوماً فيوماً، فالحمد لله على ذلك.

ومِن أجلِ ذلك كان قدّس سرّه كأنَّه يقول لإخوانِه: إنَّ هذا وَلدِي عثمان أفندي كان لي في هذه الطريقِ؛ كحضرةِ عمر لرسول الله في ابتداء الإسلامِ إذا أُكثِر به سَوادِي؛ كما كثُر بعمر سواد رسولِه تعالى.

وقال قدّس سرّه في آخر حياته في حقِّي: «إنِّي راضٍ عنكَ يا ولدِي عثمان

[١] إذ كان عادتُه أن لا يأمر بالإمامةِ والدعاءِ على مخلِصيه في مجلسِه قبلَ الوصولِ والوجودِ فيهم نسبة الله تعالى؛ كما هو مشاهَدٌ عندي؛ لئلا يتغيّروا بذلك وذا دَيْدَن أمثاله لذلك. (منه).

[٢] سورة النصر، الآيتان: ١-٢.

[٣] أي: في طرفنا وجهتِنا الشرقية. (منه).

أفندي» فبالجملةِ كان في خاطرِه الشريفِ التفاتٌ تامٌّ إلى هذا الفقير، فالحمد لله على ذلك وكُلٍّ، وجاء [التعبير] من هذا المعنى.

اللهمَّ بجاه حبيبكَ محمّد صلَّى الله عليه وسلَّم لا تحرمنا عن شفاعتِه وأدخلْنا في زمرة أحبّائه وإخوانه، آمين اللهم آمين.

ومما مَنَّ اللهُ تعالى به عليّ: أن لا يصدُرَ عنّي في خِدمة شيخِي التَّلَالِي ذهاباً وإياباً ما يمَلُّ ويتأذّى به قلبُه المبارك إلى أن مات، فالحمد لله على ذلك، ولم أَرجِع مِن منزلِه إلا برؤيته، وما ردّني عن البابِ إلا قليلاً؛ إذ كان عادتُه رَدَّ المريدين والمُخلِصين عن بابه في أكثرِ الأوقاتِ أمّا مَن غيرِي.. فكان يشكو بعضاً[١] من هذا وبعضاً من هذا عندي وعند غيرِي يقول: «فلان ينزل إلى بيتِ فلان وفلان إلى بيت فلان وفلان يجيء على خلافِ أدبِ الزيارةِ، وهذا ليس بوظيفةِ المريدينَ فضلاً عن الكاملينَ» انتهى ما قاله.

ثم اعلم: أنَّه ما ذهبتُ حين قيامِي في خدمة شيخِي التَّلَالِي قدّس سرُّه إلى أن أذِنَ إليّ في الإرشادِ إلى سوقٍ إلا مرّة أو مرتيْنِ، وذلك وقتَ عبورِي إلى زَاخُور في رِحْلةِ الصيفِ؛ كما هو معلومٌ عند أهل زمانِنا من إخوانِنا ولم أقف فيه فوقَ الحاجةِ؛ كما أمَرَ به الشرعُ الشريفُ، فالحمد لله على ذلك.

فالآن ولو كنتُ أذهَبُ إليه لأجلِ الحاجةِ إذا اشتدَّتْ لا أَقِفُ أيضاً فوقَ الحاجةِ ولا أَدُور فيه؛ كما يَدور بعضُ معاصريّ، بل أَقدر لذلك حياءً عن الله تعالى وعن الناسِ أراهم حين المشي بين السوق كأنَّهم ينظرونني، فهذا من جملة ما منّ الله به عليّ.

[١] أي: في بعض الأوقات. (منه).

ومن جملة ما منّ الله به علي أيضاً: إنِّي لمّا سافرْتُ سنة في رحلةِ الصيفِ إلى أصل وَطَني ژَاخُورْ.. كنتُ قعدتُ في بيتي بعد الوصولِ إليها وأولادي يلعَبون أَمامِي، والأقاربُ يجيئونَ فَوْجاً بعد فوجٍ للمصافَحةِ معي.

فبينما كنتُ في هذا الحالِ إذ أَخَذني الغيبةُ، وفنيتُ عنِّي، ورأيتُ أَمامِي شَيخِي التَّلاَلِي قُدِّس سرّه ورفيقُه الحاج شرين أفندِي، وفي أمامِهما وأمامِي أقداحٌ مملوّةٌ بالشراب بالمعروفِ في هذا الزمان، وأنَّهما يَشربانِ شرابَهما، وأما أنا.. فلا أقدِرُ أن أتحرَّك مِن موضعِي وأشرب الشرابَ؛ لكونِي بلا اختيارٍ بسببِ استيلاء تلك الحالِ عليَّ، فمن ضيقِي وحالي هذا يتكلّم عنّي رفيقي شيخي تعجّباً والشيخ يتبسّمُ، فبقيتُ مدّةً مديدةً هكذا، ثمّ أفقت ورأيتُ إنِّي في بيتِي ژَاخُور، فالحمدُ لله على كلِّ حالٍ سوى الكفرِ والضّلالِ.

اللهم يا محوِّلَ الحولِ والأحوالِ حوِّلْ حالَنا إلى أحسنِ الحالِ بحرمة سيّد الأنبياء والمرسلين، آمين اللهم آمين.

ومن جملة ما منّ الله به عليّ: أنَّه كان شيخي التَّلاَلِي قدّس سرّه مِن أسبقِ خلفاء شيخه محمود أفندي قدّس سرّه؛ إذ كان قد أقامه شيخُه المذكورُ مقامَه وقال مراراً لمخلِصيه في المجامعِ والمجالسِ قبيل هجرتِه إلى حَاجِ تَرْخَان: إنِّي أقمْتُ في مقامي وَلَدي يتيم أحمد التَّلاَلِي قدّس سرّه تَرَوْنَه في مقامي كلّ وقت، وكان له عدّة خلفاء علماء أجلّاء.

فلما شاع صيتُه بعد ذلك في الأقطار واشتهر ضوؤُه عند ذلك مثلَ ضوء الشمسِ في ضَحوة النهارِ، بل انتشر فيضُه في الأحبابِ وامتلأ في قلوبِ المخلِصين من ذوي الألبابِ، وبقي منه أيضاً خلفاءٌ في بعض النَّواحِي..

وقع الفترةُ بين مريدِيه بعد ما أصابه سهمُ المنيةِ، وانتقَل من دار الفانيةِ في طلبِ الأسبقِ من خلفائِه والقائم مقامَه على عادة آبائه وطلبُوا به وسألُوا عنه من أهله حاج نَنَهْ وأولادِه بل قالوا: من أقام شيخُنا المرحوم من خلفائه مقامَه، ومن جعَله سابقاً وجالساً على سجادتِه؟ سألوا هكذا مراراً من أهل الشيخِ عن هذه المسألة ومع ذلك كانوا لم يُجيبوا لهم عن تلك المسألة خوفاً من عدم قبولِ بعضِهم ما قالوا فيَنجرَّ الأمرُ إلى الملالِ.

ثم لمّا لم يجدُوا الخلاصَ من سؤالِهم.. أجابت أهلُه وزوجتُه حاج نَنَهْ لهم مرة: أنَّ شيخَكم كان يقول يوماً من الأيام وقت جلوسِنا معه بعد أداء صلاة العصرِ مجيباً لسئالِنا، الحمد لله قد بقي عنّي خلفاء علماء في كلّ قُطْر كلّهم يقدرون لأخذِ المريدينَ لهم... إلخ وإلخ وإلخ إلّا أنَّ ولدِي عثمان أفندي يَقدِر إن شاء الله تعالى أن يأخذَ المريدينَ له وإكمالهم، وأظنُّ أنّه أَسْعى بينهم في إجراء وصيّاتي بين المحبّين وأقدر منهم لإعلاء كلماتِ اللهِ تعالى وإيصال ذي حقٍّ حقَّه، والله أعلم، ثم قالتْ: «هذا ما سمعتُه من فمّ شيخِكم والله تعالى شاهدٌ عليه» انتهى كلامُها المنقول عن الشيخ قدّس سرّه.

ثم لما سمعْتُ من طرفِ السّائلين عنها في حقّ هذه المسألةِ عدمَ قبولِ قولِها، بل سَمِعتِ التّهمةَ منهم إليها.. شكت لبعض مخلصِ الشيخ المرحومِ ولي مراراً عنهم وقالت: يا وَلَدي عثمان أفندي ما قلتُ لهم إلا ما سمعت من زوجي، ولكنّهم أضافوني الكذبَ، وجعَلوني صاحبةَ تهمةٍ فسيعلمون مَن أصحاب الصراطِ السّويّ ومن اهتدى أنا أم هم، وسَيَعلم

الذين ظلموا أنفسَهم في عدم قبولِ قول الحقِّ أيَّ منقلبٍ يَنقلبونَ، هذا ما سمعته مِن فمّ أمّنا وأمّ المؤمنين حاج نَنَهْ.

ومن جملة ما مَنَّ الله به عليّ: احتسابي أنَّه قدّس سرّه يمتحنني حين رمى إلى طرفي قولاً يُعرَف ويُفهَم منه مدحِي ولو كان ذلك القولُ منه بلا امتحانٍ وأن لا أكبر أنا بسببه خوفَ المكر وذا من توفيق ربّي عليَّ.

فمن جملة ذلك ما قاله لي في قرية زَرْنَهْ في بيتِ أحمد أفندي ولد عبد العزيز الزِّرَنِي وقتَ القيام للصّلاةِ، وما أمره به حين الازدحام في الصفّ والمقام وحين أريد من القلبِ أن أَقومَ لديه لأصل نصيباً وافراً من بركاتِه والحال أنّ ملا مرتضى علي أفندي التَّلَالِي لا يَتركُ ذلك المقام من الصفِّ بالجسدِ إلى غيره، وعرَف قدّس سرّه من القلبِ ما عرَف يا عثمان[١] أفندي قُمْ أنتَ في يمينِ الإمامِ، وكان الإمامُ رفيقَه وخليفتَه الحاج شرين أفندي وقتئذٍ؛ إذ الأولى أن يقفَ قربَ الإمامِ من فيه الحضور التامّ من الرّجالِ، فعند ذلك تكلّم ذلك المذكور ملا مرتضى علي ولم يَملِك نفسَه، وقال: إذا لا يليق بقيامنا هنا، أي: لديكم تكلّم هذا بمثل هذه الأقوال لديه، ولكن الشيخ قدّس سرّه لم يردّ له الجوابَ وقال[٢]: و تركُ جوابِ الجاهلينَ جوابٌ.

بيد أَنِّي وقفتُ لديه في الصلاةِ مرّة في لَكِيتْ في بيت حاج يوسف بن حاج كاظم اللَّكِيتِي، فالحمدُ لله على ذلك، وذلك بأمرِه، وقد جَرَّني عن ذَيلِي إلى الصفِّ لديه حين قيامي خلفَه أدباً قدّس الله سرّه العزيز.

[١] مقول القول السابق. (منه).

[٢] أي في ضميره. (منه).

ومن جملة ذلك: أنَّه قال لي: «كن من الرّجالِ لعلّ فتحَك قريبٌ» وهذه القولة كانت منه حين أمرني بالخلوةِ الثانيةِ، فكان الفتح قريباً؛ كما قال، فالحمد لله على ذلك.

ومن جملة ما منّ الله به عليّ أيضاً: أنّه لمّا ذهبتُ لديه أوّلَ ذهابٍ مع أخي الكبير عبد الوهاب أفندي الزَّاخُوري اللَّكِيتِي.. نشَر إليّ من كلماتِه القُدْسية رشاشاً، كأنَّه يتكلّم معنا في حقّ عبد الوهاب أفندي، وأخذتُ الحصّةَ عنه حيث قال: إنَّ هذا وَلَدي عبد الوهاب أفندي رفيقُك كان يتكلّم في مجلسِنا كثيراً وذا ليس من دأب المحصِّلين والمريدين، ولم أقل له قولاً إلى الآن في حقّ ذلك؛ لئلّا ينقطع محبّتُه عنّا، فالآن أقول له ذلك القولَ؛ لأنّي أعلَمُ علمَ يقينٍ أنّه الآن لا ينقطعُ محبّتُه عنّي ولو قطعْتُ بالمقراضِ لحمَه وجعلتُه قطعاً كثيرةً.

ثم جعلتُ هذا القولَ في أذني ولم أتكلّم في مجلسِه أصلاً ولم أجلِس فيه إلا قليلاً، وذلك بإشارة منه، وكان التوفيقُ رفيقاً لي في كلِّ وقتٍ في هذه الطريقِ، فالحمد لله على ذلك وإن لم أكن أهلاً لذلك.

وكان قدّس سرّه مُدقِّقاً في تربيةِ المريدينَ وتسليكِ السّالكينَ ولا يرفَعُ حجابَ السّعادةِ بينه وبين المريدينَ، ويجلِسُ في مجلسِهم بستر حالِه عنهم ولا يَمزَحُ معهم ولو قليلاً؛ كما يمزَحُ بعضُ مشايخ الزمان، وما رأيتُ مِزاحَه مدّةَ حياته إلا مرّةً أو مرّتين.

ولذا يَنعكسُ حالُه إلى المريدينَ في أسرعِ وقتٍ، ولا يرضَى مدحَ المريدِ نفسَه عنده، ولا أن يلفظ مِن فيه كلمةً فيها مدحٌ له حيث هو وأنا ورفيقُه

العارف الحاج شِرِين أفندي مَعَنا كنّا قادمينَ من كُلُّوكْ إلى قريتِنا لَكِيتْ، ثم سألني رفيقُه المذكورُ: هل قرأتَ من شعيب أفندي وما قرأتَ عنه؟ قلتُ: قرأتُ عنه «العقائدَ» و«شرح جمع الجوامع» من (المقدمة)، ثم سمعتُ من بعض الأصحاب أنَّه قال قدّس سرّه في مجلسٍ من مجالسِ لَكِيتْ: «إنّ عثمان أفندي قد علّمني في الطريق كونَه عالماً كبيراً قد قرأ «العقائد» و«الجوامع»».

فلمّا سمعتُ هذا القولَ من طرفِهِ.. خرَج من قلبي حجابُ العلمِ بالكليّة ببركتِه وببركةِ ما خرج مِن فيه كنتُ بعد ذلك لديه؛ كمن لا علمَ له، هذا والسّلام إلى يوم القيام.

ومما مَنَّ الله به عليّ: تعليمُ شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه لي ذكرَ اللطائفِ بلا سبحةٍ، وأمرُه لي قائلاً: إنَّك عالمٌ لا يلزَمُ لك في ذكر اللطائفِ أن تذكر اللهَ تعالى بالسبحةِ؛ كما يلزَم ذلك لغيرِك، فعلى أيّ لطيفةٍ مِن اللطائفِ إذا أردتَ أن تنظُرَ.. فانظر واعبُدِ اللهَ تعالى حتى يَأتيك اليقينُ، هكذا قال لي وقتَ سُؤَالِي عنه من ذلك، وأمَرني بذلك.

فلمّا سمِع منِّي هذا القولَ بعضُ إخواني في الطريق، وتكلَّم بعضُهم عند بعضٍ أنَّ الشيخَ قال لعثمان أفندي: لا يلزَم لك في ذكر اللطائفِ السبحةُ.. كان ذلك البعض يذكُر اللهَ تعالى في اللطائفِ بلا سبحةِ بالنظرِ إلى الساعةِ؛ ليعرِف قدر الذكرِ عنها، فلمّا ذهَب لدى الشيخِ يوماً من الأيامِ معه عبد الوهاب أفندي.. قال الشيخ عبد الوهاب أفندي: إنِّي كنتُ في البارحةِ مع صاحبِك هذا وكان بين يدينا ساعة ما السرّ فيه؟ قال عبد الوهاب أفندي: يا سيدي ويا مولاي إنّ هذا يذكر الله في اللطائف بوضع الساعةِ بين يديه لا

بالسبحة؛ ليعرف قدرَ ذكره بالساعةِ فقال الشيخ: مَن أمرَه بذلك وهو يفعل كذلك قال عبد الوهاب أفندي: إنَّه يقول: إنّ عثمان أفندي كان يقول: إنّ الشيخَ قد أمرني أن أذكر اللهَ بلا سبحةٍ، فهو يذكر كذلك، فقال الشيخ: إنّ عثمان أفندي يُريد سريعاً أن يكونَ شيخاً، فلا ينبغي أن ينظرَ هذا إليه، فلا بدَّ له من السبحةِ في حال الذكر؛ ليعرف قدر الذكرِ المأمور له من طرفِ الشيخ ويستريح بذلك.

ومما منّ الله به عليّ: أنَّ حضرة شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه لمّا جاء إلى ضيافةِ حاج يوسف اللَّكِيتِي سنةً.. دعاني بعد النزولِ عن الفرس وبعد الاستراحةِ قليلاً في البيتِ لديه عن الخارجِ؛ إذ ما دخلتُ في البيت مع الداخلينَ، بل وقفتُ في المحلة أدباً منه وذلك دأبِي وعادتي في حضرةِ الشيخ؛ كما هو معلومٌ بين إخوانِنا في ذلك الوقتِ، فالحمد لله على ذلك، وجعل [لي] موضعاً عنده؛ لأجلس فيه، فدخلتُ وجلستُ عنده.

ثم أمَر الساقيَ بإتيانِ الشرابِ المشهورِ إليّ، فجاء بكأس شرابٍ، ثم قال على طريق الكنايةِ: هاتوا الحامض - أي: ليمون - إن قدَح ولدي عثمان أفندي يغلو مثل غليان المِرْجَلِ، فعند ذلك خرَج من أخينا الدرويش صوفي قربان صوتٌ مثل صوتِ الثورِ، وكانتِ اللطائفُ؛ كما قال يَغلُو حينئذ مثل غليانِه، فجاء بحامضٍ وصبّ الشيخُ ذلك الحامضَ في قَدَحي، ثم سكَنتِ اللطائفُ، فالحمد لله على ذلك.

وهذا كما قال محمود أفندي قدّس سرّه في مجلس بلدة چِسْدَ أي: الواقع في بيتِ حضرة محمد ذاكر أفندي في حقِّ أحد من أهل المحبّة حين عايَن له

ما عايَن من حالِه بطريق التعريضِ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾[١] انتهى كذا في «مكتوباته»، فراجع.

ومما منّ الله به عليّ: اطّلاعي على الفرقِ بين العلمِ الظاهرِ والباطنِ، اعلم: أنَّ الفرقَ بين العلمِ الظاهرِ وبين العلمِ الباطنِ: أنَّ صاحبَ العلمِ الظاهرِ كلّما ازدادَ في علمِه الظاهرِ.. ازداد كِبْرُه[٢] وأَنانِيته وسائرُ أخلاقِه الخبيثِ، وصاحب العلم الباطنِ كلّما ازداد في علمه الباطن.. ازداد تواضعُه وحِلْمُه وسائرُ أخلاقه الحميدةِ؛ فلا بدَّ لكلِّ أحدٍ من هذا العلمِ الباطنِ؛ إذ العلمُ الظاهرُ حينئذ لا يُغنِي الإنسانَ عن العلمِ الباطنِ... إلخ وإلخ وإلخ، وهكذا كنتُ أقول في كلِّ مجلسٍ بين الإخوانِ حين وقَع التحدّثُ عن التفاوتِ بين علماء الظاهر وعلماء الباطن.

ثم لمّا صادفتُ على ما كتَبه العارف محمد الخاني قدّس سرّه في «بهجته» في هذه المسألة بعينِها.. حمدتُ الله تعالى على موافَقةِ رأيي على آراء العارفينَ الماضينَ، عبارته: (ومنها: يزداد عيوباً في مشهدِه كلّما ارتفعتْ درجتُه وقرُب من حضرةِ الله عزّ وجلّ.. عكْس ما عليه غيرُ القومِ، فكلّما ازداد أحدُهم علماً أو عملاً.. ازداد في نفسِه كمالاً ودعوًى.

وذلك لأنَّ علومَ أهلِ الله تعالى موضوعةٌ في قلوبِهم وأرواحِهم فلا يزدادونَ بها إلا تواضعاً وهَضْماً لنفوسِهم، وعلومُ غيرِهم موضوعةٌ في

[١] سورة الرحمن، الآيتان: ٢٠-١٩.

[٢] لعلّ ذلك عادةُ أكثر علماء الظاهر... إلخ وإلخ، فراجع. (منه).

نفوسِهم فلا يزدادونَ بها إلّا دخاناً وظلمةً، وكلّما كثرتْ علومُهم.. كثُرتِ[١] الظلمةُ في قلوبِهم.

وما هكذا شأن علماءِ السلفِ رضي الله عنهم إنَّما كان أحدُهم يزداد بكثرةِ علمِه خوفاً من الله تعالى حتى ربّما يرى أنّه قد استحقَّ الخسفَ به من سنين عديدةً) انتهى ملخَّصاً على المرام[٢].

أقول: ولهذا قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: «لا تُنكر[٣] على قول الصوفيةِ: إنَّ العلمَ حجابٌ»[٤]، هذا والسلام.

قال شيخنا التَّلَالِي قدّس سرّه لنا يوماً في بيتِه حين وقع الكلام في حقّ أخينا الكبير شعيب أفندي كذا وكذا، ومعنا وقتئذ الشيخ عبد الوهاب أفندي الزَّاخُورِي ثم اللَّكِيتِي قدّس سرّه حيث قال رحمه الله تعالى: اتركوا كلام شعيب أفندي فإنّه رجلٌ عالمٌ حافظٌ لا يليق له أن يجيء[٥] لدى هذا الفقير، ثم قال قدّس سرّه: لا أعلم في هذا الطريق حجاباً أعظمَ من حجاب العلمِ هذا.

---

[١] أي: العلم الذي يقع صاحبُه بذلك في الغرورِ والإنكارِ حجابٌ يَمنَعُ بعضَ العلماءِ عن الذهاب إلى أبواب أهل الكمالِ وعن مشاهدتِهم أنوارَ القدسِ من التّجلياتِ والمكاشفاتِ لا مطلقُ العلمِ حجابٌ عمّا ذكر؛ كما افترى به بعضُ جَهلةِ الطلبةِ على الصوفية؛ إذ بالعلمِ يزداد الشهودُ لأهله وتكمل المعرفةُ، قال شيخنا التَّلَالِي: «تعليم الطريقةِ لأهل العلمِ أسهلُ من غيرهم لولا فيهم حجابُ العلمِ» انتهى. (منه).

[٢] «البهجة السنية» (ص٣٤).

[٣] أي: لا تنكر قولهم: العلم حجابٌ. (منه).

[٤] أي: علم العلماء المغرورين بذلك والمنكرين على الصوفية لأجل ذلك حجاب يمنعهم عن ذهابهم إلى أبواب أهل الكمال لامطلق العلم حجاب عنه؛ كما أفاده قولنا أقول ولهذا قال الإمام الغزالي إلى قوله: إنَّ العلم حجابٌ. (منه).

[٥] فبعد ذلك جاء لديه وخَدِم له مدة مديدة ثم وصل ما وصل وحصل له ما حصل بواسطة هذا. (منه).

ثم اعلم: أنِّي قد كنتُ كتبتُ فيما مضى من الزمانِ إلى أخينا حاج سلطان أفندي القُومِي[١] بعضَ ما يؤيّد به هذا المقام، ثم لما وفّقني ربّي بجمعِ هذا الكتاب.. نقلتُ وجهَه إلى هذا الموضعِ لمناسبة مّا له به.

عبارة المكتوب: «إلى الأخ الأعزّ الألذّ الحاج سلطان أفندي القوميّ السلام عليكم... إلخ وإلخ وإلخ.

وبعد: فاعلم: أنَّه قد كتَب بعضُ المحقِّقين في تعليقاتِهم أنّ حقيقيةَ العبادة: خشوعٌ وخضوعٌ وانكسارٌ وتضرّعٌ، وطريقُ حصولِها في القلبِ: شهودُ عظمةِ الحقّ سبحانه، وحصولُ تلك السعادةِ موقوفٌ على محبّته تعالى، وظهورُ المحبّة موقوفٌ على متابعةِ سيّد المرسلينَ، والمتابعةُ [موقوفة] على العلمِ بطريق المتابعةِ، فيلزم ضرورةً متابعةُ العلماءِ الذين هم ورثة علوم الدين للغرضِ المذكورِ فهُمْ علماء الباطنِ. وينبغي أن يجتنبَ صحبةَ علماء السوءِ الذين جعلُوا العلم وسيلةً إلى مَعاشٍ دنيويٍّ، وسبباً لحصولِ الجاهِ» انتهى.

فمن هذا الموضع قال الشاعر رحمه الله تعالى:

مَن طلبَ العلمَ للمَعادِ * فازَ بِفضلٍ مِن الرّشادِ
فيا الخُسرانُ لطالِبيه * لنيلِ فضلٍ مِن العِبادِ

فلا بدّ لكلِّنا أن نطلُبَ تحصّلَ حقيقةِ العبادةِ؛ إذ هي من باب ما لا يتمّ الواجبُ إلا به، فما لا يتمّ الواجبُ إلا به.. فهو واجبٌ؛ كما هو مقرَّرٌ في محلِّه.

وقد علمتَ مما سبق أنَّها لا تحصل إلا بمتابَعةِ أهل الباطن... إلخ وإلخ

[١] قُومْ قرية من قرى ژَاخُورْ تقع الآن في أذربيجان.

فلا بدّ لك من مرشدٍ كاملٍ مكمِّلٍ فلا تُمْضِ الوقت؛ إذ الوقتُ سيفٌ إن لم تقطعه.. قطَعك، هذا الحقير الخالدي المحمودي الأحمديّ الحاج عثمان الـزَّاخُورِي ثم اللَّكِيتِي.

ومن جملة ما منّ به عليّ: رؤيتي ومشاهدتي[١] كعبةَ الله؛ كما كانت عليها قبل أن أحجّ، وكذا رؤيتي في الواقعةِ ذَهابي إلى الحجِّ مراراً، ومجيئي إلى البيتِ بالسلامةِ، وكنتُ قلتُ لأهلي وعيالِي بشارةً لهم بمجيئي سلامةً إلى البيتِ وقتَ عزْمي إلى سفرِ الحجِّ، بل يوم خروجي عنه.

وقد كنتُ وقت عزمِي إلى الحجّ مريضاً غايةَ المرضِ؛ بحيث يَئِسَ الناسُ عنّي، ورجلاً فقيراً بلا نقدٍ يكفي طريقَه غيرَ أنَّ قصد السفر إليه لا ينقطع عنّي، وأرى الوقائعَ في كلّ وقتٍ بالذهابِ إليه والإياب عنه.

فعلى هذا الحال عزمتُ لأخذ الوثيقةِ من الحكّامِ للذهابِ، ففي ليلةٍ مِن ليالي العزمِ إليه كنتُ في بيتٍ مع سراج فرأيتُ في زاويةٍ من زَواياه صبرةً كبيرةً من ذهبٍ، فأُشيرَ إليَّ بالأخذِ منها مقدار ما شئتُ، فأخذتُ منها قدرَ ما أشاء، فأيقظتُ عن النوم، وفرحتُ فرحَ شكرٍ، ووقَع في قلبِي نشاطٌ بسببه وتَسلَّى، وقلتُ في نفسِي: إن في هذه الواقعةِ بشارةً لي على يُسرِ سفرِي الحجَّ من جهة النقدِ، بل من كلِّ الجهاتِ.

وكنتُ الحمد لله في هذه الكَرّة حاجّاً بنقدٍ كثيرٍ مقدارُه ستمائةٍ وأزيد منها مع أنّي فقيرٌ في الوقت، فالحمد لله، ثم الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده.

[١] أي: في المراقبة. (منه).

ومن جملة ما منّ الله به عليّ: رؤيتي ومشاهدتي حين كنتُ في روضةِ شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه يوماً عِماداً منقوشاً أخضرَ من نورٍ رَفَع من قبره إلى عَنانِ السماء، وكنت أتعجّبُ من حسن ذلك العمادِ وحسنِ ما كُتِب عليه من النقوشِ والخطوطِ حتّى وصل بصرِي إلى رأس العمادِ، فرأيتُ فيه مكتوباً: «هذا من فضل ربّي» وأنا حينئذ كنتُ في الفَناءِ، فأفقتُ ورأيتُ أنّي في روضةِ شيخي أمام قبره المباركِ.

وأيضاً مما وهَب لي ربّي إقداري على الجلوسِ بلا فَرْوةٍ حين المراقبةِ في الشتاءِ بلباس الصيفِ واحتراقِ جسمِي مع ذلك غايةَ الاحتراقِ من حرارة اللطائف، ولله الحمد على ذلك.

وكذا مما أكرمني به ربّي: توفيقي على قراءة التصلية على النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم في كلّ أسبوعٍ مرةًّ أو مرّتين من ابتداء دخولِي إلى هذا الطريقِ إلى أن سقاني الله تعالى شراباً طَهوراً، فالحمد لله أوّلاً وآخراً.

وأيضاً مما أعزّني به ربّي: قراءةُ شيخي التَّلَالِي عليّ حين كنتُ في مراقبة السرّ مبشّراً آية: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[1] بعد سؤاله عنّي بقوله أأنتَ في مراقبةِ السرّ؟ وغير هذا مراراً لقي إليّ منه كلماتٌ قدسيّةٌ، وأقوالٌ روحانية، وأحوالٌ سَيْريّةٌ سِرّيّةٌ التي كلّتِ الألْسُنُ عن بيانِها، وعجزتِ العقولُ عن فهمِها ودركِها، فهي من فضل ربِّي عليّ وربّ العالمين، والحمد لله والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين اللهم آمين.

ومنها: ما رأيتُه لما قَدِمْنا يوماً لقراءةِ التصلية على النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم مع رفيقي العارف عبد الوهاب أفندي إلى قرية زَرْنَهْ؛ من

[١] سورة الإنسان، الآية: ٢١.

أنّ رجلاً من كبارِ أهل الله تعالى كان في النومِ ناصحاً لي وقارئاً على هذا البيتِ بعد بَذْلِ النصيحةِ بذلاً لائقاً، وعلى قراءتِه ذلك قمتُ عن النومِ، وتفكرتُ أنّ ذلك من بركةِ التصليةِ على النبي عليه الصلاة والسّلام، والبيت هذا:

عَيْنُ وِصَالِ شَرْبَتِينْ نُوشْ اِتْمِيَانْ كَامْ اَلْمَدِي
سَنْدَهْ كَامْ اَلْمَكْ دِلَرْسَنْ طُوت بُونُصْحِي يَنْدِمِي

ومنها: ما رأيتُه ذاتَ ليلة في منامي من نورٍ عجيبٍ أعجبَني، وقد أحاطَني من الجهاتِ الستِّ، فسألتُ عنه وقلتُ: ما هذا؟ فهَتَف هاتفٌ مجيباً هذا الله جلّ جلالُه وعَزَّ شأنُه ولا إلهَ غيرُه، ونور ذاتِه المقدّسة الذي انطمس باقي الأنوارِ لديه، فوقَع الرُعْبُ والهيبةُ عليَّ حينئذ، فتحرّكتُ في فِراشي بلا اختيارٍ تحرّكاً شديداً، واستيقظتُ عن نومي صارخاً قائلاً منادياً: الله الله، واستيقظتْ أهلي وصاحبةُ فراشي عنه كانت معي في البيتِ قائلةً: ما كان لك؟ وما هذه الصَّيحة؟ قلنا كذا وكذا وهكذا رأيتُه[١] جلّ سلطانه بعد ليلتيْنِ عنها أو ليالٍ، فالحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده.

[١] قال في «شرح المواقف»: هل يجوز أن يرى أي: الله تعالى في المنام؟ فقيل: لا، و قيل: نعم. والحقّ: أنّه لا مانع من هذه الرؤيا وإن لم تكن الرؤية حقيقة. وحُكِي القول عن كثير من السّلف لكنّ معظمهم شرطوا من غير كيفية وجهة. قال التفتازاني: ولا خفاءَ أنَّها نوع مشاهدة تكون بالقلب دون العين.

وفي بعض حواشي «شرح العقائد» عن محمد بن علي الترمذي قال: رأيت ربّي ألف مرّة، فقلت: إنّي أخاف من زوال الإيمان، فأمرني في كل مرّة بهذا التسبيح بين سنة الفجر وفريضته: «يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحييَ قلبي بنور معرفتك أبداً يا الله يا الله يا الله يا بديع السماوات والأرض».

وعن أبي حنيفة وأبي يزيد: رأيت ربّي في المنام، فقلت كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك، وفي الخلاصة وفي البزازي: جوَّزها ركن الإسلام الصفّار وأكثر المتصوِّفة ولم يجوّزها أكثر مشايخ سمرقند ومحقّقي بخارى حتّى قال أبو منصور: مدعيها أشرّ من عابد الوثن إذ المرئيّ خيال ومثال يجب تنزيهه تعالى عنه، لكن أوّل بعضهم مرادهم فجعلوا القولين متّحدين؛ كما سبق الإشارة كذا في «شرح الطريقة المحمدية» لمولانا أبي سعيد الخادمي، فراجع. (منه).

روى مسلم عن أبي ذرّ: سألتُ رسولَ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «**رأيتُ نوراً**».

وفي رواية: «**نوراً أَنَّى أراه**»[١] بتشديد نون (أنّى) وضمير (أراه) إلى الله أي: حَجَبَنِي النورُ المُغشِي للبصرِ عن رؤيتِه، وقد ذكَر وقوعَها في المنام كثيرٌ من السلفِ منهم: الإمام أحمد، وعلى ذلك المعبِّرون للرّؤيا «شرح جمع الجوامع» من عينِه عن أواخرِه[٢].

وأمّا قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾[٣].. فلا يدلّ على نفي رؤيته تعالى في المنامِ؛ لأنّ المرئيَّ في المنام ليس مثالاً له تعالى في الواقعِ، بل في ذهن الرائي؛ لأَنَّ المرئيّ فيه حقيقةً ليس ذاتَ المرئيّ، بل خيال ومثال له بحسب ما يقع في ذهنِ الرائي لا في نفسِ الأمرِ؛ إذ لا خيالَ له تعالى ولا مثالَ، فلا استحالةَ للخيالِ والمثالِ في المنام، فراجعه[٤].

والحاصل: أنَّ رؤيةَ المنام مبنيةٌ على نوعٍ من التمثيل والتخييل فيرى فيه ما ليس جسماً ولا صورةً، جِسماً وصورةً وترى المعاني على صورة الأجسام؛ كالعلم على صورةِ اللبنِ؛ كما ورَد كذا في أطراف حواشي «جمع الجوامع»، فراجع.

ثم اعلم: أنَّ الرؤية في المنام ليس بالعين، بل هي نوعُ مشاهَدة بالقلبِ؛ كما بُيِّن في محلِّه.

[١] «صحيح مسلم» (٤٤٣،٤٤٤).
[٢] «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٦).
[٣] سورة الشورى، الآية: ١١.
[٤] «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٦).

[رؤية الله تعالى في المنام]

مسألة: مَن ادّعى أنّه رأى الحق سبحانه وتعالى في المنام سُلِّمت له دعواه، فإن كان كاذباً.. فعليه كذبه، قال الإمام النووي عن القاضي عياض: اتّفقت العلماء على جوازِ رؤية الله جلّ وعلا في المنام وصحّتِها وإن رآه على صفةٍ لا يليق بجلالِه تعالى من صفات الأجسامِ؛ لأنّ ذلك المرئيّ غيرُ ذاته سبحانه وتعالى؛ إذ لا يجوز عليه التجسّمُ ولا اختلاف الأحوال، بخلافِ رؤيةِ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فهي كسائر أنواع الرؤيا من التمثيلِ والتخييلِ، قال الغزالي: معنى رؤية الله في المنام أنّه رأى مثالا لا أنّه رأى ذاته، والمثالُ في حقّه تعالى جائزٌ، والمِثْل باطلٌ[١]؛ إذ هو عبارة عن المساوي في جميع الصفاتِ، والمثالُ لا يحتاج فيه إلى المساواةِ من كتاب «إثمد العينين» ملخَّصاً على المرام، فراجعه[٢].

ومن جملة ما أنعم الله تعالى به عليّ: ما رأيتُه حين كنتُ في الخلوة الأولى وحين أُصلّي على النبيّ عليه الصلاة والسلام بعد ذكر لساني عقب الصلاةِ المكتوبةِ ومع أمّي القانتةِ من النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم أي: رأيته يقظةً بعين البصيرةِ على كمال صفاتِه المذكورةِ في الكتبِ - أي: لا نقصَ

[١] وذلك لأن المثال هو ما يوضّح الشيء، والمثل ما يشابه الشيء من جميع الوجوه، وليس شيء في الوجود يماثل الحقّ تعالى، فالمثال هو المرئيّ في الدنيا والآخرة؛ لأنه يصحّ لعبد أن يرى الذات المقدَّسة؛ لأنها تنفي بذاتها أن يكون في حضرتها سواها، وهذا المثال هو المراد بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «**رأيت ربي في أحسن صورة**» وفي رواية: «**في صورة شابّ**»، وهو المراد أيضاً بقوله: «**خلق الله آدم على صورته**» وفي رواية صحّحها ابن نجار وأيّدها الكشف: «**على صورة الرحمان**» فإنَّه لا يصحّ أن يكون المراد بذلك: صورة الذات؛ لأنَّ الذات المقدّسة لا صورة لها إلا من حيث التجلّي بالمثال؛ كما يشهد لذلك خبر مسلم في التجلّي يوم القيامة. راجع «عقيدة الإمام الشعراني» (ص ٦٥).

[٢] «إثمد العينين» (ص ٥٧٨).

فيها - كأنّه قاعد أمامي؛ كالشيخِ المتوجّهِ لحال المريد مُتبسِّماً يتلألأ من وجهه المبارك نورٌ.

ومن جملة ما منّ الله به عليّ: رؤيتي أمامي حَلْقةً عظيمةً من أهل الله لما جلستُ ليلةً قريبَ الصباحِ في الرابطةِ، ورؤيتي أيضاً يداً ممدودةً مباركةً من بين الحلقةِ والقولُ لي من قائل يا هذا هذه يد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فعند ذلك أخذتُها وقبَّلتُ عنها، فالحمد لله على ذلك، ولم أره صلّى الله تعالى عليه وسلّم من بين الحلقةِ، ولم أَقدِر أن أرفع رأسي حياءً منه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ومن أهل المجلسِ، رزَقنا الله تعالى رؤيته في الدارَيْنِ بمنِّه وكرمه، آمين.

وغير ذلك رأيتُه مراراً في الفناءِ وفي النومِ، فالحمد لله على ذلك، رزَقنا الله شفاعته، آمين اللهم آمين.

ثم سألني عن ذلك شيخي الشيخ حاج أحمد أفندي التَّلَالِي قدّس سرّه حين التوجه إليّ، وقال: هل تقدر أن ترى نبيّنا محمداً صلّى الله تعالى عليه وسلّم؟ قلتُ على وجه الأدبِ: أقدر ورأيته كذا وكذا؛ لئلّا أكونَ من الخائنين في كتمانِه على ما عليه علماء أهل الباطن، هذا من تحديث النعمة لا من عدّ النفس.

فمن أساء الظنّ.. فليُسِئ إلّا أنَّ بعضَ الظنّ إثمٌ؛ فلا يُسيء الظنَّ إلا بعضُ أهل العناد من المعاصرين، فلا يزيد منه إلا الوداعُ وليس معه النزاع.

ثمّ اعلم: أَنِّي رأيت في خلوتي الأولى الصراط والميزان ومقامات المجتهدين في الجنّة، وغيرها من العجائب والغرائب ما لا يحصيه حدٌّ ولا

يَضبِطه عدٌّ، ولكن لم ألتفتْ بواحدٍ منها بالتفات قلبٍ، والله تعالى على ما نقول به شهيد لعِلْمِي أنّ كلَّها ما سواه تعالى، والمقصود هو الله جلّ سلطانه وعزّ شأنه.

ومنها: ما رأيته مرّةً في الفناء حين كونِي في المراقباتِ درساً من عُرُوجِي إلى شجر ملتصقاً به مُسرعاً؛ كمن يعرج إلى عماد أملس، وكذا من عروجي أيضاً إلى سلّم فيه خمس درجات، فمنه أُلْهِم إلى قلبي أنّ فيه إشارة إلى تعليم خمس مراقبات لي من يد الشيخ في خمس لطائف في مدّةٍ يسيرةٍ مع حصول ذوقٍ لي في كلّ مراقبة ومقام يعرفه عنّي أهل الذوق والوجدان من المشايخ الكرام وقد كان كذلك، فالحمد لله على ذلك.

وهما أي: العروجان المذكوران قد صدَر منّي بعد سؤال شيخِي عنّي هل تعرِف[١] منازل سير الروح ومقاماته من الترقّي والتنزّل؟ وهل تفهمهما عن طرفِه أم لا؟ وذلك من حدّة نظره وكماله وعلمه من حال المريد ماضياً وحالاً واستقبالاً، وذا من وظيفة خواصّ الأولياء، ومثل هذا كم مرّات وكرّات رأيتُ عنه بارك الله درجتَه وطوّل عمرَه وأعاد علينا من بركاته، آمين، آمين اللهمّ آمين.

ومنها: ما رأيته في الخلوة الثانية حين كوني غائباً عنِّي أي: في الفناء من كوني في بيتٍ قد جاء لديّ فيه رجلٌ يَطلُبُ منّي كتابَ فرسِي يقول: إنَّه فرسي لو لم يكن فيك الرسالة المصدِّقة آخُذُ رأسه وأين هو أَبصِرْه لي ومن أين وصَل إليك أنظر إليه وهل هو فرسي المسروق أم لا؟ فذهبت معه لأبصّره

[١] أي: حيث قال هل تعرف ...إلخ. (منه).

ذلك هابطاً نازلاً من جبلٍ عالٍ تحتَه وادٍ تجري منه أنهار صافية من مواضع متفرّقة، فبعد ذلك خرجتُ وترقّيتُ منه إلى جبل آخر متّصل به فيه زهر تخرج في رياضِه وأشجار نابِتة في حدائقه إذاً برجلٍ حسنٍ وبفرسٍ أُريد المعونةَ منه في الحمل عليه، فأَعانني رضي الله عنه وعنّا وعن جميع المسلمينَ أجمعين، آمين. فبينما الأمرُ على هذا؛ إذ كنتُ في بيتٍ مزيَّنٍ غايةَ الزّينةِ ومعي رفيقٌ أجمل الناس وجهاً وفي البيت غير الرفيق شيخي التّلالي جالسٌ أمام الغرفة ينظر الكتاب أي: كتابه «مفتاح القلوب» يتلألأ عن وجهه نور وعنقه؛ كإبريق الفضة لا يَقدِر أحدٌ أن ينظر وجهه حياءً منه يتكلّم بنا، ويَنصَحُ لنا قمنا معه مدّةً مديدةً على هذا الأسلوبِ، ونحن مستمعون لكلامه إذ قرأ علينا من الكتاب هذا الدعاء: اللهم اغفر لنا أمة محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وأعطاه إلينا لكتبه له مُخرِجاً من إبطه المبارك دفتراً صغيراً تكتب فيه القواعدُ والتعليقاتُ اللازمةُ له في أشدّ الساعاتِ، وأمرَنا أن نحفظه ونقرأه في كلّ وقتٍ وحين، فجعلتُه ورداً في كلِّ صلاةٍ بعد ذلك.

ثمّ أمر صاحبي بالخروج، وبقيْتُ معه منفرداً إذا وقَع في قلبي رُعبٌ؛ بحيث أقول في نفسي ماذا يقول لي وكنت وقتئذ على قلقٍ، وأردتُ أن أجلس مفترشاً على وجه الأدبِ، ثمّ توجّهني توجّهاً تامّاً مُوقِداً في قلبي ناراً حارّةً غايةَ الحرارةِ، ثم وقعتِ اللطائفُ بجميعها إلى الجذبةِ وعليها أفقتُ فرأيتُ أنّي في خلوتِي مُعْرَّقاً، فالحمد لله أوّلاً وآخراً.

ومنها: ما رأيته يوما من الأيام حين أذكُرُ الله تعالى على لطيفةٍ من اللطائفِ باسم الجلالة من أنّ لشهاب الدّين بن محي الدّين الـزَّاخُورِي وليمةً ينكح له

خَانْزَادَهْ بنت كمز رمضان الزَّاخُورِي، ومن أنَّ المتوسّطَ والعاقد ملا محمّد ولي بن عباس الزَّاخُورِي، وكان الناس يُنكرون نكاحَها له لسببٍ مشهورٍ عندهم وهو أنَّ أختَ زوجِها الأوّل يوسف بن حاج مراد الزّاخُورِي قد كانت وقتئذ تحت نكاحِ شهاب الدّين المذكور، فبسببه كان الناس يُنكِرون العقد ولا يريدونه وزوجته پرى بنت حاج مراد الزَّاخُورِي التي تحت نكاحه رأيتُ في بيت ابن حاج مختار المسمّى بمختار وأنا أسأل حينئذ عنها لِمَ كنتِ هنا وأنتِ تحت نكاح ملا شهاب الدين وكنتِ زوجتَه؟ وهي تقول: كان أمري كيتَ وكيتَ فلذا هنا.

وبعد ما استيقظتُ مِن نُعاسي قلتُ لمَن معي من أهالي بيتي: إنّي رأيتُ رؤيا في زَاخُور في بيت فلانٍ الزَّاخُوري كذا وكذا قلت لخاله عبد الوهاب أفندي حين ذهابنا إلى قرية زَرْنَهْ: إنِّي رأيت في زَاخُور رؤيا كذا وكذا.

ثم استخبرْتُ من القاصدينَ من زَاخُور إلى طرفنِا لَكِيتْ هل نكحت خَانْزَاده لملا شهاب الدين في ليلة كذا؟ وأجابوني بأنَّها نكحت له في تلك الليلة بعينها، والعاقد قد كان ملا محمد ولي بن عباس الزَّاخُورِي المذكور، وزوجته پرى تَحْتَه وقتئذ، وبعد مضيّ نحو سنة وستّة أشهر عنه طلّقت ونكحت لابن حاج مختار المذكور، فهذا أصلُ واقعتي فجاءت؛ كما رأيتُ، فالحمد لله على ذلك.

ومنها: ما رأيتُه حين كنتُ في قرية قومٍ مع بعض المعاصرينَ وقت قراءة رفيقي مصطفى أفندي سورة «يس» الشريف بعد صلاة الصبحِ، وأنا ومن معي على استماعِها بفكرٍ وحضورٍ وحين غبْتُ عنّي وعدمتُ به من كوني في

حلقةِ ذكرٍ وقراءة قرآنٍ على ميّتٍ، وفيها يقسم النقد على المهلِّلين، والقارئينَ إذا جاء رجل وأعطى كاغذاً مربوطاً على يد أخي مصطفى أفندي.

ثم أفقْتُ مع ختمِه «يس» الشريف منتظِراً على ما سيعقبه، وأشرتُ في المجلس على ما رأيتُ به، فما مضى عنه إلّا زمان يسير قد جاء رسولٌ وبيده كتابٌ يُخبِر عن موتِ أخِينا الحاجّ بالحرمين الشريفين الحاجّ يوسف اللَّكِيتِيّ، ونحن إذا في بيت سلطان أفندي القُومِي مع جمّ غفير من تلك القريةِ، ثم دعا من مجلسنا رفيقَنا مصطفى أفندي، وجاء بكتابٍ يُخبِر عن موت المذكورِ رحمه الله تعالى ولنا، آمين اللهم آمين.

ومن أعظم ما أنعم الله به عليّ: ما رأيتُه حين ذهبتُ لزيارة سيّدي حاج أحمد أفندي قدّس سرّه إلى القريةِ تَلَهْ مع أخي الصغير الأعزّ وتلميذي الألذّ ملا شريف شرّفه الله تعالى بشرافة الدارين وحين نِمْتُ في بيتِ ضيفي وأخي الكبير الحاج بالحرمين الحاج رمضان التَّلَالِي من كونِنا يعني: أنا وشيخِي التَّلَالِي قدّس سرّه والشيخ أحمد أفندي الشاه بَلُوطِيّ قدّس سرّه رفيقي ملا شريف في موضعٍ واحدٍ روحاً إذاً جائت أربعةُ أفراسٍ مُسرَّجاتٍ بسُرُوجٍ لائقةٍ، ثم أَرَدْنا الركوبَ عليها والذهابَ بها إلى زيارةِ وليٍّ من الأولياءِ في مكانٍ بعيدٍ، فأشارني شيخي بركوبِ واحدٍ منها وبالتقدّمِ منهم دليلاً لهم.

ثم ركِب هو بواحد منها والشيخ أحمد أفندي الشاه بَلوطيّ قدّس سرّه لواحد وملا شريف على ما بقي منها ذهَبنا بمراحلَ وخلفي شيخي وخلفه الشيخ المذكور الشاه بَلُوطى وعقِبه رفيقي المذكور ملا شريف اللَّكِيتِي على هذا الترتيب والأسلوب ومررْنا مُسرِعينَ إلى أن قطَعْنا الأميالَ والفراسخَ

حتى وصلْنا الموضعَ المقصودَ وطُفْنَا حولَ تُربته طوافاً وسألنا من روحانية المشايخِ لمن هذه التربةُ المباركةُ فهتف هاتف: إنَّ هذه تربةُ وليٍّ من الأولياء المسمَّى بـ«حاج تپديق» قدّس سرّه وأنار مرقدَه، وأعاد علينا من بركاته، آمين، وعلى هذه الحالة أفقتُ ورأيتُ أنِّي في بيتِ ضَيْفي في تَلَهْ، فالحمدُ لله أوّلاً وآخراً.

وذلك مما منّ الله تعالى عليَّ مع أنِّي رجلٌ فقيرٌ قليلُ العمل والتّقوى وبما رأيته في ذلك العالم بشّرتني زوجتُه أمُّنا حَاجِ نَنَه وقالت: إنَّ شيخَكم كان يقول في حياته حين سأله عنه في حقّ خلفائه: إنَّ لكم تقدّماً على البواقي بحسب الروحِ، وكذا تكلّمتْ بهذا القولِ لدى جماعات من الناسِ من مخلصِي شيخنا قبل التكلّم لديّ، فالحمد لله على ذلك.

فمن هذا أخذْتُ الحصّةَ وعرفتُ التفاوتَ بين مرتبتي هذين الوَلِيَيْنِ الأكرميْن المعاصريْن، وكنتُ أتمنّى مدّةً مديدةً من الله تعالى أن يُبيِّنَ لي بلسانِ الحالِ لأَعلَمَ علمَ ظهورٍ المتقدِّمَ منهما مرتبةً وكمالاً.

ومنها: ما رأيتُه حين كونِي في زَرْنَهْ ضيفاً لأخينا الأعزّ أحمد أفندي الزَرْنِي في جلستِي بعد صلاةِ الصبحِ مراقباً من كوني في بيتي في لَكِيتْ إذا رأيتُ أنّ بقرتَنا نتجت وعجلَها وقَعتْ في حوضٍ في المحلّة إذًا كنت أدعو لأهل بيتي: ألا ترون أنّ هذه البقرةَ نتَجتْ وعِجْلُها في الماءِ، فذهبْتُ لديه أريد إخراجَه من الماء إذا رأيتُ في رأسِه موضعَ بياضٍ وأنّ ذنبَه ملتصقٌ إليه، ومنه وقَع في قلبِي شبهةٌ[١]؛ كما وقعَت تلك الشبهةُ لحضرة مولانا

[١] أي: بأنَّ هذا البياض هل هو في الرأس أم في الذنب. (منه).

السابق عنّا زماناً طويلاً سلطان شيخ محمود المدفون قُبالة قرية ژَاخُور في تَلٍّ مباركٍ في عين هذه المسألة.

وذلك أنّه وقع الدعوى بينه وبين زوجتِه يقول: هذا البياض بياضُ في الذنبِ، وتقول: هذا البياض الذي تراه بياضٌ في الرأسِ لا غيرُ قد التصق إليه ذنبه؛ أي: تَخاصَمَا في حقِّه زماناً.

ثم لما نتجَت البقرةُ عجلَها.. وجد[١] البياضُ في الرأسِ لا في الذنَبِ، ثمّ لما كان وصَل هذا الخبرُ إلينا تواتراً من أفواه ثقات، وكان وقَع في قلبي شبهتُه كما وقَعتْ له هل هذا البياضُ في الرأس أم في الذنبِ.. أخذتْ عوداً؛ [لتفريق] ذنبه عن الرأسِ؛ ليندفع هذا الاشتباهُ، ورأيتُ أنَّ ذلك في الرأس لا في الذنبِ بعد ما فرّقتُ بينهما.

فبينما الأمرُ على هذا.. أفقتُ فرأيت أنّي في بيت أخي الكريم أحمد أفندي في زَرْنَهْ وكنتُ متعجِّباً لسرّ الله تعالى، ومتبسّماً على هذه الحالةِ ومنتظراً لما سيردفه، فقال أحمد أفندي: ما تبسّمك؟ قلتُ: كنتُ في الحال في بيتي في لَكِيت ورأيتُ بالروحانيةْ فيه كذا وكذا، فمن أجل ذلك أَتبسَّمُ.

وبعدَ ذلك إلى أن نتجَتْ كنتُ أتكلَّمُ في البيتِ على لسانِ بنتِي الصغيرةِ خديجة، وأقول: ستُنتِج بقَرتُنا عجلاً لك يا بنتي وفي غرّتِه بياضٌ، ثم أُعطيك به، وبعد مرور شهرٍ أو أكثرَ منه تخميناً نتجَت البقرةُ وفي رأس عجلِها بياضٌ قدر أصبعيْن؛ كما رأيتُ، فالحمد لله أوّلا وآخراً.

[١] أي: وجد البياض في رأس العجل؛ كما قالت، لا في الذنب كما قال. (منه).

ثم اعلم: أنِّي قد كنتُ كتبتُ فيما مضى من الزمان إلى بعض أعزّ الإخوان كتاباً في حقّ سرٍّ بيني وبينه وهو من بعضِ ما منّ الله به عليّ، فمِن ثَمَّ نَقلتُ وجهَه إلى هذا المقامِ، **عبارة الكتاب هذه**:

«**بسم الله خير الأسماء** و، و، و، إلى أعزِّ الإخوان الحاج بالحرمين المحترمين الحاج قربان أفندي الجَنِيغِي ثم الكُلُّوكِي: السّلام عليكم ورحمة الله وغفرانه ورضوانه لديكم، **أما بعد**: فاعلمنّ علماً يقيناً: أنِّي لمّا كنتُ في بيتكم في هذا السفر.. بشّرني أحدٌ من أهل القلوبِ في التوجّه إليه وقال إليّ: يا فلان بُشراك من الله جلّ جلالُه ببشارةٍ لا بشارةَ فوقَها حيث إنِّي كنتُ متوجّهاً إلى الله تعالى يوماً من الأيامِ إِذْ غبْتُ عنّي وفنيْتُ عما سوى الله تعالى حتى عن نفسي، وأحاطني نورُ الوحدةِ الإلهيّةِ وكنتُ ممحوّاً ومُذاباً ومصغَّراً؛ بحيث كنتُ مقدار الحمامة في ذلك النورِ المسودِ، وجئتُ وقتئذٍ في مقام الخوفِ عن هيبة الله سبحانه وتعالى وتقدّس، وأردتُ الصراخَ بصراخِ الخائفِ عنه تعالى وكنتُ في ذلك الوقتِ؛ كما أرى فناءَ نفسِي أرى فناءَ العوالمِ كلِّها إذا برجلٍ من رجالِ الغائبِ جاء وأخذني بيدي وقال: يا فلان لا تَخَفْ جئ خلفي إنّي أوصلك إلى مقصودِك، فذهبتُ خلفَه بقطع الفراسخِ والأميالِ؛ كأنِّي أذهَبُ خلفَه من بين الجبالِ من مكةَ إلى منىً ومنه إلى العرفاتِ، ثم أخرجني إلى جبلٍ عالٍ وفي مقابلِه جبلٌ كذلك بينهما وادٍ عظيمٌ، ثم حضَر هناك رجل آخر من رجال الغائب أيضاً وجعَلا بينهما قَنطرةً وقال: نصنعُ هذه القنطرةَ لعبوركَ من الجبلِ الذي أنتَ فيه إلى هذا الجبل.

فلمّا تمّت القنطرةُ.. شرعتُ العبورَ قائلاً: باسم الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله، ولكن على خوف من السقوطِ؛ لأنّ المنزلَ كبيرٌ والقنطرةَ ضعيفةٌ وأنا رجل لم أَصِل إلى مقامِ التمكينِ والتسليمِ فقالا: لا تخف نحن معك، فمررتُ عنها بإذن الله تعالى.

ثم أتَياني الخفّ والمكعب وألبَساهما رِجْلَيَّ وأخرجاني إلى سماء الدنيا وجعلاني عليها وقالا: لاتخفْ جِئْ خلفَنا نحن نوصلك إلى مقصودِك وإلى ربّكَ، فذهبتُ خلفَهما حتّى وصلتُ معهما في موضع مباركٍ فيه أنهارٌ جاريةٌ صافيةٌ وأزهارٌ غريبة، ورأيتُ فيه على تَلٍّ مباركٍ أنَّ فخرَ الكائناتِ وسيّدَ المخلوقاتِ وحبيبَ ربّ العالمين محمّدا المصطفى عليه أكمل التحيّات وأشرفُ التسليماتِ جالسٌ على كُرْسيٍّ مثل كراسي الجنانِ، وفي يمينه مسندُ أهل الخيارِ ومَلاذ الأخيارِ مجدّد المائةِ الرابعةِ أستاذنا الشيخ حاج أحمد أفندي التَّلَالِي قدّس سرّه جالسٌ على كرسي وعن يمينِه قال: أنت يعني: أنا جالس على كرسي أيضاً وعن يسار النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قطبُ الأقطاب حضرة مولانا محمود أفندي قدّس سرّه جالس على كرسيٍّ ويسار محمود أفندي قدّس سرّه جالسٌ على كرسي أيضاً ذو الفيض الجاري والنورِ الساري غوثنا الأعظم محمّد خالد شاه السُّلَيْمَانِي البَغْدَادِي الكُرْدِي العُثْمَاني قدّس سرّه، وكان في أمام حضرة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم نهرٌ صافٍ يجري.

وكذا كان يُرَى من فوق النبي صلّى الله عليه وسلّم عينٌ يُصبّ بين يديه كأنّه يجري من تحت العرشِ، ويختلط ماؤُه إلى ماء ذلك النهرِ الجاري في أمامه صلّى الله تعالى عليه وسلّم إذا برجلٍ جاء وفي يده طبقٌ مغطًّا بمنديل.

ثم قال لي ذلك المبشِّر: «أمرتَني أنتَ بأخذ ذلك المنديلِ عن الطَبقِ وكان فيه من أنواع الأطعمةِ ما تشتهيه الأنفسُ وتلذّ الأعينُ فشرَعُوا كلُّهم وأنتَ معهم في الأكلِ عنها.

ثم قال: أَشرْتَني بأكلي من تلك الأطعمةِ معهم، فكنتُ آكُل عنها إذا أخَذ من الطَبقِ حضرةُ النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم اللبنَ، وقال: خُذ واشرَب هذا اللبنَ فإنّه أحسنُ الأطعمةِ، فأخذتُه عن يده المباركةِ وشربتُ عنه، فالحمد لله حَمداً يُوافِي نعمه ويكافئ مزيدَه.

ثم قال لي ذلك البشير: أشرتَ أنتَ أعني: أنا بإتيان كرسِيّ آخر فجيء بكرسي ووُضِع على يمينك إذا ظهر هناك حسين أفندي الـمَمْرُوخِي وجلَس عليه.

ثم قال: أشرتَ أنتَ بآخرَ فجيء بكرسيّ أيضاً ووُضِع على يمين الممروخيّ فظهَر هناك الحاج عبد القادر الـزَّاخُوريّ وجلَس عليه، ثم أشرتَ بآخر فجيء بكرسي ووُضِع على يمين الـزَّاخُوريّ المذكور، فأشرتَ بجلوسِي عليه، فجلستُ عليه حمداً لله تعالى على ذلك.

ثم غاب عنّي هذا الحالُ، وعليه جئتُ على عالم الشهادةِ حمداً على ذلك، ثم قال لي ذلك البشير: «هذا القدرُ يكفيك من البِشارةِ والإخبارِ» انتهى كلام البشير.

فحينئذ لا تغتمَّ من إرسالِ ضيفك الحاج عبد القادر الـزَّاخُوري إلى موضعٍ آخرَ؛ لأنّي أَمتحِنُه؛ لأعلم علمَ ظهورٍ وذلك عادةُ الله وعادةُ أهلِ الله هل خرَج من اختيار نفسِه يقيناً؟ وهل يَضعها على عَتَبة باب الرضا أم لا؟ وهل يرضى

تصرّفَنا أم يفِرّ عن مرادِنا إلى مرادِه؟ ليس في ذلك الإرسال مطلبٌ غير هذا فاشكر الله تعالى شكراً وَفيراً على ذلك؛ لأنّ ذلك السالكَ إنَّما أخَذ ما أخَذ من رضاء الله تعالى في بيتِكَ ووصَل ما وصَل من الدّرجةِ في دارك، وذلك نعمةٌ لك ولأهلك، فطوبى ثمّ طوبى لك.

ولكن لا تُظهِر هذا الأمرَ إليه ولا تتكلّم لديه؛ لئلّا يقعَ في الغرور، انظرْ ما ذا يفعل الربُّ في حقِّه من بعدُ فلعلَّه يفعل ويأمر في حقّه خيراً؛ لأنِّي قد رأيتُ غيرَ هذه بِشارات في حقّه من طرفِ الله تعالى كرّات ومرّات قبل مجيئه إليّ وقبل قعودِه بين يديّ، فهذه البشارةُ علويّةٌ؛ كما لا يخفى عليّ، فلعلَّك لا تُظهِر هذا الخبرَ إلى أحدٍ من الناس إلى وقتٍ.

ثمّ لمّا لم أَجِد الفرصةَ إليّ لإظهاركم هذا الخبرَ في بيتكم؛ كما أشرتُ بذلك في منزِلكم وقتَ التحدّثِ عن أمر إرسالِه إلى منزل آخرَ وقلت لكم: أقول لكم سببَ إرسالِه من منزلكم وأتكلّم عنه معكم بيني وبينكم في السرّ.. كتبتُ هذا الكتابَ على سرعةٍ عليكم؛ ليستطيب به قلبُكم ويستريح بما فيه بالُكم، فهذا والسلام وبه ختام الكلام، حرّر في ذي الحجّة الحرام من سنة ألف وثلاثمائة وخمس وعشرين من الفقير لله تعالى الخالدي المحموديّ الأحمديّ الحاج عثمان شيخ زاده.

قال العلامة الشيخ محمد بن يحيي التادفي الحنبلي[١] قدّس سرّه في

[١] قاضي القضاة جلال الدين محمد بن يحيى التادفي الحنبلي (٨٩٩- ٩٦٣هـ) ولي قضاء الحنابلة بحلب عن أبيه وعمره تسع عشرة سنة إلى آخر دولة الجراسكة، ثم سافر إلى القاهرة فناب بمحكمة الحنابلة ثم ولي نظر وقف الأشراف بالقاهرة ثم ولي قضاء حوران من أعمال دمشق ثم عزل عنه سنة تسع وأربعين وتسعمئة فذهب إلى حماة، وألف فيها «قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر»، أخذ عن أحمد بن سراج عمر البازري والشمس السفيري، والشهاب بن النجار الحنبلي وغيرهم.«الكواكب السائرة» (٢/ ٦٠).

كتابه «قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر»: (قال الشيخ بقا بن بطو النهرمكي رحمة الله عليه: حضرتُ مجلسَ سيّدنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه مرة فبينا هو يتكلّم على المرقاة الأولى من الكرسي إذ قطع كلامه وسها ساعةً ونزل إلى الأرض، ثم صعِد الكرسيَّ وجلَس على المرقاة الثانية، فأشهدتُ المرقاة الأولى قد اتّسعتْ حتّى صارتْ مَدَّ البصر وفُرِشَت من السُّنْدُسِ الأخضر، وجلَس عليها رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين، وتجلّى الحقّ سبحانه على قلب الشيخ عبد القادر فمال حتى كاد أن يسقط، فأمسكه رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم؛ لئلا يقع ثم تصاغَر حتى صار؛ كالعُصْفورِ، ثمّ نما حتى صار على صورةٍ هائلةٍ، ثم توارى عنّي فسأل الشيخ بقا عن رؤية رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأصحابه رضي الله عنهم فقال: أرواحُهم تشكّلت وإن الله تعالى أيّدهم بقوة ينظرون بها؛ فيراهم مَن قوّاه اللهُ تعالى لرؤيتهم في صورة الأجسادِ وصِفات الأعيانِ بدليل حديث المعراجِ.

وسُئِل عن تصاغر الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ونموّه فقال: كان التجلّي الأوّل بصفة لا يثبت لبدوّها بشرٌ إلا بتأييد نبويّ، فلذلك كاد الشيخُ يَسقُط لولا تداركه رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وكان التجلّي الثاني بصفة الجَلالِ من حيث مَوصوفُه، فلذلك تصاغَر، وكان التجلّي الثالث بصفة الجمالِ حيث شاهَده فلذلك انتعش ونَما، وذلك فضلُ الله يُؤتِيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[١].

[١] «قلائد الجواهر» (ص ٧٥).

وممّا منّ الله به علي: انكشافُ الدوائرِ الثلاثِ والقوسِ وأسرارِ العوالمِ والحقائقِ الثلاث بكمال الانكشافِ، أمّا انكشافُ الحقائقِ الثلاث.. فثابتٌ؛ لأنِّي ذات يوم من الأيام نِمْتُ نوم نعاسٍ، فجاءني روحانية شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه وقال: هاتِ قَصْعةً وقلماً ومِداداً، فأتيتُها لديه، ثم كتَب أسماء الله تعالى كلّها عليها، ثم أزال نقوشَها عنها بالماء فأعطاني الماءَ وأمَرني بشُربه فشَرِبتُ جميعَه.

ثم قال: ما بقي لك مِن بعد حاجةٌ للتعلّم وقد حَصل لك بفضل الله تعالى وكرمِه الحقائق الثلاث، وهي حقيقة القرآنِ وحقيقةُ الكعبةِ وحقيقة الصلاة، وكنت وقتئذ في مراقبةِ الأخفى دَرْساً، فالحمد لله حمداً يُوافي نعمه ويكافئ مزيدَه.

ثم بعد مضيّ نحو عشرة أيّام منه لقد [لقّنني] شيخي المراقبةَ الأقربيةَ وأجازني، فالحمد لله على ذلك؛ كما مرّ التصريحُ بذلك في شرح القصيدة، فراجعه[١].

وأمّا انكشافُ الدّوائر الثلاث وأسرار العوالم.. فلِأنِّي لمّا كنتُ بفضلِ الله تعالى وكرمِه متفكّراً ومتوجِّهاً إلى الله تعالى بالكليّة بنفي جميع الخواطرِ.. رأيتُ صورةَ هلالٍ لطيفٍ؛ كالقوسِ كأنَّها على الأرضِ، وأنا أنظر إليها بعين البصيرةِ، فسارتْ تعرج فوقاً من فوقٍ حتى جاءت على مقابلة لطيفة الناطقةِ، وأنا وقتئذ متّبعاً بصيرتِي عليها إلى أين تنتهي.

ثم لما جاوزْتُ على مقابلة تلك اللطيفةِ.. نظرتُ إليها كأنِّي مستلقى،

[١] في (ص ٦٠).

ورأيتُ أنَّها صارَتْ قمراً كاملاً، وبدراً منيراً قائماً في وسط السماءِ وهي مُصحية، وحينئذ صرْتُ في خيرةِ الله تعالى ومحوه مدّةً مديدةً.

ثمّ لما ذهبتُ إلى شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه.. قَصصْتُ القصّةَ عليه بعد سؤالِه عن حالي، وتعجّب منها، وسكَت سكوتاً طويلاً، وأظهَر لي البِشارةَ مِن بعده، فالحمد لله على ذلك.

تتمة: في بيان العوالم الأربعة

قال العلامة محمّد مراد المَنزلوِيّ القَزانِي في ترجمتِه لـ«الرشحاتِ»: (العوالمُ أربعةٌ أحدها: عالم الملك، ويقال له: عالم الخلقِ وعالم الشهادةِ وعالم الناسوت، وثانيها: عالم الملكوت، وثالثها: عالم الجبروت، ورابعها: عالم اللاهوت.

أمّا عالمُ الخلقِ.. فهو عبارةٌ عن عالم الأجسامِ والجسمانياتِ وهو من محدَّبِ فلك الأفلاكِ المسمّى بالعرشِ الأعظمِ في لسانِ الشرعِ إلى مَرْكز كرّة الأرضِ، وهو عالم يتوقّف وجودُه على مدّةٍ ومادّة، وأمّا عالم الملكوت.. فهو عبارةٌ عن عالم الأرواحِ والرّوحانياتِ من الملائكة وغيرهم، ويقال له: عالم الأمر أيضاً.

وهذا العالم لا يَتوقّفُ وجودُه على مدّة ومادّةٍ، بل هو موجودٌ بمجرّدِ أمرِه تعالى بلا واسطةٍ ولا سببٍ، وقيل لهذا العالم: عالمُ الأمرِ؛ لكونه موجوداً بمجرّد أمرِه تعالى، وقيل: إنَّما قيل لهذا العالم: عالمُ الأمرِ؛ لعدم النهي فيه، بل فيه أمرٌ محضٌ، فإنَّ استعدادَ أهلِ ذلك العالم وهم الملائكة الكرام على وجهٍ لا يتطرّق إليهم اسم المخالَفة حتى يترتّبَ عليه النهيُ.

وأمّا عالم الجبروتِ.. فهو عبارةٌ عن أسماءِ الله تعالى وصفاتِه، وأمّا عالم اللاهوتِ.. فهو عبارةٌ عن مرتبةِ الذاتِ من غير اعتبار الأسماء والصفاتِ، وهذان اللَّفظانِ أعني: اللاهوت والناسوت متقابِلان ومأخوذانِ من عبارة النصارى واصطلاحاتِهم، ويُطلِقونهما الصّوفيةُ أحياناً على مرتبةِ الغيبِ والشهادة، والله أعلم) انتهى ملخصّا على المرام[١].

ثم اعلم: لـمّا كنتُ بنيتُ في لَكِيتْ بيتاً عظيماً في سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرين بعد ما هاجرتُ إليه من زَاخُور، وتمّ من يدي في أسرع وقتٍ بعناية ربّ العالمينَ وبنصرة إخوانِنا المسلمين، وذلك من جملة ما مَنَّ الله به عليّ وكتبتُ على كتابٍ في جدارٍ من بيتِي بيانَ كيفية بنائِه وأسلوبَ وضع أسِّه وأصلِه، ووقع منِّي ذلك متّفقاً على جمع هذا الكتابِ.. رأيتُ نقلَ وجهِه مناسباً إلى هذا المقام؛ ليكون تذكرةً للباقينَ وسبباً؛ لدعاء المؤمنينَ، وجه الكتابِ من أوّلِه إلى آخرهِ هذا:

«بسم الله خير الأسماء، الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتّقين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فأمّا بنعمة ربّك فحدِّث، فمما مَنَّ الله سبحانه به عليّ تغليب قلوبِ بعض عبادِه من تَلَهْ إلى قَاخ وصرفها إلينا حين بناء هذا البيتِ في إعانتِهم بنا بأمور وأشياء حيث قد أتَى بعضهم بالحطبِ؛ لأجل الحبسِ، وبعضهم قد أتَوْا بالأحجارِ، وبعضهم قد أتَوْا بالرَّمل، وبعضهم قد جاؤُوا لإعطاءِ اللبن والحجرِ والجِصّ للباني مع حملِ بعضهم طعامَهم، بل أزيد من ذلك،

[١] «رشحات عين الحياة» (ص ١٥٧).

فبإعانتهم ونصرتِهم قد تمّ في مدّةٍ قليلةٍ مثلَ ثلاثة أشهر بلا دين لا يقدر الأداء، وإلّا..فمثله مِن مثلِي لم يتمّ إلى الآن إلا في مثل ثلاث سنين، بل أزيد من ذلك كما هو مشاهَدٌ، وذلك فضل الله عليّ، فالحمد لله على ذلك.

وقد كنت أُلْهِمْتُ من قبلِ الله بذلك أي: بتمامِه في أسرع وقتٍ بنصرتِهم بعد يومٍ أو يومَيْنِ من وضع أُسِّه حيث رأيتُ في النومِ إنَّ بيتي قد أُقِيم مع تمام الجدرانِ، وأنا أمشي فيه أنظر السطحَ والباني يَضرِب قَبُورْقَهْ على سَطْحِه، فقلتُ حامداً متعجّباً كيف حسُن إقبالُ أمرِ بيتي هذا لم يمض زمانٌ من وضع أسّه وهو قد تمّ... إلخ وإلخ وإلخ، فعلى حالِه انتبهتُ عن النومِ ومنه وقَع في قلبي سرورٌ، وتكلّمتُ عند بعض الأحبّاءِ أنّي رأيتُ في حقّ أمر بيتِي رؤياً كذا وكذا، فلعلَّ أمرَه وإقبالَه يكون أحسنَ ويَتمُّ سريعاً بإذنِ الله تعالى، فكان؛ كما رأيتُ، فالحمد لله على ذلك.

فلله درُّهم وخاصّةً درُّ جماعة لَكِيتْ حيث لم يَبقَ منهم شريفٌ ولا وَضيعٌ إلا قد أقامني من يدي عند ذلك، وأعانني فيه هنالك شكَر الله سعيَهم، وغفَر [لأمواتهم]، وعمّر أحياءَهم، ورزَقهم من الطيّباتِ، وحفِظهم عن الآفاتِ، وما خلا الله بلدَهم قرناً بعد قرنٍ من عالمٍ عاملٍ يعظهم ويدعوهم إلى الخير ويَحفِظهم مما يمنعهم عن الله بحرمةِ خير رسلِ الله محمّد صلّى الله عليه وسلّم هو أكرم عبادِ الله وعلى آله هم أشرف أهلِ الله، فسبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

حرّر في ستة وعشرين يوماً من رمضانَ لسنة ألف وثلاثمائة وستّ وعشرين، وأنا الحقير الفقير أضعف عباد الله الحاج عثمان الـزّاخُورِي، ثم

اللَّكِيتِي، ولقد كنتُ نظمتُ أبياتاً تركيةً في بيان تاريخ بناء هذا البيتِ، فنقلتُ وجهَها في الكتابِ؛ لتكون تذكرةً منِّي لأولي الألباب:

خُدَى عَوْنُ اَيْلِيُبْ اِتْمِشِ بِنَابُوبَنْدَهِ نَاچِيزْ

بُوتَارِيخَهْ چَتَانْدَهْ بِيلمِزِ قُورْمَا قَهْ آنِي بِزِ

دِيُورْ لَرْمِين اُوچْ يُوزْ اِيكرِمي اوُچْدَهْ اِيدِ تَاريخِي

كِجَار قوُيْدُوق جَمْعْ اُولْدِي كُلِيًّا اَحْبَابْلرِيمْزِ تِزْ

خُلاَصَهْ اِقْبَالِي اِينْكَ كَهْ كَلْدِي جُمْلَهْ خُوبْ اُولْدِي

شُكُرْ لَرَ اُولْسُنْ اَاللهُ مُعَطَّلْ قَالْمدَوُق بِلْسِزْ

هَمَانْ اِيلْدَهْ تَمَامْ اِيدُوبْ اِچْندَه هَمْنِشِينْ اُولْدُقْ

سَعَادَتْلَرْ يَتُوشْدِي زَوْجَتِمْ دُوغْدِي اُوايِلْدَهْ قِزْ[١]

اَيَا عُثْمَانْ نِيازْ اَيْلَهْ خُدَايَه بَدْنَظَرْ حَقْدُور

كِهْ سَاخْلَسُونْ سِني اَقْرَانْ اِيلَه هِچْ دِمْكَسُونْ بِرْكُوزْ»

ومن جملة ما أنعم الله به عليّ، بل من أعظمها: أنِّي من حين كنتُ صغيراً لم أُنكِر على أحدٍ من هؤلاء القوم، بل أقول عن كلّ شيء رأيتُه عنهم، ولم أَعرِف من أحوالِهم «لعلّ هذا من العلم الذي لم يطلعني الله تعالى عليه»، فلأجل ذلك الله ورسوله أعلم، أخذتُ من روحانيات هؤلاء المشايخ ما أخذتُه، وإلّا.. فأنَّى يَصلُ لأمثالنا من أمثالهم البركةُ، وكذا كنتُ أقول في كلّ وقتٍ للإخوان: لا

[١] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «البركة في البنات». (منه).

يخلو كلّ قُطر من أقطار الأرض من الطائفةِ القائمةِ بأمر الله تعالى والسابقة في أعمال البرِّ والخيراتِ إلى يوم القيامِ، فكيف تُنكرون على أحوال هؤلاء القومِ؟! فالحمد لله على ذلك؛ كما قال الشاعر رحمه الله تعالى:

دِيمَه اَصْحَابِ دِلْ كِتْدِي جِهَانْ بُشْدُرْ صَقِينْ جَانَا
بُلُونُورْ شَمْشِ تَبْرِيزِي هَانِي اَمْثَالِ مَوْلاَنَا
كِدَنْلَرْ كِتْدِيلَرْ لَكِنْ بُودَارِي بُش بُورَاقْمَزْ لَرْ
كِدِنْچِه طَلْعَةِ نِيرْ كُلُورْ مَاهِ مُنِيرْ دَانَا

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ**»[١] هم الطّائفة القائمة بأمر الله تعالى المتمسّكة بسنّة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم، ومنهج الخلفاء الراشدين المهديّين بعده، ولا يخلو كلّ قطر من أقطار الأرضِ المعمورةِ منهم أبداً؛ كما نطَق بذلك حديث النبيّ عليه الصلاة والسلام حيث قال: «**فِي كلِّ قَرْنٍ مِنْ أُمَّتِي السَّابِقُونَ**» الحديث[٢] أي: في أعمال البرّ والخيرات إلى طاعة الله ورحمته.

ومن المعاصرين بنا في ديارنا من علماء الظاهر: أخونا الألمعيّ والفاضل الأوحدي نُور محمد أفندي ولد العالم الحاج رسول أفندي خليلنا المتبحّر وصديقنا العالم المشتهِر نجم الدّين أفندي الإيليسيّان، والقاضي عبد الله أفندي ولد الشيخ الحاج بابا أفندي القَاخِي، والحافظ

[١] أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٠/ ٣٩٢).
[٢] أورده في «كنز العمال» (٣٤٦٢٦) عن حكيم عن أنس.

الحاجّ رمضان أفندي، والحاج عبد المجيد أفندي التَّلالِيّون، وأحمد أفندي المَسْلاغِي، والحاج قربان أفندي المِشْلِشِي، ولهذا الحاج قربان أفندي [له يد] طويلةٌ في النظمِ والنثرِ يَعرِفها مَن يطالع إلى مكاتيبه، ولقد جاء منه إليّ كتابٌ مشتملٌ على أبيات نقلْتُ وجهَها إلى هذا الكتاب تذكرةً منِّي لأولي الألباب، والأبيات هذه:

أَلَا أَيُّهَا الـدُرُّ الـمَـعْـلِـيُّ الـمُـنَـوَّرُ * عَـلَـيْـكُـمْ سَـلَامُ اللهِ مَـا فَـاحَ عَـنْـبَـرُ
أَرَى فِيكَ سِيّمَا مَا يَرَى الآنَ في فَتَى * مُحَيَّاكَ يَحْكِي البدرَ بل أنتَ أنوَرُ
كَأَنَّكَ ذو النُّورَيْنِ عُثْمَانَ في السَّنا * وَأَتْبَاعُكَ الْأَخيارُ فِيمَا يُحَرَّرُ
يُسَاوِيكَ شَمْسُ اللهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا * أُفُولٌ وَلَكِنْ فُقْتَهَا لَسْتَ تَكْدُرُ
كَأَنَّ الَّذِي غَشَّتْهُ سُحُبُ الثَرَى دَعَا * لَكُمْ فَاجْتَنَيْتُمْ مِنْهُ مَا لَا يُصَوَّرُ
فَلَمَّا تَقَارَبَتِ السَّمَاوَاتُ لم تَزُلْ * أَحِبَّاكَ فِي مَدْحٍ وَهُمْ فِيكَ سُمَّرُ
وَلَكِنَّ مَدْحِي لا يَفِي مِنْكَ بِالْعُلَى * فَأَوْلَى لِي الصُّمْتُ المُصَفَّى وَأَجْدَرُ
وَلَكِنَّني لَمَّا تَنَازَعَنِي الْقُوَى * تَفَوَّهْتُ أَدْعُو بِالْمُنَى وَأُبَصّرُ
فَلَا زِلْتَ تَرْقَى فِي الْمَعَالِي مُنَعَّمَا * وَلَا آدَكُمْ خَطْبٌ وَلَا سِئْتَ تَجْبُرُ

وكذا للقاضي عبد الله أفندي القَاخِي يد طويلة في النظمِ، وله قصائدُ عربيّة وفارسية وتركية، وعندي قصيدةٌ من قصائده العربيةِ مَطلَعُها: بحمد

ربِّي شرعتُ الشعر أخدان... إلخ، فنقلتُ وجهَها إلى هذا الكتابِ تذكرةً منِّي لأولي الألبابِ، وقلتُ: بسم الله الرحمان الرحيم

بِحَمْدِ رَبِّي شَرَعْتُ الشِّعْرَ أَخْدَانْ * بِفَضْلِهِمْ بَانَ فِي الدُّنْيَا دَاغِسْتَانْ
وَبِالصَّلَاةِ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا * مُحَمَّدٍ لِعُيُونِ النَّاسِ إِنْسَانُ
وَبِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَسْتُ أَمْدَحُهُ * لِأَنَّ فِي مَدْحِهِ المَدَّاح قُرآن
وَالآلُ وَالصَّحْبُ هُمْ فِي الاِهْتِدَاءِ نُجُو * ـمُ المُسْلِمِينَ وَبِالْإِسْلَامِ مَا خَانُوا
وَبِالنَّبِيِّ أَعَانُوا كُلَّمَا دُعِيَت * وَهُمْ لَهُ خَيْرُ أَنْصَارٍ وَأَعْوَان
وَبَعْدُ لِلنَّظْمِ مَن أَهْوَى فَشَوَّقَنِي * لَهُ وَلَوْ ضَاقَ بِالْفُرْسَانِ مَيْدَانِ
وَقَدْ يَجُولُ الصِّغَارُ الرَّاكِبِينَ عَلَى الـ * ـعِيدَانِ إِذْ جَالَ فِي الْمَيْدَانِ فُرْسَانُ
كَمْ نَاظِمٍ قَصَبَاتِ السَّبْقِ أَحْرَزَهَا * وَكَمْ فَصِيحٍ بِهَا الْبُلْدَانُ قَدْ زَانُوا
حَاجِ أَفَنْدِي بِأَصْنَافِ الْكَمَالِ حَوَى * لَهُ وَقَدْ أَجْمَعَتْ بِالْفَضْلِ بُلْدَانُ
أَخْتِي بِزَيْنِ مَزَايَاهُ مُزَيَّنَةٌ * بِهِ وَقَدْ زَيَّنَتْ شُورَى تِمِرْخَانِ
وَلَا يَفُهْ حَاسِدُ الْكَاعِيُّ فِيهِ بِهِ * إِذْ فَوْهُهُ بِكَمَالٍ فِيهِ بُرْهَانُ
وَالْمِشْلِشِيُّ بِهِ الْأَقْرَانُ مَا اقْتَرَنَتْ * وَإِنْ تَبَاعَدَ عَنِّي فَهُوَ قُرْبَانُ
لَهُ الْفَضَائِلُ قَدْ شَاعَتْ بِچَارْ كَمَا * بِضَوْئِهِ قَدْ أَضَاءَتْ حَاجِ تَرْخَانِ

وَالــزَّاخُــورِيُّ لَدَيْنَا غَيْرَ مُنْكَتِمٍ * مَا قَدْ أَفَاضَ عَلَيْهِ اللهُ أَفْنَانِ
إِذَا اسْتَنَارَ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ * قُلْ فِيهِ إِنْ شِئْتَ ذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ
وَالْحَاجُّ مَسْعُودُ فِي الدَّارَيْنِ أَسْعَدَهُ * مَوْلَاهُ إِذْ فِي قَضَاهُ النَّاسُ مَا اكْتَانُوا
مُذْ كَانَ صَدْراً كَأَنَّ الدِّينَ قَدْ جَدَّدَا * وَشُيِّدَتْ لِبِنَاءِ الشَّرْعِ أَرْكَانُ
للهِ دَرُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى * أَجْرَى الْأُمُورَ عَلَى اسْتِدْعَاءِ مَا دَانُوا
وَأَمَّا الْأُسْتَاذُ لَوْ خُطَّتْ مَدَائِحُهُ * لِكُلٍّ فِيهِ مِنَ الْأَقْلَامِ أَسْنَانُ
الْأَلْقَدَارِيُّ عَالِي الْقَدْرِ ذُو شَرَفٍ * بِهِ لعَمْرِي خَرَابُ الْعَصْرِ عِمْرَانُ
وَمَا مَحَاسِنُهُ تُخْفَى وَكَيْفَ فَقَدْ * أَبَانَهَا اللهُ هَلْ لِلشَّمْسِ كِتْمَانُ
وَمَا كَمَالَاتُهُ كَمَا لَهُ اشْتَهَرَتْ * بَلْ فِيهِ مَا فِيهِ فِيهِ نُقْصَانُ
وَفَاقَ الْأَقْرَانَ فِي الْأَقْطَارِ مُشْتَهِرًا * حَتَى أَقَرَّ لَهُ بِالْفَضْلِ شِرْوَانُ
وَمَا مُسَمَّاهُ إِلَّا كَاسْمِهِ حَسَنٌ * وَأَحْسَنُ الْقَوْلِ فِيهِ الآنَ حَسَّانُ
وَغَيْرُهُمْ غَيْرُ مَنْفِيٍّ فَضَائِلُهُمْ * لَكِنَّهُ بَيْنَنَا مَا بَانَ عِرْفَانُ
يَا نَفْسُ هَلْ لَكِ مِنْ حِيرٍ يُعَازِبُهُ * يَوْماً يَشِيبُ مِنَ الْأَهْوَالِ وِلْدَانُ
إِلَى مَتَى تَشْتَهِي الدُّنْيَا لَدَيْكِ وَإِنْ * أَدْرَكْتِهَا فَهُوَ فِي التَّحْقِيقِ حِرْمَانُ

أَيْـنَ الَّـذِيـنَ أَحَـبُّـوهَـا وَزُخْـرُفَـهَـا * أَمَـا تَـكُـونِـينَ يَـوْماً مِـثْـلَ مَـا كَـانُـوا
خَـلَـتْ أَخِـلَّاءُ كَـانُـوا تَـأْلَفِـينَ بِـهِـمْ * وَفَـارَقْـتِ مِـلْـكَ إِخْـوَانٍ وَخِـلَّانِ
فَمَا تُخَالِينَ وَالْـخِـلَّانُ انْـقَـرَضَـتْ * وَكَـادَ يَـنْـفُـذُ أَمْـثَـالٌ وَأَقْـرَانُ
تُـفَـكِّـرِي لِـغَـدٍ قَـدَّمْـتِ مَـاذَا وَمَـا * عَـمِـلْـتِ يَـلْـقَـاكِ إِذْ يَـلْـقَـاكِ دِيـوَانُ
وَيْـلٌ لِـعَـاصٍ عَـلَـى مَـوْلَاهُ اجْـتِـرَاءُ * وَلَـمْ يُـبَـالِ بِـأَنَّ اللهَ رَحْـمَـنُ
نَـعَـمْ رَحِـيـمٌ ورَحْـمَـنٌ وَبَـرٌّ وَلَـ * ـكِنْ بِالمَشِيَّةِ لَا بِالْـجَبْرِ غُـفْـرَانُ
إِذْ لَسْتِ عَشْراً مِنَ الْمُبَشَّرِينَ بِجَنْـ * ـنَةٍ نَجَاتُكِ فِيهَا لَيْسَ إِيقَانِ
مِنْ رَحْمَةِ اللهِ لَسْنَا قَانِطِينَ إِذْ الْـ * ـقُنُوطُ ضَلَّ وَعَنْهَا الْبَأْسُ خُسْرَانُ
بَيْنَ الرَّجَاءِ وَبَيْنَ الخَوْفِ صَاحَ فَعِشْ * وَلَا يَـغُـرَنَّـكَ بِـالآمَالِ شَـيْطَانُ
واعْـمَـلْ بِخَيْرٍ لِـوَجْـهِ اللهِ مُبْتَغِياً * وَلَا يَكُنْ مِنْكَ بِالْعِصْيَانِ نِسْيَانُ
بِالصِّدْقِ أَرْجُـوكَ يَا مَـوْلَايَ مَغْفِرَةً * يَـوْماً يُنَبَّأُ بِـالْأَعْـمَـالِ إِنْـسَـانُ
لِـوَالِـدَيَّ وَلِـي وَمَـنْ بِـهِ شـرف * مِـنَّـا مَـدَى الـدَّهْـرِ إِسْـلَامُ وَإِيـمَـانُ
يَـا رَبِّ الْأَذْنَـابُ وَالْعِصْيَانُ دِيدَنُنَا * وَمِـنْـكَ لِلْمُذْنِبِيـنَ الْعَفْوُ دِيدَانُ
لَـوْ غَيْرُ بَابِكَ بَـابُ كَـانَ مَلْـجَـؤُنَـا * بِـهِ الْتَجَأْنَا وَمَـا فِـي الْـكَـوْنِ إِمْـكَـانُ

وَلَـوْ سِـوَاكَ عَـفُـوّاً كَـانَ نَـدْعُ بِـهِ * وَفِـي الْـمُـقَـدَّمِ لَـكِـنْ بَـانَ بُـطْـلَانُ
عَلَيْنَا الْإِيمَانُ فَضْلٌ مِنْ لَدُنْكَ وَأَيـْ * ـضاً مِنْ لَدَيْكَ لَنَا التَوْحِيدُ إِحْسَانُ
لَـعَـلَّ فَـضْـلَـكَ عَـنَّـا لَا يَـرُدُّ هُـمَـا * وَهَـلْ يَـرُدُّ الْـعَـطَـايَا مِـنْـكَ مَـنَّـانُ
مَـحْـزُونٌ وَاخْـتِـمْ كَلَاماً أَنْـتَ قَائِلُهَا * لَـوْ طَـالَ مَـلَّ وَلَـوْ أَمْـلَاهُ سَـحْبانَ
مِـنَ الْأَفَـاضِـلِ أَرْجُـو أَنْ تُـخَمَّسَ مَـا * سَـوَّدْتُـهُ بِـقَـبُـولٍ فِـيـهِ لَــوْ حَـانُـوا
فِي وَاخْتِمِ الْخَتْمَ إِنْ كَانُوا تَخَمُّسَ مِنْ * نَظْمِـي وَيَـا نَـفْسُ لِلتَّخْمِيسِ عُنْوَانُ
بِـالْخَيْرِ كَـانَ مُـرَادِي مِنْهُ تَـذْكِـرَة * مِنْ بَعْدِ مَوْتِي إِذَا أَنْسَانِي الْأَزْمَـانُ
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى خَيْرِ الْخَلَائِقِ وَارْ * زُقْـنَـا شَـفَـاعَـتَـهُ آمِـيـنْ إِخْــوَانُ

انتهت.

وقد خمّسها أخونا الصغير العالم الفاضل وتلميذنا الماجد الكامل الحاجُ عيسى أفندي الخياغي رحمه الله الباري مبتدأ من متمنّى الناظم رحمه الله تعالى مختتماً به: (في واختِمْه) كما تمنّاه عنه، ولكن ما نقلتُ وجهَه بالكتابِ خوفاً عن الإطنابِ.

وأما العلماء المعاصرون بنا من الدّيار البعيدة عنّا.. فكثيرون كثّر الله تعالى سوادَهم إلى يوم القيام، وأمثلُهم طريقةً العلامة المحقّق والفهّامة المدقّق حسن أفندي الكُورِيّ الأَلْقَدَارِي رحمه الباري، وله يدٌ طويلةٌ أيضاً في النظمِ والنثرِ وما يُقارِنه أحدٌ من معاصرِيه في ذلك، وله قصائدُ كثيرةٌ فصيحةٌ بليغةٌ عربيةً كانت أو فارسية أو تركية مثل قصائد العرب العَرباء.

ومن قصائدِه العربيّةِ ما وَصلَتْني منه وما رثا بها حين سمع نعيَ القاضي المرحوم العالم الشهير حاج عبد المجيد أفندي الشِّرْوَانِي:

تَبَارَكَ يَا مَنْ بِالْبَقَاءِ تَوَحَّدَا * وَبِالْمَلَكُوتِ الْأَبَدِيِّ تَفَرَّداً
وَمِنْ لُطْفِهِ لِلْخَلْقِ عَمَّ وَحُكْمُهُ * عَلَى حُكْمٍ قَدْ صَيَّرْتَنَا تَمَهّداً
وَمَنْ قَدْ مَضَى مَوْتاً عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ * لِيَبْلُغَهُمْ مَا قَدَّمُوهُ لَهُمْ غَداً
فَمِنْ ثَمَّ عَدَّ الْمَوْتَ أَهْلُ سَعَادَةٍ * طَرِيقاً بِهِ يَلْقَوْنَ لِلصِّدْقِ مَقْعَدَا
كَحَضْرَةِ شَيْخٍ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ * نَعْيُهُ أَبْكَانِي وَمِنْ عِنْدِي انْتِدَايِ
إِمَامٌ تَحَلَّى بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا * وَكَانَ لِأَهْلِ الدِّينِ قُطْباً وَمُقْتَدَى
وَعَاشَ حَمِيداً فَوْقَ سَبْعِينَ حَجَة * مُجِدّاً لِحِفْظِ الشَّرْعِ عَن شَرَرِ العِدَى
وَكَانَ لِأَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ جَامِعاً * وَكَانَ لِأَنْوَاعِ الْفَوَاضِلِ مَوْرِدَا
وَكَانَ خِضَمّاً فِي الْعُلُومِ جَمِيعِهَا * إِذَا اهْتَمَّ فِي التَّدْرِيسِ أَبْدَى الْفَرَائِدَا
وَكَانَ بَلِيغاً مِثْلَ سَحْبَانَ لَيِّنَتْ * مَوَاعِظُهُ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلُ جَلْمَدَا
وَكَانَ بِشِرْوَانَ رَئِيسَ قُضَاتِهَا * وَزُيِّنَ فِيهِمْ بِالْعَدَالَةِ مُسْنَدَا
وَزَادَتْ شِمَاخَى مِنْ مَقَامِهِ شَمْخَةً * كَرَوْضٍ أَرِيضٍ غَاثَهُ الْوَبَلُ وَالنَّدَى

وَدَبَّـرَ فِـي تَجْدِيدِ مَسْجِدِ جـامـعٍ * وَمَـدْرَسَـةٍ فِـيهَـا إِذَا مَـا تَـبَـدَّدَا
هُوَ الزَّائِرُ الرَّبْعَيْنِ فَـرْضـاً وَسُنَّـةً * أَفَنْدِيُّنَا عَبْدُ الْمَجِيدُ الْـمُـمَـجَّدَا
فَـوَاحَسْرَتَـا وَاكَـرْبَتَـا وَاتَـلَـهَّـنَـا * عَلَى فَقْدِ أَهْـلِ الدِّيـنِ مِثْلِهِ مُرْشِداً
بَـلِ الْـحُـكْـمُ لِـلَّـهِ الْـعَـلِـيِّ وَأَنَّـنَّـا * لَـهُ وَإِلَـيْـهِ رَاجِـعُـونَ كَـمَـا بَـدَى
إِلهي بِلُطْفٍ مِنْكَ طَيِّبْ ضَرِيحَهُ * وَرَوِّحْ بِـرُوحٍ مِنْكَ رُوحَـهُ سَرْمَدَا
وَبَـوِّأْهُ فِي أَعْلَى الْفَرَادِيسِ مُلْحَقًا * بِأَسْلَافِهِ الْأَبْـرَارِ طَابُـوا مَرَاقِدَا
وَافْـرَغْ عَلَـى أَوْلَادِهِ وَعِـيَـالِـهِ * وَإِخْـوَتِـهِ صَـبْـراً جَـمِـيلاً مُسَاعَداً
وَأَعْظِمْ لَهُمْ أَجْراً وَأَحْسِنْ عَزَاءَهُمْ * وَكُنْ لَـهُـمْ فِي النَشْـأَتَـيْنِ مُـؤَيَّدَا
وَوَفِّقْ جَمَاعَاتٍ هُنَالِكَ أَنْ يَقْوَا * وَصَايَاهُ بَلْ أَنْ يَجْعَلُوهَـا قَـلَائِدَ
بِـجَـاهِ إِمَـامِ الْأَنْـبِـيَـاءِ مُـحَـمَّـدٍ * وَآلٍ وَأَصْـحَـابٍ لَـهُ أَنْـجُـمُ الْـهُـدَى
وَصَـلِّ عَـلَـيْهِ وَعَـلَـيْهِـمْ مُسَلِّماً * وَزِدْ رَبَّـنَـا الْإِسْـلَامَ نَـصْـراً مُـجَـدَّدَا
رَثَى الْأَحْقَرُ الْمَمْنُونُ حَضْرَةَ خِدْنَهْ * إِذَا صَغُرَ مِنْ عَامٍ غشكو[١] تَجَدُّدَا

انتهت.

ثم اعلم: أنَّ لهذا الفقيرِ أيضاً يداً مّا في نظمِ الشعرِ، ولقد كنتُ أنشأتُ

[١] أي: (١٣٢٦هـ).

فيما مضى من الزمان قصيدةً نونيةً في مقابَلةِ قصائد بعض إخوانِنا المعاصرين على حسبِ ما يقتضيه المقامُ والمقالُ؛ إذ لكلّ مقام مقالٌ ولكلّ ميدان رجالٌ، وقُرأتْ عليّ حينئذ ما قرَأه الشيخ الشهير محمود أفندي قدّس سرّه عليه حين أراد إنشاءَ قصيدةٍ فارسيةٍ في مدحِ سيّد المرسلين محمّد صلّى الله عليه وآله أجمعين، مَطْلَعُها:

رُوحِي فِدَاكَ أي: صنم إلى آخرها

پَهْلَوَانْ لاَرْبَادِ پَادِپَا لَرْ سَكْرَدَنْدَهْ هَرْطَرَفْ

طِفْلِ هَمْ جَوْلاَنْ اِيدَرْاما اَغاجْدَانْ اَتِى وَارْ

والقصيدة هذه:

يَـا أَهْـلَ سـرٍّ فَـلَـنْ يَـسِرَّ رَحْـمَـنُ * إِلَّا عَـبِـيـداً هُـمْ الَّـذِيـنَ قَـدْ كَـانُـوا

مُسْتَغْفِرِينَ مِنَ الذُّنُوبِ مَعْ نَـدَمٍ * عَلَى مَعَاصٍ خَلَتْ مِنْهُمْ وَمَا خَانُوا

مُسْتَعْمِلِينَ بِمَـا أَتَـى الْكِـتَـابُ بِـهِ * مُـصَـدِّقِـيـنَ رَسُــولاً وَهُــوَ أَمَــانُ

مُـحَـرِّمِـيـنَ حَــرَامَ اللهِ لَـيْـسَ لَـنَـا * تَـحْـلِـيـلُ مَـا حَــرَّمَ الإلَــهُ خِــلَّانُ

لَا أَهْلُ مَقْتٍ وَمَنْ لاَ عَوْدَ عَنْ مَقْتِهِ * يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ زَعِماً وَهُوَ حَنَّانُ

يَـا أَهْـلَ فَـرَحٍ وَالْـفَـرَحُ لَـيْـسَ لَـنَـا * مَـا دَامَ فِـيـنَـا مَـعَـاصٍ سَـاءَ دَوْرَانُ

أَنَـحْـسِـبُ أَنَّـنَـا خَـلَّاقٌ خَـلَّـقَـنَـا * ولا إِيــابَ إلـيـه بــان إخــوان

مَجِيءُ يَوْمٍ عَظِيمٍ هُوَ لَهُ عِظَماً * طُوبَى لِمَنْ وَفَّرُوا الْيَوْمَ مِيزَانَ
يَوْماً يُنَادِي الْمُنَادِي أَهْلَ عَشْرَةٍ * هَذَا جَزَاءُ الَّذِي أَتَاهُ بُرْهَانُ
فَالْآنَ بَادِرْ وَعَاجِل يَا أَخِي لِغَدٍ * واللهِ قَدْ تَحْزُنُ الْإِنْسَانَ تِيجَانُ
اللهُ أَدَّبَنَا بِالْعِلْمِ أَكْرَمَنَا * فَالْعِلْمُ نُورٌ وَنُورُ النُّورِ رَيْعَانُ
بُشْرَى لِمَنْ أُدِّبُوا آدَابَ عِلْمٍ هُمُ * إِخْوَانُ أَهْلِ الصَّفَى فَاللهُ غُفْرَان
حَتْماً لَنَا حَمْدُ مَنْ أَلْقَى إِلَيْنَا بِهِ * فَإِنَّ مَعْلُومَكُمْ الْعَبْدُ شَكْرَان
فَنِعْمَ جَمْعُ الَّذِي للهِ قَدْ جَمَعُوا * لَا الْجَاهُ وَالرُّتْبَةُ مَا دَامَ أَزْمَانُ
وَقَدْ أَحَاطَ نِقَابٌ عَنْ بَصَائِرِنَا * ثِمَارُ أَشْجَارِهَا وَطَارَ أَغْصَانُ
لَا شَكَّ مُرْشِدُكُمْ حَاجِي أَفَنْدِي حَوَى * جَمَّ الْفُنُونِ وَشَاعَ الصِّيتُ قُرْبَانُ
طَالَتْ مَنَاقِبُهُ شَالَتْ مَأْرَبُهُ * ضَاءَتْ شَمَائِلُهُ مُذْ وَهُوَ سَحْبَانُ
كَذَا الْخَلِيلُ لَنَا مَسْعُودُ قَاضِينَا * حَازَ الْعُلُومَ أَلَا بَلْ وَهُوَ رَيْحَانُ
لَوْلَا كَذَا لَمْ يُنَادِ الْخَلْقُ قَاطِبَةً * إِلَيْهِ مُفْتِيَ الدِّيَارِ دَارَ رُجْحَانِ
اللهُ أَسْلَكَهُ بِالْفَضْلِ مَسْلَكَهُ * أَنَارَ مَرْقَدَهُ حَنَّانُ مَنَّانُ

يَا رَبَّنَا عَبْدُكَ الرَّاجِي أَتَاكَ رَجَا * ءَ مِنْكَ مَغْفِرَةً إِذْ أَنْتَ رَحْمَنُ
لَيْسَ الْمُرَادُ بِإِدْخَالِ الْجِنَانِ فَهَا * بَلْ مَقْصِدِي مِنْكُمُو يَا رَبِّ رِضْوَانُ
يَرْجُو إِلَيْكَ إِلَهِي حِينَ سَكْرَتِهِ * يَدْعُوكَ بِإِحْسَانِهِ وَدَاعٍ عُثْمَانُ

انتهت وبالخير تمّت، فلله الحمدُ على ذلك.

ثم اعلم: أنَّ شَيْخَنا التَّلَالِيَّ قُدِّسَ سِرّه كان ذا كشوفاتٍ ظاهرةٍ وكراماتٍ باهرةٍ، فكراماتُه شهيرةٌ عند معاصريه، وإن لم أعلم كثيرَها ومُعظمَها، ومِن أجلِّها ما قال لي مشافهةً حين كوني معه في قَاخْ في بيتِ القاضي عبد الله أفندي ولد الشيخ الحاج بَابَا أفندي القَاخِي قدّس سرّه: «من تسخيرِ الله[١] له الهُدْهُدَ ومجيئِه إلى يدِه حين تفرّج مع رفقائِه وإخوانِه في الميدانِ الذي أمام آغ مسجد في المَالُو حين كونِهم فيها لَدَى شَيخِهم محمود أَفَنْدِي قُدِّسَ سرّه، وقال لرفيقه ملا حمزة الـزَّاخُورِي بعد ما نظر عليه بطريق امتحانِ قدرةِ الله تعالى وقام على موضعِه: يا هذا خُذْ هذا الهُدْهُدَ، وكان يَنظُر إلينا بعدَ ما وقَع بَصرِي عليه بذلك الخَيالِ ولا يَفِرُّ عنَّا كالطيرِ المعلَّم قال الرفيق المذكور: هل يقوم للأخذِ؟ قلت: يقوم بقدرةِ الله تعالى إن شاء الله تعالى، فأخَذ وضَمَّ يدَه خوفاً من هربِه، وأعطى الآخر فأخَذ هكذا ثُمَّ وثُمَّ حتّى وصَل النوبةُ إليّ فأخذتُه، ووضعْتُ في الراحةِ بلا ضمِّ الكفِّ،

[١] أي: كما سخّره الله تعالى لسليمان عليه السلام وهو طائر معروف ذو خطوط وألوان كثيرة، وكنيته أبو الأخبار، وأبو ثمامة، وأبو الربيع وأبو روح، وأبو سجاد، وأبو عباد وأنه يرى الماء في باطن الأرض كما يراه الإنسان في باطن الزجاجة، وله قصة عجيبة مُبيّنة في «حياة الحيوان» في الجزء الثاني منه في باب الهاء، فراجعه. (منه).

وقام فيها مقدارا ينظرني، وأنا أنظر إليه وأتكلّم معه بالحالِ والقال؛ كما أنَّ بيني وبينه أُنْسِيَّة قبليّة ثمّ أذنْتُ له وقلتُ: يا حيوانَ اللهِ فاذهَبْ فقد أَذِنْتُكَ، فذَهَبَ وطار» انتهى ما قال رفع الله درجته، آمين.

ومثل هذه وَقَعَتْ لي ببركتِه حين أذهَبُ أنا وأخونا مصطفى أفندي لَدَيه إلى قرية كُلُّوكَ لحملِه إلى قرية لَكِيتْ حيث صادَفْنا ثَعلباً في وسَطِ الجادّةِ الكبيرةِ الباتشاهية في بُقعة زَرْنَهْ وصرخنا له صرخةً من بعدٍ ليفرّ فلم يفرّ بذلك، فمتى قصَدْنا إلى صوبِه يَفرُّ إلى أسفل الطريقِ، وإذا قصَدْناه من أسفله يفرّ إلى أعلاه، وهكذا فَعَلْنا به مراراً ثم ترَكْناه على حالِه وذَهبْنا إلى مقصدنا وهو في وسط الطريقِ.

وهذا أيضاً من كراماتِه قدّس سرّه، ومثلها وقَعتْ عن الشيخ عبد القادر الجِيلَانِي قدّس الله سرّه حيث قال الشيخ محمد بن الهَرَوِي: (تكلّم الشيخ عبد القادر يوماً في مجلسه فتداخل بعضُ الناسِ فترةً فقال: «لو أراد الله سبحانه أن يُرسِل طيوراً خضراً تسمَعُ كلامِي.. لفعَل فلم يُتِمَّ كلامَه حتى امتلأ المجلس طيوراً خضراً يراها من حضر قال: وتكلّم على الناس يوماً في قدرةِ الله تعالى وغمر الناس من كلامه هيبة وخشوع فمرّ بالمجلسِ طائرٌ عجيبُ الخلقةِ، فاشتغل بعضُ الناسِ بالنظرِ إليه عن سماع كلام الشيخ فقال: وعزّةِ المعبودِ لو شئتُ أن أقول لهذا الطائر: مُتْ قطعاً قطعاً.. لمات قطعاً قطعاً، فأتمّ كلامَه حتى وقَع الطيرُ إلى أرضِ المجلسِ قطعاً) انتهى[١].

ومن كراماته: ما أخبرني به غيرُ واحدٍ أنّه لما ذهَب إلى زيارةِ الشيخِ

[١] «قلائد الجواهر» (ص ٧٥).

قافلان بابا قدّس سرّه حين كونِه في قرية كَيْنُوك.. انفلق له نهرُ قرية شَن[١] حين ضرَبه بعصاه كما انفلق البحرُ لموسى عليه السلام وكان كبيراً وقتئذ ثم لمّا مر مع جميع رفقائه.. جرى على عادته.

وكان إخوانُه قبل ذلك على قَلَقٍ منه يقولون في قلوبهم كيف نَمُرُّ من ذلك النهر، وكان يقول لهم: فاصبرُوا إنَّ الصبرَ أجملُ، ثم لما رأوا.. آمنوا له واعترفوا على وِلايته؛ كما آمنوا بل ازداد إيمانُهُم على ولايته رفع الله درجتَه، آمين.

ثم إنَّ هذه الكرامةَ مما أعطاه الله تعالى لِنبيّ من بني إسرائيل موسى عليه السلام؛ كما هو في القرآنِ وما قبلها مما أعطاه جلّ سلطانه لنبيه سليمان عليه السلام؛ كما لا يخفى على ذوي الأفهامِ، فالحمد لله ثم الحمد لله على ذلك.

ومن كراماته: أنه آتى إلى قرية تَلَهْ عيوناً كثيرةً من مواضع شاقّة؛ بحيث لا يعتقد عقولُ الناسِ على إمكانِ إتيانها من تلك المواضعِ حتى سمعتُ كان منهم مَن يقول: لو أمكن إتيانُ تلك العيونِ من تلك المواضعِ.. نحن نحلق الشواربَ واللحى ثم فرّقها إلى قبائل متفرّقة ومواضع مختلفة منها.

ومن كراماته: أنّه بنى في قرية تَلَهْ جامعاً كبيراً كجوامع بلدة إسلام بول؛ بحيث لا يَقدِرُ أن يصفه الواصفون ويمدَحه المادحونَ مع تكلّم كثير من الناسِ وإنكارهم على إمكان تمامِه ووصول قوّة الجماعةِ عليه مُبتدئاً من وضع الله وأصله إلى تمامِه حتى أنكر عليه واحدٌ ممن يدّعي المشيخةَ ويقول

[١] قوله: شن قرية في أسفل الجبل في طريق. (منه).

وهو يمشي في القُرَى: لم يبق في هذه الديارِ مرشدٌ غيرِي وشيخ سِوَاي أعني به: يوسف بابا وعن قريبٍ يأتي البيانُ ببسطِ الكلامِ في حقّه، فراجعه إن شئت غاية البيان سَتَرى فيه العجائب؛ إذ ليس هذا الموضعُ مقامَه.

ولكنه قدّس سرّه كان يقول للناس مِن محبّيه حين نقَلوا إليه كلامَ المنكرينَ وما تكلّموا في حقّه: إنّي رأيتُ في عالم الأرواحِ في ذلك الموضعِ جامعاً وصلَّيتُ فيه مرّاتٍ في ذلك العالَم، فهو يكون بلا شكّ ولا تنظروا إلى أفواه الناسِ وما تكلّموا في حقّه مِن قال وقيل.

وكان يقول أيضاً: إذا جاء إليه داعٍ إلى الله تعالى على طول عمرِه لأجل تمام المسجدِ: «أيّها الرجل ويا أيها الداعي لا ينظر الأجلُ إلى تمام المسجد، ولكنّ المسجد هذا وإن متُّ؛ فلا يبقى إن شاء الله تعالى بلا تمام[١]؛ لأنّي رأيته في عالم الأرواح كم مرّات وكرّات» انتهى.

يقول الفقير: اعلم: أنَّ الكُمَّلَ من الأولياءِ لا يَفعَلون شيئاً مّا من أمورِ الدينا إلا بعد الاستخارةِ التامّةِ ولا يُقدِمون لأمرٍ منها إلا بعد رؤيتِهم ما قَدِمُوا في عالم الأرواحِ بحالٍ من الأحوالِ، وأما بعد ذلك.. فيُقدِمون لذلك الأمرِ وهو لا يبقى بلا تمامٍ بإذن الله تعالى.

ثم اعلم: أنّه وضع في حقّ ذلك الجامع نقداً كثيراً وكذا وضع نقداً كثيراً في حقّه زيادةً من ألف مناة مريدُه الكريم ابن الكريم الحاج عيسى التَّلَالِي وسَعَى ذلك الرجلُ في تعميرِه بالنفسِ والمال، شكَر الله سعيَه وجَزَى له جزاءً حسناً ورزَقنا وله شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

[١] وقد تمّ بعد مماته؛ كما قال بيد ابنه الكبير الحاج محمّد أفندي. (منه).

وشفاعة أصحابه وأتباعه، وشفاعة أوليائه وعلمائه وشهدائه، آمين اللهم آمين.

وكذا بُنيْت بعنايتِه وبركة دعائِه المساجد في سائر القُرَى مِن ديارنا فنعم ما قيل:

مِنْ صِدْقِهِ وَتُقَاهُ فَانْظُرْ يا فَتَى * كَمْ مِنْ زَوَايَا عُمِّرتْ وَمَسَاجِدُ

وَمَدَارِسُ دَرَسَتْ فَأَحْيَاهَا بِذِكْـ * ـرِ اللهِ مُذْ وَافَى وَقَامَ الْقَاعِدُ

وَبِهِ طَرِيقَتُهُ الْعَلِيَّةُ قَدْ نَمَتْ * مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ أَتَاهَا الْوَافِدُ

انتهى ملخَّصاً على المرامِ.

ومن كراماتِه: ما سمعتُه من قريبِه بُولات حاج التَّلَالِي حيث قال لي: إنَّ الشيخَ قدّس سرّه قال لي قبل شهرٍ من موتِه: يا بولات حاج لا تترك مجيئك لديّ بعد هذا اليومِ وقتاً فوقتاً؛ إذ قد قَرُبَ أَجَلِي، الله ورسوله أعلَمُ، هل يَمضِي مدّته[١] عن شهرٍ أم لا؟

ومن كراماته: أنَّه أشار بقربِ أجلِه وبموتِه عن قربٍ مرّاتٍ كرّاتٍ، وذلك أنَّ أُمّنا وأمَّ جميع مؤمني عصرِنا حاجة عاشور أي: زوجته قالتْ لي: إنَّه قد كنّا جلسْنا وقتَ الصبحِ قبلَ يومٍ من مرضِ موتِه لشرب الشّرَابِ المعهودِ ومعنا حلّاقه أوسته إلياس الكُلُّوكِي قال زوجي وشيخكم قدّس سرّه: جِيئُوا نتكلّم كلّنا ما رأيت في الواقعةِ، قلت له: أوّلاً يا سيدي ما رأيته رؤيا، وكذا

[١] أي: فمات في أثناء تلك المدّة؛ كما قال. (منه).

قال أوسته إلياس له: لم أر شيئاً ثم قال: إنِّي أَرى مبتدئاً من ليال ثلاث متتابعة الهجرةَ والسفرَ من هنا، فبه وقَع فينا الجزعُ والبكاءُ حتى بكَى هو رحمه الله تعالى وبكيْنا مُدّةً ثم تسلَّى لي ولمن معي ونصَح لي وقال: يا حاجة خانم نحن نُهاجِر ونُسافِر إلى إسلام بول فما رأيته في النومِ هذه الهجرة وليس سواها فالصبرُ أجملُ.

وكذا كان يُقرَأ في تلك الأيام لابنِه الصّغيرِ مُلا عبد الله[١] كتابُ «محمدية» من الهجرة أي: هجرة النبي صلّى الله عليه وسلم ويستمع إليه إلى أن ينتصف الليلُ، وكان يوصي لأولادِه ولي بوصايا عزيزة كذا وكذا وقد اشترى موضعَ دفنه قبل مرضِ موته بقليلٍ.

ومِن إشاراتِه بموتِه عن قربٍ: ما قاله أيضاً لبعضِ إخوانِنا أخينا الصّغير حاج قربان أفندي وحاج ملا حاج أفندي الجَنِغِيَّيْنِ حين ذهَبا لزيارتِه تجيئان يومَ السبتِ ثم ظَنّا أنه يدعوهما في ذلك اليومِ للتوجّهِ غيرَ أنّه يقول لهما في ضميره: إنِّي مشغولٌ بحالِي مع اللهِ جلَّ سلطانُه وكبرياؤه فلا مجالَ لتوجّهكم فلا تجيؤونَ مِن بَعدِي لديّ للتوجِّه إلا أنَّكم تجيؤون في يوم السبتِ للتعزيةِ ولخبر وفاتي.

وهذا الفقير لمّا رأَى من طرفِه ما رأَى من ذهابِه مع المرحومِ مِن أعزّ خلفائِه حاج شِرين أفندي الكُلُّوكِي قدّس سرّه في فَيْطون واحد مع قولِ حاج شِرين أفندي المذكور له حين أرادَ الركوبَ والذهابَ معهما في الفَيطون: يا عثمان أفندي نحن مَثْنَى فالمثنى لا يُجمَعُ ومن رؤيةِ موتِ مثلِه عَياناً،

[١] مات رحمه الله تعالى في شهر شوال من سنة ألف فثلاثمائة وسبع وعشرين. (منه).

ووضْعِه بين يدي إمامِه للقراءةِ والذكر مع ناسٍ كثيرٍ ولم يستقرّ قلبُه بسبب رؤية مثل هؤلاء الأحوال عن ذلك من طرفه ولم يسكن.. كان مسافراً إلى قرية كُلُّوكَ يوم الخميس بنيّة الزيارةِ على عتبة داره وترابِ أقدامه، فلما قالوا ما قالوا.. كان وقَف للذهابِ معهم في اليومِ الموعودِ لهم نظراً؛ لالتماسهم ثم جاء خبرُ موتهِ قدّس سرّه إليه فيها، وإلا.. ليصل لديه في حياتِه ويقبّل يديه ولو في سَكَراتِه، فليس[١] ذلك على الله بعزيزٍ، ولكن يجب علينا الرضاء على ما جرَى به قلمُ القضا.

وكان هذا الفقيرُ قبلَه بسيرٍ قد رجَع من كُلُّوكَ مرّتين وقتَ ذهابِه إلى زيارتِه بوقوع ثَلْجٍ عظيمٍ واللهُ تعالى على ما نقول به شهيدٌ، وكذا أخبرَنا الحاجّ عبد الله أفندي ولد الحاج شِرين أفندي: أنَّ شيخَنا قد بكى لدَيْنا وتقاطَر دموعُ عينيْهِ قبلَ يومٍ من مرضِ موتِه ومعي حينئذ القاضي عبد الله أفندي القَاخِي بتذكّره الأيام الماضية مع شيخِه محمود أفندي قدّس سرّه ورفيقه الحاج بابا أفندي في قاخ وقال: ذَهَبا إلى تحت الترابِ ونحن على قصد الذهابِ خلفَهما؛ فلا تبقى هذه الدَّنيَّةُ لأحدٍ ولا يكون سالمٌ فيها ولو نبيّاً من الأنبياءِ وبعدَه مات إلى ثلاثةِ أيامٍ ولم يَمضِ عنها رحِمَ الله رحمةً واسعةً عليه وعلينا وعلى جميع المسلمين وأعاد علينا من بركاته وبركات آبائه وأَحبّائه من يومِنا إلى يوم الدّينِ واحْشُرْ تحت لوائِه بحرمته وبحرمة مَن له العزّ والشرف، والمقام المحمود عنده تعالى، آمين اللهم آمين يا جامع المشتاقين.

ومن كراماته: ولو بعدَ وفاتِه ما رأيته أوسته لَلَهْ بن لله حاج التّلَالِي هو

[١] الفاء للتعليل؛ كما لا يخفى. (منه).

من بعض أمنائِه[١] وما تكلّم عنه عند هذا الفقير مِن أنَّه قد مرِض بعد سنةٍ من موته قدّس سرّه بمرضٍ شديدٍ، وكان قد يئس أهلُ بيتِه عنه لأجلِ شدّة مرضِه فحينئذ يوماً من الأيّامِ قال لي: رأيتُ من كرامةِ شيخنا في ذلك المرض حين اليقظةِ أنَّ شيخَنا قد جاء لعيادتِي ومعه رجلٌ أبيضُ اللِّحْية جميلُ الوجه، فدعَاني شيخُنا التَّلَالِي قدّس سرّه باسمِي وقال لَلَهْ قلتُ: ما تقول يا أفندي أوسته؟ قال: كيف أنتَ؟ قلتُ: الحمد لله قال: لا تخف إنّك تصحّ من هذا المرضِ وتبرأ بإذن الله إن شاء الله تعالى ولك في الجنة قصرٌ ونصفٌ من قصورِها، فعلى هذا الحالِ دخَل رجلٌ من رجالِ أقربائِنا في البيتِ.

فلمّا نظرْتُ إليه.. رأيتُ أنَّهما قد غابا عن بصرِي وقلتُ له: لِمَ لم تجئ سريعاً؟ إنّ أفندي أوسته قد جاء لعيادتي مع رجلٍ وذَهبَا الآنَ فبعدَ ذلك نِمْتُ نومَ نعاسٍ، فجاء وفدٌ من أهل القلوبِ أيضاً حملُوني فوقَ جبلٍ عالٍ ووضَعُوني في تَلٍّ مبارَكٍ منه ثم غابُوا.

ثم جاء رجلٌ آخرُ أيضاً قلتُ له مَن أنتَ؟ قال مِن مخلصِي شيخِكم حاج أحمد أفندي التَّلَالِي قدّس سرّه قلتُ: أيُّ موضعٍ هذا؟ قال: هذا مقام رجال الأربعين وأنا سيّدهم قلت: من أيّ وِلاية أنت؟ قال: ولايتي بعيدة مِن هنا قلتُ: ما اسمُك؟ قال: اسمي إبراهيم دِبِرْ ألا تعرِفُني إنِّي رأيتُكَ في بيتِ الشيخِ قلتُ: فمَن تَعرِفْ من ديارِنا من خلفاء شيخِنا التَّلَالِي قدّس سرّه قال: مَن تُريد منهم وهل تَعرِف حاج عثمان أفندي الزَّاخُورِي ثم اللَّكِيتِي؟ قلتُ: أَعْرِفُ.

ثم قال أوسته لَلَهْ لي عند حكايتِه إليّ هذه الحكاية: بَرَزْت أنتَ يا حاج

[١] أي: الشيخ. (منه).

عثمان أفندي عند ذلك في ذلك المقامِ وصافحتُ معَك، وقال ذلك السيد: هذا حاج عثمان أفندي قلتُ: غير هذا قال: هل تعرِفُ الحاج مصطفى أفندي الملَاخِي قلتُ: أعرف فظهَر في ساعةٍ من بُعدٍ وقال: انظر هُناك وهو حاج مصطفى أفندي ولم أُصافِح معه لقيامِه في بُعدٍ.

قلتُ: غيرُ هذا هل تَعرِف موسى أفندي الكُويْنُوكي؟ قلتُ: أعرفُ قال: انظُرْ هناك وذلك هو فرأيتُه أيضاً من بعدٍ قلتُ غير هذا، قال: هل تَعرِف عبد السلام أفندي الخَاچْمَازِي؟ قلتُ: أعرِف، قال: ذلك هو، فرأيتُه أيضاً يجيء من بُعدٍ قلتُ: غير هذا، قال مَن تُريد؟ قلت: شُعَيْب أفندي البَاكِنِي وعبد الوهّاب أفندي الـزَّاخُورِي وموسى دِبِرْ القَرَنِي قال: إنَّ شعيب أفندي وعبد الوهاب أفندي المذكورين لم يَصِلَا إلى هنا إلى الآن، وأما موسى دبر.. فقد كان وصَل إلى هنا وبعد مدّةٍ طرَده الله تعالى من هذا المنزل؛ فلا أعلم سرّه.

ثم قال أوسته لَلَهْ المذكور: «أنتَ وذلك الرجلُ أنزلْتماني وأوصلتماني إلى أسفلِ هذا الجبلِ وقلتماني: اذهَبِ الآنَ إنَّ هذا الطريقَ يذهَبُ إلى بيتِكم مستقيماً، ثم أفقتُ ورأيتُ أنّي في بيتِي ورجَع مرَضي وشرعتُ إلى الصحّةِ بعد ذلك، وكنتُ صحيحاً، فالحمد لله ثم الحمد لله، هذا أصلُ واقعتِي ليس فيه خلافٌ فمَن شاء.. فليؤمن ومَن شاء.. فليكذّب، إنَّه علّام الغيوب» انتهى كلامه اللطيف.

فبرَزَ اللهُ له كلّ ذلك لأجلِ فرط محبّتِه لذلك الوليّ كرامةً له منه يُمكِن أن لا يكونَ فيه خلافٌ، وهذه من خواصّ كُمَّلِ الأولياءِ ومناقبِهم قدَّس الله أسرارَهم حيث كتَب الفاضل محمّد مراد الـمَنْزَلَوِي القَزَانِي في ترجمته لـ«الرشحاتِ»

في مناقب عبد الرحمن الجَامِي[١] قدّس سرّه السّامِي: أنّه ما شُوهِد للمريضِ في مرضٍ شديدٍ وصَل به إلى الموتِ مثلاً إلا وقد برّأه تعالى عنه بفضلِه وكرمِه[٢].

ثم لا يخفى عليكَ أنَّه كان من أقدمِ خدّام شيخِنا التَّلَالِي قدّس سرّه قد خدَم المذكور له خدمةً تامّةً ووقَف لديه حِسبةً للهِ في أكثرِ الأوقاتِ ينظر ويعين لزُوّاره مُبتدئاً من وقتِ كونِه معه في ديارِ إسلام بول في عدنه إلى يومِ موتِه قدّس سرّه، بل بعدَ الموتِ وقَف في ذلك المحبّة، عادتُه خدمةُ أهلِ بيتِه كذلك، شكَر الله سعيَه لا يخرج أمرُ ابنه الكبير حاج محمد أفندي.

خاتمة: انتقل شيخِي التَّلَالِي قدّس سرّه إلى رحمةِ الله تعالى في الليلة التاسعةَ عشَر من شهر ذي القعدةِ الحرام حين ذهَب عنها أربعُ ساعاتٍ تخميناً المنخرط في سلكِ شهور (١٣٢١هـ) ألف وثلاثمائة وإحدى وعشرينَ، وحَضَرَ لصلاةِ جنازته نحو ألف وخمسمائة رجل في مَجمَعٍ واحدٍ.

وأمّا مَن صلُّوا بعده قبلَ الدفنِ وبعدَه.. فقد كثُروا، وسنّه حينئذ ثلاث وستّون سنة تخميناً كسنّه صلَّى الله عليه وسلَّم وسنّ الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولم يَقدِر أكثرُ الخلقِ الّذين جاؤوا للتعزيةِ للدّعاء قبالةَ أهل بيتِه وأَقْربائه ولم يصدُر منهم إلا الويلُ والبكاءُ والأصواتُ الهائلاتُ والنِّداءُ.

وكان يحضُر في كلِّ يومٍ في أوائل أيّام موتِه إلى عشرة أيّام خمسمائة رجل وأزيد منه بكثير.

[١] عبد الرحمان بن أحمد الجامي، ولد بـ«جام» من قصبات خرسان، اشتغل بالعلوم حتى برع في جميع المعارف، صحب مشايخ الصوفية فنال من ذلك حظّاً وافراً، من مؤلَّفاته: «شرح الكافية»، و«شواهد النبوة» بالفارسية، توفي سنة (٨٩٨هـ). «البدر الطالع» (١/ ٣٢٧).

[٢] «رشحات عين الحياة» (ص ١٢٤-١٢٥).

وكان يحضُر في أربعينَ يوماً على قبره الشريفِ في كلّ المساءِ والصباحِ نحو خمسمائة رجلٍ حتى حضرتْ على قبره حين دفنه النصارى مع رهبانِهم ووقَفُوا عليه إلى انصرافِ النّاسِ بعد تمامِ دفنِه قدّس سرّه وقد بقي مُعظمُ الناسِ عَاجِزين من الدخولِ تحت تابوتِه حين حَملُوهُ في المَقْبرةِ لازدحامِهم وكثرتِهم ولمخاصمتِهم، فمِنْ أجله امتدَّ إيصالُ نعشِه الشريف إلى المقبرة إلى أزيدَ من ساعتيْنِ.

فالحاصلُ: كان يوم موته يوماً مشهوداً ولم يكن لذلك اليوم لمن قبَله معهوداً، فرحمه الله تعالى ورزَقنا من بركات فيوضه وأنفاسه، آمين.

وُدِفنَ قدّس سرُّه في طَرَفِ المشرقِ من قرية تَلَهْ في موضعٍ معلوم عند الجادةِ الكبيرةِ وعلى قبرِه ما يليق لشأنه، فناسَب أن يُمدَح مدفنُه بهذه الأبياتِ لله درّ قائلها:

رَوْضَــةٌ ذَاتُ بَهْــجَــةٍ وَرُوَاءٍ * صَـادِحَـاتِ الطَّيْرِ الْتَقَتْ بِالصِّيَاحِ

جَـنَّـةٌ تَـجْـرِي تَـحْـتَـهَـا الأَنْـهُـرُ الـلَّا * تِـي تُـغَـنِّـي الـغُـصُـونُ حِـيـنَ الـرِّيَـاحِ

ربِّ هَـبْ لي شَفَاعَة الشَّـافِعِ الـهَـا * دِي وَهَـذَا الْـوَلِـيِّ دَاعِ الـصَّـلاحِ

انتهت ملخَّصةً على المرام.

ثم اعلم: أنَّا جمعٌ كثيرٌ من الإخوان وجمٌّ غفيرٌ من الخُلّان كُنّا جمعْنا على تعزيةِ التَّلَالِي قدّس سرّه وأقمْنا على بابِه أزماناً مشتركةً لمصيبة أهلِه وأقربائِه وتَسليةً لهم ذاهِبين في اليومِ مرّتينِ إلى تُرْبتِه المباركة للزيارةِ على عادةِ قريتِهم الميمونة.

و كان يحضر معَنا في كلِّ يومٍ مُعظَم جماعةِ تَلَهْ بارَك الله تعالى فيهم وفي أموالهم إلى يومِ الدينِ نذهب في الليالي للبيتوتةِ كُلًّا بالتماسِ أحدٍ من محبّيه إلى بيته، ووقت إسفار الصباحِ بعد إقامة صلاتِه نَحضُر إلى تربتِه للزيارةِ وقراءةِ القرآنِ على قبرِه ونَجِد عند ذلك عند مَرقَده خلقاً كثيراً جاؤوا للزيارةِ من أقطار الأرض، ومن قرى متفرّقة، ونجد أيضاً هيبةً في قلوبِنا حين وقَع أبصارُنا إليهم، ثم بعد قراءتِه القرآنَ وبعد الدعاء خلفَه عموماً يقوم من أثنائِهم عالمٌ ماجِدٌ وكاملٌ واحدٌ يَعظُ الناسَ في حقّه بما يَليق لحالِه وشأنه.

ثم هذا الفقيرُ يقومُ ويقولُ في كلِّ وقتٍ بعد الختمة والدعاءِ لجماعةٍ حضَرُوا هنالك وهم قائمون للذهابِ: تقرؤونَ كلّكم الفاتحةَ مرّة والإخلاص ثلاثاً ثم نهب كلُّنا إن شاء الله تعالى ثوابَهما إلى روح خاتم الأنبياءِ، وإلى أرواح سائرِهم، وإلى أرواح مشايخِ الطريقةِ النقشبنديةِ، وإلى أرواح مشايخِ سائر الطرقِ العليةِ، وإلى روح شاه نقشبند محمد البُخَارِي الأويسي قدّس سرّه خاصّةً، وإلى روح الإمامِ المجدِّد أحمد الفَارُوقِي قدّس سرّه، وإلى روح المجدّد خالد شاه السُّلَيْمَاني البغدادي قدّس سرّه، وإلى روح حضرة مولانا وأولانا محمود الفعال أفندي قدّس سرّه، وإلى روح المجدّد المائة الرابعة أستاذنا الشيخ حاج أحمد أفندي التَّلَالِي قدّس سرّه»، فيقرؤون وأنا أقرأ كما يقرؤون.

ثم أدعو وأهِبُ ثوابَهما وهُمْ يُأمِّنون حتى انتهى إلى شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه ثم إلى أرواحِ باقي المؤمنين والمؤمنات أي: هكذا إلى أربعين يوماً أو أكثر منها.

ثم بعد ذلك كان يحضر الناسُ إلى مرقدِه لأجلِ الزيارةِ في كلّ يومٍ من القريةِ ومن قرى أُخَر خصوصاً يوم الإثنين والخميس إلى يومِنا هذا، ولا يخلوا زيارتُه في أكثرِ الأوقاتِ عن إنسانٍ زائرٍ عاكفٍ، رفَع الله درجتَه وأعاد علينا من بركات أنفاسه، آمين اللهم آمين، وعلى قبره المبارك ما يليق لذاتِه من الجلالة.

ولقد كنتُ أنشأْتُ في حياةِ شيخِي التَّلَالِي قدّس سرّه قصيدةً من بحر الرّملِ مشتملةً على مدحِ نبيّنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم وعلى مدح آله وأَصحابه، بل على مدح شيخي التَّلَالِيّ قدّس سرّه وعلى الدعاء لنفسِي في آخرِها، ثم لما انتقل شيخِي التَّلَالِي من الدنيا، وجُمِعَ هذا الكتابُ لعَدِّ مناقبه ومناقب شيخِه محمود أفندي قدّس الله أسرارهما أوّلاً وبالذات، ولعدّ مناقبِ سائر مشايخِ هذه الديار ثانياً وبالعرضِ.. ناسَب أن يُكتَب القصيدةُ فيه، وكذا ناسَب أن يُكتَب ما في هذا المقامِ منه تذكرةً للإخوانِ:

فَـاعِلاَتُـنْ فَـاعِلاَتُـنْ فَـاعِلاَتُـنْ فَاعِلُـنْ

بُورَمَلْ بَحْرِيَيه سَالُوبْ اِجْتِهَادِي بَرْكْ قِلُونْ

بَدْ اِيدُوبْ بِاسْمِي اِيلَهْ مَدْحِي مُحَمَّدْ مُصْطَفَى

حَمْدْ اِدُومْ اُولْ بَارِكَاهَ چُونْ دِدِي اُول قُلْ كَفَى

پَسْ دَكُلْ مِي بِزْ اِچُونْ قِلْمَكْ خِطَابْ اَللهِ مِزْ

يَا مُحَمَّدْ اُولْمَسَيْدِيْنِكْ أَيِدَه مَزْدُمْ مَا سِوَى

پَسْ اَينكْ عِشْقِينَه خَلْقْ اِيتدِي خُدَا جُمْلَه عَوَا

لِمْ كِه دُورُرْ هَرْبِرِي قَائِمْ بِتَقْوِيمِ العُلَى

دِيدِ پَيْغَنْبَرْ كِه صِدِّيقَه اُوزِي غَارْ اِچْرَهْ كَانْ
لَا تَخَفْ قُرْقَمَه وَلَا تَحْزَنْ خُدَا بَسْدُرْ سَنْكَا
بُوچِهَارِ يَارِينْكْ جُمْلَه سِنُونْ حُرْمَاتِنَه
قِلْمَه يَا رَبْ بُوقُو لِنْكِي حَشْرِدَه اُونْدَانْ جُدَا
چُونْ خِطَابْ اُولُنْدِي بُولَارَه وَپُوينْبَرْ دِدِي
اَصْحَابِمْ كَالْاَنْجُمْ اُولْدِيكِيمْ يَدِلْسَهْ اهْتدَى
بُنْلَرُونْ هَرْبِرِنْدَانْ كُورْدِ لَارْخَلْقْ چُوقْ كَرَا
مَتْ كِه يَزْ سَنْكْ بُورِسَاله وُسْعَةْ اِتْمَزْ طَاوَهَا
بُونْلَرْ اُولُدُرْ بُودِينْ اِعْلَاسِنَه بَيْ شَكْ سَبَبْ
بُونْلَرْ اِيلَه چُوق اَمَاكِنْ فَتْحْ اِيدُو پْدُرْ مُصْطَفَى
بُونْلَرْنْ كَلْدِي بَشَارَتْ جَنَّةْ اِيلَه دُنْيَادَه
بُو نَصِيبَهْ نَائِلْ اُولْدِي لَرْ بِقُرْبِ الْمُصْطَفَى
بُونْلَرِنْ اَوَّلْكِه صِدِّيقُ وَعُمَرْ عُثْمَانْ عَلِي
بُويْلَهْ بِلْمَكْ لَازِمْ اُولْدِي مُسْلِمِينْ مُسْلِمَتَا
دَخِي شِمْدِي نَقْلُ اُولُمْ اُسْتَادِمَهْ اِخْوَانْ لَرِيمْ
سِيزْ قُولَاقْ وِرْبُو فَقِيرْنه سَوْلِيُورْ وَافِرْقَتَا
اُسْتَادِمْ شَيْخُ الْمَشَائِخْ شَيْخُ اَحْمَدْ دِرْ بَنِمْ
اِسْتَرَمْ تَطْوِيلِ قِتلْمَكَ آنِكَ عُمْرِينِي خُدَا

هَمْدَه رُتْبَه سِينِي مُزْدَادْ اُلْمَكْمِدُرْ مَطْلَّبِمْ
سَايَه سِنْدَه ظِلِّي لَنْمَكْ چُوقْ خَلَائِق هَاوَّها
چُونْ آيْنِكَ دِرْ نُصْحِي يَزْدَانْ اَيْنكَ دُرْ حَوْضِ كَوْ
ثَرْكِه تَعْرِيضِي بُيُورْمِشْ عَالَمَه رَبُّ الْوَرَى
اُولْمَسُونْ مَحْزُونِ اَوْلَادِنْك كِه اُولدِيلَرْ سَنْكَا
اِنْقِيَادِ هَرْوَقْتُ وَهَرْآنْ بُولْدِي لَرْ تَسْلِيمْ بُونكَا
سِلْسَلَنْكْ مَوْلَاكِه قِلْسُونْ تَامُسَلْسَلْ مُتَّصِلْ
قِلْمَسُونْ هِيچْ بِرِينُونْ عَصْرِنْدَه سِيزْلَرَه جَفَا
اَيْ خُدَا بُوبَنْدَءِ كَمْتَرْ قُلُنْكْ بُدُورْ نِيَازْ
اِتْمَه تَبْعِيدْ فَيْضِكِزْ دَانْ ذُو الْجَلَالِيمْ بُوكَدَا
نَفْسَه خَادِيم اُولْمَقِنْدَانْ دُورِ قِيلْ سَنْ بُوقُلِي
چُونْ بُلُومْ اَنْوَارْ اَينْكْ پَسْ بُولْمِيَانْ كُورْ مَزْلِقَا
بِزِي خَالِقْ مَعْرِفَةْ چُونْ خَلْقْ اِدِيْدَرْ بَيْ خِلَافْ
هَمْ عِبَادَة اَيْلِيُوبْ بُولْمَقْ اِچُونْ اَينِكْ رِضَا
بُوقْسَه دُنْيَادَه نِعَمْ لَرْچُوقْ يِيُوبْ اِيچُوبْ اُيُوب
خُورْ لِيُوبْ حَيْوَانْ كِبِي كِزْمَكْ سَنكَا اُلْمَزْ رَوَى
دُنْيَانِي سَوْمَه سَوَنْلَرْ سَوْمِيُويْدُر ذُو الجَلَالْ
قِيلْ كِفَافْ رِزْقَه قَنَاعَتْ بُولْمَكْ اِسْتَرْسَنْ لِقَا

نَامِمُوزْ عُثْمَان يُوزْ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْن اِيلَه

حَشْرِ قِيلْ يَا رَبْ بِزِي تَحْتَ لِوَاء الپُورْ صَفَا

ثم **اعلم**: أنَّه لما أوصى شيخنا التَّلَالِي قدّس سرّه قبل وفاتِه لأهلِه وأولادِه بأن لا تَجعَلُوني بعد موتِي في قبّةٍ، بل خَلُّوني لينزِل عليّ رحمة ربّي سألت أهلَه حَاجِ نَنَهْ، وكذا سأل ابنه الكبير حاج محمد أفندي عَنِّي بعد موتِه ووقتَ كوني مشاركةً لهم في تعزيةِ داره وطلباً الاستخارةَ عنِّي في حقِّ ذلك وقالا: فاستخره وانظر هل يكون رضاؤه لجعل القبّةِ عليه أم لا؟

ثم استخرتُ لأجلِه ورأيتُ في النوم أنِّي قد كنتُ عند قبر شيخنا التَّلَالِي قدّس سرّه ورأيتُ لديه قبّتين إحداهما عن طرف رأسه والأخرى عن طرفِ رجليْه ولكن قبره المبارك قد كان خالياً عن القبّة وعنده ناسٌ كثيرٌ، فسألت منهم عن هذيْنِ القُبتيْنِ فأجابوا لي: هذه قبّة والدكم حضرة أفندي قدّس سرّه، وهذه قبّة الشيخ الحاج جبرائيل أفندي قدّس سرّه.

ثمّ سألتُ عنهم: كيف كانت قبّة والدي هنا، فإنَّه مات في قرية زَاخُور، وقبّته هنالك؟! فأجابوا لي: «لمّا اتّصل روحانية والدِكم، واشتدّت محبّتُه مع هذا الشيخ.. ترى قبّته عند قبره، ولو كان هو مدفوناً في قُطرٍ بعيدٍ إذ الأرواحُ مما تراها وتجِدها أينما أرادت؛ إذ لا تفاوتَ لها في المسافةِ قرباً وبعداً» انتهى ما قالوا.

فأفقْتُ عن النومِ، وانتبهتُ عليه، ورأيتُ أنِّي في بيتِي في لَكِيتْ، وعبّرتُ لرؤيايَ هذا: أنّ شيخي لا يرضى لأن يكون عليه القبّة؛ كما أوصى به ولو رضي.. لرأيتُ عليه القبّة؛ كما رأيتُ على قبرَيْ أخويْه، هذا والله أعلم.

ثم لما ذهبْتُ بعد أيّامٍ إلى تَلَهْ وتكلَّمْتُ ما رأيتُه لدى أهلِ حاج نَنَهْ وأولادِه.. فقالوا عن لسانٍ: والله صدقتَ إنَّه قد أوصى لنا مرّات بأن لا تجعلوني في قبة؛ لينزلَ عليّ رحمةُ السماء في كلّ وقت.

ثم لما بَنَوا عليه ما بَنوْا بلا قبّةٍ وأتمُّوه بعد سَنَتيْنِ من الاستخارةِ؛ كما هو لائقٌ لذاتِه العليةِ ومناسِبٌ لولايته السّنية وشاهدتُه على طبق مشاهدتي إيّاه في النوم.. قلتُ لمن كانوا معي ما قلته، وعلمتُ علمَ يقين أنَّ ما رأيت لديه في النوم من القبّتين على اسم ذينك الشيخين المذكورين كانتا القبّتين اللَّتين وقعتا الآن عند رأس قبر الشيخِ وعند رجليْه؛ كما ترى فواقعتِي كانت تُخبِر عن هذه الغيبةِ بعكسها، فالحمد لله على ذلك.

ثم اعلم: أنَّ المتشيّخ القميريّ كان معنا وقتئذ في قرية تَلَهْ أياماً في تعزية شيخي التَّلَالِي قدّس سرّه وكان يدور في المجالسِ معنا حينئذ على اسم المريدِ وعليه يعار، ويقول في ضميرِه: كيف أتمسّك مِنْ بعدُ من يد واحدٍ من خلفائه هؤلاء المعاصرين بنا فوالله سيأتيني هذا العارُ؟! فوسوَس عليه الشيطان بما ذُكِر فيه، أضمر في قلبه ما أضمر وقال: أكون من بعدِ الآن أُعامِل معاملةَ المشايخ وأتزيّ بزيّهم وأُعِين لأهل بيت الشيخ بما لزم لهم في تعميرِ مشهد الشيخ وما عليه من الحجرةِ، وسور الروضة وغيره فوق ما يُعين إليهم أقربهم من خلفائه، فلعلّهم يقولون: إنَّ هذا من خلفاء أبينا المرحوم سمِعْنا منه أنّه من خلفائه بقي أمري إليه وليس لي من الحِيلةِ غيرُ هذا.

ثم أعان في تعميرِه لهم في كلِّ وقتٍ هو وجماعته وكان من إخوانِنا من لا يطّلع على ما في ضميره من طلب[١] المنصب والاسم والشهرة بذلك يثني عليه ويمدَحه، فمن أجلِ ذلك كان لهذا الفقير يعكس منه هذا الحال في كلّ منزلٍ صادَفه وكان يُظهِرُه لبعض رفقائِه وقتاً فوقتاً في المجالسِ ويقول: يعكس لي من هذا القميري من سعيِه هذا طلباً متمنّاً من أهل بيتِ الشيخِ دون مرضاةِ الربّ وروحانيةِ الشيخِ وهو قولهم: «إنَّ هذا من محبّي أبينا وخلفائِه» حيث لا يتفكّرُ المسكينُ أنَّ المشيخةَ ليستْ بمجرّدِ الاسمِ، بل بمعرفة النفسِ وعلمِ أنوارِها والمضي عن عقباتِها والاطّلاع على مقاماتِها والإخبار عن كلِّ مقامٍ بما يليق له من الأحوالِ والإيصالِ والوصولِ لسالكه من توجّهه أثر، بل وبالقدرةِ إلى تبليغِ السّالكِ الصّادقِ إلى مقامٍ لا تضرهّ نفسُه الأمّارة وكان غالباً عليها بغلبةٍ قَهريّةٍ ممزوج عجينُها بالذوقِ لا قهرية خالصة منه؛ إذ هذه كثيرامّا تُهلِك صاحبها وإلى مقامِه المقدَّرِ عند الله تعالى كما يَشهَد عليه قلوبُ أهل القلوبِ وأحوالِ أهل الحالِ.

ولا يتفكّر أيضاً أنّه لو سُئِل عنه واحدٌ من أهل الحالِ مِن حال قلبِ سالكٍ من السّالكين الذي يذكر عليه بأمر شيخِه خمسة آلاف من الذكر، ومن أثرِه لا يَقدِر أن يجيب بجوابٍ مقبولٍ عند أهلِه، على أنَّ أحوالَ قلوبِ طلبةِ هذا العلمِ متفاوتةٌ؛ كما لا يخفى عند أهلها وعلى أنّه يدّعي المشيخةَ ويريد أن يجلس على سجادتِها، وكذا لا يتفكّر ذلك المسكين أنَّه لا يَقدِر أن يُجيب إليه عنه ولو بكتابٍ على أنَّ هذا العلمَ ليس مما يُجاب عن مسألةٍ بالكتاب

[١] وذلك باشارة شيخي في حقه يوماً. (منه).

هذا فقط، بل بكتاب القلبِ معه لو كان هو مفتوحاً، وإلا.. فلا فضلاً من أن يَقدِر الجوابَ[١] عنه بغيره؛ إذ إنَّه – والله أعلم – بمن هو وأيُّ شيء حاصِل له في هذا الطريق ومع ذلك كان حينئذ في ذكر اللطائف درساً مع خدمتِه للشيخ من مدّةٍ مديدةٍ.

ثم لمّا لم يكن لدائه من طرف أهل بيت الشيخ علاجٌ ولمرضه شفاءٌ.. ذهَب لدى المتشيّخ مثله يوسف بابا بوَعْدٍ حين جاء إلى هذه الديارِ مُدَّعياً بقاءَ المشيخةِ له وانتهاءه إليه بعد انتقال شيخِي التَّلَالِي قدّس سرّه وحين آبَ مغلوباً: أيها البابا أَجِيء إلى خدمتِك فأْذَنْ لي في هذا الطريقِ، فأكونَ خليفةً لك إذ قد يُمِيتني العارُ، فأجاب له بابا المذكور وقال: لو جئتَ لديّ وخدمْتَ بُرَيهة.. أُجيز لك، فذهَب للوعدِ فأجاز ولم يفهم القميري[٢] أنَّ لباباً كان يلزم مُجيزاً فكيف أجاز له؟! وكان بابا المذكور لا يعرف طريقتَه واسمَها؛ إذ وقع بحثي معه في حقِّها في بيتِ أحمد يُوزباش الكُلُّوكِي، وكان فيه جمٌّ غفيرٌ من قرية كُلُّوكَ ومِن قُرًى متفرّقة ويدّعي أنّ طريقتَه طريقةٌ نقشبندية مع قوله: «ليس من ذكرِ القلبِ الجلالة، بل ذكره النفي والإثبات الجهرية، واسم الجلالة من ذكر الروح، ولا يعرف غيرَ ما ذُكِر من اللطائف ولا مواضعَها، ومن المعلومِ: أنَّ كلمة التوحيدِ الجهرية ليستْ من الأوراد النقشبندية الخالدية» انتهى.

فانظرْ أيها المنصف الغيرُ المتعسّف إنَّه من أزمنةٍ مديدةٍ خدَم لدى الشيخ التَّلَالِي فلم يصِلْ ولم يُوصلْ إلى مقامِه على أنّه من أكمل مرشدي الزمان وأولى محقِّقي الأوان.

[١] أي: لشيخي التلالي قدّس سرّه.

[٢] وقد شرب هذا القميري كأس المنية في سنة (١٣٢٧هـ) في نصف رجب المرجّب منها. (منه).

ثم لما خدَم عند ذلك المتشيّخ المشتري مَنصِب الدنيا بالدين أربعين يوماً.. وصَل وأوصل مقامَه وأجازه فما هذا إلا كذبٌ فاحشٌ، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات قبائح أعمالنا وأقوالنا، فمقصودهم من عملِهم هذا طلبُ الرياسةِ والجاهِ وإلا.. فما دعواهم أليس الانتهاء عنه لأجلِهم خيراً لهم لآخرتهم.

فإنَّ طريقَ الحقِّ سبحانه سلوكٌ وعملٌ واستقامةٌ لا سَماعٌ وجَدَلٌ ومخاصَمةٌ فهُمْ الذين يَجلِبون الدنيا بعمل الأخرةِ، وآياتُ الزّجرِ عنه وأحاديثُه كثيرةٌ شهيرةٌ منها: ما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾[١].

ومنها: ما رواه وهب بن منبّه رضي الله تعالى عنه: «مَن طلب الدنيا بعمل الآخرةِ.. نكس الله قلبه وكُتِب اسمُه في ديوان أهل النار».

ولي كلامٌ لطيفٌ يليق نقله لهذا المقام في رسالتي «تحفة الإخوان» نقلتُه إليها من «مكتوباتِ» قطب الأقطاب محمود أفندي قدّس سرّه، فمن أرادَ البيانَ.. فليراجع عليه من تلك الرسالة في مبحث خاتمة الخاتمة سَيَرى فيه العجائب إن شاء الله تعالى.

ثم اعلم: أنّي بعد انتقالِ شيخي التّلَالِي قُدِّسَ سرّه لم أَجْلِسْ على سجادةِ الإرشادِ مع أَنِّي مأذونٌ مطلقٌ منه في اليقظةِ وفي يَدِي كتابُ الإذنِ منه أيضاً ومع إلحاح مريدِيه ومُخلِصيه إليَّ بذلك في كلّ وقتٍ إلى سنةٍ، وبعد ذلك استأذنْتُ عن روحانيتِه أوّلاً وبالذاتِ وعن أهلِه وأولاده ثانياً وبالعرضِ أي:

[١] سورة النازعات، الآيات: ٣٩-٣٧.

أدباً معهم، وإلا.. فما الحاجةُ لاستئذانهم فأشير إليّ بذلك أوّلاً من روحانيته، فالحمدُ لله على ذلك وثانياً أَذِنُوا لي في ذلك ثم شرعْتُ توجهّهم وإرشادهم شيئاً فشيئاً.

فيا عجباً ممن لا حالَ له من الأحوالِ ولا إذنَ فيه من شيخِه ذي الكمالِ كيف يَجلِسُ على سجادة الإرشادِ أم كيف يكون مجيباً لمستمدّيه في الإمداد؟!، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فالحكم لله الكبير المتعال في يوم التّناد على أنّ مقام المَشيخةِ والإرشادِ ودعوةِ الخلق إلى الحقّ وطريق الرّشاد مقامٌ عالٍ جدّا، ولعلّكم سمعتم: الشيخ في قومِه كالنبي في أمته، فأيّ مناسبةِ هذه المنزلةِ العليةِ لكلّ قاصرٍ وعاجزٍ، فإنَّ العلمَ بتفاصيل الأحوالِ والمقاماتِ ومعرفةِ حقائق المشاهداتِ والتجليّاتِ وحصولِ الكشوفِ والإلهاماتِ وظهور تعبير الواقعاتِ كلّ ذلك من لوازم هذا المقامِ العالي وبدونها خَرْط القتاد.

ثم اعلم: أنِّي كنتُ أخاف من الله تعالى من التعريض أو التصريح على أحدٍ بأنّه كذا وكذا وأن أقولَ: إنَّه يُظهر ما ليس فيه المشيخة لأجل الدنيا ولجلب الفُلُوس عن الناس، وأقول في ضميري: هل يجوز اللومُ عليه بذلك تَعريضاً أو تصريحاً؟

ثمّ لما رأيتُ في «مكتوباتِ» مولانا غوثِ الزمان فريد العصرِ [ذي] الشأن محمود أفندي قدّس سرّه نقلاً عن مولانا محمّد خالد السُّلَيْمَانِي العُثْمَانِي الكُرْدِي مِن: (أنَّه يجب الاعتراضُ على حالِه والإنكارُ إليه؛ لأنَّهم ضاعُوا وأضاعُوا الناسَ لحبْسِهم عن ذهاب إلى أهل الكمالِ ومنعهم عنه) انتهى.

وكذا في «مكتوبات» مولانا خالد قدّس سرّه على بعضِ أتباعه وخلفائه تعريضاً أو تصريحاً من أنَّه: (وليترك تردّد النساء إلى بيت عبيد الله أفندي للتوجّه، فإنّه لخروجه عن الطريقةِ ودخوله فيما دخل بطوعه صار له هبوطٌ عظيمٌ، وسادةُ هذه الطريقة لا يَتلاعبُ بهم، وأمر عبيد الله بسبب وقوعِ اسمِ الخلافةِ عليه وزعم كونه أقدم من غالب الخلفاءِ لا يشبه أمر الذي دخل في الطريقة وهو من أهل الدنيا من المحبّين كأخيه المرحوم طاب ثراه، أئمةُ هذه الطريقة طَرَّدُوا المريدين بأدنى انصرافٍ بعد الإرادةِ فضلاً عن الخلافةِ فراجعوا «الرّاشحاتِ» عند ردّ إمامِ الطريقةِ بهاء الدّين النقشبند وعبيد الله أحرار لبعض مَن استأذن للحجّ أو قبل التدريس في بعض المدارسِ من المريدين، فإن خالفتُم.. فلستم على عهدي وأنتم تعلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[١] انتهى كلامه اللطيف[٢].

أقول: قال قدّس سرّه ما قال زجراً لهم عما هم فيه من الأخلاقِ الذميمةِ وميلهم إلى الدنيا الدنيّة لأجل الله، وما في «فتاوى ابن حجر» على مسألة دور الطلاق من التصريحِ على الزهرانّي وعلى شيخه لحكمهما بصحّةِ الدورِ في الطلاقِ حيث شنّع لهما كرّات على حكمهما بصحّة وادّعى عليه فقال: «فأسأل الله سبحانه وتعالى المنانّ بفضلِه أن يتوبَ على هذا الزهراني... إلخ، ويطهّر الأرضَ منه ومن أمثاله، فإنَّ فتنتَهم أشدّ على العوام من فتنةِ إبليس وجنودِه، عامَلَهم الله سبحانه وتعالى بعدلِه، آمين انتهى كلامه ملخَّصاً على المرام[٣].

[١] سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

[٢] «مكتوبات مولانا خالد» (ص ٢١٥).

[٣] «الفتاوى الفقهية الكبرى» (٤/ ١٩٤).

فإن شئتَ نهايةَ البيانِ.. فعليك بالمراجَعةِ عليه.. استرحت[١] به وشكرت عليه؛ إذ قد كان وقع عنّي تصريحاً؛ كما وقع عنهم في تأليفي هذا على بعض المتشيّخين في هذا الزمان ردَّدهم الله تعالى عما هم عليه إلى حالهم الصادق وتكلّماً عنهم فيما فيه نُصْحاً لهم، فلعلَّ اللهَ لا يؤاخذني بذلك، والله يعلَمُ ما هنالك فسيعلمون مَن أصحاب الصّراطِ السويِّ ومن اهتدى، هذا والسّلام يقودكم دار السلام.

ولقد أنشأ عبد الله الفقير الحاج إسماعيل أفندي ولد حاج نوري المُخَاخِي في مَرْثية هذا الشيخ التَّلَالِي قدّس سرّه وفي عدّ شمائله ومناقبه وكراماته، بل في بيان تاريخ موتِه قصيدةً لطيفةً رأيتُه، وهي قد جاءت بفضلِ الله ووقعَتْ مثل الفذلكة لهذا الكتاب؛ لما فيها من الإشارةِ إلى جميع ما فيه بالإجمال من مناقب الشيخ قدّس سرّه وكراماته والقصيدة هذه:

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْأَرَاضِيَ وَالسَّمَا * وَاتِ الْعُلَى لِرَسُولِهِ الْمُخْتَارِ

وَهَدَى مَن اتَّبَعَ الشَّرِيعَةَ وَاهْتَدَى * بِوَسِيلَةِ الْأَقْطَابِ وَالْأَبْرَارِ

أَبْدَى لَنَا الْوُرَّاثُ مِن أَنْفَاسِهِمْ * حِكَماً تُزِيلُ غَشَاوَةَ الْأَبْصَارِ

بَذَلُوا نَفِيسَاتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ فِي * إرْشَادِ نَاسٍ ضَائِعِ الْأَعْمَارِ

قُطْبُ الزَّمَانِ أَتَمَّ وَعْدَالسِّجْنِ مِنْ * هَمٍّ ثُمَّ شَدَّ الرَّحْل للغَفَّارِ

قَطَعَ الْمَنَازِلَ عَادَ نِسْبَتُهُ إِلَى الـ * ـمَوْلى فَوَلَّاهُ مَعَ الْأَخْيَارِ

[١] جواب لما.

كَهْفُ الْخَلَائِقِ كَعْبَةُ الْآمِلِ بَلْ * غَوْثٌ يُسَمَّى أَحْمَدَ الْمُخْتَارَ
نَسَبُوا إِلَى فَخْرِ الْأَمَاكِنِ وَالْقُرَى * بَلَدِ الْهِدَايَةِ مَنْبَعُ الْأَخْبَارِ
بِاسْمِ التَّلَا لُقِّبَتْ لِتَكْثِيرِ التِّلَا * وَةِ فِيهِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارِ
شَيْخٌ وَقُورٌ مُرْشِدٌ وَمُجَدِّدٌ * وَلِمَوْرِدُ الْإِخْوَانِ وَالْأَغْيَارِ
دَهَشَ الزَّمَانِ بَدَى إِلَى كُلِّ الْوَرَى * وَتَزَلْزَلَ الْأَفْلَاكُ بِالْأَسْرَارِ
حَدَثَ الْمَآثِرُ وَالْمَصَائِبُ فِي الْقُرَى * رَعْدُ الْمُصِيبَةِ صَاحَ فِي الْأَقْطَارِ
لَبِسَ الْبَهَائِمُ وَالْجَمَادُ ثِيَابَ حَسْـ * ـرَتِهَا الَّتِي طُوِيَتْ مَدَى الْأَعْصَارِ
بَكَتِ الْعُيُونُ بِدَمْعِهَا وَدِمَائِهَا * وَتَأَسَّفَ الْأَبْرَارُ بِالْأَفْكَارِ
مَنْ صَادَفَ الذَّاتَ الشَّرِيفَ بِمَرَّةٍ * لَا يَهْتَدِي سُبُلاً إِلَى الْإِنْكَارِ
جَمَعَ الْعُلُومَ ظَوَاهِرا وَبَوَاطِنَا * فَكَلَامُهُ بِالْوَحْيِ وَالْأَسْرَارِ
بِالرَّمْزِ وَالْأَلْطَافِ كُلُّ كَلَامِهِ * لَا بِالْهَوَى وَالْعَبَثِ فِي الْأَخْبَارِ
أَعْيَى الْأَمَاثِلَ عَنْ إِحَاطَةِ وَصْفِهِ * وَتَقَاصَرَ الْآمَالُ فِي الْأَحْصَارِ
مَنْ رَامَ عَدَّ مَنَاقِبِ عُظْمَى لَهُ * رَامَ الْمُحَالَ أَطَالَ فِي الْإِهْذَارِ
فُتِحَتْ لَه حُصُنُ الْمُشَيَّدِ قَائِماً * بَوَّابُهُ بِالرُّمْحِ وَالْأَوْتَارِ
بَهَتَ الأَمِيرِ تَحَيَّرَ الرُّهْبَانَ مِنْ * خَرَقٍ بَدَى فِي السِّجْنِ لِلْكُفَّارِ
لِأَنَّ الْحَدِيدَ تَفَسَّحَ الْحِيْطَانُ عِنْـ * ـدَ خُرُوجِهِ بِالْكُوزِ فِي الْأَسْحَارِ

أَقْفَالُهُ سَقَطَتْ كَأَصْنَامٍ لَهُمْ * فِي لَيْلَةِ الْمَوْلُودِ وَالْأَبْشَارِ
طَيَّ الْأَرَاضِيَ بَلْ أَطَاعَ طُيُورَهَا * وَوُحُوشُهَا فِي الْغَابِ وَالْأَوْكَارِ
مَا تَمَّ سِتَّةُ أَشْهُرٍ فَأَجَازَهُ * رَبَّاهُ خَضِرٌ دَارَ فِي الأقنار
ثُمَّ اسْتَوَى خَمَلٌ وَعَشَرَ عِنْدَهُ * فَرَأَى الْهِدَايَةَ أَوْفَرَ الْأَسْتَارِ
فَأَطَاعَهُ كُلُّ الْوَرَى مَا شَذَّ مِنْـ * ـهُمْ عَالِمٌ ذُو الرَّأْيِ وَالإِبْصَارِ
أَشْرَافُ عَصْرٍ وَالْأَكَابِرُ لِلزِّيَا * رَةِ عَاكِفٌ بِالذُّلِّ وَالْإِقْرَارِ
وَلِسُبْحَةِ الْيُسْرِ الْمُرَوَّقِ قَدْ غَدَا * مُدِرّاً بِلَا نَوْعٍ مِنَ الْأَبْحَارِ
حَرْقٌ بَدَى لِلنَّجْمِ مِنْ نَجْمِ السَّمَا * نُورٌ تَخَيَّلَ قُدْرَةَ الْقَهّارِ
اِبْنَاهُ وَالدِّهْلِيزُ بَلْ كُلُّ آلنَا * يُفْضِي إِلَيْنَا حِكْمَةَ الْجَبَّارِ
نَرْجُو الْهِدَايَةَ مِنْهُمَا وَحَفِيدِهِ * سُرُجٌ أَنَارُوا ظُلْمَةَ الْإِسْفَارِ
يَا نُورَ عَيْنٍ بِمَ الْأُفُولُ وَهَلْ تَرَى * سَبَباً سِوَى هَذَا مِنَ الْأَكْدَارِ
دَهْرُ السُّرُورِ مَضَى وَهَلْ يُرْجَى الْمَسَـ * ـرَّةُ بَعْدُ بِالْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ
أَرْجَى الْجَوَابِرِ يَا أَخِي قَوْلِي لَهُ * يَا سَيِّدِي خُذْ مِنْ يَدِ الْعَثَّارِ
أَرَّخْتُ بِالْقَلْبِ الْحَزِينِ الْمُنْكَسِرِ * لَا نَشْتَغِي بِالْوَعْيِ وَالْإِصْبَارِ (١٣٢١)

انتهت.

[مراقد ومشاهد الأولياء]

ثم اعلم: أنَّه أُلْقِي فِي قلبِي بعد ما قرُب إتمامُ هذا الكتابِ وأُلْهِم في فؤادي عَقِبَ ما وصَل فكرِي للخِطابِ أن أبيِّنَ مواضعَ مراقدِ بعضِ الأولياءِ الكِرام ومشاهدِ المشايخِ العظامِ المدفونينَ في ديارِنا من قديمِ الزّمانِ، قدّس الله أسرارَهم وجعَل منازلَهم فِي أَعْلَى غُرَفِ الْجِنَانِ بِحرمةِ نبيّ الإنس والجان.

[مرقد بابا عرتما]

مرقد الشيخ الشهير الكامل، والبدر المنير الفاضل، شمس الحقيقة عَلَم الطريقة، الشيخ بَابَا عَرَتْمَا قدّس سرّه في مفازةٍ بعيدةٍ عن القُرى وهناك قرية على اسمه المبارك.

وله مناقب مَرَّ بعضُها في بيان مناقب شيخِي وسيدي الشيخ محمود أفندي الأَلمالي قدّس سرّه، والبعض الساقط من بيانِه في تلك المناقب: أنَّ بابا عرتما قدّس سرّه رَمَى كفّاً من شعيرٍ إلى جهةِ جيشِ المعاند، فمات بذلك خَلقٌ كثيرٌ منهم، فمِن ذلك علمُوا كرامتَه وولايتَه واعترفُوا نهايتَه، هذا تلخيصه.

وأما تفصيلُه.. فإنَّ بابا عرتما كان يزرَعُ في جِبال البادية التي دُفِنَ هو الآن فيها شعيراً فمرَّ عنه جيشٌ من جيوشِ الإسلامِ وحَيُّوا له بتحية الإسلامِ، وقالوا على طريق المسامحة والاستهزاء: يا هذا جِئْ معنا للقتالِ إلى جهة كذا، قال: اذهبُوا فمتى غُلبتُمْ ادعوني أَحْضُر بإذن الله تعالى، فعبروا ووصلوا القتالَ، فلما رأوا كأنّهم مغلوبينَ دعا واحدٌ منهم إلى باب عرتما، ثم لما وصل نداؤُه

إليه.. أخَذ كفّاً من شعيرٍ ورمَى جهةَ معاندهم ومخاصِمِهم قائلاً: باسم الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

ثم لمّا وصل ذلك الكفُّ من الشعيرِ إلى أبدانِ رجال الكفّارِ وهلَك به جماعةٌ كثيرةٌ منهم.. رجَع النصرُ إلى أهل الإسلامِ، ولكن لم يعلم في الحالِ جيشُ الإسلام بأيّ سببٍ جاء النصرُ إليهم.

ثم لمّا عادُوا عن قتالِهم غالبينَ.. مَرُّوا أيضاً من عند بابا عرتما فعند ذلك قال له الذي قاله ما قاله أوّلاً: لِمَ لم تحضر جيشُنا لما دعوناك؟ قال: حضرْتُ جيشَكم وأجبتُ نداءَ نَادِيكم ورميتُ كفّاً من شعير عند ذلك، فقُتِل به مَن قتل من جُندِ معاندِكم، فإن لم تؤمنوا بي فاذهبوا ثم انظروا إلى أبدان المقتولين بيدكم، فآبوا ونظَرُوا إليها ووجدُوا كما قال مقتولين كلّهم بإصابة الشعير المرميّ عن كفّه إلى طرفهم واعترفوا حينئذ على ولايته، رفع الله درجَته وأفاض علينا وعلى جميع إخواننا من فيوضاته، آمين اللهم آمين.

[مرقد يال بابا]

مرقد علمِ الهدى ومَدفنُ بدر الدجى قطب عصره وغوث دهره يَالْ بابا قدّس سرّه في مفازةٍ قريبةٍ إلى قرية الأَلْمَالَى يُزار عليه ويتبرّك منه.

وله مناقب فمِن أسناها: أنَّ الناسَ يَزورُ له ويَعكِف عند قبره في كلِّ وقتٍ؛ ليتبرّك عنه خصوصاً في فصل الربيعِ والخريفِ، ويأتي لزيارتِه مَن فيه مرضٌ وريحٌ ومَن ابْتُلي ببلاء مِن فجٍّ عميقٍ ويرجع سالماً عنها.

وَلا أعلَمُ وطنَه الأصليَّ حقيقةً غيرَ أَنِّي سمعتُ من الثقاتِ: أنَّه جاء من الشام وأنه من مشايخه، وهذا الفقير كم زار له وكم قام لديه وتبرّك عنه، فالحمد لله على ذلك.

[مرقد سلطان حسن سلطان]

مرقد شيخنا وشيخ المشايخ ومشهد الشهيد والعلم الشامخ الشيخ سلطان حسن سلطان قدّس سرّه في بادية شراك في موضع مباركٍ، وله مناقب أيضاً، فمن أجلِّها: زيارةُ الركب والقوافل وقدوم كلّ عالم وكامل لزيارتِه من ديارٍ بعيدةٍ، وتقبيل مَرقدِه من بقعةٍ غريبةٍ، رفَع الله درجتَه وأعاد علينا من بركاته، آمين.

[مرقد سلطان شيخ أمير]

مرقد شيخ المشايخ وقطب الأقطاب سلطان شيخ أمير قدّس سرّه في قرية مِشْلِشْ من ولاية سَمْبُور، وله مناقب من أعظمها: أنَّ مَرقدَه لا يَخلُو من زائرٍ عاكفٍ في كلّ وقتٍ وزمانٍ، ويجيء من أقطارِ الأرضِ وُفودٌ وقوافلُ لزيارتِه، وأنّ اسمَه المباركَ يتكلّم في ألسنة رجالٍ ونساء حتى الصبيان.

ولا أعلم أصلَ وطنِه، ولكن المسموعَ من الثقاتِ أنّه جاء من شِرْوَانَ، وأنَّه من مشايخه وله مريدون مُخلِصون في تلك القرية قبورُ بعضهم عنده قبره وقبور بعضهم في ضَفة جامع قرية مِشْلِشْ يدعو لهم مَن يخرج من الجامعِ أوّلاً، وسمعتُ أنّه كان ذلك بأمر ذلك الشيخ قدّس سرّه ووصيّته حيث قال لأهل القرية: يدعون أوّلاً لهؤلاء ثم إليّ، وأنّه كان ممن رأى خضر عليه السلام

ويصاحِب معه، وله آثارٌ في القرية؛ فمِن آثاره لجامُ بَغْلِه رأيتُه بِعَيني وقد مات في سنة تسع مائة وسبعين، رفع الله درجتَه وأفاض علينا من فيوضِه بمنّه وكرمِه، آمين اللهم آمين.

[مرقد سلطان شيخ محمود]

مرقد سلطان الأولياء وملجأ الأصفياء سلطان شيخ محمود قدّس سرّه في قرية ژَاخُورْ في تَلّ مبارك أمام القريةِ في جهة المغربِ يُزار ويتبرّك، وله مناقبُ كثيرةٌ، ولا أعلم تفاصيلَها والمنقبةُ المعلومةُ عندي أنّه قدّس سرّه مع معاصره المشهور ورفيقه المبروز سيّد الأولياء وقطب الأتقياء سلطان وقته وشمس زمانه سلطان شيخ أمير قدّس سرّه كان يذهب في كلّ وقت على نهر سَمْبُورْ إلى القُرى التي كانت في أسفل ژَاخُورْ بلا عُبُورٍ عنه ولا دخولٍ إليه خوفاً من عدمِ التفاتِ كبراء قريةِ ژَاخُورْ إليهما؛ لكونهم أمراء عظماء.

ثم لمّا علم أهلُ قرية ژَاخُورْ وكبراؤهم عدمَ دخولهما إلى القريةِ وذهابَهما من أسفل القريةِ من أجل ذلك.. أرسلُوا إليهما واحداً من أهل القرية المسمّى بملّا رجب؛ ليدعوهما.

ثم لمّا جاء الرّسول لديهما ودعاهما من طرفِهم قال سلطان شيخ أمير: «إنَّا الآن نذهب إلى قرية كذا، فعند الرجوع منها نحضُر إليكم إن شاء الله تعالى، ونجعل هذا سلطان شيخ محمود ضَيفاً دائماً لكم ومقيماً في قريتِكم».

ثم ذهَبَا على هذا العهدِ إلى الموعود ولمّا رجَعا من هناك.. قدِما إلى ژَاخُورْ ونزَلَا في بيت الرسول المذكور مُلَّا رجَب؛ لأنَّه كان تارك الدنيا مثلَهما، ثم مرض في بيته سلطان شيخ محمود وأوصى بلسانه بدفنه في

الموضع المدفون هو الآن فيه، فبعد أيّام مات قدّس سرّه ودفن هناك في موضع عيّنه، ثم ذهَب رفيقُه سلطان شيخ أمير قدس سره إلى مِشْلِش، نفعنا الله من بركاتهما وأعاد علينا من فُيُوضهما، آمين اللهم آمين.

وأصلُ قرية شيخ محمود قدّس سرّه قرية أَتَّالْ من قرى وَادي ژَاخُورْ.

[مرقد حليلته]

مرقد حليلته وأولاده هنالك وكذا آثاره وعِصِيّه في مسجد قرية أَتَّال رأيتُ جميعَها وزرتُ كلَّها في هناك وكذا من آثاره توجد في قرية ممروخ في بيوتِ أقربائِه.

وهذا الفقير قد رآه في النوم مرّةً وهو في مَشهدِه ومَدفنِه في ژَاخُورْ على صُورته الأَصلية؛ كأنَّه مدفونٌ اليومَ، كان قدّس سره كبير الوجه والعينين وعظيمَ الفخذ والخدّين.

وكان أخونا الكبير حاج بكر أفندي المِشْلِشِي قدّس سرّه معي حينئذ، وكان يقول لي: إنَّ الأولياءَ لا يَموتون، بل ينقلون إلى الآخرة فأريد النظر إليه هل هو حيٌّ أم ميتٌ؟ قلت: انظر فلما مدّ يده ليمسَّه هل هو حيّ أم ميت؟ رفع الشيخ محمود قدس سرّه يدَه المباركة عن ركبتِه وأشار إليه ومنعَه عن مسّ يده إليه ثم قلتُ له: يا هذا لا تَلْمَسْه إنَّه حيّ.

ألا ترى أنّه تتحرّك يده المباركة وكان حوالي قبره آنية من زُجاج لائقة لشأنه وناسٌ كثير يقولون: إنَّها من آنية ضيافةٍ للكرامِ يصُبُّ إليها من أنواع الأطعمة وأصنافها لعظامٍ، رفع الله درجتَه وأفاض علينا من فيوضاته، آمين اللهم آمين.

[مرقد مبارك]

ومبارك من نسلِه في مقبرة قرية تَلَهْ يُزار له ويُتبرَّك عنه ولقد سمعتُ عن الثقات: أنَّ شيخي التلالي قدّس سرّه كان يزور إليه ويُثنِي عليه ويَمدَحُه عند الناس في المجالسِ، رزَقنا الله تعالى ولإخواننا من شفاعته يوم القيامة، آمين.

[مرقد محمود أخون]

مرقد الوليّ الكامل ومشهد الشيخ الفاضل الشيخ محمود أخون المشهور بـ«أخون بابا» قدّس سرّه في قرية كُلُّوكْ في محلّة جامعِها.

وله مناقب فمن مناقبه ما سمعتُه عن الثقات من: أنّ تِيلْ قِرَامْ[١] كان لا يعبر ولا يمرّ أوّل مرّة من مقابلة قبره المبارك، ومن أنّه قد جاء عند ذلك لأجله من طرف الرُّوسْ ناظر؛ لينظر أين يَقِفُ.

ومن مناقبه: أنّ شيخ محمود أفندي الأَلْمَالِيّ ثم الحَاجِ تَرْخَانِيّ قدّس سرّه لما مرّ مرّة عن طريق أمام قبره.. نزَل عن الفرس عنده، وقال لمن معه من أصحابه: قومُوا ساعةً، فإنَّ هذا الولي قد ذهَب إلى منزله وحجرتِه، ثم لما رجَع[٢] عن المنزلِ ذهَب قُدّامه وصافَح وتعانَق معه ورأى مصافحةً به من أصحابه مَن فيه كَشف، رفَع الله درجتهما ورزقنا من شفاعتهما، آمين اللهم آمين.

ولقد سمعتُ عن الثقاتِ: أنّه قد جاء من الشام وهو من نسل شيخ عبد الله الطوي العَلَوِيّ.

---

[١] أي: تِلِغْراف.

[٢] وكان في يده عند ذلك عند رجوعه عن المنزل سبحة حمراء. (منه).

[مرقد محمود أخون بابا]

مرقد كامل الأولياء، ومدفن قطب الأصفياء الشيخ محمود أخون بابا قدّس سرّه في قرية بَقَّال يُزار ويُتبرّك، وله آثار كثيرةٌ معلومةٌ عند معاصريه وأقاربه.

ولعدمِ علم تاريخِ ولادتِه ووفاتِه وعِلمِ تفاصيل مناقبِهِ لم نَكتُبها في الكتابِ ولم نحرّرها في الخطاب ولقد جاء من نسلِه ومن آبائه كرام بعد الكرام وخيارٌ بعد الخيار؛ كما هو معلومٌ عندنا وعند الفخامِ؛ لأنِّي سمعتُ أنَّه من آل الرسول صلّى الله عليه وسلّم ومن آل آله الكرام رضي الله تعالى عنهم وعنّا وعن جميع المسلمين، آمين.

[مرقد قفلان بابا]

مرقد شيخ المشايخ وقطب الأولياء؛ كالشوامخ شيخ قفلان بَابَا فوق قرية شن في قعرِ وادٍ هنالك يزور له الناس ويتبرك عنه ولبعد زمانه عن زمانِنا، وعدم علم تاريخه لولادة ولا وفاة ولا مناقبه لم نُرقِّمها في الرسالة، رفَع الله درجته وأعاد علينا من بركاته، آمين.

[مرقد المشايخ الذين جاؤوا من أرض الشام]

مرقد الأولياء الكاملين ومقابر المشايخ[١] الفاضلين الذين قد جاؤوا من أرض شام في قَاخْ بَاش قدّس الله أسرارَهم ونوّر ضرائحَهم، آمين اللهم آمين.

[١] يقال لهم بلسان الترك: أوجا غلر. (منه).

ولهم أيضا مناقب وآثار كثيرةٌ معلومةٌ عند معاصريهم وأقاربِهم ولا أعلَمُ تفاصيلهَا، فمن أجله لم نكتبها، بيد أنّي سمعتُ من الثقات أنّهم من آل بيت رسولِنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم، نفَعنا الله ببركاتِهم وسقَانا من كؤوسِهم بحرمة نبيِّنا ونبيّهم، آمين اللهم آمين.

[مرقد ملا عارف بابا]

ومبارك من آبائهم مسمّى له مُلّا عارف بابا قدّس سرّه في مقبرة قرية سَرُوباش يُزار له ويتبرّك منه قدّس الله سرّه ونوّر ضريحه وأفاض علينا من بركاته، آمين اللهم آمين.

[سلسلة المشايخ الذين جاؤوا من الشام]

ثم اعلم: أنِّي وجدتُ سلسلتَهم هذه المكتوبة على أسماء آبائهم في يد واحد من أبنائهم المسمّى بالسيد حاج موسى بن السيد حاج بابا ابن السيد عبد الحميد بن السيد إبراهيم إلى ابن[1] السيد تاج الله الأخضر نعمة الله بن السيد عارف ابن السيد أحمد بن السيد قطب العارفين السيد علي المعروف ببابا بِر على بن السيد محمد بن السيد حسن مرتضى بن السيد رضاء السيد حسين بن السيد نور الدين بن السيد زين العارفين بن السيد محمود بن السيد محمد بن السيد شهاب الدين بن السيد مَهْرَوي بن السيد أحمد بن السيد أحمد بن السيد حسام الدين بن السيد علاء الدين بن السيد أحمد بن السيد نور الدين بن السيد رضا بن السيد حسن مرتضى بن السيد موسى الكاظم بن

[١] منتهيا إلى ابن السيد تاج الله... إلخ. (منه).

الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين بن الإمام حسين بن الإمام أمير المؤمنين ويعسوب الدين أسدِ الله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنا أجمعين.

نقلتُ وجهَها إلى هذا المقام تَذكرةً منّي للإخوان الكرام قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ أهل بيتي كمثلِ سفينةِ نوحٍ فمَن رَكِبَ.. نجَا، ومن اسْتَخلَفَ.. غَرِقَ**»[١].

ولا يخفَى أنَّ هذا السيد عارف بابا المدفون في مقبرة قرية سروباش من سلسلة آل العظام ونتيجة أهل الكرام المستخرج من صلب أفضل جراثيم الأنام، وأنّه هو الذي جاء من هذه الديار إلى قرية قَاخْ في ناحية إِيلِسُو من ولاية زُخُورْ من توابع داغستان وأيضاً منه السيد محمد بن السيد عبد اللطيف بن السيد نور الدين بن السيد إبراهيم إلى ابن السيد تاج الله الأخضر نعمة الله بن السيد عارف بابا إلى آخر ما سبق من السلسلة.

ثم اعلم: أَنّي لمّا كنتُ رجلاً هرماً وصَل إلى سنّ ثمان وأربعين سنة ورجلاً ما رأى وجه وَلَد ذكرٍ إلى ذلك السنّ معَ كثرةِ الأولادِ من البناتِ ومع تعدُّدِ الزّوجاتِ وقد وهَب الله لِي في ذلك السنّ حين كنتُ في سفر الحجّ ثانياً لأداء الحجّ عن فرضِ أبي المرحوم - أي: نيابةً عنه - وَلَداً ذكراً مسمّى له باسم أبي المرحوم حضرة أفندي قدّس سرّه إلى أن أَرجِعَ من ذلك السفرِ إلى البيتِ.. أَنشأتُ أبياتاً تركيةً في بيانِ تاريخ ولادتِه فنقلتُ وجهَها في هذا الكتابِ حين استكتبتُه ثالثاً لأرسلَه إلى المطبعةِ ليقع تاريخُها فيه وإن كانت

[١] «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٣/ ٢٢٢).

ولادتُه بعد جمعِه وتأليفِه أوّلاً وتبييضه وتحريره ثانياً والأبياتُ هذه:

خُـدَايَـهْ چُـوقْ ثَـنَالَـرْ اِيلَـهْ حَـمْدَلَـرْ * اِيــدُورَامْ رُوزِشَــبْ هَــرْآنْ بَـرَابَـرْ

بِزِي يُوقْدَانْ وَارْ اِيتْدِي اُولْ يُوجَهْ حَقْ * نِـهَايَةْ سِيزْ نِعَمْلَـرْ وِيـرْدِي مُـطْلَقْ

بَــاغِـشْلَادِي فَـقِـيرْ قُـولِـينَــهْ اَللهْ * اُلُـورْكَـنْ قِـرْخِ سَـكِّزْ يَـاشْـدَ بِـالله

بِرْ أَوْلَادْكِـهْ آينكْ اِسْمِيدِرْ حَضْـرَةْ * قَـمُولَرْ چُوقْ دَانْ اِيدِي أُوْ نكَا حَسْرَةْ

آينك دُويْنَايَهْ كَلْمَكْدَانْ چُوقْ أَحْبَابْ * شَادْا وُلْدِي لَرْ اُولِي الْأَلْبَابِ أَنْسَابْ

بُوتَارِيخْ مِينْ اُوچْ يُوزْ اِيكْرِمِي دُوقُـوزْ * اُولَانْـدَه كَلْدِي دُونْـيَـايَـهْ بِـلْسِنْـزِ

صَـفَـرْ اِيـنْـدْه جُـمْعَه كِـيجَـسِـينَـهْ * كُـلُـويْـدُورْدِيـدِ لَـرْ بُـودُنْـيَـا سِينَهْ

بَـنِـمْ بِرْقِصَّــه وَارْدُوْرْ دِكْـلَـهْ سِيزَهْ * اُوقِصَّه دَنْ اُولُونْ چُوقْ حِصَّه سِيزَهْ

خُـدَادَنْ اِسْتَدُوْمْ وِيرْ سُونْكِه نُصْرَةْ * قِـلَامْ حَـجِّـي أَتَامُوزْ اُوتْـرِ أَلْـبَـه

نِـهَـايَـةْ قُـدْرَتِـي اُولَانْ خُـدَا مُــوزْ * مُـيَسَّـرْ اَيَـلْـدِي وِيــرْدِي رَجَـامُـوزْ

يِليمِزْ مِينْ اُوچْ يُوزْ اِيكِرْمِي سَكِّزِ * اِدِي كِتْدُومْ بِحَمْدِ اللهِ بِـلْنِسِـزْ

لِأَجْـلِ اللهِ آتَــامُــنْ اُوتْــرِ حُـجَّه * اَنَــارَ حْمِينَهْ دُشْـمِـشْـدِي بُولُـجَّهْ

كَـلِنْجَه اِيـوِمَــهْ بُـولْـدِيـمْ اَنِـى بَـنْ * خُدَايَـهْ چُـوقْ شُكُرْ لَـرْ اَيْـلَـدِيـمْ بَنْ

وَدِيــدُومْ بَعْـضِ اَحْبَـابَـهْ بُـوسُـوزِي * اِشِدُونْكْ سَاخْلَيُونْ سِيزْدَ بُوسُوزِي

بَنْ اُولْـدُومْ چُونْ اَتَامُونْ قَيْغُو سِنْدَهْ * خُـدَامْ اُولَـدِي بَنِمْ بُـوقَيْغُو سِـنْـدَهْ

دَدِي قَـلُـومْ بُـو عَـجْـزِي فَـقْـرِ اِيـلَـهْ * يِيَـه سَـنْ قُـولُـومُـونْ قَيْغُوسِي يِيَلَهْ

مَـنْ اَللهُ اَحَـــادَهْ يَـسْ نَـهْ لَازِمْ * وِرَامْ سَـنْـكَـابِـرْ اَوْلَادْ اُولَـهْ لَازِمْ

ذَخِيرَهْ اُولَـهْ اُولْ كَـوْ نَيْنَدَهْ سَنْكَا * دُعَـاءْ لَـرْ اَيْلِيَـهْ اَنْـجَـقْ اَوْ سَنْكَا

اِلَـهِـي قِـلْ بُـو اَوْلَادِي كَـرِيـمِـي * عُـلَـمَـآء زُمْـرَ سِـنْـدَانْ يَـا حَلِيمِي

وِيرُوبْ اُونْكَاكِهْ عُمْرِي چُوقْ طَوِيلِنْ * هِـدَايَـةْ اِيتِ يُولَهْ آنْـجَـقْ رَسُـولِـنْ

دُعَـائِـي شَـاعِـرِي عُـثْـمَـانُ يَـا رَبِّ * قِـلْ آنِـي سَـنْ قَـرِيـبْـلَـرَه مُـقَـرّبْ

ثم لما كان قد مات بعد وِلادتِه من نحو أربعة أشهرٍ كنتُ أنشأتُ مَرثيةً في حقّه؛ لتكون تسلّياً للقلبِ وصبراً للرّوح، وأدرجتُ وجهَها في أثناء هذا الكتابِ تَذكرةً منِّي لإخواني من أولي الألبابِ.

والمرثية هذه:

حَيْفْ كِـتْدِي آتَامُونْ اِسْمِنْـدَهْ بِزْ اَوْلَادِ حَيَفْ
اُولْ سَبَبْدَانْ غَمْلُوقَلْبَهُ وِيزِ خُدَى صَبْرآدِ حِيفَ
قَالْمِيكْ اَجْرِ جَـزِيَلْدَنْ بِزْ فَقِيرَانْ حَـقِيـرْ
اُولْمِيَاكْ دَرْ حَضْرَتْنِدَهْ هَمْلُويسَ كُلَ شَادِ حَيْفْ
بُلْبُـلِـي نَـا لَاكِـبِـي زَارْ اَيْـلِيـهْ دُوسْتْـلَرْ قُـيُوبْ
كَاهِ اُونْلَرْ شَادْ اِيدُوبْ بَشْمَانْ اِيدَانْ اَوْلَادْ حَيْفْ
بِزْدَنْ اَرْتُوقْ شَادُ خَنْدَانْ اُو لْمِيشِيدِي دُسْتْلَرِيمْ
لَـيْكِي اِمْدِي كُلِّ مَـحْزُونْ اُولْـدِ لَرْبَرْبَادِ حَيْفْ

دُنْيَايَهْ كَلْمَكْ لِكِنْدَانْ شَادْ اُولَا نْلَرْ كُلِّسِي

اَغْلَا دِيلَرْ اِيدُو بَـانْ آهْ يِمِيدِ يَلْـرَزَادِ حَيْـفْ

نَيْلَيِمْ اُولْ وَاحِدْ وُقَـرْدُ صَمَـدْ اَمْـرِي بُومِـشْ

قُولِينَهْ يَشْ وَاجِبْ اُولْدُورْ اِتْمِيَـهْ فَرْيَادِ حَيْفْ

اُونْدَانْ اُوتْرِي چُوقْ لَرِينْ جِيكَرْ لَرْ كَابَابْ ادلُوبْ

بَاخُصُوصَـا وَالِـدَهْ هَمْشِيرَ لَـرْدِرْ دَادِ حَيْفْ

بَلْكَـهْ مَرْجُـوٌّمْ بُـودُرْ اُولْ ذُو الْـجَـلَالِ اَللهِ دَنْ

قِيلَهْ آنِي بِزْ فَقِيرَانْ شَافِعِي عُقْبَادَهْ حَيْـفْ

بُـورَجَـامْ اُوزْرَهْ تَسَلِّـي وِيرُورَامْ يَـسْ قَلِيمَهْ

هَمْدَهَ اَيَـاتُ اَحَادِيـثْ اُوزْرَه دِرْدِلْشَادِ حَيْفْ

بُوقَنَا مُلْكْ كَمِيسَـهْ بَاقِي دَكُلْ مَنْ بِلُـورَامْ

هَرْكَهْ اُوِيلَهْ بَاقِي اُولْسَه بَاقْ اُلُورْ اَمْجَادِ حَيْفْ

هَانِي كِتْدِي خَاتِمَ الرُّسْلِ اَحْمَدِي مَحْمُودْمِزْ

جُمْلَهْ يَيْغَنْبَرْ لَرِيمْ أَصْحَابِ أَخْيَارِهَادِ حَيْفْ

هَانِي كِتْمِشْ جُمْلَهْ اَشْيَاخُ اُولِـي الْأَبْصَارِ مِزْ

يَاخُصُوصْ كِتْمِشْ اَبى الرُّوحُ اَحْمَدِي اُوسْتَادِ حَيَفْ

يَسْ يِلُورَامْ يُوقَنَا مُلْكْ كِمْسَنِي شَادْ اَيْلَمَزْ

شَادْ اُلُورْمِي غَمْلُو دُنْيَادَهِ كِدَانْ اَجْدَادِ حَيْفْ

بُويْلَهْ رُسْلِي بُويْلَه اَصْحَابْ بُويْلَه اَخْيَارْ جُمْلَهْ سِي

كِتِدِيلَرْ من يَنْلِيُومْ اُوغْلِيمْ سَنْكَافِرْ يَادِ حَيْفْ

اِسْتَـدِيـمْ مَـنْ آيْـلِـيَـمْ بُـوزْكَـابِـر اَزْاَيْـيَـاتِ تُـرْكْ
اِيـشِـدَانْـلَـرْ اَيْـلَـسُـونْ لَـرْصَـبِـرْ اَزْمِـيـهَـادِ حَـيْـفْ
يَـسْ دِيُـورَامْ كُـلُّ شَـيْءٍ هـاَلِـكٌ دُرْ اَيْ يُـسَـرْ
حَقْ قِلَانْ اِشْ شَـرٍّ اُو لْمَـزْبِـلْ مُبَارَكْ بَادِ حَـيْـفْ
شَاعِرَامْ اِسْـمِـيمْ مُـوافِقْ اِسْـمِ ذِي الـنُّـورَ رَيْنِـيَـهْ
صَابِرَامْ صَبَّـارْ اِيـدَانْ اَمْرَهَ دِمِـيـرَامْ دَادِ حَـيْـفْ

ثمّ لما وهب لي أيضاً بعد ذلك ولداً ثانياً في سنة ألف وثلاثمائة وثلاثين في شهر ربيع الأوّل يوم الثاني عشر منه وسمّيته باسم النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم مَحبّة عليه وعشقاً له وليكونَ تفاؤلاً.. أوقعتُ تاريخ وِلادته أيضاً في هذا الكتابِ؛ ليبقى اسمُه وتاريخُه فيه إلى انقراضِ الزمانِ.

ثم اعلم: أنّي أتممتُ رسالتِي هذه بسلسلة المشايخ النقشبندية الكرامِ، وأسماء الكاملينَ العظامِ قدّس الله أسرارَهم ونوّر ضرائحَهم آمين عربيّةً كانت أو تركيةً تبرّكاً من بركاتِهم العليّةِ وتَيَمُّناً من نفحاتِهم السنيةِ وليسهلَ حفظُها على مَن أرادَه من أصحابنا الفِخامِ.

فقلتُ مع تذييلي عليها ما بقي من أسماء سادات زماننا النقشبندية الخالدية من بعد الشيخ خالد إلى شيخنا التَلَالِي قدّس الله تعالى أسرارهما وأسرارهم العليّة ونفَعنا بأنفاس نِفاسهم[١] البَهيّةِ غدوةً وعشيةً.

[١] جمع نفيس. (منه).

وأنا العبد المفتقر إلى رحمة الله المقتدر الموافق الاسم لذي النوريْن الحاج عثمان ولد الشيخ المرحوم الشيخ حضرة أفندي الزَّاخُورِي قدّس الله سرّه ونوّر ضريحَه وأعاد علينا من بركاته؛ فالسلسلة هذه:

رِجَالُ الطَّرِيقِ النَّقْشُبَنْدِيَةِ الْأُولَـى * هُمُ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

نَبِيٌّ وَصِـدِّيـقٌ وَسَـلْمَـانُ قَـاسِـمٌ * وَجَعْفَرٌ طَيْفُورٌ وَخَرْقَانِي فَـارْمَـدِي

وَيُوسُـفُ ثُمَّ الْغُجْدُوَانِي وَعَـارِفٌ * وَمَـحْمُـودُ وَالرَّامِيتْـنِـي ذُو التَّفَـرُّدِ

وَبَـابَـا كُـلَالْ نَقْشُبَنْـدٌ عَـلَاؤُهُ * وَيَـعْـقُـوبُ أَحْــرَارٌ زَاهِـدُ مَنْجَدِي

وَدَرْوِيـشُ أَمْكَنْكِي وَبَاقِي مُـجَـدِّدٌ * ومَعْصُومُ سَيْفُ الدِّينِ نُـورُ مُحَمَّدِ

وَمَظْهَـرُ عَبْدُ اللهِ حَـضْـرَةُ خَـالِـدِ * بَـلِ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ خُـذْ ذُو التَّوَقُّدِ

وَحَضْرَتُنَا الصَّالِحُ أَفَنْدِي لَهُ وَرَدْ * إِمَـامٌ سَمِيٌّ لـه بِيَحْيَى الْمُـوَحِّـدِ

وَمِنْهُ أَتَى حَمْداً لِذَا صَيْتُ يُونُسٍ[١] * وَمَـحْمُـودُ الْفعالُ غَوْثِـي وَمَسْنَـدِي

وَحَضْرَةُ قُطْبُ الْوَقْتِ شَيْخِي وَسَيِّدِي * ضِيَـاءُ الْـوَرَى الْفَرْدُ التَّـلَالِـي أَحْـمَـدِ

وَهَذَا فَـقِـيرٌ جَاءَ مِـنْ عِـنْـدِ رَبِّـهِ * مُسَمًّى لَهُ عُثْمَانُ ذُو الْعَجْزِ فِي الْغَدِ

أُولئِـكَ حِـزْبُ اللهِ سَادَاتُ خَـلْـقِـهِ * لَهُمْ أَرْتَجِى حُسْنَ الْخِتَامِ وَاقْـتَـدِي

[١] اختلف المشايخ في شيخ حاج يونس أفندي التَّلَاكِي قدّس سرّه، قال بعضهم شيخه الشيخ الحاج إبراهيم أفندي القوت قاشيني قدس الله أسرارهما وقال بعضهم: شيخه الشيخ عبد الله المكي قدس سره فأقول: الحق ما سمعته مشافَهة من شيخي التلالي قدس سره، وعبارته: «نعم: إنَّ جدّنا الحاج يونس أفندي التلالي قدس سره قد أخذ الإنابة من شيخه الحاج إبراهيم أفندي ولكنْ كماله وإذنه لم يكن منه بل من أبيه الحاج يحيى بيك القوت قاشِيني وأنّه ما لقي الشيخ عبد الله المكي» انتهى.
كما قاله به محمد أفندي المنزلوي القزاني نقلاً من خليل باشا رضي الله تعالى عنهم وعنا أجمعين. (منه).

والسلسة التركية هذه:

اَزَلْ اَللَّهِدَانْ جِبْرِيلَ اَسْمَا فَتْحِ بَابْ اُولْمِشْ
دَخِي بِرْبِرْ اُلُوبْ اَسْمَا اُقُويُوبْ شَاهِتَابْ اُولْمِشْ
رَسُولُ اللَّهِدَاتْ صِدِّيقُ سَلْمَانْ كِيبِ عَالِيلَرْ
اَزَانْ قَاسِمِ جَعْفَرْ بَايَزِيدْ بَهْرَيَابْ اُولْمِشْ
اَبِيْ الْحَسَنْ عَلِيّ الغَارِ مَدْ يُوسُفْ هَمَدَانِي
يَسْ عَبْدِ الْخَالِقِي عَارِفِ مَحْمُودْ مَاه تَابْ اُولْمِشْ
عَلِي بَابَا مُحَمَّدْ هَمْ كُلَالِ شَاهِ نَقْشِيبَنْدْ
عَلَاءُ الدِّينِدَانْ يَعْقُوبْ تَكْ عَالِجَنَابْ اُولْمِشْ
عُبَيْدُ اللهِ مُحَمَّدْ زَاهِدِي دَرْوِيشْ مُحَمَّدْ دُورْ
اَزَانْ يَسْ خَوَاجَكِي بَاقِي مُجَدِّدْبَيْ سَحَابْ اُولْمِشِ
اَزَانْ يَسْ عُرْوَةُ الْوُثْقَى سَيْفُ الدِّينِ سَيِدْ نُورْ
حَبِيبُ اللهِ مَظْهَرْ جَانِ جَانَانْ كَامِيَابْ اُولْمِشْ
هَمْ عَبْدُ اللهِ شَاهِ جَامِعِي أَهْلِ كَماَ لِيدَانْ
ضِيَاءُ الدِّينْ مُحَمَّدْ شَاهِ خَالِدْ دُرِّ نَابْ اُولْمِشْ
بِلْنِدِي شَيْخْ إِسْمَاعِيلْ أَفَنْدِي عَالِ قَدْرِيدَنْ
مُحَمَّدْ صَالِحِ الحَاجِ يَحْيَى بَكْ جَنَابْ اُولْمِشْ
اَزِينْ مَوْلَانَئِ قُطْبُ جِهَانِ فَخْرِ مَاهِيدَانْ
بُوبِرْ بَحْرِي طَرِيقَةْ يُونُسْ شَاهْ اَفِتَابْ اُولْمِشْ
دَخِي مَحْمُودْ مَوْلَانَا وَقُطْبُ الدِّينِ الْاَلْمَالِي
يُوذَاتِ بَاكِدَنْ هَمْ شَيْخْ أَحْمَدْ فَيْضِ بَابْ اُولْمِشْ

بُو عَصْرِ الْوَاحِدِي بَيْ شَكْ مُجَدِّيدْ تَلَا لِيدَنْ
مُوَافِقْ اِسْمِ ذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانْ حَظِّيَابْ اُولْمِشْ
دَخِي چُوقْ لَرْكَلُوبْ بُونْدَنْ اُولُو بَكْرْ وَاصِلِ كَامِلْ
كِيدُو بَلَرْ رَاهِ رِضْوَانَهْ كِيمْ اُونْلَرَهْ خِطَابْ اُولْمِشْ
بُولَرْدَانْ نَاظِمِي بَيْ چَارَنِي حَقْ فَيْضِ بَابْ اَيْلَهْ
مَحَبَّةْ آتَشِنْدَهْ كِيمْ يَنُوبْ يَغْرِي كَبَابْ اُولْمِشْ

تمّت الرّسالةُ ولله الحمدُ على ذلك والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآل كلّ وصحب كلّ أجمعين، سبحان ربك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وقد فرغْتُ من تسويدِها في غُرّةِ شهر الله المبارك صَفر لسنة ألف وثلاثمائة وأربع وعشرين وتبييضِها يوم الخميس بعد الظهر في عشرين خَلَتْ من شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وعشرينَ وثلاثمائة وألف ومن استكتابِها للإرسالِ إلى المَطْبعة يوم الإثنين بعد الظهر في خمسة عشر خَلَت من شهر ربيع الآخر لسنة ألف وثلاثمائة وثلاثين.

وقد أعانَني في نقل سوادِ هذا الكتاب إلى البياضِ حين الاستكتابِ لإرساله إلى المطبعة طلبتِي الأَعزةُ وتلامذتي المهرةُ: ملا إبراهيم بن ملا أحمد، وملّا محمد نبي بن مُلّا نَوْرُوزْ الـزَّاخُورِيَّان، وخليل الدين بن سليمان الـزَّاخُورِي ثم اللَّكِيتِي جزاهم الله تعالى عنّي خيراً ووقاهم وإيّاي ضيْراً، والمرجوّ منهم

ومن سائر الإخوانِ المُطَّلعين على هذا الكتابِ في كلّ آن أن يُدرِئ بالحسنة السيئةَ؛ إذ جزاء سيئة سيئة وجزاء ضدّها حسنة، وأن يَذكُروني بخير الدعاءِ في حضرةِ مالك الملك ذي الجلال والكبرياء إنَّه على كلّ شيء قديرٌ وللإجابة جديرٌ، سبحان ربّنا ربّ العزّة عما يصفون وسلامٌ على المرسلينَ والحمد للهِ ربّ العالمين.

مما أنشأه الحقير الفقير الحاج عثمان الزَاخُورِي ثم اللَّكِيتِي لما رأَى نَقْشَ خَان ابن شيخه التَّلَالِي الحاج محمد أفندي والتمس منه صانعه الحاج محمد علي اليَلَاقِي كتبةَ تاريخ نَقشه وصفتِه واسمي صانعه وصاحبه قائلاً ما لفظُه هذا:

أَكْتُبُ النَّظْمَ قَائِلاً يَا إِلهِي * مِنْ نُقُوشِ النَّقَّاشِ مَا ذَا بَدَا لِي
صَاحِبُ الخَانِ شَيْخُ زَادَهْ التَّلَالِي * صَانِعُ النَّقْشِ فِيهِ حَاجْ الْيَلَاقِي
قُلْتُ للهِ دَرُّ ذَاكَ الْفَرِيدِ * إِذْ أَتَى بِالْفَرْدِ لِلْفَرْدِ التَّلَالِي
نَقْشُ ذَاكَ النَّقَّاشِ جَاءَ جَمِيلَا * مَا جَمِيلٌ إِلَّا بِحُسْنِ الْجَمَالِ
مِنْهُ أَيْضاً عُثْمَانُ يُبْدِي جَمَالَا * مَا جَمَالٌ إِلَّا أَتَى بِالْكَمَالِ
فِي ثَلَاثِمائةٍ ضُمْ وَالثَّلَاثِينَ * بَعْدَ أَلْفٍ تَارِيخُهُ ذَا الْجَلَالِ

هذه قصيدة العلامة المحقق محمد الضَّرِيري الغازي غُمُوقِي[١] مولداً

[١] العالم العلامة المحقّق والفاضل المدقّق وكان موجوداً في عصر سورخاي خان الثاني، وله سعة في العربية والشعر. «نزهة الأذهان» (ص ٤٩٣).

والإيلِيسُوِيّ مسكناً ومدفناً قبر المرحوم في مقبرة إِيلِيسُو يزار ويتبرّك، في مدح نبيّنا سيد الخليقة:

يَا رَبِّ صَلِّ على إِمَامِ الْأَنْبِيَا مُحَمَّدِ
سِرِّ الْوُجُودِ وَسَيِّدٍ بِالْمُعْجِزاتِ مُؤَيَّد
وعلى الْوَصِيِّ الْمُرْتَضَى الْكَرَّار فِي صَفِّ الْوَغَى
وَالْكَاتِبُ الْقَاضِي الْإمامُ الشاهِدُ الْمُسْتَشْهدُ
خَتْنِ الرَّسُولِ وَصِنْوِه وَوَزِيرِه وَظَهِيره
وَغُلَامِهُ وَحَلِيفِه وَخَلِيفِهُ فِي الْمَحْتَدِ
مَوْلَى لَمَن مَوْلَاهُ أَحْمَدُ فَلْيَمُتْ حُسَّادُهُ
مِنْ غَيْظِهِمْ فَالْفَخْرُ فَخْرُهُ فِي الْغَدِيرِ وَفِي الْغَدِ
وَعلى الْبَتُولِ الْبِضْعَةِ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةِ النِّسَآ
وَعَلَى الْكَرِيمَةِ أُمِّهَا ذَاتِ النُّهَى وَالسُّؤْدَدِ
وَعَلَى الشَّهِيدَيْنِ الرَّشِيدَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَيْهِمَا
بَكَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مِنْ ظُلمِ العَدُوِّ وَالْمُعْتَدِ
آلُ الكِسَا كَسَاهُمُ الرَّحْمَنُ ثوبَ طَهَارَةٍ
وَدَعَاهُمُ الْمُخْتَارُ مُبْتَلاً بِهِمْ فِي الْمَوْرِدِ
وَعَلَى الْوَلِيِّ الْقَانِتِ القَوَّامِ فِي جُنْحِ الدُّجَى
زَيْنِ الْعِبَادِ إِلَى الهُدَاةِ الزَّاهِدِ الْمُتَجَرِّدِ
وَعَلَى الْهُمَامِ البَاقِرِ الدَّاعِي إِلَى سُبُلِ الْهُدَى
وَعَلَى الصَّدُوقِ الصادِقِ الْحَبْرِ النَّصِيحِ الْمُرْشِدِ
وَعَلَى الْحَلِيمِ الْكَاظِمِ الْمَرْزُوزِ سَاقهُ يَا لَهَا
مِنْ مِحْنَةٍ غَشِيَتْهُ مِنْ سَفَهِ السَّفِيهِ الْمُفْسِدِ

وعلى الرضا عَالِمِ الْعُلَا[١] سَيْفِ الْإِلهِ عَلَى الْعِدَى
شَرَفِ الْمَحَافِلِ زَيْنِ طُوس يَا لَهَا مِنْ مَشْهَدِ
وعلى التَّقِيِّ الْعَالِمِ الْفَيَّاضِ يَنْبُوعِ النَّدَى
وَعَلَى النَّقِيِّ الْمُنْتَقَى مَهْدِيِّ الْهُدَى لِلْمُهْتَدِ
وعلى الزَّكِيِّ الْعَسْكَرِيِّ مِرِّيخِ أَرْبَابِ التُّقَى
بَدرِ الدُّجَى غَوْثِ الْأَنَامِ النَّاسِكِ الْمُتَهَجِّدِ
وَعَلَى الْإِمَامِ الْحُجَّةِ الْمَهْدِيِّ خَتْمِ الْأَوْصِيَآ
عَيْنِ الْحَيَاةِ مُعِيدِ دِينِ اللهِ بَعْدَ تَبَدُّدِ
هُمْ آلُ طَهَ حُبُّهُمْ دِينٌ وَكُفْرٌ بُغْضُهُمْ
وَبِغَيْظِهِمْ لَا شَكَّ مَلْعُونٌ بِنَصِّ مُحَمَّدِ
تَابَ الْإِلهُ بِهِمْ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْ عِصْيَانِهِمْ
وَأَجَابَ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ بِذِكْرِهِمْ فِي الْمَقْصِدِ
أَبْلِغْهُمُ اللهم عَنِّي أَلْفَ أَلْفِ تَحِيَّةٍ
وَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَاهْدِنِي وَاجْعَلْ لَدَيْهِمْ مَرْقَدِي
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِحُبِّهِمْ وَالْاِعْتِرَافِ بِحَقِّهِمْ
وَالْعَنْ إِلهِي كُلَّ بَاغٍ مُبْغِضٍ مُتَمَرِّدِ
وَأَجِبْ وَأَيِّدْ واكْفِ وَانْصُرْ سُرْخَيْ بنْ مُحَمَّدِ
بِمُحَمَّدٍ بِمُحَمَّدٍ بِمُحَمَّدٍ بِمُحَمَّدِ

كتبه العبد الفقير إلى رحمة الله القدير عيسى بن محمد مِيرْزَا الداغستاني العَنْدَلِي الكُلَاوِيّ رحمهما الله الباري، آمين.

[١] وفي نسخة: «علم الهدى».

أهم المصادر والمراجع[١]

١. **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢. **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن الغزالي، ط١- الإصدار ٢، سنة (١٤٤٠هـ-٢٠١٩م)، دار المنهاج - الرياض.

٣. **الأدب المفرد**، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار المصطفى - سوريا.

٤. **أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث**، لأحمد تيمور باشا، سنة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، دار الآفاق العربية.

٥. **الإعلام بقواطع الإسلام**، لأحمد بن محمد الهيتمي، تحقيق: محمد عواد العواد، ط١، سنة (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م)، دار التقوى - سوريا.

٦. **الأعلام**، لخير الدين بن محمود الزركلي، ط١٥ سنة (٢٠٠٢م)، دار العلم للملايين.

٧. **بحور الشعر العربي عروض الخليل**، للدكتور غازي يموت، ط٢ سنة (١٩٩٢م)، دار الفكر اللبناني.

٨. **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، لعبد الرحمن حسن الميداني، ط١ سنة (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، دار القلم - دار الشامية.

---

[١] اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي: اسم الكتاب، واسم المؤلف، واسم المحقق ورقم الطبعة، وتاريخ طبعه، والدار الناشرة.

٩. **البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية**، للشيخ محمد بن عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي الحنفي، بدون طبعة سنة (١٤٣٨هـ-٢٠١٦م)، مكتبة الحقيقة.

١٠. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١ سنة (٢٠٠٣م)، دار الغرب الإسلامي.

١١. **تاريخ بغداد**، لأبي بكر أحمد بن علي البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط١ سنة (٢٠٠٢م)، دار الغرب الإسلامي- بيروت.

١٢. **تاريخ دمشق**، لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بـ«ابن عساكر»، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (١٩٩٥م)، دار الفكر.

١٣. **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط١ سنة (١٤٢٥هـ)، دار المنهاج- الرياض.

١٤. **تفسير الجلالين**، للإمام جلال الدين السيوطي والإمام جلال الدين المحلي، دار العلوم الإنسانية.

١٥. **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة - بيروت.

١٦. **جامع كرامات الأولياء**، ليوسف بن إسماعيل النبهاني، ط١ سنة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م)، دار التقوى -سوريا.

١٧. **الجواهر والدرر الكبرى**، لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، ط١ سنة ٢٠١٩م، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية-لبنان.

١٨. **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، للجلال عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة ١ سنة (١٣٨٧هـ)، دار إحياء الكتب العربية.

١٩ . **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني سنة (١٣٩٤هـ -١٩٧٤م)، السعادة - بجوار محافظة مصر.

٢٠ . **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر** لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، حقّقه ونسقه وعلّق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار من أعضاء مجمع اللغة العربية، الطبعة ٢ سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار صادر - بيروت.

٢١ . **الرسالة القشيرية** ، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، ط١، دار المنهاج - الرياض.

٢٢ . **رسائل عن النورسية**، د. عبد الكريم عكيوي، جامعة ابن زهر - اغادير المغرب.

٢٣ . **رشحات عين الحياة**، للشيخ حسين بن علي الكاشفي، تعريب لشيخ محمد مراد بن عبد الله القازاني، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الطبعة ١، (٢٠٠٨ م-١٤٢٩ هـ)، دار الكتب العلمية.

٢٤ . **روح البيان**، للشيخ إسماعيل حقي البروسي، دار إحياء التراث العربي.

٢٥ . **الزهد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، الطبعة١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٦ . **سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج اليه الأبرار**، لعبد القادر بن موسى الجيلاني، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط٢، سنة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، دار الكتب العلمية - لبنان.

٢٧ . **سراج السعادات في سير السادات**، للشيخ حسن حلمي القحي الداغستاني، ط١ سنة (١٤٣٢-٢٠١١م)، دار الرسالة.

٢٨ . **سلك العين لإذهاب الغين**، لعبد القادر بن محمّد بن عمر بن حبيب الصَّفَدِيَ الشافعي، دار الرسالة.

٢٩. **سنن ابن ماجه**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، ط١ سنة (١٤٤٠هـ-٢٠١٩ م)، مؤسسة الرسالة.

٣٠. **سنن الترمذي**، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ط١ سنة (١٤٤٠هـ-٢٠١٩ م)، مؤسسة الرسالة ناشرون.

٣١. **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣ سنة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مؤسّسة الرسالة.

٣٢. **شرح المقاصد**، لمسعود بن عمر التفتازاني، بدون طبع، سنة (١٩٧١م)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - لبنان.

٣٣. **الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، مؤسسة الرسالة ناشرون-سوريا.

٣٤. **صحيح البخاري**» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تخريج وتعليق: عز الدين الضلي، عماد الطيار، ياسر حسن، ط٣ سنة (١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م)، مؤسسة الرسالة ناشرون-سوريا.

٣٥ **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ط١ سنة (١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م)، مؤسسة الرسالة ناشرون-سوريا.

٣٦. **طبقات الخواجكان النقشبندية وسادات المشايخ الخالدية المحمودية**، للشيخ شعيب أفندي بن إدريس الباكني، بدون طبعة وبدون سنة نشر، دار الرسالة - محج قلعة.

٣٧. **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة ٢، سنة (١٤١٣هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٨. **طبقات الشافعية للإسنوي**، لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، ط١ سنة (١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م)، مطبعة الإرشاد - بغداد.

٣٩. **طبقات الصوفية**، لأبي عبد الرحمن السلمي لمحمد بن الحسين النيسابوري، المحقق: د. أحمد الشرباصي، الطبعة ٢ سنة (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، كتاب الشعب - بيروت.

٤٠. **الطبقات الكبري**، لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، ط١ سنة (٢٠٢٢م)، دار الكتب العلمية-لبنان.

٤١. **الطبقات الوسطى** المسمى «لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية»، للإمام عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، تحقيق: د. محمد نصار، ط١ سنة (٢٠١٧)، دار الإحسان - القاهرة.

٤٢. **العظمة**، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، دار العاصمة - الرياض.

٤٣. **عمدة المريد لجوهرة التوحيد**، لبرهان الدين إبراهيم بن إبراهيم اللقاني، تحقيق: عبد المنان أحمد الإدرسي وجاد الله بسام، ط١ سنة (٢٠١٦ م)، دار النور المبين-عمان.

٤٤. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط١ سنة (١٤١٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٥. **الفتاوى الحديثية**، لشهاب الدين أحمد بن محمد الهيتمي، ط١ سنة ١٤٢٥هـ- (٢٠٠٤م)، تحقيق: محمد أحمد بدر الدين، دار التقوى-سوريا.

٤٦. **فتاوى قاضيخان**، لفخر الدين حسن بن منصور الأوزجندي الفرغاني الحنفي، ط١ سنة (٢٠٠٩ م)، دار الكتب العلمية.

٤٧ . **فتوح الغيب**، لعبد القادر الجيلاني، مركز العالم العالمي - داكا بنغالديش.

٤٨ . **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، لسليمان العجيلي المعروف بالجمل، ط١ سنة (٢٠١٨ م)، دار الكتب العلمية.

٤٩ . **الفتوحات المكية**، لشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي المشهور بابن العربي، (٢٠١١م)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - لبنان.

٥٠ . **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري، ط١ سنة (١٣٥٦هـ)، دار المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

٥١ . **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، بدون طبعة سنة (١٣٥١هـ)، دار مكتبة القدسية.

٥٢ . **مجموع الرسائل**، لشيخ الأكبر محيي الدين العربي وفي ضمنه «روح القدس في محاسبة النفس»، ط١ (٢٠٠٧م)، تحقيق: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية-لبنان.

٥٣ . **مجموعة رسائل ابن عابدين**، لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، ط١ سنة (١٩٩٨م)، تحقيق: محمد العزازي، دار الكتب العلمية - لبنان.

٥٤ . **مختارات النوازل**، لشيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، طبع سنة (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، مؤسسة إيفا للطبع والنشر - نيودلهي.

٥٥ . **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، لشمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ«سبط ابن الجوزي»، تحقيق وتعليق: محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، ط١ سنة (٢٠١٣م)، دار الرسالة العالمية - سوريا.

٥٦ . **مسند أبي داود الطيالسي**، لأبي داود سليمان بن داود بن الطيالسي البصرى، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط١ سنة (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار هجر - مصر.

٥٧ . **مسند الفردوس**، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، دار الكتب العلمية.

٥٨ .**المعجم الأوسط**، لسليمان بن أحمد الطبراني، ط١ بدون تاريخ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

٥٩ . **المعجم الكبير**، لسليمان بن أحمد الطبراني، ط٢ بدون تاريخ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٦٠ . **معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة، ط١سنة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة.

٦١ . **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم**، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، ط١ سنة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مكتبة الدار - المدينة المنورة.

٦٢ . **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط١ سنة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي - بيروت.

٦٣ . **المكتوبات**، للإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي، ط٢ سنة (١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م)، دار السراج.

٦٤ . **مناقب الإمام الشافعي**،لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق: عبد العزيز فياض حرفوش، ط١ سنة (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م)، دار البشائر.

٦٥. **نزهة الأذهان في تراجم علماء داغستان**، لنذير بن محمد الدُرْكِلِي الداغستاني، بدون طبعة وبدون سنة نشر.

٦٦ **نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية**، لعبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق: عبد الناصر سعدي أحمد عبد الله، ط١ سنة (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، دار مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.

٦٧. **نصب الراية لأحاديث الهداية**، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ط١ سنة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، تحقيق: محمد عوامة، دار مؤسسة الريان – لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية – السعودية.

٦٨. **نفائس الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، للقاضي أبي بكر بن محمد بن عبد الله باعمرو السيفي، دار الفتح، ط١ سنة (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).

٦٩. **نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات**، لشيخ محمد مراد بن عبد الله المنزلوي، المطبعة الأميرية بمكة.

٧٠. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول سنة (١٩٥١م).

٧١. **قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر**، للعلامة محمد بن يحيى التاذفي الحلبي، وبهامشه «فتوح الغيب»، ط٣ سنة (١٣٧٠هـ- ١٩٥٦م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٧٢. **الفتاوى الفقهية الكبرى**، للعلامة الفقيه أحمد بن محمد الهيتمي السعدي الأنصاري، جمعها: تلميذ ابن حجر الهيتمي، الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي، المكتبة الإسلامية.

٧٣. **مكتوبات مولانا خالد البغدادي**، جمع وترتيب: محمد علي القرداغي، وعلامات الترقيم والتصحيح: مهند إسماعيل، ومحمد دانشمان، وخليل باير بشير

سيف الدين، وإبراهيم الحراني، والتدقيق في اللغة الفارسية: رؤوف رهنمون، ومحمد علي أوزكان، ونادر بيك قاسموف، رئيس التحرير: إبراهيم آيدمير، ط١ سنة (٢٠١٥م)، المكتبة الهاشمية.

٧٤. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، لمحمد بن علي الشوكاني اليمني، دار المعرفة.

٧٥. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، للحافظ علاء الدين بن حسام الدين القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري الشهير بـ«المتقي الهندي»، تحقيق: بكري حياني، ط٥ سنة (١٩٨١م-١٤٠١هـ)، مؤسسة الرسالة.

٧٦. **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، للشيخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي، ط١ سنة (١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية.

٧٧. **كشف الأستار عن زوائد البزار عن كتب السنة**، للحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢ سنة (١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة.

٧٨. **عقيدة الإمام الشعراني من خلال بعض مؤلفاته**، طبع١ سنة (٢٠١٠م)، إعداد الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية.

٧٩. **رسالة المبدأ والمعاد**، للإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي، ضبطها وصححها: عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الدرقاوي، طبع سنة (٢٠٠٧م)، دار الكتب العلمية.

٨٠. **إثمد العينين في بعض اختلاف الشيخين ابن حجر الهيتمي**، والشمس الرملي، للشيخ علي بن أحمد المعروف باصبرين، وهو ضمن «بغية المسترشدين»، بدون طبعة سنة (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، دار الفكر.

الفهرس

المقدمة ٣

تَرْجَمَة ناظِم «القَصِيدَة المَحْمُودِيَّة» ٥

تَرْجَمَة شارِح «القَصِيدَة المَحْمُودِيَّة» ٩

منهجنا في خدمة الكتاب ١٦

قصيدة الورود في مدح الشيخ محمود ١٧

تُحْفَةُ الْأَحْباب الخالِدِيةِ في بيانِ الْقَصِيدَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ ٢٥

[خلفاء الشيخ محمود أفندي في ديارنا] ٩٤

[الشيخ أحمد أفندي التَّلَالِيّ] ٩٤

[الشيخ جَبْرائيل أفندي الزّاخُورِيّ] ٩٥

[الشيخ حمزة أفندي الزّاخوريّ] ٩٥

[الشيخ حضرة أفندي الزّاخوريّ] ٩٥

[الشيخ الحاج إسماعيل أفندي السِّوَاكْلِيّ] ٩٦

[الشيخ الحاج محمد أفندي الأَوَارِيّ الرُّوچِيّ] ٩٦

[الشيخ الحاج بَابَه أفندي الچَارِيّ] ٩٦

[الشيخ نور الله أفندي اللَّيْسِغِيّ] ٩٧

[خلفاء شيخنا أحمد أفندي قدس سره] ٩٧

فصل في مدح الشعر ١٩٠

[بعض كرامات الممدوح] ١٩٥

مقدّمة لازمة لهذه الخاتمة ١٩٦

الباب الأول في بيان الأقطاب، والأبدال، والأوتاد،
والنجباء، والنقباء وبيان صفتهم، وعددهم، ومَساكنِهم.. ٢٠٥
فصل في الكلام في عددهم وبيان مَسَاكنهم.. ٢١٦
الباب الثاني فيما ورد فيهم من الآثار النبوية
الدالة على وجودهم وفضلهم على سائر البَرِيّة.. ٢١٨
البابُ الثالث في الكلام عَلى بَعض أحْوال القطب
الغوْث نفعنا الله تعالى به.. ٢٣٠
الباب الرابع في بيان ما ينزل على القطب وكيفية تصَرّفه فيما يَرد عليه.. ٢٣٦
الخاتمة: [في الكلام على الكرامات وخوارق العادات].. ٢٣٨
الفصل الرابع في دعوى علم الغيب.. ٢٤٨
[الإنكار على الأولياء].. ٢٥٩
[كرامات العارف محمود أفندي قدّس سرّه].. ٢٦٣
[كرامات الشيخ العارف محمود أفندي نقلًا عن الشيخ التلاليِّ وغيره].. ٢٧٥
[الرابطة إلى الشيخ أحمد التلالي].. ٢٨٣
[الكرامات التي رويت عن غير شيخي التلاليّ].. ٢٨٨
[خلفاء الشيخ محمود أفندي].. ٢٩٧
[الشيخ جبرائيل أفندي الـژاخُورِي].. ٢٩٧
[الشيخ الحاج حمزة أفندي الـژاخُورِي].. ٣١٨
[الشيخ حضرة أفندي الـژاخُورِي].. ٣٢٤
[الشيخ حاج إسماعيل السِوَاكْلي].. ٣٣٧
[الشيخ الحاج محمد الرُوچِي الداغستاني].. ٣٤٥
[الشيخ الحاج بابه أفندي القاخي الحنفي].. ٣٤٦
[الشيخ نور الله أفندي اللّيسغيّ].. ٣٤٨

[مكتوب الشيخ محمود أفندي إلى خليفته حاج باب القاخي]........ ٣٤٩
[كرامات ومناقب الشيخ محمود أفندي قدس الله سرّه]........ ٣٥٠
[مناقب الشيخ أحمد التلالي قدّس سرّه]........ ٣٥٨
[كرامات الشيخ التلاليّ قُدّس سرّه]........ ٣٨١
[خلفاء الشيخ أحمد التلالي]........ ٣٨٨
[الحاج شرين الكُلُّوكِيّ]........ ٣٨٨
[الشيخ عبد الرحمن الغازي غموقي]........ ٣٩١
[الشيخ عمر الإقْراوِيّ الكُوريّ]........ ٣٩٢
[الشيخ مصطفى الغدبري]........ ٣٩٣
[الشيخ شعيب أفندي الباكني]........ ٣٩٤
[الشيخ عبد السلام الخجمازي]........ ٣٩٦
[الشيخ مصطفى الملاخي]........ ٣٩٦
[الشيخ حاج بكر المشلشي]........ ٣٩٧
[الشيخ عبد الرحمن الأُنْحادِيّ]........ ٣٩٨
[الشيخ عبد الوهاب الرّاخوري]........ ٣٩٨
[الشيخ الحاج مماي الإيلِيسُوِيّ]........ ٣٩٩
[الشيخ جنيد القُوباليّ]........ ٤٠٠
[الشيخ تمرخان القرچاوي والچركاسي]........ ٤٠٠
[الشيخ حاج موسى دبر القرني]........ ٤٠١
[الشيخ حاج كل محمد أفندي المثويّ]........ ٤٠١
[الشيخ حَسَنْ دِبِرْ التّاشي الداغستاني]........ ٤٠١
[الشيخ ابن حجر العَكاخِيّ]........ ٤٠٢
[الشيخ أُنْدَلْ حاجِ الهِدَليّ العُرادِيّ]........ ٤٠٢

[الشيخ شاميل أفندي الباتُوِي].. ٤٠٣
[الشيخ موسى أفندي الكونيكي السكوي]... ٤٠٣
[الشيخ عثمان الژاخوري].. ٤٠٣
[بعض حالات مما لاح لي في هذا الطّريق].. ٤١٢
[رؤية الله تعالى في المنام].. ٤٤٣
تتمة: في بيان العوالم الأربعة.. ٤٥٧
[مراقد ومشاهد الأولياء].. ٤٩٦
[مرقد بابا عرتما].. ٤٩٦
[مرقد يال بابا].. ٤٩٧
[مرقد سلطان حسن سلطان].. ٤٩٨
[مرقد سلطان شيخ أمير].. ٤٩٨
[مرقد سلطان شيخ محمود].. ٤٩٩
[مرقد حليلته].. ٥٠٠
[مرقد مبارك].. ٥٠١
[مرقد محمود أخون].. ٥٠١
[مرقد محمود أخون بابا].. ٥٠٢
[مرقد قفلان بابا].. ٥٠٢
[مرقد المشايخ الذين جاؤوا من أرض الشام].. ٥٠٢
[مرقد ملا عارف بابا].. ٥٠٣
[سلسلة المشايخ الذين جاؤوا من الشام].. ٥٠٣
أهم المصادر والمراجع.. ٥١٥

اللجنة العلمية بالإدارة الدينية الداغستانية
التي قامت بالعمل على هذا الكتاب المبارك:

تاج الدين بن محمد الإِرْهَاني، محمد بن مراد الدِّلِمِي، عبد الله بن عبد الرَّحمن الخُبَارِي، محمد حاج بن أحمد الخَرْتِكُنِي، محمد بن سعد الغُدُبِرِي، محمد بن فخر الدين الإنچكي.